التشيـــع

عقيدة دينية ؟ أم عقدة نفسية

الدكتور

طه حامد الدليمي

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الطبعة الثانية

محل الطبع

الناشر

التشيع

عقيدة دينية ؟ أم عقدة نفسية

الإهـــداء

إلى..
النخبة العاملة في الأمة..
مــن العلمــاء والــدعاة والقيــادات السياســية والعســكرية والثقافية والعشائرية وغيرها
الذين أدركوا حقيقة خطر الشيعة
ويسعون جدياً في مواجهة هذا الخطر
لا تبددوا طاقاتكم في تجربة المجرَّب
والسعي وراء ما لا طائل تحته
من..
الأفكار التقليدية..
والأساليب القديمة غير المجدية
أيها العاملون ..!
وحتى أختصر لكم الطريق
فقد قمت بتشخيص الداء.. وتوصيف الدواء

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آلـــه.. أصـــحابه وأتباعـــه أجمعين. وبعد..

ففي زمن الزيف.. والضغط الاجتماعي.. والإرهاب الجســدي والفكــري.. حــين تلتمس الدنيا بعمل الآخرة.. ويبيع المرء دينه بعرض من الدنيا قليل – تقلب الحقــائق.. وتغير المعاني.. وتبدل المفاهيم.. ويمسي الحق غريباً توضع علـــى وجهــه المشــرق الجميل البراقع والحجب؛ فلا تكاد تتعرف عليه إلا بعد جهد جهيد.. وبحــث وتنقيــب، كمن يتطلب جوهرة ثمينة من خلل الغبار، ويتحسسها من بين الأوساخ والأتربة! فــلا يرجع بها حتى ينعق الناعقون.. يصيحون به من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعــن شماله يقولون: إنه لمجنون!.. وما هو بمجنون. ولكن الذين هانوا على ربهم يكذبون.

لا سيما مع شيوع (الثقافة المنبرية). ذلك أن أغلب ركاب المنابر (قصاصون) كــان أسلافنا الأوائل يطردونهم من المساجد، وكانوا يحذرون منهم أشد التحذير. ولكن طــال علينا الأمد، وكثر الدخان والدخن؛ فصعب التمييز على عامة الناس، لا سيما مع كــون الساحة تكاد تخلو ممن يحاول السباحة ضد التيار، أو يرفع صــوته، أو يحــرك يــده مشيراً إلى الانحراف الحاصل عن الاتجاه الصحيح.

فمن ذا الذي يصبر على مثل هذا ؟! وكيف؟! ومتى يدرك الناس الحقيقة وسط هــذا المحيط ؟!

في مثل هذه الأجواء الموبوءة.. لا بد لطلاب الحقيقة من أن يعيدوا دراسة القضـــايا – أو المشاكل الكبرى – بعقلية الناقد المتشكك الذي لا يأخذ الأمور على ظواهرها، أو كما يسمعها أو يقرأها مهما كان مصدرها – سوى قواطع الوحي وثوابت الــدين– وأن يُخضعوا (المسلمات) الاجتماعية إلى الفحص وإعادة النظر من جديــد.. وإلا اســتمر الخطأ يتكرر، والتأريخ يعيد علينا دورته – ويعيد نفسه – في كل جيل.

لا بد من قراءة جديدة للتأريخ والمجتمع. ومعايشة الواقع معايشة تقوم على الرصد والتحليل والتقييم ومراجعة المعلومات باستمرار. إضافة إلى إثارة الموضوعات الحيــة ومناقشتها مع ذوي الشأن والخبرة. كل ذلك في ضوء الكتاب والسنة، والاطلاع علـــى

التجارب السابقة والمعاصرة، وما سطره الحكماء من العلماء العاملين، وليس الجامدين القابعين في بروجهم الذين يريدون من الله سبحانه (أن يضرب لهم الظالمين بالظالمين ويخرجهم من بينهم سالمين)[1]!.

أقول: لا بد من هذا للخروج بخلاصة صحيحة – أو أصح – تصلح لعلاج المشاكل الكبيرة، أو – على الأقل – تصلح لتفسيرها تفسيراً علمياً واقعياً بعيداً عن أوهام المخبولين، وخبالات الواهمين.

لقد كنت أقلب البصر في أنحاء هذا الواقع وأنا أفتش عن السر الكامن وراء ذلك الحقد الطائفي والممارسات المتخلفة المؤذية، والوقاحة الصفيقة في التعامل مع (الآخر)، مع انعدام الإحساس بقيمته وقيمه ومشاعره، وإسقاط النواقص الذاتية عليه؟ لماذا هذا العداء الوحشي الذي يلبس لبوس الدين؟ ومصادرة حق الآخر في العيش أو التعايش؟ والسعي الحثيث في محاولة تهميشه وإلغائه من الوجود بشتى الطرق: اتهامه والوقيعة به، أو مطاردته واعتقاله وتعذيبه إلى حدود – وبأساليب – لا يبلغها العقل الإنساني! أو اغتياله وتصفيته جسدياً بكل الوسائل الممكنة...؟ لماذا هذه اللعنات التي تصب على تاريخنا ورموزنا علناً وعلى رؤوس الأشهاد؟! لماذا هذا التخريب والحركات الغوغائية المدمرة للذات وللغير؟ والعمالة المتكررة للغازي الأجنبي؟ ما هذا الفساد الخلقي الذي يمارس باسم الدين أو بلا اسم، والذي يتركز ويزداد كلما اقتربت من الحوزات والمؤسسات أو المعالم والرموز الدينية؟ ما هذا الكذب السمج والنفاق والتظاهر بغير الباطن بلا مبرر من إكراه ونحوه؟ وهذا اللؤم وإنكار الجميل وتوجيه الأذى للمحسن أولاً وقبل غيره؟ ما هذه الرايات السود التي تواصل التقدم من الشرق وبلا انقطاع منذ فجر التاريخ في أور سومر وإلى بغداد الأمس واليوم؟ وهذه الحروب التي لا تنتهي؟ ما هذا اللطم والنواح والتطبير وجلد الذات؟ وهذه الذلة والمسكنة والتباكي ودعوى الاضطهاد والمظلومية والمحرومية: أهي محرومية حقيقية؟ أم هي محرومية نفس جدباء لا تنبت كلأً ولا تمسك مطراً ؟

وأتلفت حولي وأنا أسأل وأتساءل، وأبحث وأبحث.. وشيئاً فشيئاً صارت تتكشف لي الحقيقة. ومع الرصد والتنقيب والتحليل، وتخزين الملاحظات وتسجيلها، وفحصها واختبارها، وتجميع النتائج وتركيبها لاستخلاص القواعد والأسس وتطبيقها على

---

[1] وفي رواية بزيادة ثقة (كالشعرة من العجين). وهناك رواية أخرى أعرضنا عنها لضعفها.

المفردات والجزئيات – ظهرت لي الحقيقة جلية. فإذا أنا أكتشف أن (التشيع عقدة وليس عقيدة). وما كان أعجب تلك اللحظة التي اكتشفت فيها هذه الحقيقة! وقد جاءتني عفواً على لسان أحد الأصدقاء، فكدت أصيح لحظتها قائلاً: وجدتها..! وجدتها..!

هذه هي الحقيقة المفقودة..!

وهذا هو التشخيص المطلوب..!

وإن هذا التشخيص ضروري كل الضرورة لعلاج المشكلة، وغيابه عن ذاكرة المهتمين بها هو السبب وراء فشل جميع المحاولات العلاجية، أو تأخرها في إحداث الأثر المطلوب، بصرف النظر عن درجة الفشل: أهي قريبة من الصفر؟ أم تحوم تحت عتبة النجاح.

كتبت أول ما كتبت في أمراض أو نفسية الشيعي عام ٢٠٠٢م. فكان أحد أبواب كتاب (لا بد من لعن الظلام) أسميته: (التشيع الفارسي بين الأمراض والعقد النفسية والانحرافات الفكرية والسلوكية). ثم رأيت بعد فترة قليلة أنه لا بد من التوسع في البحث، وإقامته على أسس أكثر علمية. لكن الشواغل حالت بيني وبين ذلك. منها ظروف الاحتلال وكثرة التنقل وعدم الاستقرار. وحين طالت المدة قررت – بالرغم من كل شيء – أن أجرد القلم وأبدأ البحث. لكنني ووجهت بقلة المصادر وشحة معلوماتها المطلوبة، ووجدت أفضل ما وقع في يدي منها هو كتاب (التخلف الاجتماعي.. سيكولوجية الإنسان المقهور) للدكتور مصطفى حجازي؛ فهو أقربها إلى موضوع البحث من حيث أن حجر الزاوية في (العقد الفارسية) – التي تسللت بالحث والعدوى الجمعية إلى الشيعة – هو الشعور العميق بالقهر والحرمان والعجز والاضطهاد إزاء قوى الطبيعة والمحيط الذي يعيش فيه. وهي معان متقاربة تشترك في تكوين أهم عقدة لدى (الفارسي) – والتي تشكل أساس كل عقده النفسية التي يعاني منها – ألا وهي (عقدة النقص). وهو ما دارت عليه موضوعات الكتاب؛ فاتخذته مرجعاً أساسياً من مراجع البحث[1].

---

[1] وقع الكتاب في يدي في حزيران عام ٢٠٠٥ وأنا أبحث عن كتاب للأمراض النفسية الجماعية فلم أرجع بشيء.

كتبت الكتاب – أو البحث – بمنهاج المصلح الديني، الذي يبغي الإصلاح الاجتماعي، ويحاول وصف العلاج الناجع من خلال النظر في كتاب الله المسطور: القرآن الكريم – ومعه السنة النبوية المطهرة – وكتابه المنظور: الأنفس والآفاق، أو الواقع المشهود. ولقد ساءني جداً، وآذاني كثيراً ما وجدته في الساحة الدعوية من سطحية في التفكير، وغثائية وجمود في الطرح، وذهول عن القرآن والسنة والسيرة النبوية، وبُعدٍ منقطع عن الواقع، وغفلة حمقاء عن تجارب الأمم، وجهل معيب للتاريخ، وفقر مدقع في معرفة سنن الله في التغيير. لذا فإني أتناول هذا كله بالحديث، ولا أقتصر به على البحث العلمي الذي يتناول المسألة من جوانبها الموضوعية فقط. علماً أنك ستجد موضوعات منقولة عن كتاب (لا بد من لعن الظلام) بنصها أو بتصرف بسبب طبيعة البحث إذ هو عبارة عن امتداد للباب الأخير من الكتاب المذكور، اقتضت أهمية الموضوع وأصالته مني أن أتوسع فيه وأدرسه بعمق أكثر مما كان عليه.

إن هذا الكتاب محاولة أولية لدراسة هذا الموضوع الساخن جداً، والمهم جداً. ولا أدّعي أنني صاحب اختصاص في علم النفس ولا في الطب النفسي، وإن كنت قد درست هذه المادة في الكلية الطبية قبل عشرين عاماً. ولكن كانت دراسة أولية عامة فتحت لنا الطريق ولم تصل بنا إلى نهايته. حسبي أنني فتحت باب الموضوع، وكنت – ما علمت – أول من يلج دهليزه الشائك. والعارفون يعلمون أن صعوبات التأسيس غير صعوبات البناء **(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا)** (الحشر: ١٠).

على أن لي ولعاً قديماً جداً بقراءة كتب علم النفس والتاريخ والاجتماع. ربما ساعدني ذلك كله على أن أتجرأ فأكتب هذه الدراسة مع دعوتي أهل الاختصاص أن يتبنوا هذا الموضوع، ويقولوا كلمتهم فيه. بشرط أن يكونوا ممن عاشوا الواقع واكتووا بناره وتقلبوا على مداه وأشواكه، لا ممن أتعبهم القعود على المكاتب المكيفة صيفاً وشتاء وهم يلهثون وراء الكتب يبحثون في طياتها عن الحقيقة بعيداً عن الواقع والأحداث.

الخميس

٢٠٠٤/١١/١٨

الأنبار الصامدة

بين يدي الكتاب

من المشاكل الكبرى التي واجهت – وتواجه – سير ديننا ومسيرة مجتمعنا: مشكلة الشيعة والتشيع.

كم قال لنا (الحكماء) يوصوننا به قبل السفر ومعه وبعده: عليكم بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه. إياكم ومسائل الخلاف وحديث الاختلاف. بينوا للناس الحق وإياكم وذكرَ الباطل لئلا تُنَفِروهم فتخسروهم، وبدل أن تلعن الظلام أشعل شمعة! قولوا لهم: إن عمر هو زوج أم كلثوم بنت علي، واذكروا لهم العلاقة الطيبة بين علي والصحابة إلخ... إلخ؟!

وحزمنا حقائبنا محشوة بهذه الوصايا، ورحنا ننفق منها بلا حساب، وزدنا عليها بما جادت به قرائحنا. بل صرنا (فقهاء) نُنَظِّر لهذا (الفقه) فنأتي منه بكل عجيب!.

لكننا كنا نقرأ القرآن فتقفنا منه آيات بينات، ونصطدم بالواقع فنعرف وننكر! وشيئاً فشيئاً صار بعض الوصايا لدينا في موضع الشك، وبدأنا نراجع الحساب لنرى من أين أُتينا فرأس المال يكاد يطير!.

واكتشفنا – بعد سلسلة من التجارب الفاشلة والناجحة التي مارسنا من خلالها دورنا في الرصد وتسجيل الملاحظات وتجميعها وتحليلها، ومتابعة الخطوات الناجحة من الفاشلة، ومحاولة إرجاع كل إلى أسبابه – اكتشفنا أن تلك (الوصفة) غير مكتملة العناصر من جهة، وأنها – من جهة أخرى – غير ناجعة في أغلب الحالات؛ لا بسبب عدم اكتمالها فحسب، وإنما لكونها مستوردة من محيط يختلف كثيراً عن المحيط الآخر الذي يراد لها أن تطبق فيه دون مراعاة لجوانب الاختلاف. بل أستطيع أن أقول: إن أهم سبب وراء استمرار المرض وتفاقمه وانتشاره هو أن الدواء يجرب على مريضين يختلفان في أصل الداء، وإن بدت الأعراض في ظاهرها بينهما متشابهة.

الوصفة غير مكتملة العناصر

● أما عدم اكتمال عناصر (الوصفة) فأول دليل عليه أن دين الله قام على فضح الباطل وأهله والتنديد بهم وبيان سبيلهم وأساليبهم وأضاليلهم جنباً إلى جنب مع بيان الحق ومدح أهله والدعوة إليه. بل إن بيان الحق لا يتم إلا ببيان الباطل، وإن الثاني يتقدم على الأول في أصل القاعدة الصحيحة، وفي الذكر في مواضع كثيرة من القرآن

الكريم. ويكفينا في ذلك قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) (الفاتحة:٦،٧)، وقوله: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام:٥٥)، وقوله: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (البقرة:٢٥٦). فالقول بأن قضية كبيرة ومشكلة خطيرة كقضية (التشيع) يمكن علاجها بالإشارة والإيماء، دون وضعها على طاولة التشريح وعرض خباياها على الملأ لا يمكن أن يكون تعبيراً عن دعوة جادة محترمة لها هدف بعيد وبرنامج مدروس. إنما هو مجرد أحلام لا تليق إلا بمجموعة من البسطاء (الطيبين).

الدواء مستورد

● وأما السبب الأكبر القائم على كون الدواء مستورداً من محيط إلى محيط آخر مختلف فهو يجرب على مريضين مختلفين في أصل العلة أو الداء فهذا أعني به أمرين:

<u>أولهما</u>: أن هذه الأساليب تنفع في برنامج الدعوة الفردية، ولا تصلح أن تكون خطاباً مؤثراً في برنامج دعوة الإسلام الجماعية، التي تخاطب المجتمع كمجموع، وليس كأفراد منعزلين في دوائر ضيقة يعالجون بهذه الأساليب التي يمكن أن تؤتي ثمارها فيبدأ بالتغير بها بعض الأفراد يقلون أو يكثرون، دون أن يكتمل هذا التغيير في نهاية المطاف ببيان الحق من الباطل، ودون أن يؤثر ذلك ليحدث انعطافة في مسيرة المجتمع. إنما الذي يمكن أن يحدث هذه الانعطافة هو الخطاب الذي يتوجه إلى المجتمع ككل. وأُولى فقرات هذا الخطاب أن يكون صريحاً واضحاً في بيانه للحق وللباطل. وهكذا كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام، بل كل الدعوات الناجحة على مر التأريخ.

المشكلة أن الكثيرين لا يدركون الفرق بين برنامج الدعوة الفردية، وبرنامج الدعوة الجماعية. فيقعون في مطب المراوحة فوق موضع الخطوة الأولى، وفي الوقت نفسه تخدعهم بعض النجاحات المحدودة على المستوى الفردي، أو نجاحات أخرى كانت نتاج أساليب اقتربت عفوياً من الأسلوب الجماعي، فيخلطون هذا بذاك ويجعلونه كلاً دليلاً على صحة ما يذهبون إليه. وهذا يؤدي بهم إلى الفشل في نهاية المطاف؛ لنقلهم مضامين وأساليب المعالجة الفردية التي لا يجيدون سواها – هذا في أحسن الأحوال –

إلى غير مجالها وهو المجال الجماعي. ولا شك أن العقلية الجمعية للمجتمع – وكذلك نفسيته وثقافته كمجموع – تختلف في كل ذلك عن أي فرد من أفراد المجتمع كلاً على حدة. وهذا يستدعي – بلا شك عند كل عاقل أدرك هذا الفرق الدقيق – اختلافاً في المؤثرات التغييرية سواء في الأسلوب أو المضمون. وقد شرحت ذلك مفصلاً في كتاب: (لا بد من لعن الظلام) في الفصل الأخير منه.

وثانيهما: تبين لنا بعد تلك التجارب الطويلة الفاحصة أن أدواء المجتمعات الشيعية تختلف في طبيعتها عن أدواء المجتمعات السنية. وهذا هو موضوع كتابي هذا، الذي هو أحد أبواب الكتاب المذكور آنفاً استللته من هناك وأفردته هنا بتصرف أوسع، ودراسة أعمق.

إن (التشيع) عبارة عن مجموعة عقد وأمراض نفسية قبل أن يكون مشكلة عقيدية أو فكرية. إنه عقد نفسية أفرزت مشاكل عقيدية وسلوكية. أو هو مشاكل عقيدية وسلوكية كان لا بد لها أن تكون عن قصد وعمد بسبب انحرافات وعقد نفسية. ولهذا كان من الصعب علاجه علاجاً فكرياً مجرداً عن إدخال العنصر النفسي في معادلة العلاج.

إنه دين يشبه دين اليهود تماماً!

هل تستطيع أن تقول لي: لماذا لم يهتد اليهود وعلى يد أعظم الحكماء والحلماء ﷺ ؟ ألخلل في البيان القرآني أو النبوي؟ كلا. فالله تعالى يقول عنهم:

(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة:١٤٥).

إنها معاندة مع سبق الإصرار على المخالفة. فالمخالفة عندهم غاية. والسبب أمراض وعقد نفسية: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)**.

ما خالف العامة ففيه الرشاد...؟!

وكذلك الحال مع الشيعة!. وإلا بم تفسر منهاجهم الذي يسيرون عليه في تعاملهم مع أهل السنة الذي لخصته الرواية التالية التي افتروها على سيدنا الإمام جعفر الصادق

رحمه الله : (ما خالف العامة ففيه الرشاد)[1] ؟!. وأبسط وأوضح تطبيق له عندهم مخالفتهم الدائمة لنا في صومهم وفطرهم وعيدهم. سألني صديق: لماذا لا يعجلون فيسبقونا بيوم؟ قلت: خشيةً من احتمال أن نوافقهم! فهم لا يعلنون عن توقيتهم حتى يطمئنوا إلى إمكانية المخالفة. حتى غدا الأمر مما يتندر به وتحاك حوله الطرائف والنكت!. قيل: إن بعثياً شيعياً احتفل في يوم ٨ نيسان بمناسبة مولد الحزب ، فقال له رفاقه: لقد تأخرت يوماً! فأجابهم: ألا تدرون أنني شيعي؟!.

وقد حاول الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر أن يضع علاجاً لهذا الاختلاف في الصيام والأعياد بأن طرح حلاً واقعياً على المرجع الشيعي أبي القاسم الخوئي قال له: سنوافقكم نحن في توقيتكم فلا نعلن عن صيام أو عيد حتى تخبرونا أنتم أولاً ! فرفض الخوئي هذا المقترح!

بماذا تفسر هذا الإصرار على المخالفة؟!

وصدق الله تعالى إذ يقول:

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ) (يونس:٤٢،٤٣).

مرضى الوهم

وهكذا هم في جل مخالفاتهم ينطلقون من موقف نفسي يفرض عليهم خلافاً فكرياً أو فقهياً أو سياسياً إلخ... خذ مثلاً هذا الاعتقاد الراسخ والشائع لدى الشيعة بأن أهل السنة يكرهون (أهل البيت) ويسبونهم ويتنقصون منهم. هل هناك شاهد واحد وعلى مر العصور يؤيده ؟

حينما كنا صغاراً نلعب في الحارة كان من المعتاد أن نسمع أحياناً بعض الأطفال الشيعة – إذا انتابه الغضب لسبب أو لآخر – يصب جام غضبه فيسب الحسين أو العباس، هذا مع سب الرحمان جل وعلا! وكنا نقابل ذلك بالاستغفار، حتى إننا لنقول لذلك الطفل مستنكرين: لماذا (تكفر بالعباس ...). لكنني لا أذكر – ولو مرة واحدة – أنني سمعت طفلاً سنياً يسب أحداً من (أهل البيت) ﷺ . ولا شك أن هذا راجع إلى

---

[1] أصول الكافي ٦٨/١ .

التربية البيتية؛ فإن تصرفات الطفل وتصريحاته في الحارة أو الشارع تعكس ما يـدور في بيته. وهذا يعني أن ذلك الطفل يرى أمه أو أباه إذا غضب تناول تلك الأسماء بلسانه.

وفي الوقت نفسه يتعبد جمهور الشيعة ببغض الصحابة وسبهم على اعتبار أنهم اغتصبوا الخلافة، واضطهدوا علياً وفاطمة إلخ... فإذا واجهتهم بهذه الحقيقة جحدوا بها رغم استيقان أنفسهم لها! أحمد الوائلي لم يتردد ولم يتلعثم وهو يقول ويصرح على الملأ في لقاء على إحدى القنوات الفضائية بالنفي المطلق لكون الشيعة يسبون الصحابة! وتحدى بكل صفاقة أن يأتيه أحد بدليل واحد عن عالم معتبر ، نال منهم في كتاب من كتبه! (**والله يشهد إنهم لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة**) !.

من أين جاء هذا الاعتقاد الوهمي والأمر على هذه الحال؟! فلا توجد أية مقدمة يمكن أن يُستند إليها للوصول إلى هذه التهمة الباطلة! التي يُحَمَّل أهل السنة مسؤوليتها صغاراً وكباراً، ولم تنفع محاولات العلماء والكتاب والخطباء – وهم يكيلون المدح كيلاً – في دفع التهمة أو التخفيف من آثارها. فتجد الواحد منا إذا ذكر علياً فلا أقل من أن يترضى عنه كما يفعل مع أبي بكر وعمر وبقية الصحابة، على أن البعض يضيف معها أو يستبدل بها عبارة (كرم الله وجهه) وهي عبارة اختص بها أهل السنة علياً دون باقي الصحابة. والبعض الآخر يستبدل بها كلمة: (عليه السلام) ولم يضفها أحد منا لأحد من الصحابة سوى علي. فضلاً عن تلقيبه بـ(الإمام) دون بقية الأصحاب. ناهيك عن التحدث بفضائله حتى خرجوا إلى الغلو! ومع كل هذا وغيره لا تزال التهمة تلاحقنا كالظل!

لو كان السبب شبهة فكرية لانحل الإشكال بالبيان، ولكنه علل وعقد نفسية تجعل أصحابها يصرون على التهمة مهما كانت فاقدة لأدلة الإثبات!

يسبوننا.. ويتهموننا..!

تأمّل هذه.. في صيف عام ١٩٩٥ – وكنت آنذاك في الحلة – كنت يوماً في زيارة إلى مدينتي (المحمودية) فأخبرني بعض الأخوة أن بعض الحسينيات في المحمودية صارت تطعن في بعض الصحابة ومن خلال مكبرات الصوت، كذلك صاروا يسمعون هذا الطعن من قبل بعض المتحدثين الذين يقومون بما يسمى شعبياً بـ(ختم الفاتحة) أي

مجلس العزاء أو المأتم الذي يقام بمناسبة وفاة أحدهم. وأن أحداً من أهـل السـنة لـم يتحرك لا من المشايخ ولا من غيرهم. ذهبت إلى أحد شيوخ المساجد فلم تفلح محاولاتي معه في عمل أي شيء، وراحت جهودي أدراج الرياح ولم أستفد منه شيئاً. كان يضـع أمامنا العقبات والمعوقات، ثم لا يفكر في كيفية تجاوزها. لكـن – للأمانـة – حمّلنـي كيساً من (الوصايا) و(الحكم) و(الآداب) خرجت من عنـده أنـوء بحملـه حتـى إذا صادفتني أقرب (بالوعة) لتصريف المياه القذرة ألقيته فيها ومضيت أتنفس الصعداء!!.

دخلت بعدها أحد المساجد فألقيت محاضرة عن فضل الصـحابة والعلاقـة الطيبـة بينهم وبين علي و(أهل البيت)عموماً. وتطرقت إلى بعض البـدع والمخالفـات التـي ترتكب باسم (أهل البيت)، وهم منها برءاء مثـل سـب الصـحابة. ومثـل دعـائهم والاستغاثة بهم. ونبهت على أن هذا ليس دفاعاً عن الصحابة فحسب وإنما هـو دفـاع عن أهل البيت أيضاً الذين نحبهم ونجلهم. وكان أن قلت من ضمن ما قلت: لو أتـاني أحدهم الساعة بحذاء علي لوضعته على رأسي وجعلته تاجاً أباهي به! لكن هناك بعض صور الحب – إضافة إلى حرمتها شرعاً – تسيء إلى علي ﷺ نفسه: مـا معنـى أن تستغيث امرأة في حالة طلَق وتصيح قائلة: يا علي! يا علي؟! كيف يحضر علي امـرأة متكشفة؟! أليس في هذا إساءة له؟ وتجد امرأة تنتفض وتصيح: أنا المهـدي! وأخـرى تصيح: أنا العباس، أنا العباس! ... والناس يقولون: حضر (الإمـام)! ويعتقـدون أنـه يتلبس جسد المرأة! كيف يعقل أم يجوز مثل هذا الهذيان؟! الإمام في حياته لا يسـتحل مس يد امرأة، فكيف بعد مماته يتلبسها؟!

ورجعت بعد بضعة أيام ليخبرني المؤذن أن مدير (الأمن) – بناء علـى تقـارير كتبت إليه من الشيعة المحيطين بالمسجد – استدعاه ليحقق معه في شأن تهجم وطعـن بـ(الإمام علي) صدر من خلال مكبرات المسجد! ولم يكتف المدير بقول المؤذن حتى أبلغه بوجوب حضوري أنا شخصياً إلى دائرة الأمن بتهمة التهجم على (الإمام علـي). واستأت كثيراً لهذا، قلت: حقاً لقد هزلت! يستدعى أهل السنة بمثل هذه التهمة التافهـة، بينما يُسب الصحابة على رؤوس المآذن ولا من ساكن يتحرك ولا (مسكون)!.

الحرب التي أوقد نارها أصحاب النار في إيران

ومرت بي مئات المواقف المشابهة، لم يكن أولها الحرب التي أشعلت نارها إيران: لقد أصر مُوقِدها (لع) على عدم إيقافها رغم كل الجهود والوساطات التي بذلها العراق!

وكانوا يذبحون الأسرى في بعض ميادين المعارك ذبح الخراف! أما معاناة الأسير داخل أقفاص الأسر في إيران فقد فاقت الخيال! بعض الأسرى ربط كل طرف من أطرافه إلى سيارة انطلقت إلى جهة غير جهة السيارة الأخرى ومزقوه على هذه الصورة الوحشية البشعة! كما كان يفعل جدهم المجوسي (سابور) بالعرب حتى لقِّب بـ(سابور ذي الأكتاف)! ولم يكن هذا أبشع ما تعرض له الأسير العراقي في إيران (الإسلامية)!

الاحتلال الأمريكي للعراق

وكان آخر هذه المواقف التي مرت بي – والحبل على يد الجرار– ما رأيناه ولمسناه وذقنا الويلات منه على أرض الواقع بعد الاحتلال الأمريكي لبلدنا. لقد استقبل الشيعة في كل مكان في العراق قوات المحتل بالتهليل والترحيب. في حي الجزائر من مدينتنا المحمودية – مثلاً – خرجت نساؤهم إلى الشارع العام يزغردن وينثرن الحلوى على رؤوس الجنود الأمريكان! لقد كان الاحتلال هو العيد الأكبر الذي احتفلوا به كما لم يحتفلوا على مر التأريخ إلا على عهد غزو هولاكو لبغداد! وراحوا يعبرون عن فرحهم بنهب الدوائر والممتلكات العامة وحرقها وتدميرها، كما فعلوا في حركتهم الغوغائية الخائبة على هامش الغزو الأمريكي للمنطقة سنة ١٩٩١ بعد انسحاب الجيش العراقي من الكويت، فتوهموا أن الحكومة قد سقطت، وأن الأمر قد قضي؛ فانطلقت غرائزهم وعقدهم النفسية من عُقُلها لتنعكس على الواقع سلباً ونهباً وتقتيلاً، وهدماً وتخريباً وتدميراً!

وهكذا كان ما كان في يوم الأربعاء الأسود ٢٠٠٣/٤/٩ الذي جعلوه يوم (عيد وطني) لهم! ومن أول يوم من أيام الاحتلال بدأوا حملتهم في اغتصاب مساجد أهل السنة حتى إنهم استولوا على ثلاثة مساجد لأهل السنة في مدينة بلد وهي مدينة شيعية صغيرة تكاد تضيع في وسط محافظة صلاح الدين (تكريت) ذات الأغلبية السنية الكاسحة!!! إضافة إلى بعدها الشاسع عن المناطق الشيعية، فتصور الصفاقة والاجتراء على أهل السنة وسماحتهم وسمو أخلاقهم! ثم راحوا – في الوقت نفسه – يشنون حملة تطهير عرقي ابتدأوها في محافظة البصرة في (أبي الخصيب) وغيرها من مدنها، امتدت إلى محافظة الحلة المجاورة للعاصمة بغداد! ورافق ذلك حملة تقتيل للشخصيات السنية المؤثرة، وإزاحة علنية سافرة عن المواقع المهمة في المجتمع، مع استهتار

متخلف سمج بإعلان الشعائر الدينية الخاصة المصحوبة بالسب العلني لكبار الصحابة ورموز التأريخ العربي والإسلامي كالسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بدأوا حملتهم ضده من الأيام الأولى للاحتلال بالعبث بتمثاله الواقع قرب بوابة بغداد، في الساحة المقابلة للشارع المؤدي إلى مدينة الشعلة. وراحوا يغيرون أسماء الشوارع والساحات والمدارس والمستشفيات، ويرفعون عليها صور مراجعهم وخونتهم كالعميل الإيراني الأمريكي المزدوج المقبور محمد باقر الهكيم، دون أدنى اعتبار لوجود (الآخَر) ومشاعره! حتى لكأنه لا وجود له عندهم، أو أنه – على أحسن تقدير – لا يستحق الوجود.

ما هذا ؟!!! ولماذا ؟!!! ومن أين ؟!!!

أهل السنة لا يتحركون..! (الفتنة نائمة...)؟!!!

كل هذا وأهل السنة لا يحركون ساكناً! ولا يردون بالمثل. بل هم مشغولون بلملمة الجراح، والتفكير بكيفية التعامل مع المحتل ومواجهته دون إعطاء مساحة مناسبة للتفكير في موضوع الخطر الداخلي المتمثل بالشيعة! لقد كان الجميع – إلا من رحم – يعزف على وتر متهدل لربابة قديمة، أو ينقر على جلد متهرئ لدف مكسور: لا نريد أن نثير حرباً طائفية. لا فرق بين سني وشيعي. الكل إخوة : الدين واحد والعقيدة واحدة! الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

هذا والفتنة مستيقظة (على آخِر حبة) تنظر ببصر حديد، وتصول وتجول بمخالب وأنياب من حديد. وكنا نقول يومها ونحن نعيش هذه المهازل، ونسمع هذا الهذر، والأسى يملأ قلوبنا، والغصة تأخذ بحلاقيمنا: ما أشبه حالة أهل السنة بحال من قال الله تعالى فيهم: **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)** (التوبة:٤٩)!!. حتى بلغ السيل الزبى! ولم يعد في القوس منزع، ولا للحوادث من سبيل للتهرب والتأويل.

هذا.. وكنا نرى نشاطهم الإعلامي الدؤوب في التزوير ، وقلب الحقائق – والقناة اللاعراقية مثل سافر – ليُظهروا الجلاد في صورة الضحية، والضحية في صورة الجلاد! وهم يصرخون: مظلومون.. مضطهدون.. نُقتل على الهوية.. ماذا فعلنا؟ ماذا جنينا؟ حتى جعلوا من (اللطيفية) قضية! ووحشاً مرعباً.. ما خرج واحد من دعاة الشيعة إلا شكى واشتكى، وحن وبكى، وأبكى من حوله وقال: اللطيفية! اللطيفية! إنهم

يقتلوننا على الهوية! من أجل أن يجعلوا من هذه الأسطورة حقيقة راسخة لا تقبل النقاش في أذهان عامة الناس. متبعين في ذلك حيلة نفسية معروفة لدى كل أساطين السياسة تقوم على أساس أن العقل الجمعي للمجتمع يتشرب بمرور الزمن كل مقولة تكرر على مسامعه باستمرار مهما كانت باطلة، أو مجافية للعقل ومنطق الأشياء والأحداث! كما قال المسؤول الإعلامي لهتلر: اكذب اكذب حتى يصدقك الناس.

المشكلة أن أهل السنة ساكتون ، وإذا تكلموا فأكثرهم لا يجيد الرد ، ويلتزم وسيلة الدفاع لا الهجوم وإلقاء الجمرة في حضن الخصم، كما أنه يجهل تلك القاعدة النفسية لدى العقل الجمعي ليستثمرها الاستثمار الإيجابي الصحيح: اصدق اصدق حتى يصدقك الناس. وإلا فإن الحقيقة الصارخة أن القتل على الهوية هو الذي يمارسه الشيعة ضد أهل السنة على أوسع نطاق! بل الجهاز الحكومي الشعوبي بكل ثقله ودوائره يقوم بذلك على أكمل وجه. وما عداه فهي ردود أفعال لا توازي ما يقوم به الشعوبيون وذيول إيران في الجهاز الحاكم ومن ساندهم من الأحزاب الشيعية والدوائر الملتفة حول المراجع. بل لكل منهم – بلا استثناء – نصيبه من التقتيل والاغتيال على الهوية.

تكفيريون حتى العظم يتهمون الغير بالتكفير

ثم تعال معي لنفكر معاً في هذه الرغبة المحمومة، والإصرار العجيب على إلصاق تهمة التكفير والإرهاب بأهل السنة والجماعة؟! متخذين من اسم (الوهابية) ستاراً للوقيعة بالجميع. هل هناك ملة واقعة في مستنقع التكفير والإرهاب بكل أشكاله مثل الشيعة الاثني عشرية؟!! إنهم لا يكفرون منكر مبدأ (الإمامة) فقط ، وإنما يكفرون حتى الشيعة الإمامية الذين يختلفون معهم في (إمامة) البعض دون – أو مع – البعض! ويستبيحون دم المخالف من هؤلاء جميعاً بلا تفريق، ويجعلون ذلك من أعظم القربات إلى الله![1] فما لهؤلاء التكفيريين الإرهابيين حتى العظم واتهام الآخرين بالتكفير والإرهاب؟!

كل هذا (الواقع بمتناقضاته وعلاقاته المتداخلة، حرب إيران ١٩٨٠-١٩٨٨، معاملة إيران للأسير العراقي، الحركة الغوغائية الطائفية ١٩٩١، التجربة الذاتية في الدعوة والتغيير، الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣ وتداعياته، وغيره وغيره كحال أهل السنة

---

[1] انظر مثلاً : أصول الكافي للكليني ١/١٨١،٣٧٣ ، ومصباح الفقاهة للخوئي ١/٣٢٣-٣٢٤.

في إيران، ومعاناة إخواننا المأساوية في الأحواز) دفعني إلى أن أقوم بمراجعة شاملة للحساب، وأسترجع الحوادث، وأنظر إلى الواقع نظرة جديدة، وأقرأ التأريخ بإمعان. لأخلص إلى هذه النتيجة التي أفصحت عنها آنفاً وهي: أن (التشيع) عقدة قبل أن يكون عقيدة، وانحراف نفسي قبل أن يكون انحرافاً فكرياً أو سلوكياً. فمن لم يأخذ هذا بالاعتبار والحسبان ذهبت جهوده سدى وهو يحاول العلاج، بل لن يجني في النهاية إلا الشوك والتعب والخسارة الفادحة. وهذا ما نحن فيه! فهل من معتبر؟

صعوبات البحث ومعوقاته

هذا.. وقد واجهت أثناء البحث صعوبات جمة.

أكبر هذه الصعوبات أن كتب الطب النفسي وكتب علم النفس عموماً – على الأقل تلك التي اطلعت عليها – تركز على الأمراض النفسية الفردية، ولا تعطي اهتماماً كبيراً للأمراض الجماعية، التي هي – ربما – أخطر أثراً، وأشد فتكاً. حتى الكليات الطبية: فقد درست في كلية الطب/جامعة بغداد الأمراض النفسية التي تتعلق بالأفراد، من حيث هم أفراد، ولم يكن هناك أدنى إشارة إلى الأمراض التي تتعلق بالمجموع، من حيث هو مجموع. وقد يكون السبب أن الطبيب في الواقع يتعامل مع أفراد وليس مع مجتمع أو مجموعٍ مريضٍ، إنما هذا من شأن علماء الاجتماع. وقد بحثت في المكتبات فلم أجد ما يروي الغليل أو يشفي العليل.

ولا بد لي من إعادة القول بأنني لست من المتخصصين في علم النفس، أو الطب النفسي، ولا علم الاجتماع. وإنما أنا مجرد قارئ لهذه العلوم من باب الثقافة العامة. هذا مع قلة المصادر التي تيسرت لي. وهذه إشكالية أرهقت كاهلي وأتعبتني في سيري وأنا أخوض عباب بحث وجدت نفسي ملزماً به، ولا بد لي من مواصلته حتى النهاية.

يحق للقارئ هنا أن يقول لي: ما دام الأمر على هذه الصورة، فما وجه هذا اللزوم؟ وما الذي أقحمك في هذا الموضوع؟ ومن الذي أباح لك الخوض في شأن ليس من اختصاصك؟

وأقول مجيباً: لو كان الباعث لذلك هو البحث العلمي المجرد لما كان لي من جواب. ولكن الأمر كما يقول المثل: (لا يحملك على المر إلا ما هو أكثر مرارة منه)! الواقع المر الذي نتجرع كؤوسه يوماً بيوم وساعة بساعة هو الذي أقحمني فيما أقحمني فيه. ولم أجد أحداً قد خاض غمار بحث هذا الموضوع الخطير من قبل، ولا أرى أن

أحداً سيخوضه في المستقبل المنظور. ولذا وجدت نفسي ملجأً إلى أن أخوضه بنفسي رغم قلة الزاد ووحشة السفر. فأنا حين قمت بكتابة هذا الموضوع قمت به قيام المضطر، الذي كان عليه أن يتقدم لسد فراغ وجب أن يسد، وأداء واجب نكل عنه الآخرون الذين ما كان لهم أن ينكلوا عنه.

بيد أنني أطمع أن أكون قد أشرت إلى موضع هذا الداء الدوي، وعسى أن أكون قد فتحت الطريق أمام باحثين متخصصين مخلصين، يخرجون من رحم الواقع والمعاناة – وليس من بين الجدران الصماء، والمكاتب الخرساء – يوسعون البحث ويضيفون إليه، ويصححون ما يجدون فيه من خطأ، ويقوِّمون ما فيه من عوج في ظلال قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** (الحشر: ١٠).

الفصل الأول

منشأ الأمراض والعقد النفسية

أرى من المناسب هنا أن أتوقف قليلاً عند موضوع كيفية نشوء الأمراض النفسية.

مبدأ استعادة التوازن (Homeostasis)

من المبادئ المقررة في علم الفسلجة (أو علم وظائف الأعضاء) أن كل كائن حي يميل إلى الاحتفاظ بتوازنه الداخلي فيزيائياً وكيميائياً من تلقاء نفسه. فإن حدث ما يخل بهذا التوازن قام الجسم من تلقاء نفسه وبطريقة آلية بالعمليات اللازمة لاستعادة توازنه. من ذلك أن الجسم إذا ارتفعت حرارته زاد إفراز العرق، وإن زاد مقدار غاز ثاني أوكسيد الكاربون في الدم زادت سرعة التنفس للتخلص من الزيادة الضارة. فإن لم يفلح الكائن في إصلاح ما اعتراه من اضطراب، أو التعويض عما أصابه من نقص، أي فشل في استعادة توازنه العضوي مرض أو هلك.

إن مبدأ استعادة التوازن – كما يرى كثير من العلماء – لا يقتصر على تفسير السلوك الصادر عن دوافع وحاجات فسيولوجية، بل يصدق أيضاً على تفسير السلوك الصادر عن دوافع وحاجات نفسية اجتماعية. فإذا عزم الإنسان على إلقاء خطاب هام أمام الجمهور ظل متوتراً حتى يلقيه فيهدأ، وإن أهانه أحد لا تهدأ ثائرته حتى يرد على هذه الإهانة. كذلك الشخص الذي يشعر بالوحشة فإن التوتر الناشئ عن إحباط دافعه الاجتماعي يدفعه إلى التماس صحبة صديق. والذي يعاني شعوراً بالنقص يلجأ إلى التباهي والتفاخر تعويضاً عن نقصه. والطفل المحروم أو المضطهد أو المنبوذ يندفع إلى اللعب بطريقة خاصة تخفف عنه ما يكابده من توتر وقلق. فالطفل الذي يكره أباه أو أخاه يختار من لعبه دمية يفقأ عينها أو يلقيها على الأرض أو يحطمها أو يدفنها في التراب أو يغرقها في الماء. فوظيفة السلوك وغايته أياً كان نوع الدافع إليه هي الاحتفاظ بتوازن الفرد، أو استعادة هذا التوازن حين يختل بالعمل على إزالة التوترات أو خفضها، بغض النظر عن الطريقة التي تتم بها سوية كانت أم شاذة. وحين تكون الوسائل شاذة قد يؤدي ذلك بمرور الزمن إلى الإصابة بالأمراض والعقد النفسية، حين لا تؤدي

تلك الوسائل إلى استعادة التوازن النفسي[١].

وفي هذا يقول د. مصطفى حجازي: إن (وجود الإنسان المتخلف يتلخص في وضعية مأزقية، يحاول في سلوكه وتوجهاته وقيمه ومواقفه مجابهتها، والسيطرة عليها بشكل يحفظ له بعض التوازن النفسي الذي لا يمكن الاستمرار في العيش بدونه. ولا يقف الإنسان المقهور مكتوف اليدين إزاء هذه الوضعية عسيرة الاحتمال؛ نظراً لكونها تزلزل التوازن الوجودي، بل يحاول أن يجابهها بأساليب دفاعية جديدة متعارضة جدلياً، أو متكاملة في تعارضها... والكثير من معتقدات الإنسان المتخلف وانتماءاته وممارساته تبدو في النهاية كمحاولات دفاعية للسيطرة على وضعيته المأزقية، وإيجاد حلول معينة لها)[٢].

التوافق وسوء التوافق

التوافق حالة من التواؤم والانسجام بين الفرد وبيئته تبدو في قدرته على إرضاء أغلب حاجاته، وتصرفه تصرفاً يرضيه إزاء مطالب البيئة المادية والاجتماعية. ويتضمن قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته عندما يواجه موقفاً جديداً أو مشكلة مادية أو اجتماعية أو خلقية أو صراعاً نفسياً تغييراً يناسب الظروف الجديدة.

أقول: وهذا يستلزم أن يتحقق التوافق من خلال الاتجاهين: الخارجي والداخلي. الخارجي بالتواؤم مع البيئة، والداخلي بالتواؤم مع النفس الذي يحقق للفرد احترامه لذاته ، ورضاه عنها حين يكون التواؤم مع المجتمع منسجماً مع القيم التي يؤمن بها.

فإن عجز الفرد عن إقامة هذا التواؤم والانسجام بينه وبين بيئته بالشكل المطلوب قيل: إنه ((سيء التوافق)). ويبدو سوء التوافق في عجز الفرد عن حل مشكلاته اليومية على اختلافها عجزاً يزيد على ما ينتظره الغير منه، أو ينتظره هو من نفسه. إن هذا يولد توتراً داخلياً يعرض التوازن النفسي إلى الخلل، ويوقع الفرد في ما يسمى بـ((الأزمة النفسية))[٣].

---

[١] أصول علم النفس ص٧٤-٧٥ ، د. أحمد عزت راجح. بتصرف.

[٢] التخلف الاجتماعي.. سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، ص٨ .

[٣] أصول علم النفس ، ص٤٧٠. د. أحمد عزت راجح.

الأزمات النفسية

ينشأ المرض النفسي عندما يصاب الفرد بأزمات نفسية جراء تعرضه إلى صعوبات وعقبات مادية ومعنوية تعوق سير دوافعه نحو أهدافها. فإن عجز عن التغلب عليها بطريقة سريعة مجدية، وإلا صار يعاني من ((أزمة نفسية)). وهي حالة انفعالية مؤلمة تنشأ من الإحباط الموصول لدافع أو أكثر من الدوافع القوية. وتقترن الأزمة عادة بحالة من التردد والحيرة والتوتر والقلق، إضافة إلى ما يترتب على إحباط الدوافع من شعور أليم بالنقص والخيبة والعجز، أو الشعور بالذنب والخجل والخزي والاشمئزاز، أو الشعور بالظلم والرثاء للذات، أو الشعور بالوحدة والاغتراب، أو شعور الفرد بفقد احترامه لنفسه.

يختلف سلوك الناس حيال ما يعترضهم من صعوبات وعقبات ومشاكل اختلافاً كثيراً:

١. فمنهم من يمضي في التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق، حتى وإن كان في حالة من التوتر الشديد.

٢. ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور.

٣. ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر فإذا به قد أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزي وغير ذلك من المشاعر التي تنجم عن الفشل والإخفاق. وبدل أن يتجه بجهوده إلى حل المشكلة بأساليب واقعية سوية، إذا به يلجأ إلى أساليب وطرق معوجة أو ملتوية أو متطرفة في سبيل أن تنقذه مما يكابده من توتر وتأزم نفسي. فالشخص السوي إن فقد عمله جد في البحث عن عمل آخر، لكن غيره قد يثور على النظام الاقتصادي، أو ينسب فقد عمله إلى مؤامرات دبرت ضده، أو يعتقد أنه مضطهد، أو يأخذ في استجداء العون واستدرار العطف من غيره. أو يظل دون حراك يجتر أفكار الظلم. أو ينهار فيصاب بمرض نفسي أو عقلي[١].

وصيد الإحباط

هو قدرة الفرد على احتمال الإحباط دون أن يلجأ إلى أساليب ملتوية لحل مشاكله، أي لاستعادة توازنه النفسي. فمن كان وصيد إحباطه مرتفعاً استطاع تحمل الإحباط والحرمان، واستطاع الصمود أكثر من غيره. والوصيد المرتفع من أهم علامات

---

[١] أيضاً ، ص ٤٤٧ ، ٤٥١.

الصحة النفسية السليمة وقوة الأنا (وهي قدرة الفرد على مواجهة مشكلات الحياة ومتاعبها دون يأس أو فقدان للاتزان الانفعالي، أو في الثقة بالنفس، أو استغراق في المشكلة دون العمل على حلها).

ويتوقف وصيد الإحباط على وراثة الفرد إلى حد كبير، كما يتوقف أيضاً على ما يفرغه الفرد على الموقف من دلالة وأهمية نتيجة لخبراته السابقة، خاصة خبرات الطفولة. فالرئيس المستبد قد يكون مصدراً للضيق عند مرؤوسيه، لكنه يكون شيئاً لا يطاق في نظر مرؤوس كان أبوه يستبد به في طفولته. أي ليس المهم الموقف، بل كيفية إدراك الفرد للموقف.

ولكل إنسان حد معين لتحمل الإحباط والصدمات لا يلبث أن ينهار بعده مهما بلغ اتزانه النفسي. يعرف هذا الحد بـ((نقطة الانهيار)) وعلى هذا الأساس تقوم عملية ((غسل المخ))[1] أو غسل الدماغ.

الحيل الدفاعية

إن لم يوفق الفرد إلى حل المشكلة التي تواجهه بطرق إيجابية واقعية، ظل في حالة من التوتر الانفعالي الموصول، ما يجعله يلجأ إلى أساليب ملتوية سلبية خادعة تخفف عنه بعض ما يكابده من تأزم نفسي، وتقيه مشاعر القلق والعجز والفشل والخجل والرثاء للذات وغيرها من المشاعر التي تنشأ عن إحباط دوافعه. فإذا به يتجاهل المشكلة أو يتناساها أو ينكرها أو يستصغرها أو يموه عليها أو يتنصل منها بإلقاء اللوم على غيره لا على نفسه. كل ذلك للخلاص مما يعانيه من القلق بدلاً من مواجهته. لذا تسمى هذه الأساليب الملتوية بالحيل الدفاعية؛ لأنها تدفع عن الفرد غائلة القلق، وتهبه شيئاً من الراحة الوقتية، وإن تكن راحة وهمية حتى لا يختل توازنه النفسي.

وهذه الأساليب في حدودها المقبولة يلجأ إليها الجميع صغاراً وكباراً، الأسوياء وغير الأسوياء للتخفف من أزماتهم النفسية المستعصية، وفي حل مشكلاتهم اليومية العابرة الطارئة. وهي تعمل غالباً على مستوى لا شعوري، أي أن الفرد لا يكتسبها عن قصد، ولا يستطيع ضبطها وكفها بإرادته[2]. لكن حين تزيد هذه الأساليب عن

---

[1] أيضاً ، ص٤٥١-٤٥٢.

[2] أيضاً ، ص٤٥٣.

حدودها المقبولة، وينطبع عليها الفرد تؤدي به إلى الوقوع في الأمـــراض النفســـية أو العقلية، أو تتحول هي إلى مرض في ذاتها. أهم هـــذه الأســـاليب أو الحيـــل النفســـية الدفاعية، كالتعويض الزائد والكبت والإسقاط والتماهي والنكـــوص والعـــدوان إلـــخ... يقول د. راجح: يتضح لنا مما تقدم أن الأمراض النفسية والأمراض العقلية ما هـــي إلا وسائل شاذة للتخلص من أعباء وأزمات نفسية لا سبيل إلى التخفف منها إلا بـــالتورط في هذه الأمراض[1].

الدوافع اللاشعورية

وحتى نزيد الأمر وضوحاً نتوقف قليلاً عند ما يسمى في علم الـــنفس بـــــ(الـــدوافع اللاشعورية) ، لنرى من خلالها كيف تترسب المؤثـــرات المحيطية في أعماق الـــنفس البعيدة، وتتحول بمرور الزمن إلى قوى خفية قابعة في تلـــك الأعمـــاق تـــتحكم فـــي انفعالات الفرد وسلوكه وتصرفاته دون شعور منه، أو قدرة على تفسير ما يصدر منـــه بحيث يستطيع أن يربط بينه وبين تلك الدوافع أو القوى الخفية.

يقول د. أحمد عزت راجح: لا يشعر الإنسان دائماً بما يحفزه من دوافـــع شـــعوراً واضحاً صريحاً، أو يقوم بأعمال لا يعرف لماذا قام بها؟ فهو يستيقظ في الصباح على صوت الساعة الرنانة فيغسل وجهه وينظف أسنانه ويحلق ذقنه ويتناول الإفطار ويقـــرأ جريدة الصباح، كل أولئك وهو لا يفطن إلى طبيعة الدوافع التـــي تقـــوم وراء أعمالـــه هذه، إذ لا سلوك بدون دافع. ومن الناس من يكتب خطاباً لكنه ينســـى أن يلقيـــه فـــي صندوق البريد فيظل الخطاب في جيبه أو على مكتبه أياماً. وقد يزل لسان الفرد وهـــو يتكلم فينطق بكلمة أو عبارة لم يقصد إليها، بل قد تكون عكس ما يريد؛ فتسبب له مـــن الحرج الشيء الكثير. وقد ينسب هذه الزلة إلى السهو أو الغفلة أو التعـــب أو الانفعـــال إلى غير تلك من الأسباب التي يبعد أن تكون الأسباب الحقيقية لزلته. ومن الناس مـــن يخاف عبور الشوارع أو رؤية الدم أو المكث في مكان مقفل أو من حيوان غير ضار كالفأر أو الصرصار، وهو لا يعرف لذلك دافعاً أو سبباً. ومنهم من يسرف في غســـل يديه كلما صافح شخصاً أو فتح باباً أو لمس كتاباً.

---

[2] أيضاً ، ص٤٧٢.

التنويم المغناطيسي Hypnosis

من أوضح الشواهد التي تدل على الدوافع اللاشعورية ظاهرة التنويم أو النوم المغناطيسي. وهو – كما يقول د. راجح – نوم صناعي يحدث عن طريق الاسترخاء الجسمي، وتركيز الانتباه في مجال ضيق من الأشياء أو الأفكار بإيحاء من المنوم... مما يتميز به تضخم قابلية النائم لإيحاء المنوم تضخماً شديداً: فإن وضع المنوم في يد النائم عود ثقاب وأوحى إليه أن وزن العود يزداد رويداً رويداً تخاذلت يد النائم حتى لا يستطيع حمل عود الثقاب، بل لو أوحى إليه بأنه كلب قام النائم فمشى على أربع وأخذ في النباح.

من خصائص هذا النوم أيضاً أن ينفذ النائم بدقة بعد استيقاظه ما أوحى إليه المنوم به، فلو كلفه المنوم القيام بعمل معين بعد استيقاظه بوقت محدد ككتابة خطاب إلى شخص معين، أو الذهاب إلى حجرة معينة أو ملء ساعة الحائط فإنه ينفذ هذا العمل المحدد دون أن تكون لديه عند استيقاظه أية ذكرى عما أوحى إليه به. من ذلك أنه أوحي إلى شخص أثناء نومه أن يقوم بالأعمال الآتية بعد مرور خمسة عشر يوماً: يخرج إلى الشارع ومعه مظلة يفتحها ويسير بها في الطريق مهما كان نوع الطقس، ثم يشتري شيئاً معيناً تافهاً لا حاجة له به. فلما كان اليوم المحدد والساعة المحددة شعر الشخص بشيء من الضيق وبدافع ملح إلى أداء ما أوحي إليه به ثم قام بتنفيذه. فلما سئل عن السبب في قيامه بهذه الأعمال؟ قال: أنه لا يعرف. وكل ما في الأمر أنه في الساعة المحددة من اليوم المعين طرأت على ذهنه فكرة القيام بهذه الأعمال، لكنه حين رأى أنها أعمال سخيفة عزم على أن لا ينفذها، غير أنه لم يستطع أن يقاوم الفكرة، وشعر أنه لو قام بأدائها تخفف مما يعانيه من ضيق وتوتر.

أمثال هذه الظاهرة تكفي وحدها للتدليل على وجود دوافع لا شعورية، بل تدل فوق ذلك على ما لهذه الدوافع من أثر جبري لا يقاوم.

دوافع خفية (لا شعورية) تحكم الفرد

الميزة الأساسية في هذه الدوافع أن الفرد لا يشعر بها مع أنها تحكم وتوجه مشاعره وسلوكه! ولذلك أسباب عديدة منها: أن طرق إرضائنا لدوافعنا الفطرية والمكتسبة ثبتت وأصبحت عادات نقوم بها دون أن ننتبه أو نفكر فيما يقوم وراءها من دوافع. فنحن نراعي العرف، ونحترم القوانين، وننتمي إلى جماعة، ونعبر عن آرائنا، ونتعاون مع

الناس أو ننافسهم، ونعقد الصداقات.. كل أولئك دون شعور صريح بالدوافع التي تحملنا على هذه الأوجه المختلفة من النشاط. ومنها: أن أصول هذه الدوافع ذات تاريخ قديم لفه النسيان من عهد الطفولة فغطى على تلك الأصول. ومنها أن يكون الدافع ثقيلاً على نفس الفرد يجلب له القلق أو الخزي أو الذعر، أو يمس كرامته إن بدا له الدافع واضحاً في بؤرة شعوره؛ لذا فهو يعمى عن رؤيته، بل وينكره إنكاراً إن انكشف له. فمن العسير أو المحال أن تكاشف أُماً تسرف في العناية بطفلها بأن الدافع الحقيقي لإسرافها هذا هو كراهية تحملها في أعماق نفسها لطفلها، وهي كراهية لا تشعر بها. ومن العسير أو المحال أيضاً أن نفاتح أحد الزهاد المسرفين بما يحمله في أعماق نفسه من دوافع شهوية خفية هي أساس إسرافه هذا. وكم من معتدٍ أثيم لا يفطن إلى أن ما يدفعه إلى العدوان شعور عميق بالنقص.

وللدكتور علي الوردي في هذا الموضوع كلام أراه مناسباً لأن أضيفه هنا إذ يقول: إن الأبحاث النفسية الأخيرة تكاد تشير إلى أن الإنسان مسير في أغلب أعماله لا مخير، ففي أعماق النفس البشرية من العوامل الكامنة ما يكاد يشبه تلك الآلات المتنوعة المخفية في باطن الطيارة.

ولعلنا لا نغالي إذا قبلنا بأن العلماء اليوم يميلون إلى القول بـ((الجبر)) في موضوع الشخصية البشرية. ولكن مما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مفهوم الجبر الذي يقولون به يختلف عن ذلك المفهوم الذي اصطلح عليه علماء الكلام في الإسلام. فهو ليس جبراً ميتافيزيقياً أو غيبياً. إنما هو بالأحرى جبر لا شعوري، قد انبعثت أسبابه من أعماق العقل الباطن.

إن الإنسان يسير بوحي العقل الباطن أولاً، ثم يأتي العقل الظاهر أخيراً لكي يبرر ما فعل، ويبهرجه ويطليه؛ فيظهر أمام الناس بالمظهر المقبول.

وقد يجوز لنا القول بأن الإنسان يعمل ثم يفكر. وهذا عكس ما كان القدماء يظنون به. فهو يندفع نحو شيء ثم يفكر به بعدئذ، كمثل ذلك الأعشى الذي داس على كلب من غير أن يراه، ثم قال: إني أريد أن أقتله.

لقد كان القدماء يعتقدون بأن الإنسان حيوان عاقل. والواقع أنه حيوان متحذلق. فهو متعاقل لا عاقل. يتظاهر بالتعقل، وهو في الحقيقة مجنون.. على وجه من الوجوه[١].

---

[١] خوارق اللاشعور، ص٣٤-٣٥، د. علي الوردي.

ويضرب د. الوردي مثالاً على ذلك فيقول: إذا أهانك رجل أو اعتدى عليك بحيث لم تستطع لظروف خاصة أن ترد الإهانة عليه، دخلت رغبة الانتقام آنذاك في عقلك الباطن، وبقيت هنالك كامنة تحاول الظهور والتنفيس عن ذاتها بشتى الصور والأساليب. فأنت تصبح إذن مسير من حيث لا تشعر برغبة مدفونة في أعماق نفسك. ولعلك قد تنسى حادثة الاعتداء؛ إذ هي ربما جرت في أيام صباك، وسحبت عليها الأيام ذيول النسيان. ولكنك تبقى رغم ذلك متأثراً بها تأثراً لا شعورياً. فلا تكاد ترى رجلاً آخر له شبه بذلك الذي أهانك أو اعتدى عليك حتى تشعر بكراهته والميل إلى الانتقام منه. فإذا سئلت عن سبب كراهتك له من دون معرفة سابقة له ربما كان جوابك: ((إنك تكرهه من الله)). إنك بذلك تنسب إلى الله ظلماً تقوم به أنت بتأثير عقلك الباطن الدفين[1].

عملية الكبت ودورها في إخفاء الدوافع

نعود إلى د. راجح ليقول: الكبت بمعناه العام هو استبعاد دافع أو فكرة أو صدمة انفعالية أو حادثة أليمة من حيز الشعور. وكبت الحوادث والصدمات يعني نسيانها. أما كبت الدافع فيعني إنكار وجوده، والعزوف عن التحدث عنه أو تذكره أو التفكير فيه، والرغبة في عدم مواجهته، ورفض الاعتراف به إن أصبح واضحاً في شعورنا. فمن الدوافع ما يؤذي نفوسنا أو يجرح كبريائنا واحترامنا لأنفسنا، ويسبب لنا القلق والألم

---

[1] أيضاً ، ص٣٧. نشرت جريدة (الاتجاه الآخر) في عددها (٢٦١) بتاريخ (٢٠٠٦/٣/٤) تحت عنوان (بعد ٢٨ سنة من العذاب.. مغربي ينتقم من مغتصبه) جاء فيه: قتل خياط مغربي في الأربعين من عمره في مدينة مكناس في وضح النهار مغربياً آخر كان قد اعتدى عليه في طفولته. وقالت الشرطة: إن القاتل تعرض سنة ١٩٧٨ وعمره لا يتجاوز آنذاك ١٣ سنة لاعتداء جنسي من قبل القتيل الذي يشتغل في نقل البضائع؛ مما كرس لديه عقدة الإهانة، التي لم يزدها توالي السنين إلا تفاقماً؛ مما أجج لديه الرغبة في الانتقام. ومع بلوغ المتهم سن الرشد قرر مغادرة مكناس والاستقرار بمدينة أخرى للتخلص من فكرة الانتقام التي ما فتئت تلح عليه. واختفى المعتدي عن أنظار ضحيته، الذي ظل يبحث عنه طوال السنوات الماضية، قبل أن يلتقيا سنة ٢٠٠٥ بحي يقطنانه عدة مرات. ولم تفارق عقدة احتقار الذات الخياط، المتزوج والأب لأربعة أطفال، إذ ظل يثور لأتفه الأسباب، وتستفزه تعليقات أصدقائه. كما ظل يمنع أطفاله من مغادرة البيت خشية تعرضهم لمثل ما تعرض له في طفولته.

والضيق إن ظل ماثلاً في شعورنا، كشعورنا بالنقص من عيب فينا، أو شعورنا بالذنب من جرم أتيناه، أو رغبتنا من الانتقام من صديق، أو كراهية الطفل لأبيه الذي يقسو عليه، أو خوفنا من الفشل، أو ارتيابنا من شخص نثق فيه، أو غيرتنا من منافس، أو ميلنا الجنسي إلى بعض محارمنا.. كل هذه دوافع نستبعدها من شعورنا، أي ننكر الاعتراف بوجودها حتى لا تكون مصدر إزعاج لنا.

من خصائص الدوافع المكبوتة

١. إنها قوى ليست خامدة، بل هي قوى فعالة وإن كانت كامنة، فهي تتحين الفرص للظهور. وقد تبدو سافرة صريحة في انفجارات الغضب، أو تبدو في صورة رمزية كفلتات اللسان وزلات القلم وغيرها من الهفوات. وتتضح صفتها الرمزية بوجه خاص في أحلام النوم وأعراض الأمراض النفسية.

وقف أستاذ جامعي يثني على سلفه فإذا به يقول أمام الحفل: (لا يسعني إلا أن أُهنئه على ((جموده)) في البحث)، بدل أن يقول: على ((جهوده)). وقال رجل لزوجته: إذا مات أحدنا قبل الآخر فسأتخذ الاسكندرية مقاماً لي). ومن زلات القلم ما كتبه رجل لآخر: (لقد كان لقاؤنا ((أنحس)) مناسبة لعقد الصفقة)، بدل أن يقول: ((أحسن)).

ويصرح علماء التحليل النفسي بأن كثيراً من الفتيات اللاتي يُضعن خاتم الخطبة ينتهي زواجهن بالطلاق أو الشقاق.. فضياع الخاتم رمز إلى رغبة مستخفية في عدم إتمام الزواج.

يحدثنا فرويد أن مكتبه كان يزخر بكثير من التحف الفنية القابلة للكسر، لكن لم يتفق له أن كسر شيئاً منها. وذات يوم إذا بحركة طائشة من ذراعه تطيح بالغطاء المرمري لمحبرة المكتب فتلقيه كساراً. يقول فرويد: إنه كان قبل الهفوة بقليل يطلع أخته على مجموعته الفنية الثمينة، فأُعجبت بها إلا هذه المحبرة التي قالت: إنها لا تنسجم مع سائر مع على المكتب. وما كاد يعود من نزهة له حتى نفذ ((القضاء)) في هذه المحبرة بعينها دون غيرها من التحف. ويعلق فرويد على ذلك: بأن حركة يده لم تكن طائشة كما وصفها، بل كانت حركة ماهرة مقصودة – لا شعورياً – إذ أنها حققت غرضاً في نفسه. والدليل على ذلك أنها تجنبت جميع الأشياء الثمينة المحيطة بالمحبرة.

والطفل الذي يحمل لأبيه كراهية لا شعورية إن أُتيحت له الفرصة أن يلعب بدمى وشخوص وأشياء مختلفة قد يختار واحدة منها يخال أنها الأب فيفقأ عينها، أو يلقيها

على الأرض، أو يدفنها في التراب. إنه يعبر بلغة رمزية عن مشكلته حين عجز عن التعبير عنها بلغة صريحة. وهذا طفل في منتصف الثانية من عمره كانت أُمه تتركه وحده فترات طويلة، فكانت لعبته المفضلة التي يكررها مرات ومرات هي أن يمسك ببكرة عليها قطعة من الخيط فيقذف بها تحت السرير حتى تختفي، وهنا يصيح منزعجاً، ثم يجذبها إليه، وما إن يراها حتى يصيح فرحاً بعودتها مرحباً بظهورها. فالطفل في لعبته هذه يمثل بصورة رمزية مأساة يكابدها، ويجسم خبرة مؤلمة يعانيها، هي مأساة اختفاء المحبوب وعودته. وبذا يتخفف مؤقتاً من حالة القلق التي تسيطر عليه.

وشاب يعاني من حالة سخيفة لا يستطيع مقاومتها: سرقة اللعب والدمى والأشياء الصغيرة الخاصة بالأطفال الصغار مع أنه لا يحتاج إليها! وقد دل التحليل النفسي على أن هذا الشاب ينحدر من عائلة فقيرة، وكان محروماً في طفولته، بينما كان له جيران أغنياء كان أطفالهم يتمتعون باللعب بمختلف اللُّعب والدمى وهو ينظر إليهم بحسرة، ولا يستطيع مشاركتهم فيها.

٢. إنها أقوى أثراً وأصعب ردعاً من الدوافع الشعورية؛ ذلك أنها دوافع مجهولة فلا تسمح للفرد بإرضائها إرضاءاً ملائماً، أو إرجاء إرضائها، أو توجيهها وجهة مناسبة، أو التحكم فيها وضبطها بالإرادة. فمن عرف دوافعه استطاع أن يتحكم فيها، ومن جهلها تحكمت هي فيه.

هذا زوج كان يثور ويغضب كلما عاونته زوجته على ارتداء ملابسه وهو يستعد للخروج. وكان يُدهش لثورته هذه من شيء تافه كهذا! وقد دل التحليل على أن سلوك زوجته هذا يذكره بسلوك أمه نحوه وهو صغير. فقد كانت أُماً صارمة تتدخل في شؤونه أكثر مما يجب؛ لذا كان يكرهها كرهاً شديداً. ومن هنا يتضح أن السلوك الصادر عن الكبت غالباً ما يكون سلوكاً غريباً أو شاذاً أو سخيفاً.

٣. إن عملت الظروف على استفزاز هذه الدوافع واستثارتها بصورة موصولة زادت شدة وضراوة وعنفاً بما يجعل الفرد عاجزاً عن ضبط سلوكه حتى إن أدرك أنه يتصرف تصرفاً غريباً؛ لذا يكون السلوك الصادر عنها **قسرياً** بالرغم من إرادة الفرد.

وبهذه الطريقة تحكم ((العقدة)) سلوك صاحبها. إنها – كما أسلفنا – استعداد مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير[1].

---

[1] أصول علم النفس ، ص١٠٦-١١٦ ، د. أحمد عزت راجح ، بتصرف.

الفصل الثاني

الأمراض النفسية الجماعية

أقصد بالأمراض النفسية الجماعية الأمراض النفسية التي تشيع بين جماعة من الناس، يعيشون في محيط مشترك، وليست مقتصرة على فرد من الأفراد. قد تكون هذه الجماعة شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم، أو تجمعاً أو طائفة يرتبط أفرادها برباط معين مشترك أو صفة أو وظيفة تميزهم عن غيرهم. وأرى أن بعض العوامل المثيرة للمرض – كالجغرافيا والفقر والحرب والإشاعة – لها تأثير يتعدى الفرد إلى الجماعة، ومن هنا ينشأ المرض النفسي الجماعي.

وكما أن للفرد شخصية مستقلة تمتاز بعقلية ونفسية خاصة، فكذلك المجتمع أو المجموع له شخصيته المستقلة التي تمتاز بعقليتها ونفسيتها الجمعية الخاصة، والتي تختلف عن شخصية الأفراد الذين يتكون منهم ذلك المجموع. وعلى هذا تختلف الشعوب في كثير من الصفات: في وجودها وعدمها، أو في درجة تمثلها. فهذا شعب ينزع إلى العقلانية وذاك ينزع إلى الخرافة، وهذا شعب كريم وذلك بخيل، وهذا يميل إلى العفو والسماحة، وهذا إلى الحقد والثأر والانتقام، وهذا نشط مثابر، وهذا خامل كسول إلخ... وقد تكون هذه الصفات مطلقة أو نسبية تظهر عند المقارنة.

التشخيص أساس العلاج

إن التعامل مع أي شخص لا يستقيم دون معرفة تامة بعقليته ونفسيته وأخلاقه وما الذي يثيره ويجذبه أو يزعجه وينفره؟ وهل هناك من فرصة أو مجال لعلاجه وكسبه؟ أم على قلوب أقفالها؟ ومن هنا قال الأطباء: التشخيص أساس العلاج.

كثير من الدعاة والمتحدثين يقع في تعميمات ساذجة ويطلق الأحكام ويعتمد القياس دون النظر إلى نواحي الاختلاف أو الفارق بين هذا المجتمع وتلك الطائفة وذلك الفرد وهذه الجماعة وغيرها من المجتمعات والطوائف والأفراد والجماعات الخ... أو دراسة شاملة عميقة لها من أجل الوصول إلى التشخيص الصحيح كي يكون تعامله أو علاجه قائماً على أساس علمي صالح للاعتماد. مثلهم كمثل طبيب يعالج مرضاً مستعصياً دون تركيز ودراسة معمقة لتأريخ سير المرض وتطوره، أو إجراء الفحوصات السريرية

والمختبرية؛ فتفوته أمور في غاية الأهمية لا بد منها للوصول إلى التشخيص الضروري لتوصيف العلاج.

من ذلك أن بعض الأمراض التي تبدو (عضوية) المنشأ إنما هي في حقيقتها نفسية الأسباب، كأن تكون (هستيرية)، أي ليست حقيقية وإنما هي أعراض لمرض نفسي يتستر بتلك الأعراض لخوف المريض اللاشعوري من الإفصاح عن السبب الحقيقي، وإن كان هذا الخوف مترسباً في اللاوعي، أي كامناً في الأعماق بحيث لا يشعر به المريض نفسه. مثاله: شخص يتهرب من مسؤولية عائلته. هو يخاف من الإفصاح عن هذه الرغبة أو مواجهتها. فكيف يوفق بين تنفيذ رغبته في التهرب من المسؤولية وبين عدم الإفصاح عنها؟ هنا يكون المرض الهستيري هو الحل أو الحيلة النفسية التي تحقق لهذا الشخص التوفيق المطلوب وتوجد له العذر المقبول للتنصل من المسؤولية العائلية فيغدو مريضاً يشكو من أعراض عضوية لكنها وهمية لا وجود لها.

إن هذا المريض لا يمكن أن يشفى من هذه الأعراض أو المرض الهستيري مهما بذل له الطبيب من مجهود أو، وصف له من علاج. لماذا؟! لأن العلاج خارج دائرة المرض بسبب الخطأ في التشخيص. فالمرض نفسي والعلاج عضوي. أي إن العلاج وجميع المحاولات الطبية لن تكون أكثر من قفز في فراغ. وإن طبيباً لا ينظر إلى المريض نظرة شمولية لا يمكن أن ينجح في توصيف العلاج مهما بذل من محاولات.

إن الساحة الدعوية أو الدينية تعج بمثل هذا الطبيب ممن يجيد الكلام عن كثير من الموضوعات الفكرية والفقهية والروحية، لكنه لا يمتلك النظرة الشمولية، وليس عنده معرفة بالنفسية الإنسانية أفراداً وجماعات وشعوباً وقبائل وطوائف ومذاهب، ولا قابلية على تحويل هذه المعرفة إلى فعل إيجابي مؤثر، ولا خبرة ميدانية تجعله قادراً على توظيف ما عنده من مفاهيم ومعرفة في محلها المناسب.

الفصل الثالث

دراسات في الشخصية الفارسية

تمتاز الشخصية (الفارسية) بخصائص نفسية معينة، اتفق على ملاحظتها وذكرها الخاص والعام ممن تعامل مع الإيرانيين، وخبر حياتهم وأخلاقهم، وكيف أعدت، أو تعدت هذه الأخلاق إلى المتأثرين بهم والمتشيعين لهم، سوى أن العالِم يختلف عن غيره في عمق النظرة والقدرة على الرصد والتحليل، وربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات.

قام بدراسة هذه الشخصية عدد من العلماء، وثبتوا ملاحظاتهم العلمية في بحوث ميدانية، مدعومة بالأدلة الاستبيانية والشواهد التجريبية. ذكرت بعض هذه الدراسات في كتابي (لا بد من لعن الظلام)؛ فلن أذكرها هنا تفصيلاً مرة أخرى، تجنباً للإطالة والتكرار.

من هذه الدراسات:

١. (الشخصية الإيرانية ومكوناتها) للأمريكي جاك ميلوك[١] ضمن كتاب (الثورة الإيرانية والتمدن الحديث). استخلصها – كما جاء في الدراسة – من:

أ. بحث تجريبي قام به الأستاذ (البروفسور) مارفن زونيس طبقه على ثلاثمائة شخصية إيرانية تمثل النخبة السياسية الممتازة في إيران، بغض النظر عن كون تلك الشخصيات داخل الحكم أو خارجه. من أجل التأكيد على صحة بعض الانطباعات الخاصة، وذلك بواسطة استبيانات أعدت بعناية لذلك الغرض.

ب. ودراسة مفصلة في سنة ١٩٦٤ قام بها (معهد الإيمان والدراسات الاجتماعية) في جامعة طهران.

وجد الأستاذ زونيس – كما ذكر ميلوك – أن هناك أربع خصائص متميزة تنتصب قائمة كعلامات خاصة دالة على الشخصية الإيرانية والسلوك الإيراني. وهي:

أ. الإيمان بأن السلوك البشري تهيمن عليه المصالح الذاتية وحدها.

---

[١] جاك ميلوك باحث أقدم في جامعة (الدفاع الوطني الأمريكية) شغل منصب نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الوزير في الوزارة نفسها، ورئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية في طهران. وهو اختصاصي في الشؤون السياسية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأدنى الآسيوية.

ب. سوء الظن أو الارتياب.

ج. القلق وعدم الاستقرار.

د. الاستغلال الشخصي للأفراد بعضهم البعض.

ونقل انطباع شاه إيران نفسه عن الشخصية الإيرانية بأنها مولعة بالنفاق والمراءاة، وبعدم الرغبة في العمل الجماعي، وبعدم الإحساس بوجود الآخرين. وتتمتع بضعف المبادئ.

٢. بحث للفرنسي أدور سابيليه[١] بعنوان **(إيران من الجانب الآخر)** في كتابه (إيران مستودع البارود).

٣. بحث قام به المؤرخ العراقي الأستاذ (البروفسور) عماد عبد السلام رؤوف، في مقدمة كتاب (الصراع العراقي الفارسي)، لنخبة من المؤرخين.

أهم الخصائص النفسية التي تميز الشخصية الفارسية

لقد تطرق هؤلاء العلماء إلى جملة من الخصائص النفسية، التي تميز الشخصية الإيرانية، أهمها:

- **الغدر:** بسبب شكوك الإيراني وعدم ثقته بالآخرين فليس لديه القدرة على الامتزاج. انه يبحث عن الأمان في الانعزالية عن الناس، أو بواسطة **توجيه ضربته الأولى**.

- **الشك والارتياب وسوء الظن:** فالشعور بعدم الأمان مغروس عميقا عند الإيرانيين. إن هذا الشعور بالارتياب يجعل الإيراني يعتقد بأنه ليس هناك شيء بنفس البساطة والاستفادة التي ربما يظهر عليها، وأنه لا يمكن قبول الأمور على أساس قيمتها السطحية أو الظاهرية.

- **الوقاحة:** في قطعة أدبية مشهورة في الأدب الفارسي ينصح أحد الحكام الإيرانيين

---

[١] باحث متخصص في شؤون الشرق الأوسط والقضايا الإسلامية والساحة الإيرانية. كان صديقاً للشاه والدكتور مصدق.

من ذوي العقل الراجح ابنه حول الكيفية التي يتوجب على الابن اتباعها من أجل أن يكسب حياته في إيران قائلاً:

(لا تتخوف من سوء استعمالك للحق أو السلطة ولا من الإذلال أو تشويه السمعة والافتراء... وعندما يجري طردك خارج أحد الأبواب تعال وادخل بابتسامة من باب آخر... كن وقحاً ومتغطرسا وغبياً، لأنه من الضروري في بعض الأحيان التظاهر بالغباوة لأن في ذلك فائدة. حاول أن تقيم علاقات مع أولئك الذين يتبوأون مناصب عالية. اتفق في الرأي مع أي شخص بغض النظر عن ماهية رأيه، وذلك من أجل أن تجتذب تأييد عطفه الأكبر).

- **الشعور بالتفوق أو الاستثنائية:** الفذة التي لا مثيل لها. يصبح هذا الشعور مثل درع يحتمي وراءه الفرد ويخفي نفسه أثناء فترة التطور الثقافي السريع. وهذا يجعل الهوية الإيرانية قادرة على البقاء بالرغم من تعرضها لموجات مختلفة من الغزوات، وقادرة على امتصاص مؤثرات ثقافية كانت تواجهها بدون أن تغوص الهوية الإيرانية الذاتية إلى القعر. وعلى خلاف الشعوب الأخرى لم يمتزج الفرس بوشائج الصلة الوثيقة مع العرب حملة الراية الإسلامية، بل حافظ الفرس على شخصيتهم الذاتية حتى في ظل الإسلام. ففي مقابل المذهب السني الشائع بين العرب اخترعوا المذهب الشيعي. وعندما كان مجموع المسلمين يخضعون لسلطان الخليفة فان الإيرانيين اتخذوا من المذهب الشيعي ذريعة لمناهضة شرعية الخلافة باعتبار عدم جواز الإمامة إلا حصراً بسلالة علي. واستعان الفرس بالتكتل الشيعي لتحقيق مآربهم. إن الفرس مسلمون، ولكنهم يختلفون عن المسلمين الآخرين. ومن هذا المنطلق استطاعوا الاستمرار على تحصين أنفسهم ضد الانصهار.

- **الكذب:** إن المعنيين بدراسة إيران وشؤونها متفقون عموماً على الاستنتاج القائل بأن الارتياب وعدم الاطمئنان والتخفي الديني تحت مظهر كاذب هي مميزات الإيرانيين. حتى إن محمد رضا بهلوي قد ذكر هذه المميزات بصورة فظة وذلك بقوله: (ان الفرس يكذبون). وقد اشتكى الشاه السابق أيضاً من أن الكذب ذاته يجري تمجيده على أساس أنه فضيلة، مقتبساً في شكواه ما جاء في كتاب الشاعر الفارسي سعدي:

(إن الكلمات التي تخدعك وتضللك، ولكنها تسعد قلبك هي أغلى من الصدق. وتزيد في قيمتها عن الشيء الذي يجعلك حزينا ويعكر مزاجك). إن المثل القائل: (احجب عن العيون ذهابك وذهبك ومذهبك) هو واحد من عدد كبير من تحذيرات شرعية مماثلة موجودة في الجعبة التجارية الفارسية.

- **الملق والتلون والمداهنة:** إن الملق والمداهنة والغش يجب أن تكون جميعا الأدوات التي يحتاجها الفرد لأجل أن يتقدم ويصعد إلى أعلى. لقد قال زعيم إيراني: إن الإيرانيين هم مثل الحرباء. إنهم يغيرون ألوانهم كل يوم وتتلون سياساتهم بما يتناسب مع ألوانهم المتغيرة. إن استعمال تعبيرات مثل: (إنني عبدك المطيع) أو (إنني التراب الذي تطأه قدماك) أو (دعني أقبل رجليك ألف مرة) هي جزء صغير من مفردات قياسية للغة اليومية التحادثية.

- **المراوغة والخداع والباطنية:** يرى الأجنبي في الفارسي مسلماً يمارس شعائر الدين غير أنه لا يمكن له أن يجزم بأنه من المؤمنين. وقد تعلم الناس أن لا يظهروا معتقداتهم بصورة علنية. وكانوا عند الضرورة لا يترددون في التظاهر بإنكارها ويلجأون إلى التحايل والمراوغات لخداع خصومهم. ولا يزال يوجد حتى الآن فئات يمكن اعتبارها مسلمة من الناحية الرسمية غير أن أفراد عوائلها يمارسون الطقوس الزرادشتية المتوارثة.

- **الازدواجية:** الثنائية عند الفارسي هي صفته المميزة ففي أعماق نفسه حماس منقطع النظير، ومشاعر أشبه ما تكون بالأعراض المرضية، أما في الظاهر فهو متحلل من كل ارتباطاته بالقيم والأعراف والتقاليد. متصوف في قرارة نفسه، مخاتل وماكر في تصرفاته الظاهرية.

- **الطبيعة الإيحائية:** يتأثر الفارسي كثيراً بالأساليب الإيحائية كالصور والتمثيل ،

ويندمج تماماً فيها، بحيث يبدو وكأنه يعيش ذاتياً الحالة المعروضة أمامه. في ليلة صافية الأديم وفي قرية صغيرة تقع جوار رضائية عرضت إحدى السينمات المتجولة فلماً غريباً على شاشة نصبت في الهواء الطلق. وعندما اختطف أحد أفراد العصابة بطلة الفلم بوحشية وأردفها على جواده سارع الحاضرون إلى امتطاء خيولهم واندفعوا لمطاردة الخاطف!

- **الغطرسة واحتقار الغير** إن الفارسي إنسان متغطرس، وأكثر ميلاً من غيره لاحتقار الغريب فيما إذا اعتقد بأنه يحاول إخضاعه وإذلاله، أو أنه يتحاشاه عند الاقتضاء. والفارسي بطبيعته المتغطرسة لا يتردد في إظهار إعجابه بنفسه. وعندما يحس الفارسي بالسعادة يتظاهر دائماً بالمرارة والألم!

نظرة تحليلية في جذور الأمراض النفسية الفارسية

أما الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف فقد رصد صفات مرضية أخرى في الشخصية الفارسية. لكنه لم يكتف بالعرض أو التوصيف الخارجي، إنما غاص وراء الأسباب الكامنة لها، ووضع أيدينا على الجذور الضاربة في أعماق النفس (الفارسية). سيأتي لاحقاً تلخيص ما قاله بهذا الصدد. إلا أني سأقف قليلاً عند أهم ما رصده من صفات:

- **الفرس أقل عدداً وأدنى حضارة:** الفرس هم الوحيدون – من بين القوميات الفارسية الأخرى – الذين ليست لهم إمتدادات قومية خارج إيران. لقد كانوا فعليا مجرد قومية وسط قوميات متعددة لكل منها تراثها وحضارتها ووطنها. ولم يكن الفرس على مستوى حضاري مكافئ للحضارات الموجودة إلى الغرب منهم، لذا فقد اخذوا موقعهم كـ(متلق) للحضارة لا صانع لها فالديانة الزرادشتية لم تكن فارسية وإنما ميدية... بل إن اللغة الفارسية لم تكتب قط بأحرف فارسية وإنما بالمسمارية العراقية فالآرامية والعربية. وامتد تأثير الحضارات العربية منذ قبل الإسلام وبعده إلى معظم مناحي الحياة الاجتماعية الفارسية وتركت آثارها واضحة في مجالات الفنون والعمارة فضلاً عن الإدارة والقوانين حتى عد الباحثون – ومنهم أكثر تعصبا للفرس – دولهم القديمة بأنها مجرد استمرار للدول الرافدينية.
- **العدوانية والتوجس والشك:** لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة ، لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي، وإثارة شعور التوجس لديها من خطر ما يأتي من الخارج. وكان التحدي الحقيقي أمام الفرس هو ذلك التحدي القادم من غرب إيران أي من الوطن العربي.
- **مركب الشعور بالنقص:** إن إحساس الفرس بتخلفهم تجاه الفعل الحضاري الآتي من الغرب يتخذ وضعا حادا ينعكس على شكل رد فعل غير حضاري نحوه يستهدف تدمير الحضارة فيه، أو مكافأة تأثيره على الأقل، ولكن بالفعل العسكري وحده.

- **(الفارسية) عقدة وعقيدة توسعية:** وهكذا تحولت (الفارسية) من كونها إحدى قوميات (إيران) إلى عقيدة توسعية تعبر عن جيوبولوتيكية لا تحقق أغراضها إلا بالتوسع المستمر أكثر من تعبيرها عن إرادة أمة قومية بذاتها. وهذا ما يفسر ظهور سلالات حاكمة في إيران من غير الفرس التزمت بسياسة الفرس نفسها.
- **عقيدة وعقدة عداء ضد العرب:** لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل انه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه.
- **اللؤم ونكران الجميل:** ولما لم يكن هذا الغرب يمثل إلا مصدر إشعاع للحضارة، لا خطرا ماديا حقيقيا فإن العقلية الفارسية تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها، فلقد اعتنق الفرس الإسلام كسائر شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحرف العربي لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها[1].
- **المسكنة والشعور بالاضطهاد** : إن التاريخ لم يسجل أية أعمال عدائية قام بها العرب ضد إيران بل العكس دائماً. وعلى الرغم من ذلك فان الفرس كانوا يصورون أي عدوان يقومون هم به على الأمة العربية بأنه (دفاع عن النفس) ، حتى اصبح هذا قانوناً ثابتاً في السياسة الخارجية الفارسية في مختلف مراحل التاريخ. ومعنى هذا أنهم إن لم يجدوا خطرا حقيقياً يهدد بلادهم من الغرب فإن عليهم أن يوحوا إلى شعوبهم بمثل هذا الخطر)[2].

---

[1] حدثني أحد الدارسين في النجف، قال: كنا في حوزة النجف سنة ٢٠٠٢ نحضر درساً في جامع الراس. سأل واحد منا الشيخ يوماً: إن مادة درس العربية صعبة جداً؟ مشيراً إلى كتاب (قطر الندى). فأجابه: إن هذه العلوم قد ألفها أبناء العامة؛ لذلك تراها صعبة معقدة مثلهم. قال: ألا يوجد عندنا علماء يؤلفون لنا مصنفات أسهل؟ فقال الشيخ متحسراً: مع كل الأسف لم يخرج فينا نحن الشيعة إلى الآن أحد يصنف لنا كتاباً في اللغة العربية!.علماً أن الكتب المعتمدة لتدريس اللغة في مدارس الحوزة هي: التحفة السنية، قطر الندى، شرح ابن عقيل.

[2] الصراع العراقي الفارسي ، ص١١-١٧ ، المقدمة.

الفصل الرابع

الأمراض والعقد النفسية
في الشخصية الشيعية أو الفارسية

من خلال هذه البحوث والتحليلات العلمية، ومن خلال المعرفة الذاتية، والخبرة الميدانية المكتسبة من المعاملة الطويلة الأمد مع (الشخصية الفارسية) متمثلةً بكل شعوبي أو رافضي أو متشيع بتشيع الفرس – وإن كان في أصله عربياً هاشمياً – يمكن استخلاص جملة من الأمراض والعقد النفسية المكونة لتلك الشخصية التي نطلق عليها اسم (الشخصية الفارسية).

سأتناول في هذا الفصل أهم هذه الأمراض والعقد، بمزيد من التحليل وضرب الأمثلة الواقعية، لمعرفة أصلها ومنشئها وعلاقتها ببعضها. وأرجو أن لا يفوتن القارئ اللبيب أني لا أقصد أن هذه الأمراض – منفردةً – مقتصرةٌ على الشخصية الفارسية أصلاً، فلا يمكن أن يصاب ببعضها غير (الفارسي) أو المتشيع فارسياً، فرداً كان أم جماعة. فقد تجد شخصاً – وهذا كثير – مصاباً بعقدة النقص أو عقدة الاضطهاد أو غيرها من العقد، بل قد تجد مجتمعات تعاني من مثلها. إنما أقصد أن المجتمع (الفارسي) كمجموع مصاب بهذه العقد مجتمعة. فهذه العقد من مميزات (الشخصية الفارسية) وحدها، التي تطبع المجتمع الإيراني في عمومه بطابعها، وسائر المجتمعات الشيعية التي تأثرت به دون غيرها من الشعوب والمجتمعات الأخرى، على الأقل القريبة منها. وقد تجد شخصاً فارسي الأصل لا يعاني – كفرد – من واحدة من هذه العقد، لكنه حين يكون في موقف يعبر به عن المجموع – أو يكون حقيقة مع هذا المجموع – فإنه يتصرف تصرفاً آخر يتوافق مع التركيبة النفسية الجمعية المعقدة. أي يتصرف طبقاً لنفسية الجمهور، وليس النفسية الفردية التي هو عليها وحده منعزلاً عن ذلك الجمهور الذي ينتمي إليه. وهذا كما يتصرف شخص يعاني فردياً من عقدة الهزيمة ضمن مجموع لا يعاني من هذه العقدة، فإن شخصيته تذوب في ذلك المجموع، وتختفي تصرفاته المريضة وتستبدل بها تصرفات أخرى لا تمت إلى عناصر شخصيته الأصلية بصلة. والعكس صحيح.

العلاقة بين النفسية (الفارسية) والشيعية

إن الرفض أو التشيع الفارسي دين اخترعه الفرس للتنفيس عن أحقادهم وعقدهم أولاً، وتحقيق أغراضهم ومطامعهم ثانياً. لكنهم ستروا سوأته برقاعة (التشيع) ليروج على الناس، ويجد له بينهم آذاناً صاغية.

ومن الطبيعي أن كل فكرة أو مبدأ ينتشر – حين ينتشر – وهو يحمل معه أخلاق أصحابه وعقليتهم ونفسيتهم، ومناهج تفكيرهم، وطرائق سلوكهم وتعبيرهم. ولا يمكن أن ينتشر مجرداً عن ذلك. فالعرب حين خرجوا إلى العالم بدينهم حملوا معهم أخلاقهم وروحهم ومناهجهم وطرائقهم. ولم يقتصر تأثر العالم بهم على دينهم فقط، بل تجاوزه إلى لغتهم وأساليب معيشتهم وأزيائهم وآداب مائدتهم. فانتشر الإسلام، وانتشر معه الوفاء بالوعد، والالتزام بالعهد، والعفو، والسماحة، والصدق، والعدل، وحرية التعبير عن الرأي، والعقلية المنضبطة بالدليل، البعيدة عن الخرافة، القائمة على العلم المؤسس على التجربة، والمتحرر من الفلسفة.

الشيء نفسه حصل حينما اندفع الفرس بدينهم المحرف (التشيع الفارسي). فإنهم نشروا معه أخلاقهم وأفكارهم، أو عقائدهم المسبقة، وعقليتهم الخرافية، ونفسيتهم المعقدة، بل وألسنتهم المعوجة، وأزياءهم، وطعامهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وتواريخهم، ومشاعرهم، وشعائرهم، وطقوسهم، وفلكلورهم؛ فتجد جمهور المتدينين بدينهم مصاباً بالعقد والأمراض، ومتصفاً بالأخلاق، ومتمتعا بالعقلية الفارسية نفسها، على تفاوت في درجات الإصابة وظهور الأعراض شدةً وضعفاً. حتى إنها قد تزيد عند البعض من غير الفرس عنها في الفارسي المصاب بها أصلاً !

مثلهم كمثل المسيحية حين خرجت من أرض العرب ووصلت إلى روما، ارتدت إلينا صليبية تحمل أحقاد الرومانيين وعقدهم وخرافاتهم وعقائدهم، وأخلاق الأوربيين ورذائلهم منسوبة زوراً إلى المسيح و(العذراء). وهكذا تحول جمهور المسيحيين – دون أن يشعروا – إلى صليبيين، أو متدينين بدين آخر غير الذي خرج منهم أولاً، وهم يحسبون أنهم لا زالوا على دين المسيح.

إن الأوربي حين صار مصدر الديانة وانتقلت عاصمة المسيحية إلى (روما) و(القسطنطينية) صار يصدر إلينا أخلاقه وعقائده وعقليته ونفسيته هو باسم (المسيحية).

الشيء نفسه حصل للإسلام حين خرج من أرض العرب إلى بلاد فارس، ثم صار يصدر إلينا من (قم) و(مشهد) باسم (التشيع لأهل البيت) . فانتقلت معه أخلاقه وعقائده وعقليته ونفسيته تحت هذا المسمى. فكل من تشيع بتشيع الفرس ينبغي أن ننظر إليه على أنه يحمل تلك العناصر، وأنه مصاب بالأمراض الفارسية نفسها. فإذا أردنا أن

نصف له علاجاً فمن خلال هذه النظرة لنصل إلى التشخيص السليم الذي على أساسه يمكن توصيف العلاج الناجع له. أما التشخيص الذي نقطع به نحن – والذي أنا في صدد بيانه وتحليل جذوره ووضع الوصفة المناسبة له في هذا الكتاب– فهو أن الرفض أو التشيع الحالي عبارة عن أمراض وعقد نفسية، قبل أن يكون انحرافات عقيدية أو فكرية وسلوكية، وأن التعامل الناجح مع المتشيعين بهذا التشيع – وهم جمهور الشيعة وعامتهم – ينبغي أن ينبني على هذا التشخيص أو الأساس مهما بدا سوداوياً أو تشاؤمياً – كما قد يحلو للبعض أن يسميه – لكنه الواقع والحقيقة التي يجب علينا أن نعترف بها ونواجهها بشجاعة مهما كانت مرة أو كريهة المنظر، وإلا أخطأنا في توصيف العلاج.

(الفارسية) ظاهرة وليست عرقاً

من الحقائق المهم ذكرها أن النفسية الفارسية المعقدة، والسلوك المنحرف المنعكس عنها ليس مختصا بالفرس حصراً، فلا يمكن أن يصاب بها غير الفارسي أصلاً. إنما هي عقدة مرضية تصيب كل من تأثر بها، وظاهرة اجتماعية توجد في كل مجتمع تقبَّل جراثيمها، وإن لم يكن فارسياً في عنصره، أو إيرانيا في بيئته ومنشئه.

(الفارسية) وباء يمكن أن ينتقل بالحث والعدوى، فيصيب أجناساً أخرى عاشرت الفرس وتأثرت بهم. أو أفراداً عاشوا بينهم، لا سيما من وصل منهم إلى رأس السلطة في إيران؛ لأنه يجد نفسه مضطراً إلى أن تتمثل فيه جميع الأمراض والعقد النفسية الفارسية، وإلا لن يتمكن من ضم تلك الأشتات المختلفة من العناصر والشعوب التي تقطن الهضبة الإيرانية تحت جناحيه.

عقدة النقص وعقدة الاضطهاد وأثرهما في تكوين النفسية الفارسية أو الشيعية

يستطيع الدارس للشخصية الفارسية أن يرصد عقدتين كبيرتين، هما الأساس في كل الانحرافات النفسية التي تعاني منها تلك الشخصية. هاتان العقدتان هما:

١. أحداهما (عقدة النقص) التي تمثل الأصل والمنبع والأساس.

٢. والثانية (عقدة الاضطهاد) التي نتجت عن العقدة الأولى، وساندتها في ولادة العقد الأخرى، وصبغت النفسية الفارسية بصبغتها، حتى صارت طابعاً لها، ونقطة دالة تجعلك

لا تخطئ أبداً في تشخيصها ومعرفتها. فعقدة النقص هي الأصل الكامن، وعقدة الاضطهاد هي اللون والعلامة الظاهرة.

إن الشعور المزمن بالنقص ينعكس عند الشخص الفارسي – وسليله الشيعي – رد فعل سلبي مؤذٍ ومخرب، يتجه إلى البيئة التي تحيط به بعنصريها: الطبيعة والإنسان. فهو خائف متوجس يشعر بالغربة والقهر من **الطبيعة المحيطة**، والشعور نفسه ينعكس باتجاه **البشر المحيطين به.** وهذا معنى قول الخبير الأمريكي جاك ميلوك السالف الذكر: (إن الشعور بعدم الأمان مغروس عميقا عند الإيرانيين. وأكثر من ذلك فإنه لا يمكن الوثوق من الطبيعة ولا الاعتماد على المخلوق البشري. إن هناك توقعات بحصول التضليل والخداع في مكان ما. وهكذا يجد الفرد الإيراني نفسه داخل دائرة مليئة بالمرارة).

وعلى هذا الأساس – إذا أردنا أن نفهم نفسية الشيعي – علينا أن ندرس نفسية الإنسان الاضطهادي أو المقهور. إن (عقدة النقص) في أعماق النفس تنعكس في الخارج على شكل شعور طافح بالقهر والحرمان، ودعوى عريضة بالظلم والاضطهاد. وقد وجدت خير من قام بهذه الدراسة – كما نوهت سابقاً – هو الدكتور مصطفى حجازي في كتابه (التخلف الاجتماعي.. مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور). علماً أنه يستعمل أحياناً مصطلح (التخلف) و(الإنسان المتخلف)، بدل (القهر) و(الإنسان المقهور) من حيث أن الشعور بالقهر أو الاضطهاد ينعكس تخلفاً في الفعل والممارسة. وفي ذلك يقول: (إن سيكولوجية التخلف من الناحية الإنسانية تبدو لنا على أنها أساساً سيكولوجية الإنسان المقهور)[1].

حيلة (الإسقاط) وأثرها في التركيبة النفسية الشيعية

الإسقاط – كما عرفه العلماء[2] – عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها – ويحوّل إلى غيره – صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره التي لا يرغبها ويخجل من الوعي بكونها جزءاً من ذاته. فهو يتهرب لا شعورياً منها بطردها عن نفسه أولاً، ثم إلصاقها بالغير، أو اتهامه بها ثانياً، كنوع من تبرئة الذات أو الدفاع

---

[1] التخلف الاجتماعي ، ص٨ ، الدكتور مصطفى حجازي.

[2] راجع موضوع (مصطلحات مهمة في علم النفس والأمراض النفسية) ، آخر الكتاب.

السلبي عنها. إنه عبارة عن تخلص من كل ما هو سيء في الذات باتهام الآخرين به. فهي عملية أو حيلة نفسية دفاعية مزدوجة. وتتخذ مظهرين:

١. نسبة النقص الذاتي إلى الغير

٢. لوم الغير على ما نلقاه من صعوبات وفشل، وما نقع فيه من أخطاء.

يلعب الإسقاط دوراً كبيراً في حياة الشيعي النفسية. وهو عميق الأثر فيها إلى حد (العقدة)! ولا أراني مخطئاً علمياً إذا أطلقت عليه عندهم مصطلح (عقدة الإسقاط). لم أر أحداً أو جماعة بنيت حياتهم على (الإسقاط) كالشيعة! فهم أكثر الناس اتهاماً للآخرين بعيوبهم وذنوبهم، كما أنهم أكثرهم إلقاء بتبعة أخطائهم وجرائمهم، وما يحصل لهم من مصائب ومصاعب على غيرهم!

خذ مثلاً سب الصحابة وتكفيرهم، كيف ينعكس لدى الشيعة اتهاماً لنا بكره (أهل البيت)؟! والتهمة ثابتة في حقهم ثبوتاً قطعياً مطلقاً. أما نحن فبريئون منها إلى حد الصفر المطلق. ومع ذلك فالأمر عندهم على العكس!

أحد معارفي داهمت بيته دورية للحرس الوطني، فأخرج لهم هويات الأحوال المدنية الخاصة بأولاده الأربعة: علي وحسن وحسين وحمزة. فكان مصيره الضرب والشتم والإهانة.

– لماذا؟!

– لأنك سميتك أولادك بهذه الأسماء كرهاً لأهل البيت!

– كيف؟!

– سميتهم كذلك من أجل أن تسبهم وتبصق عليهم وتضربهم، تشفياً بأهل البيت!!!

انظر إلى أحدهم – وهو من أكثر الشيعة اعتدالاً كما يقال – كيف تنقلب في رأسه الأمور ليقول: (يحدث المأزق الكبير في دوائر الدولة والأحزاب والمؤسسات العسكرية، حيث يلتقي المتعلمون من الطائفتين.. الشيعي الذي انسلخ عن طائفيته بسبب تعلمه، والسني الذي اتصل بالطائفية بسبب صلته بالسلطة. وهنا تبدو الفروق مكشوفة في ممارسة كل منهما لعمله في الدولة. إن الشيعي لا يفكر في أن يحجز وظيفة لشيعي آخر. وقد لا يفهم معادلة كهذه على الأغلب. أما السني فإنه متحفز ومهيأ للعب دور كامل مستمد من تمذهب الدولة.

قد يضاف سبب آخر. فبعض الشيعة ممن ينتبهون إلى فعل الطرف الآخر في مؤسسات

الدولة قد يحاولون فعل شيء مماثل. لكنهم سيصطدمون بتقاليد الدولة، وبالاضطهاد الرسمي. أو إنهم يقعون فريسة الخوف من أن يتهموا بالطائفية. إن العلماني الشيعي يتقبل أية تهمة سوى هذه. قد يتفاخر بخروجه على الإسلام، وبإلحاده وارتكاب المعاصي. قد يفاخر بماركسيته ووجوديته ونازيته وبعثيته، وبشذوذه وغرامياته، لكنه عند التهمة الطائفية يقف مذعوراً. وقد يتحول إلى الضد لإثبات الضد)[1].

وأنا أقف هادئاً – لا مذعوراً – أمام هذه العقلية الإسقاطية، التي قلبت الأمور كلها إلى الضد لإثبات الضد؛ لأني أعرف على أي وتر تعزف. ولك – حتى تعود الأمور إلى نصابها – أن تقلبها مرة أخرى. وعندها تتبين الحقيقة.

هذا والكاتب صاحب النص السابق كان السكرتير الصحفي لصدام، ويعرف – قبل غيره – أن أغلب الصحفيين المقربين من الرئيس الراحل – إن لم يكونوا كلهم – من الشيعة. وسيأتي توضيح مختصر بهذا، ومن فم الكاتب لا غيره[2].

وقف مقتدى عند المقام الموهوم بـ(السيدة زينب) في دمشق في شباط ٢٠٠٦ ليذم المقاومة، ويقول دون حياء: (الإرهابيين حبيبي فجروا لهم دبابة دبابتين وصاروا مقاومة. كذابين. عملاء).

واقلب تعدل!

وهكذا...

وصدق الشاعر إذ يقول:

مَن كانَ يصنعُ ما يقولُ فحيلتي فيهِ قليلهْ

وفيما يلي أهم الأمراض والعقد النفسية في (الشخصية الفارسية):

---

[1] الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤–١٩٩٠ ، حسن العلوي ، ص٢٦٧ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، إيران – قم.

[2] انظر لاحقاً – في هذا الفصل – عقدة اللؤم ونكران الجميل.

(١)

عقدة النقص

ثمة فرق بين ((الشعور بالنقص)) و((عقدة النقص)). (فالشعور بالنقص حالة نفسية يدركها الفرد إدراكاً مباشراً ويعترف بها. وليس من الضروري أن يكون بالفرد نقص كي يتملكه هذا الشعور... ويرى ((آدلر **Adler**)) مؤسس مدرسة علم النفس الفردي أن الشعور بالنقص من أقوى الدوافع لدى الإنسان لأن غريزة السيطرة هي أقوى الغرائز. كما يرى أن الفرد يحاول أول الأمر التعويض عن نقصه، فإن فشل التعويض الناجح لجأ إلى التعويض الوهمي، كأن يهرب من مواجهة نقصه إلى أحلام اليقظة، يعوض في خيالاتها عما به من نقص كما يشاء، أو يصاب بمرض نفسي يتخذه عذراً وجيهاً عن عجزه ونقصه، لأنه لو لم يكن مريضاً لم يعرف العجز إليه سبيلاً، بل لتفوق على غيره. وهكذا يعفيه الاحتماء بالمرض من لوم الناس ولوم نفسه.

أما عقدة النقص فاستعداد لا شعوري مكبوت، أي لا يفطن الفرد إلى وجوده، وينشأ من تعرض الفرد لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل، وقلة الحيلة. ومتى اشتدت وطأة هذا الشعور على الفرد مال إلى كبته أي إلى إنكار وجوده، بل وإلى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية. غير أن كل ما يذكّره بالنقص يحمله على الفور وبطريق تلقائية على الدفاع عن نفسه بأن يستجيب بعنف. والسلوك الصادر عن عقدة النقص يتسم بما يتسم به كل سلوك صادر عن الكبت، فغالباً ما يكون سلوكاً غريباً غير مفهوم، هذا إلى طابعه القسري. من ذلك العدوان والاستعلاء والزهو الشديد والتظاهر بالشجاعة والإسراف في تقدير الذات. وقد يبدو في صور متكلفة سخيفة كمحاولة استرعاء الاهتمام والانتباه بالتفاخر الكاذب والتباهي الزائف والاختلاق والكذب أو التأنق غير المحتشم في الملبس أو التحذلق في الكلام أو التطرف في كل ما يقول ويفعل)[١].

---

[١] أصول علم النفس ، ص١١٨-١١٩ ، الدكتور أحمد عزت راجح. ولا حاجة بي إلى التنبيه إلى أن هذه التفاصيل السلوكية موجودة ، وتلاحظ بوضوح على (الشخصية الفارسية).

منشأ عقدة النقص عند الفرس

لقد وضع الدكتور عماد عبد السلام رؤوف يده على أصل العلة في النسيج النفسي للشخصية الفارسية حين قال متسائلاً : (فما هي إذن الأسباب الثابتة لهذا الصراع الطويل عبر المراحل التاريخية المتعاقبة؟) ثم أجاب بقوله: (إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في وضع إيران الجغرافي – السياسي نفسه).

ويمكن تلخيص ما قاله البروفسور عماد عن هذا الوضع بثلاث نقاط رئيسة هي:

١. الفرس لا يشكلون سوى أقلية بالنسبة لمجموع الأقليات القومية الأخرى التي تستوطن الهضبة الإيرانية (عامل جغرافي).

٢. إن لهذه القوميات جميعاً – باستثناء الفرس– امتدادات واسعة خارج حدود إيران نفسها (عامل جغرافي).

٣. الرغبة في السيطرة على بقية القوميات المتباينة، وشدها باتجاه الدولة المركزية في الداخل (عامل سياسي).

ولكنهم كانوا أقل عدداً وأدنى حضارة من أن يستطيعوا ممارسة دورهم هذا في شد هذه القوميات وتجميعها تحت سيطرتهم. لذا فقد كان الفعل السياسي والعسكري الفارسي على الدوام أكبر من حجمهم الحقيقي.

إن الرغبة في السيطرة – من قبل الفرس في قلتهم العددية وتدنيهم الحضاري – على شعوب تفوقهم عددا وحضارة، ولها امتدادات خارجية، هو الذي أنتج عندهم ذلك الشعور العميق بالنقص، والذي ترسخ بمرور الزمن وتراكم المعاناة حتى صار عقدة لا تفارقهم. مثلهم كمثل شخص جاءت به ظروف الحياة ليقود فريقاً من الرجال يفوقونه في تحضرهم وتحصيلهم العلمي وقوتهم ووجاهتهم، فإذا لم يكن متماسكاً نفسياً تولد عنده شعور بالنقص تجاههم. فإذا تكرر الموقف نفسه – بصورة أو بأخرى – نشأت عنده عقدة النقص.

وبما أن تحقيق رغبة الفارسي في هذه السيطرة بالوسائل الطبيعية غير ممكن، فإن ذلك جعله يجنح دوماً إلى أساليب ملتوية وحيل غير مألوفة يوازن بها هذا الفرق في التفوق، ويصل بها إلى هدفه من السيطرة.

لقد ترسخت هذه الأساليب الملتوية والحيل الشاذة على مر الدهور وكر العصور حتى صارت جزءا من شخصيته وسمة أو طابعا يدمغ تلك الشخصية. أي تحولت إلى عقد نفسية متأصلة، ممتدة الجذور عميقاً عميقاً في نفس الفارسي.

عقدة الدخالة

أما من صار على رأس السلطة في إيران فلا بد أن يتقمص تلك الشخصية ويصاب بتلك العقدة النفسية، وإن لم يكن فارسياً في أصله وعنصره؛ وإلا فقد زمام السيطرة على دفة الحكم. وكما أن رجلاً جاءت به الأقدار ليكون حاكماً أو شيخاً لقبيلة غير قبيلته لا يمكن له أن يقود القبيلة بتقاليد وأعراف غير تقاليدها وأعرافها، وإنما عليه – لكي يستمر في قيادتها – أن يتقمص روحها وشخصيتها، ويتمثل سلوكها، ويعبر عن أمالها وتطلعاتها، وإلا رفضته وفقد السيطرة على قيادها. بل إن هذا الحاكم أو الشيخ عادة ما يكون متطرفاً في كل ذلك إلى الحد الذي يتفوق فيه على ابن القبيلة الأصيل؛ لأن عقدة الشعور بالغربة أو الدخالة كثيراً ما تدفع الدخلاء إلى هذا التطرف أو التصرف ليغطوا به على هذا الشعور الذي لن يشفوا منه مهما تطرفوا، وكيف تصرفوا ! كذلك فعل كل حاكم إيراني من أصل غير فارسي. إنه يحكم إيران بروحية الفرس ونفسيتهم وأعرافهم وتقاليدهم، وقد يتطرف في سلوكه وعدوانيته فيتفوق على مثيله الفارسي على قاعدة (ملكي أكثر من الملك). كما فعل الصفويون ومن لف لفهم. وإلى هذا المعنى أشار البروفسور عماد عبد السلام رؤوف بقوله: (ومع أن سلالات غير فارسية حكمت إيران في بعض العهود إلا أن سياستها لم تكن لتختلف عن السياسة الفارسية التقليدية التي ذكرنا. فالافشاريون والزنديون والقاجاريون مثلا وهم ليسوا فرساً لم يكونوا ليصبحوا (شاهات) لإيران لو لم يلتزموا (بالعقدة الفارسية) فيحذون حذو أسلافهم في معاداة الأمة العربية[1].

وعلى هذا الأساس فإن (الفارسية) قد تتمثل في شخص عربي في أصله؛ فيكون بلاءاً أكثر من الفارسي نفسه. وهنا يمسي التفريق بين عالم أو فقيه أو عربي وآخر فارسي – يحمل كلاهما العقيدة والعقدة نفسها – بلاهة وحمقاً[2].

---

[1] الصراع العراقي الفارسي ، المقدمة ، ص١٨ .

[2] إن هذا يشبه النظرة التفكيكية عند البعض ممن ينسب العلماء الفرس الذين ظهروا في العصر العربي الإسلامي إلى الحضارة الفارسية، متناسياً أن هؤلاء هم نتاج الحضارة العربية، وليس الفارسية التي انتهت واندثرت. وغافلاً عن كون الحضارة منسوبة إلى قومية أو فكرة معينة لا يعني خلوها من العناصر الأخرى التي امتزجت بها ففقدت خصائصها الأصلية، أو ضعفت هذه الخصائص

العجمي والمستعجم

إن هذا يدعونا إلى الحذر من العربي أو العراقي المصاب بـ(العقدة الفارسية) أكثر من الفارسي أو الإيراني نفسه ؛ لأن الأول يزيد على الثاني بكونه يعاني من عقدة (الدخالة) التي تجعل من عدوانيته وحقده أكثر تطرفاً وحدة. بل قد نجد فارسياً بريئاً من هذا المرض إلى الحد الذي نعتبره فيه عربيا في لغته وروحه وديانته، فمن أحب العرب وتكلم بلسانهم فهو عربي.

خلاصة القول: أن العجمي والمستعجم طينة واحدة. هذا إن لم يكن المستعجم أكثر شراً وأضل عن سواء السبيل. ومن هنا قال من قال: (إذا استعجم العربي فاقتلوه)؛ لأن العربي المستعجم شر من العجمي نسباً وأصلاً !

عقدة النقص أصل كل العقد النفسية في الشخصية الشيعية

هذه العقدة الخبيثة هي أصل كل العقد في نفسية الفارسي، أو الشيعي الذي انخلع من أصله وصار متشيعاً تشيعاً فارسياً يحمل عقائد الفرس وعقدهم، ويسعى – شاء أم أبى – في خدمة أغراضهم، وتحقيق أهدافهم.

فتجد أن عقدة النقص هي وراء (عقدة الشك) والتوجس والخوف الدائم من خطر ما يأتي من الخارج.

ووراء (عقدة الغدر) تلك السجية الملازمة للفارسي وأخيه الشيعي؛ لأن الضعيف لا يتوقع سنوح الفرصة ثانية فهو يضرب ضربته عند أول فرصة.

ووراء (عقدة الخداع) والمراوغة ؛ لأن عقدة الشك توحي إليه بأن الكل يريد خداعه؛ فهو يقوم بمخادعتهم مقابلة بالمثل.

ووراء (عقدة الكذب) والدجل (الشعار القومي للفرس)، فهو دائم الادعاء بأن جيرانه يبيتون الاعتداء عليه، وأن خطراً ما قادماً من هذا الاتجاه وذاك من أجل إثارة الخوف لدى الآخرين وتجميعهم حوله.

وهذا أنتج – إضافةً إلى ذلك – (عقدة العدوان) ، و(عقدة الاضطهاد) والمظلومية .

بذوبانها أو تأثرها بعناصر الحضارة الجديدة. إن كثيراً من كبار علماء أمريكا وأوربا هم من العرب، لكن الحضارة التي يشاركون في بنائها هناك ليست عربية. إنهم نتاج الحضارة الغربية، ولولا احتضان هذه الحضارة لهم لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مراتب في سلم العلم والإنجاز الحضاري.

فهو يعتدي وفي الوقت نفسه يدّعي أنه معتدى عليه.

وفي المقابل تجد (عقدة الاستخذاء) والتذلل والمسكنة، قد نتجت عن عقـدة الـنقص والشعور بالدونية، التي تجعله – في حال ضعفه – ذليلاً متملقاً متمسكناً.

و(عقدة الحقد) الفارسي المجوسي نابعة من عقدة الـنقص. إن الحقـد هـو القـوة الضاغطة التي لا يستطيع بدونها تجميع عناصره المشتتة، وسوقها باتجاه واحد.

وهكذا تتسلسل النتائج فتظهر لنا (عقدة الانتقام) والرغبة الجامحة في الثأر.

ومن عقدة الحقد والعدوان والاضطهاد والرغبة في الثأر والانتقـام نتجـت (عقـدة التخريب).

كما أنها منبع (عقدة التحلل الخلقي) والفساد الاجتماعي؛ فالناقص الدوني لا يتماسك أمام المغريات أو الشهوات.

وهذا كله تسبب في وجود (عقدة الذنب).

وبسبب الاعتياد على إتيان النقائص ترسخت عنده (عقدة الصفاقة).

ولنقصه تراه شديد الالتصاق بطائفته، متعصباً لها أشد التعصب (عقدة التعصب).

والحاجة إلى تعويض النقص تلجئ صاحبها إلى المبالغة في تصوير كل ما يتعلـق بالذات من قوة وملكية وأماني وأحلام ورموز وتاريخ وقصص وأساطير حتى ينطبـع الذهن بطابع الخرافة، ويصير صاحبه خرافياً (العقلية الخرافية).

والحاكم الناقص يتأله على شعبه، والشعب المتخلف يطيع حاكمه إلى حـد التأليـه (تأليه الحاكم).

وعقدة النقص هي السبب في نشوء (عقدة السيد) أو عقدة الاستكبار والتعالي. فهـو يتظاهر بالقوة الفارغة، ويزيد مـن مظاهرهـا كـي يغطـي علـى نقصـه (عقـدة الاستعراض). ومثاله كبر عمامة السيد (مقوار المخنث).

وكذلك (عقدة اللؤم) ونكران الجميل : فلنقصه ، وشعوره بالحاجة يقبل الإحسان من الغير، لكنه للسبب نفسه يتنكر لإحسانه، بل يتوجه بالأذى إلـى المحسن كي لا يـذكره بنقصه وحاجته. إن الدونية أو عقدة الشعور بالنقص تجعل صاحبها يستجيب سـلبياً أو عكسياً تجاه المؤثرات الخارجية الإيجابية، ويتعامل بلؤم مع من يحسن إليه؛ لأنه يـرى فيه شبحاً مزعجا يذكره بـ(دونيته) ونقصه. فـ(الدوني) شخص متناقض: فهـو يقبـل الإحسان لحاجته إليه، لكنه يشعر بالكراهية تجاه من يحسن إليه ، وينـزعج من رؤيته ويتمنى الخلاص منه، بل يسعى في الكيد له وإزاحته من أمامه.

وما لم نفهم هذه العقدة عند العجمي والمستعجم فإن إحساننا يذهب هباء، ولا يصل بنا إلى النتيجة الطبيعية المتوقعة لتلك المقدمة. بل لا نجني من ورائه إلا المتاعب.

لقد كان هذا نصيب العرب على مر التاريخ جزاء إحسانهم إلى الفرس الذي تمثل بدينهم ورسالتهم التي حملوها إليهم – وهو أعظم إحسان– وبحضارتهم العظيمة. لكن العقلية (الفارسية) تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لاضطرارها إلى ذلك؛ بسبب النقص الذي تعاني منه في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه؛ لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها وكيانها.

كل الشعوب التي اعتنقت الإسلام تحتفظ بالجميل للعرب وتحترمهم وتقدمهم. إلا العجم فمع ادعائهم الإسلام يشعرون بالحقد والكراهية تجاه من حمله إليهم لا سيما الصحابة وخصوصاً الفاروق عمر رضي الله عنه الذي كان أول ضحية لحقدهم ودونيتهم وغدرهم.

وهكذا.. فما من عقدة يعاني منها الشيعة إلا وترجع في أصلها وتكونها إلى عقدة النقص، التي تولدت جراء الوضع الجغرافي – السياسي الذي ذكرناه من قبل.

(٢)
عقدة الحقد

كان للخميني – عندما كان في النجف – جار عراقي. وفي يوم من الأيام – وبينما كان الأولاد يلعبون في الزقاق – ضرب ابن الجار العراقي ابناً لخميني كان يلعب معه. فحصلت مشكلة كبيرة. وأراد العراقي أن يرضي خميني بكل وسيلة فلم يفلح! وظل خميني مقاطعاً جاره رغم الوساطات العديدة للصلح بينهما، حتى خرج من العراق! ويتحدث الدكتور موسى الموسوي عن الخميني فيقول: (وإن من أهم الصفات السيئة التي يحملها هو حقده الدفين على كل من أساء إليه، ولو قبل نصف قرن، فهو لا ينسى الإساءة. ولا بد أن ينتقم لها عندما تسنح له الظروف. ولذلك نرى أنه أمر بإعدام علامة الوحيدي والدكتور جمشيد أعلم، وهما عضوان من أعضاء مجلس الشيوخ الإيراني في عهد الشاه من بين ٦٠ عضواً آخر؛ لأنهما تطاولا في الكلام عليه في المجلس عندما كان يعارض حكم الشاه. أما سائر أعضاء مجلس الأعيان فلهم مطلق الحرية يسرحون ويمرحون في إيران)[١].

نعم..!

الحقد داء، وعقدة متأصلة في نفسية الفارسي، لا يمكن لكيانه أن يقوم، ولا لوجوده أن يدوم من دونها! إنها القوة الضاغطة التي يستطيع بها تجميع عناصره المشتتة، ويسوقها باتجاه واحد. (الفارسي) غير قادر على جعل الحب قاعدة لانطلاقه في تعامله مع الآخرين؛ لأنه بذلك يفقد القابلية على تجميع تلك العناصر المشتتة في قبضة واحدة. يقول د. عماد عبد السلام: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحت خارجي، وإثارة شعور التوجس لديها من خلال خطر ما يأتي من الخارج)[٢].

لهذا أمسى الحقد ضرورة لبقاء الفارسي على قمة الهرم في الهضبة الإيرانية، التي لا يتربع عليها إلا من سلك السلوك نفسه، واعتمد إثارة كل أمر يؤدي بشعوب الهضبة المتناثرة إلى أن تخاف وتحقد على الدوام حفاظاً على تماسكها تحت قاعدة الهرم. وما اللعن والطعن إلا تعبير عن هذه العقدة التي يغذونها برواية كل قبيح مخترع وإلصاقه

---

[١] الأستاذ الخميني في الميزان ، ص٦ ، د. موسى الموسوي.

[٢] مقدمة كتاب الصراع العراقي الفارسي ، مصدر سابق.

بتاريخ الأمة ورموزها. ومن ذلك اختراع المآسي التي تعرض لها (أهل البيت) وتضخيمها، وإقامة مجالس التعزية والنواح على أولئك (المظلومين). وتأمل التناسب بين نفسية الفارسي المدمرة الحاقدة، وبين النار التي اشتهر بعبادتها من دون بقية قوى الطبيعة!

وعن طريق الحث والعدوى انتقلت هذه العقدة من المجتمع الإيراني إلى المجتمع الشيعي أينما كان: أفراداً وجماعات.

حقد مختص بالعرب

وإذاكان الفارسي وسليله الشيعي حاقداً بطبعه، فإن هذا الحقد يتوجه عنده تلقائياً – وبلا مقدمات – إلى العرب عامة، وإلى العراقيين منهم خاصة. ولذلك أسبابه الدافعة. أهمها أن عقدة النقص إنما تستثار – أشد ما تستثار – باتجاه العرب؛ لأنهم – في قوتهم الذاتية وتحضرهم العريق وتراثهم النبيل – يمثلون في خافيَّة أو لا شعور الفارسي النقيض التام المقابل للفرس في كل ذلك. ولأن العرب أكثر الأقوام فضلاً على الفرس، فإن عقدة نكران الجميل تكون أكثر انفعالاً وأثراً في انعكاسها بما يتناسب ودرجة الفضل السابق من العرب إليهم. من هنا نفهم عمق كلام د. عماد عبد السلام حين قال: (لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل انه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه).

انظر ما يقول محمد الطوسي في (غيبته) ومحمد المجلسي في (بحاره) منسوباً زوراً إلى جعفر الصادق: (اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أمَا إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد)[١].

وفي رواية للكليني: (ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب. قلت جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير. قلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير. قال لا بد للناس أن يمحصوا ويغربلوا ويستخرج مع الغربال خلق كثير)[٢].

وانظر إلى شعوبية الكليني ذلك الحاقد الفارسي كيف يفتري على سيدنا جعفر بن محمد رحمه الله أنه يكفر أهل خيرة بقاع الأرض (مكة والمدينة والشام) فيقول: أهل

---

[١] الغيبة للطوسي ، ص٤٧٦ . وبحار الأنوار للمجلسي ، ٣٣٣/٥٢ .

[٢] أصول الكافي ٣٧٠/١ .

الشام شر من أهل الروم وأهل المدينة شر من أهل مكة وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[1].

وعن أحدهما (ع) قال: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة ، وان أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً[2].

ويفتري على محمد بن علي (الباقر) أنه قد كفر جميع الصحابة والتابعين وهم خيرة العرب فيقول: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد. وأناب الناس بعد: كان أول من أناب أبو ساسان وعمار وأبو عروة وشتيرة، فكانوا سبعة فلم يعرف حق أمير المؤمنين إلا هؤلاء السبعة[3].

وتأمل ما قاله ميرزا حسن الإحقاقي: (إن الصدمات التي واجهها كل من شعبي إيران والروم الكبيرين نتيجة لحملات المسلمين والمعاملة التي تلقوها من الأعراب البدائيين الذين لا علم لهم بروح الإسلام العظيمة، أورثت في نفوسهم نزعة صدود عن العرب، وشريعة العرب، فطبيعة سكان البادية الأوباش الخشنة، وذلك الخراب والدمار اللذين ألحقوهما بالمدن الجميلة، والأراضي العامرة في الشرق والغرب، وغارات عباد الشهوات العطاشى إلى عفة وناموس الدولتين الملكية والامبراطورية)[4].

وفي فلم شيعي عن معركة صفين مدموغاً بعلامة (شبكة أنصار الحسين)[5] يظهر عمرو وتحته مكتوب: (عمرو بن العاص لعنه الله)! أما عندما يظهر علي فمكتوب تحته: (السلام عليك يا قاتل صناديد العرب)!!!

واستمر هذا الحقد الفارسي ضد العرب يتأجج على مر العصور، لم تزده الأيام إلا عمقاً ورسوخاً! ومن أكثر الناس شعوراً بوجود وآثار هذا الحقد وإدراكاً لجذوره أشقاؤنا العرب الأحوازيون. وذلك بسبب معاناتهم الطويلة تحت الاحتلال الفارسي منذ أكثر من ثمانين سنة. يروي لي أحدهم فيقول: كنا من جنسيات متعددة نعمل في موانئ الكويت، منا العربي ومنا الفلبيني والهندي والباكستاني وغيرهم من الشعوب. وكان

---

[1] أيضاً ، ٢/٤٠٩ .

[2] أيضاً: ٢/٤١٠.

[3] أيضاً: ٢/.٢٤٤

[4] رسالة الإيمان ، ص ٣٢٣ ، ميرزا حسن الحائري الإحقاقي ، مكتبة الصادق ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢.

[5] منقولاً عن موقع الفرقان

معنا إيرانيون أيضاً. فحين يحصل شجار بين إيراني وآخر من قومية أخرى، يتساءل العمال الإيرانيون؟ فإذا وجدوا الشجار حاصلاً مع هندي أو فلبيني، أو مع شخص من أي قوم كانوا سوى العرب، فإنهم لا يأبهون للأمر كثيراً. فإذا ما قيل: إن الشجار مع عربي تركوا كل شيء بأيديهم، وهبوا بالعشرات ينصرون صاحبهم الإيراني ضد العربي! وهم يتصايحون: (أرَب أرب)! – بترقيق الباء – أي عرب عرب.

وتأمل هذا النص المقتطع من كتاب (روضات الجنات) لأحد كبار دجاجلة علماء الشيعة وهو الخوانساري: كيف يتفجر حقداً على بغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية. قال هذا الدجال الشيعي الحاقد في معرض ترجمته للّعين الخواجة نصير الطوسي: (ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور والإلباس، بإبادة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم، دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار)[1].

ويروي أخونا العربي الأحوازي أنه حين دخل الجيش الإيراني كان يتدرب في معسكر (كرمان)، وكان الهدف الذي يدربونهم على الرماية من خلاله هو العقال واليشماغ العربي! يقول: وهذا التقليد المعبر بعمق عن الحقد الفارسي تجاه العرب يجري في كل معسكرات التدريب الإيرانية.

وأما معاملتهم العنصرية لعرب الأحواز فشيء لا مثيل له في أكثر بلدان العالم تخلفاً ووحشية! إن أحدهم يتلقى يومياً عشرات الإهانات لا لشيء إلا لأنه عربي!. كما أن لبس العقال واليشماغ مستنكر عليهم في الأحواز، ويتلقون بسببه التضييق والتحقير وأنواع الأذى، لا سيما في الأسواق، وعند مراجعة الدوائر الرسمية،. وممنوع رسمياً تدريس المواد الدراسية باللغة العربية، فليس في الأحواز العربية مدرسة عربية واحدة! ولا يسمحون حتى بفتح مدرسة قرآنية! ولا يوجد في الأحواز كلها – ومساحتها تقرب من مساحة سوريا – مسجد خاص بأهل السنة، إما يهدمونه إذا بني، أو يحولونه إلى

---

[1] روضات الجنات ، ج٦ ص٢٧٩ ، الدار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١١هـ ، ١٩٩١م.

دائرة أخرى! إلا واحداً في عبادان، وأغلقوه أخيراً، واعتقلوا إمامه الشيخ عبد الحميد الدوسري. يقول صاحبي الأحوازي: في سنة ١٩٩٥ شرعنا في بناء مسجد لنا في منطقة (كوت عبد الله)، وهي قرية نائية بعيدة عن مركز المدينة، واتبعنا في بنائه أسلوب التورية والتخفي على اعتبار أنه مسجد شيعي، ومر علينا في ذلك خمسة وأربعون يوماً، وفي صبيحة أحد الأيام أتينا إليه فلم نجد في المكان طابوقة واحدة! لقد جرفوه في منتصف الليل وأزالوه من وجه الأرض بالكامل! ولربما عرفوا هويته من وجود المحراب ومنارة واحدة لا اثنتين، وهذا يكفي – عندهم – لهدمه وإزالته من الوجود. كما أن جامعاً لأهل السنة في عبادان حولته الحكومة (الإسلامية) إلى نادي لرياضة البنات!.

كنت في زيارة لمكتب (هيئة علماء المسلمين) في دمشق، فحدثني أحد المشائخ الثقات ممن أعرفهم، فقال: زارنا شيخ سوري فاضل، ودار بيننا حديث عن إيران، وعلاقتها بالعراق، كنت ممن شارك في الحديث، وكان حديثي منصباً على عدائها المستحكم للعرب، ومؤامرتها الدائرة في العراق. لم يرق للشيخ ما سمعه مني. وصار يعاكسني ويدافع عن إيران. ثم جاء بعد مدة يسأل عني بالخصوص. لكنه لم يجدني فقال لمن استقبله من الإخوة الموجودين في المكتب: جئت لأخبر فلاناً بأن كل الذي قاله عن إيران صحيح و.. زيادة. ثم التقيته بعد ذلك، فقص علي ما رآه من عجائب حين ذهب إلى هناك لحضور مؤتمر إسلامي في رمضان الماضي/١٤٢٧. من ذلك الذي رآه: أن الإيرانيين أخذوهم مساء أحد الأيام ليفطروا في مكان ما لم يخبروهم عنه. قال: وظلت السيارات تسير حتى دخلنا مقبرة كبيرة، مدت الموائد في وسطها. لم ندرك لماذا جاءوا بنا إلى هذا المكان الغريب، حتى أشار أحدهم إلى القبور الممتدة على طول مسرح النظر فقال: (أترون هذه القبور؟! هؤلاء هم الذين قتلهم العرب في العراق). انظر كيف أنه لم يعط للقاتل سوى وصف (العرب)! ثم أردف قائلاً بلا أدنى تردد، أو حياء: (لا بد أن نمحوهم من الوجود، ونثأر لكل واحد منا بعشرة منهم. ولن نتوقف حتى نحقق ما نريد)!.

إسقاط حقدهم على خصومهم

تأمل كيف يسقطون حقدهم هذا على خصومهم: معمم كبير العمامة عظيم الهامة اسمه محمد تقي بور المدرسي ظهر على شاشة إحدى الفضائيات يتباكى من ظلم صدام حسين وكيف أن مدينة الثورة (يسميها – هو وأمثاله – الصدر) التي يقطنها

ثلاثة ملايين ونصف المليون كان صدام يمنع بناء الحسينيات فيها حتى إن ثلة من أهلها تجرأوا فبنوا حسينية لكن الحكومة هدمتها على رؤوسهم وقامت بإعدامهم. ويعلم الله أن هذا محض افتراء وكذب لا يستحي (الفارسي) منه. أما مدينة الثورة فلا يبلغ عدد سكانها – بما فيهم من سنة ونسبتهم في حدود ١٥٪ – تسعمائة ألف. وأما الحسينيات فتعج بها تلك المدينة الخربة في عهد صدام وغيره. ومن المعروف جداً أن أغلب الحسينيات في العراق تبنى من دون موافقة وزارة الأوقاف، بينما يستحيل أن يسمح لأهل السنة ببناء مسجد دون موافقة رسمية أصولية. أما الذي يهدم المساجد على رؤوس أهلها ويقوم بإعدامهم فهم الإيرانيون. وحادثة إعدام خمسة من أهل السنة تقدموا بطلب بناء مسجد لأهل السنة في العاصمة طهران معروفة لأهل الشأن. ومن المعلوم أن مركز العاصمة الإيرانية لا يوجد فيها مسجد لأهل السنة، بينما لا تخلو من معابد لليهود والمجوس!

يرضعون الحقد لأطفالهم

إن هذا الحقد الغريب يلقنه الشيعة لأولادهم، ويرضعونهم إياه مع الحليب. حدثنا أخ أحوازي آخر أنه كان مسافراً في قطار من الأحواز إلى مدينة إيرانية، وكان بالقرب منه امرأة فارسية معها ابنها الصغير فقالت هذه المرأة: ابني يقول: أريد الذهاب إلى طهران لأشرب البيبسي هناك، لا أريد أن أشرب من بيبسي الأحواز؛ إن فيه رائحة العرب.

يذكرني هذا بشاب من أهل مدينة (بلد) هداه الله فتحول من دين الرفض إلى دين الحق. قص على صاحب لي كيف أنه عندما كان غلاماً صغيراً جاء أهله بخروف كان يلهو به ويلعب معه حتى إذا تعلق به وصار لا يستطيع عنه فكاكاً استيقظ صباح أحد الأيام فهاله رؤية الخروف الحبيب قريباً من وسادته مذبوحاً ملطخاً بدمه! يقول: فصرت أصرخ فزعاً حزيناً وأقول: من فعل هذا؟ فأخبروني: إنه عمر! يقول: ومن ذلك اليوم حقدت على عمر بن الخطاب حقداً ما بعده حقد!

وفي بعض مناطق الجنوب العراقي يأتون للطفل بصندوق فيه فتحتان: واحدة لعلي، إذا مدّ الطفل يده أخرج منها قطعة حلوى. وواحدة لعمر، إذا مدّ يده أصابتها شوكة أو جمرة أو ما يشبه!

ومن أبيات الشعر الفارسي المتداولة عند الفرس:

عرب دربيابان ملخ مي خورد وسگ أصفهان أب يخ مي خورد

أي: العربي في الصحراء يأكل الجراد، بينما الكلب في أصفهان يشرب الماء البارد.

يغذون الحقد لشعوبهم

ذهب أحد الأصدقاء إلى إيران في مايس ٢٠٠٦، فشاهد العديد من العجائب. منها ما حدثني عنه فقال: وجدت على طول الطريق من مهران إلى أيـلام، وكـذلك مـن مهران إلى دهليران، ومن اندم شك إلى الأهواز إلى عبادان صوراً (مرسـومة باليـد) لقتلى العسكريين الإيرانيين معلقة على الجانبين، مكتوبـاً عليهـا (شـهداء جمهـوري إسلامي) مع كلمات معناها أن صدام وجيشه هم من قتلوهم. فتذكرت أين شهدائنا مـن الضباط والجنود؟ حيث لا ذكرى ولا صورة ولا من يترحم عليهم!

وشاهدت أمراً آخر عجباً! دبابات عراقية مدمرة، على جانبي طريق إيلام – مهران وعلى مسافة (٨٠ كم)، مرفوعة على منصات حجرية مرصوصـة ومبنيـة بإحكـام مكتوب عليها: (دبابات صدام). فشعرت أنهم يعيرونني فبكيت في داخلي من المرارة.

حقد شعوبي

وأبو القاسم الفردوسي صاحب (الشاهنامة) يسب القدر ويبصق عليه في بيت من الشعر في شاهنامته تلك قائلاً: (تفّ تفّ لك أيها الفلك الدوار؛ العرب الحفاة العراة آكلو الضباب يدوسون أرض إيران الجميلة)! حدثني بهذا المرحوم الفريق كامـل السـاچت رحمه الله يقول: ذهبت في زمن الشاه في بعثة عسكرية إلـى إيـران فـدخلت أحـد المتاحف العسكرية هناك فرأيت ديوان (الشاهنامة) مكتوباً على جلـد موضـوعاً علـى طاولة كبيرة ومفتوحاً على البيت المذكور الذي ظهر واضحاً وباللغة العربية!!!

أما بهشتي فيقصر وصف (الجاهلية) الوارد في القرآن على العرب فقط دون بقيـة الأُمم! ويقول عنهم: لم يكن لدى العرب قبل الإسلام من شيء سوى الشعر.

وقد بلغ بهم الحقد حداً بحيث لو سألت فارسياً فقلت مثلاً: أي يوم من أيام الأسبوع غداً؟ فإذا كان اليوم يوم جمعة عبّر فقال: بعد غد هو يوم السبت، ولا يـذكر الجمعـة لأنها ترمز إلى يوم مقدس في (دين العرب).

ويحتج الفرس على العرب في الأحواز بحديث باطل ينسبونه للرسول ﷺ وضعوه تنفيساً عن شعوبيتهم نصه: (أنا عربي وليس العرب مني). وفي مقبرة الخفاجية الواقعة بعد مدينة البسيتين توجد لافتة كبيرة على حائط كبير مكتوب عليها: (تعلموا الفارسـية لأنها لغة الله ولغة أهل الجنة)! ويسمون مقابر العرب (لعنة آباد) ومقابر الفرس (جنـة

آباد)! وفي المنهج الدراسي للصف الأول الابتدائي قصيدة يقول أحد أبياتها: (كلنا أرقى من العربي أكال الجراد).

ويحيي الإيرانيون ذكرى شاعر اسمه أهبان، له ديوان شعر اسمه (فصل الشتاء) يمجد فيه عبادة النار بقوله: (النار مظهر الطهارة، جاء العرب فوضعوا ماءاً نجساً عليها ليطفئوا تلك الطهارة).

تعذيب أسرانا

ومن أبرز صور الحقد الفارسي ما فعلته إيران بأسرانا ، الذين أذاقتهم صنوف العذاب الخارجة عن كل معقول. ولا زالت تحتفظ ببعضهم منذ أكثر من ربع قرن!. وأما الحديث عن صور التعذيب فلا يحيط به مجلدات ومجلدات! وليس هذا موضعه. ولكن لا بأس من إيراد لمحة خاطفة عنه، هي من مشاهدات أخينا الأحوازي سابق الذكر. يقول: كان الضباط الإيرانيون يوصوننا نحن الجنود: "إذا أمسكتم بأسير فاقتلوه، ولا تأتونا به". ورأيت بعيني كيف جاء الحرس الثوري الإيراني بمائة وثلاثة وأربعين أسيراً عراقياً، كانوا في حالة مزرية، والكثير منهم مصاب بحروق وجروح بالغة، حفاة ممزقي الملابس، يتلاوبون من العطش، يستسقون الماء فلا يسقون، والمسؤولون عنهم ينادون: "الماء محرم في حق هؤلاء"! وعلى جسر الخفاجية رأيتهم كيف قتلوهم وهم على هذه الحال! وأفرغوا في كل واحد منهم شاجوراً كاملاً وهم يقولون: قربان قربان!

فما هذا الحقد الذي صار به قتل العرب عند العجم قرباناً يتوسلون به إلى الله؟!

وصدق من قال: (ما حن عجمي على عربي قط ورب الكعبة)!

(٣)
عقدة الثأر والانتقام

مر بنا كيف ترسخت عقدة النقص في النفسية الفارسية، وكيف أنتجت هذه العقدة عقدة أخرى مدمرة هي عقدة القهر أو الاضطهاد. والمقهور بسبب عدم قدرته على تنفيس شحنته بمقابلة الأذى بالأذى، والرد بالمثل على من أساء إليه، يضطر إلى كبت هذه الشحنة، فإذا طال الزمن تراكمت الشحنات بعضها على بعض، وتغلغلت في (اللاشعور)، لتتولد عنها عقدة أخرى أكثر خطورة وتدميراً متى ما وجدت لها طريقاً للتنفيس أو الانفجار، هي عقدة الثأر والانتقام، الممتزجة بعقدة الحقد التي تولدت بالآلية نفسها، وتؤدي وظيفتها كالوقود الذي يغذي نار الثأر ودوافع الانتقام دون انقطاع. هذه هي نفسية (الفارسي) التي انتقلت بالحث والعدوى إلى المتشيع بتشيعه: نفسية ثأرية لا تهدأ أبداً، ولا تقر ما لم تنتقم ممن ترى أنه تسبب لها بالأذى أو الإهانة.

تغريدة الشيعة

ولأن الأمر متعلق بعقدة، والعقدة لا يمكن علاجها بالانسياق وراء نزواتها أو متطلباتها؛ لذلك لا ترى (الفارسي) تهدأ نفسه مهما لبى نداء عقدته فانتقم وأغرق في الانتقام! وهكذا تجد كلمة (الثأر) كثيرة التداول في قاموس الشيعة. انظر إلى شعاراتهم الأسطورية الخارجة عن العقل والشرع: خذ مثلاً شعار (يا لثارات الحسين!) الذي يرددونه في مسيراتهم، ويعلقونه على راياتهم، وينصبونه في المواسم فوق دورهم، ويترجمونه في ممارساتهم، التي ظهرت سافرة بعد الاحتلال. وقد أسسوا في العراق منظمة أسموها (ثأر الله). وهي إحدى منظماتهم الحاقدة التي تمارس القتل ضد أهل السنة، والشيعة المتحولين، وتتابع الضباط والطيارين العراقيين الذين حاربوا إيران ودفعوها عن وطنهم، بعد أن اعتقلت الآلاف من هؤلاء، مستغلة الانفلات الأمني الذي حصل بعد الاحتلال مباشرة، وجلبتهم إلى إيران. وهناك في الأحواز سجن كبير تبلغ مساحته (٥٠٠٠ م^{٢}) وضع فيه هؤلاء المختطفون، الذين يتعرضون بشكل دوري إلى تصفيات وإعدامات بالعشرات. ويجري هذا بصمت مطبق من جميع العالم، الذي ربما لا يعلم شيئاً عما يجري من جرائم وحشية بحق هؤلاء الأبرياء!

أما السفاح موسى الصدر مؤسس منظمة (أمل) فقد أعلن في يوم (١٨/٢/١٩٧٤)

أنهم "جماعة الانتقام"! وهكذا تجد هذه الكلمة هاجساً يراود نفوسهم، وتغريدة تتردد على ألسنتهم، في كل زمان ومكان.

الغليان والتعبئة النفسية الدائمة

مما يفسر هذه النفسية الثأرية قول الدكتور مصطفى حجازي: (الإنسان المقهور في حالة تعبئة نفسية دائمة استعداداً للصراع. نلاحظ ذلك في حالة التوتر العام الذي يبدو جلياً على محياه وفي حركاته. فلأقل الأسباب نجد العدوانية اللفظية تنفجر في سيل من الشتائم والسباب. كما أن الخطاب اللفظي سرعان ما يتدهور إلى المهاترة والتحدي والوعيد. فالانفعالية العاطفية تطغى على الحوار والعلاقة. والعقلانية سرعان ما تطمس، مما يقود إلى انهيار التفكير المنطقي ويحجب وضوح الرؤية ويشل القدرة على تفهم الآخرين، أو على تقدير الواقع بالموضوعية الضرورية. تطغى الانفعالات دون حدود تقيدها، طامسة ملَكة النقد. وهكذا لا يتمكن الإنسان المقهور من الاستمرار في جدل هادئ. زمن المنطق والعقلانية قصير جداً في تفاعله مع الآخرين. سرعان ما يحس بانعدام إمكانية التفاهم فتغشى بصيرته موجة من الانفعال. من الكلام يتدهور الحوار إلى السباب، ثم إلى التهديد، ثم يمر بسرعة إلى الاشتباك الذي يلغي كل تمييز. وتأخذ الأمور شكلاً قطعياً (إما شر كلها، أو خير كلها). وأحياناً ينفذ التهديد، باستخدام العضلات أو السلاح، بسهولة مذهلة (في فورة غضب). وذلك أن هناك إحساساً دفيناً بانعدام فعالية اللغة اللفظية وأسلوب الإقناع، فيتحول الأمر بسرعة إلى الحسم السحري (العضلي أو الناري) من خلال الإخضاع)[1].

عقيدة المهدي المنتظر

تأمل عقائدهم كيف تعبر عن عقدهم وأمراضهم!

من العقائد التي اخترعها الفرس تعبيراً وتنفيساً عن عقدة الحقد والثأر والانتقام عقيدة (المهدي المنتظر) ذات الطبعة والطبيعة الفارسية. اقرأ مثلاً هذه الروايات وتأمل كيف يتوجه هذا الحقد ضد العرب! وكيف أن (المهدي) الشيعي في حقيقته ما هو إلا فارس أحلام يلاعب أخيلة الفرس، يأتيهم في يوم من الأيام لينتقم لهم من العرب: يروي النعماني عن محمد الباقر (ع) أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس. أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يقبل منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو

---

[1] التخلف الاجتماعي ،ص١٨٤.

كان من آل محمد لرحم)[1].

ويروي محمد حسن الطوسي ومحمد باقر المجلسي أن المهدي إذا خـــرج (يبهــرج سبعين قبيلة من قبائل العرب)[2].

ويروي المجلسي عن جعفر الصادق (ع) أنه قال: قال لي أبي: (لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد وقال: ويل لطغاة العــرب من شر قد اقترب)[3].

ويروي النعماني وغيره عن أبي جعفر (ع) أنه قال: (يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدا، ولا تأخــذه في الله لومة لائم)[4].

وعن أبي عبد الله (ع): (ما بقي بيننا وبين العــرب إلا الــذبح وأومــأ بيــده إلــى حلقه)[5].

وعن أبي جعفر (ع) قال : (يذبحهم والذي نفسي بيده كما يــذبح القصــاب شــاته، وأومأ بيده إلى حلقه)[6].

حدثني صديق لي طبيب كان ضابطاً مجنداً في جبهة القتال أيام الحرب مع إيــران، عن مجموعة من الأسرى العراقيين الذين شاهدهم مذبوحين بالحراب ذبــح الخــراف، والمنظر البشع الذي انطبع في ذهنه عن وجوههم التي تجمدت على قســماتها تعــابير الرعب التي ارتسمت عليها جراء تلك الطريقة الوحشية في القتل والانتقام!

وصدق والي خراسان الأمير الأموي نصر بن سيار رحمه الله تعالى حين قال في أسلافهم الذين كانوا على عهده:

قــــومٌ يـــدينون دينـــاً مـــا ســـمعتُ بِـــهِ

عـــن الرســـولِ ولا جـــاءت بـــه الكتـــبُ

إن كنـــتَ تســـألُني عـــن أصـــلِ ديـــنِهِمُ

---

[2] الغيبة ص٢٣٣.

[1] الغيبة ، ص٤٧٥ ، بحار الأنوار ، ٣٣٣/٥٢.

[2] البحار ١٣٥/٥٢.

[3] الغيبة ص٢٣٣، البحار ٣٥٤/٥٢.

[4] الغيبة للنعماني ، ص٢٣٦ ، بحار الأنوار ، ٣٤٩/٥٢.

[5] الغيبة ، ص٢٨٤.

فـــــإنّ ديـــــنَهمُ أن تقتــــلَ العــــربُ

وقد أفاض شيخ معاصر من شيوخ الفرس هو الشيخ القمي علي الكوراني في كتابه (عصر الظهور) الحديث عن المجازر التي سيقوم بها مهدي المجوس عنـد ظهـوره خصوصاً في العراق الذي سيتخذ منه قاعدة لانطلاقه وعاصمة لملكه كما كان من قبل، ويلحقه من جديد بدولة فارس وإمبراطوريتها القادمة في أوهامهم! واستشـهد لكلامـه بروايات عديدة، فيقول:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال " إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان يتألف الناس. والقائم يسير بالقتل. بذلك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا. ويل لمن ناواه " البحار ج ٥٢ ص ٣٥٣ . والكتاب الذي معه هو العهد المعهود إليه من رسول الله بإملائه صلى الله عليه وآله وخط علي (ع) وفيه كما ورد " اقتل ، ثم اقتل ، ولا تستتيبن أحدا ". وعن الباقر عليه السلام قـال " يقـوم القائم بأمر جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد. ليس شأنه إلا السيف. ولا يسـتتيب أحدا، ولا تأخذه في الله لومة لائم " البحار ج ٥٢ ص ٣٥٤ ، والأمـر الجديـد هـو الإسلام الذي يكون قد دثره الجبابرة وابتعد عنه المسلمون، فيحييه المهدي عليه السلام ويحيي القرآن، فيكون ذلك شديدا على العرب الـذين يطيعـون حكـامهم وطغـاتهم ويعادونه ويحاربونه عليه السلام .. وتذكر بعض الأحاديث أن الأمر يصل أحيانا إلـى إبادة فئة بكاملها. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال " ثم يتوجه إلى الكوفـة فينـزل بها، ويبهرج دماء سبعين قبيلة من قبائل العرب " غيبة الطوسـي ص ٢٨٤، أي يهـدر دماء من التحق من هذه القبائل بأعدائه والخوارج عليه... ويذكر بعـض الروايـات، البحار ج ٥٢ ص ٣٧٧ ، نوعا آخر من عمليات التصفية الكبيرة هذه (والرواية فيهـا إبادة مدينة في العراق بكاملها يقول الكوراني عنها) ولا بد أن تكون تلك المدينة كلهـا من الكافرين أو المنافقين المعادين له عليه السلام حتى يأمر بقتل رجالهـا. ولا بـد أن تثير هذه التصفيات الواسعة موجة رعب في داخل العراق وفي العالم ، وموجة تشكيك أيضا... بل ورد أن بعض أصحابه الخاصين عليه السلام يدخلهم الشك والريـب مـن كثرة ما يرون من تقتيله لمناوئيه، فيفقد أحدهم أعصابه ويعترض على المهـدي عليـه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال " يقبل القائم حتى يبلغ السوق، فيقول لـه

رجل من ولد أبيه: إنك لتجفل الناس إجفال النعم، فبعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو بماذا ؟ قال وليس في الناس رجل أشد منه بأسا، فيقوم إليه رجل من الموالي فيقول له: لتسكتن أو لأضربن عنقك. فعند ذلك يخرج القائم عليه السلام عهدا من رسول الله صلى الله عليه وآله " البحار ج ٥٢ ص ٣٨٧. ومعنى من ولد أبيه أنه علوي النسب[1].

بعد الاحتلال (الصليبي – المجوسي) للعراق

وقد تجسمت عقدة الثأر والانتقام جلية لكل ناظر بعد الاحتلال الثلاثي (الصليبي- اليهودي- الفارسي) للعراق، وخصوصاً حين استلمت قائمة السيستياني الحكم في العراق، التي أفتى بدخول النار في حق كل من لا ينتخبها. لقد ارتكبت من المجازر، ومارست من التعذيب السادي الوحشي ما تقشعر له الأبدان! وقد حازت هذه الحكومة الشعوبية بامتياز براءة اختراع القتل بالمثقاب الكهربائي المعروف بـ(الدْرَيل) حتى أطلق عليها البعض اسم (حكومة الدريل)!

وإليكم لقطة مصغرة جداً لا ترى إلا بالمجهر الضوئي عن أساليب الشيعة الوحشية في القتل، وقد ارتكبوا مثلها وما هو أبشع منها عشرات الآلاف من الجرائم التي تعبر أصدق تعبير عن عقدة الثأر والانتقام المتأصلة في نفوسهم الخربة:

في حي أبو دشير في الدورة، وفي يوم (٢٠٠٥/١٢/١١) الساعة العاشرة مساءاً، قامت قوة تابعة لوزارة الداخلية الصولاغية[2] باعتقال أحد عشر شاباً من أهل السنة. وفي صباح اليوم التالي – وبعد مضي ٨ ساعات فقط ! – عثر على جثث أربعة منهم وقد أذاقوهم – قبل أن تفيض أرواحهم البريئة وهي تشكو إلى باريها ظلم العباد وخراب البلاد – صنوف العذاب والتنكيل، ومثلوا بهم تمثيلاً بشعاً. وها هي صورهم البشعة المشوهة بالجروح والملطخة بالدماء أمامي منشورة في جريدة البصائر التي تصدرها هيئة علماء المسلمين. لقد ثقبت وجوههم ورؤوسهم بالدريل، وقلعت عين واحد منهم، وآثار الضرب المبرح على أجسادهم، وقد تم كيّ بعضهم بالمكواة الكهربائية، واستخدمت الحبال لتعليقهم بالسقف وشنقهم، ثم أنهوا هذا المشهد (الترفيهي)

---

(١) عصر الظهور ، ص١٨٠-١٨٤ ، علي الكوراني.

(٢) نسبة إلى الإيراني باقر جبر صولاغ وزير الداخلية.

بإطلاق الرصاص على رؤوسهم. وألقوا بجثثهم في مكان ليس بعيداً من دورهم، بالقرب من المقر الذي تتخذه تلك المليشيات وكراً لها ، وتركوا معها كتابات تنضح بالتشفي والشهوة المحمومة بالانتقام: (هذا مصير كل سني قذر)[١]!!! وأدناه صور الضحايا:



[١] وقعت هذه الحادثة قبل أن تنفلت الوحوش الشيعية تماماً من عقالها، وتصبح جرائمها أبشع ، وأشد وعلى المكشوف ! رحم الله تلك الأيام.





وصدق الله تعالى إذ يقول:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ).

ثم يقول أصدق القائلين في ختام السورة التي بعدها:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) (الطارق:١١-١٧).

ونحن بالانتظار.

(٤)

عقدة الاعتداء (العدوانية)

سأقف عند هذه العقدة أكثر من غيرها لحاجتها المتشعبة إلى البحث، ولأهميتها القصوى؛ فهي أكثر العقد الفارسية خطراً ومساساً بالغير.

العامل الجيو – سياسي

(الفارسي) – كاليهودي – عدائي مخرب بطبعه! وللأسباب الجيوسياسية التي سبق الحديث عنها نجد أن الاعتداء على الغير – مع الادعاء، في الوقت نفسه، أن الغير هو المعتدي – هو الأساس الذي بنى عليه الفارسي كيانه ووجوده. إن ذلك يهيئ له حجة جاهزة، ووسيلة فعالة مناسبة يحشد بها شتات الشعوب المتنافرة تحت سيطرته ويوجه أنظارهم نحو الخارج، وإلا تفككت البنية السياسية للدولة وخرجت عن قبضته؛ لأن تلك الشعوب ستتوجه أنظارها إليه، وتنشغل به عن الآخرين؛ ما يؤدي إلى سقوطه حتما لوجود خلل حقيقي في ميزان القوى لديه هو غير قادر على تجنبه أو تلافيه.

وإلى هذه الحقيقة أشار البروفسور عماد عبد السلام – وقد سبقت إشارته – حين قال: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي وإثارة شعور التوجس لديها من خطر ما يأتي من الخارج) (وعليه فقد وظف الفرس التحديات المختلفة في المنطقة لصالح تأكيد هيمنتهم على قوميات ما عرف بإيران).

اعتداء منهجي مقصود

والاعتداء عند الفارسي يصدر عن سابق قصد وخطة مدروسة. وقد لا يتورعون عن التصريح بها! نشرت صحيفة كيهان الإيرانية الرسمية نص خطاب قائد قوات الحرس محسن رضائي أمام المؤتمر الوطني للطلاب في ١٩٨٥/١١/٣م ، جاء فيه: (في كثير من المواقع نحن نعمل هذه الأيام من خلال الإرهاب بدلاً من النهج الثوري والثقافة السياسية. لقد نشرنا إرهاباً مكننا من التحكم في المعارضين. وإذا ما رفع هذا الإرهاب فإنهم سيستعيدون حيويتهم، ويبدأون في تهديدنا. ويجب أن نلتمس الأسباب لرد الفعل هذا، وأن نقرر الحلول. يجب أن نعرف كيف نبني دولة إسلامية)!!!

العلاقة مع بقية العقد

الفارسي إذن لا يكون إلا عدائياً. لقد ترسخت الصفة، وأمست لازماً من لوازم وجود الموصوف. فولدت العقدة. ولا بد للعقدة أو الصفة الراسخة من صفات أخرى تغذيها وتنميها وتمنحها مشروعية التعبير، ولو بصورة مبطنة. مثل الكذب الذي يكون ضرورياً في تصوير المعتدى عليه في صورة المعتدي، والمعتدي في صورة المظلوم المضطهد. وعقدة الشعور بالاضطهاد التي لا بد منها لإسناد الكذب نفسيا ومعنويا من أجل شرعنة الرد على الاعتداء المفترض وتبريره. وعقدة الدون التي تجعلهم يحسون بتخلفهم الحضاري والمادي تجاه من يتفوق عليهم (ويتخذ ذلك وضعا حادا ينعكس على شكل رد فعل غير حضاري يستهدف تدمير الحضارة فيه).. وهكذا تتلاقح العقد فيما بينها وتتزاوج، وتبيت محضنا لتفريخ عقد أخرى **(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)** (الشورى:٤٠).

الإحباط أمام الاجتياح الحضاري العربي الإسلامي

بعد مجيء الإسلام (تعرض العقل الفارسي القديم إلى إحباط عنيف أدى إلى إعادة تغيير منظومة الروابط والبنى العقلية لإنتاج سلوك خاص . ولم تكن هذه الاستجابات الإحباطية بموجبها لغرض امتصاص الحضارة العربية والعقيدة الإسلامية والانتماء الصادق إليها، بل لغرض الوقاية منها والابتعاد عن تأثيرها كلما أمكن ذلك... ومن الاستجابات الأولية أمام الإحباط هي العدائية. ولما كان العدوان المادي والحربي قد فشل بعد الفتوحات الإسلامية فإن العقل الإيراني راح يبحث عن وسائل الهدم والتحطيم والعنف لتهديد الكيان العربي – الإسلامي وقد وجد لذلك عدة طرق شعورية ولا

شعورية. فالشعورية منها كانت مخططة مدبرة... واللاشعورية منها كانت انفعالية نزقة هوائية)[1].

الإحباط الناتج عن عقدة النقص وعقدة الاضطهاد

أفاض د. مصطفى حجازي في تحليل هذه العقدة، وتفسير كيفية نشوئها وتكونها. فبين أن هذه العقدة ترجع إلى عدة جذور عقدوية: أولها (عقدة النقص) التي يتولد عنها الشعور بانعدام القيمة، والفشل في تحقيق الذات. وحتى يهرب صاحب هذه العقدة من أن يتوجه باللوم والعقاب إلى نفسه، يكون الحل بالبحث عن ضحية (يُسقِط) عليها مشاعر الإدانة الذاتية والشعور بالذنب، يتهمها بما في ذاته؛ فيكون الاعتداء عليها مبرراً ومشروعاً. أما الحقيقة فإنه يحارب الصورة غير المقبولة عن ذاته. ليؤكد هذه الذات عن طريق الشعور بالقدرة على إيقاع الأذى بالآخر. وهكذا يصبح العدوان جزءاً من الشخصية، ويتحول إلى عقدة.

والشعور بالإحباط بسبب (عقدة النقص) و(عقدة الاضطهاد) من أقوى الأسباب التي تنشأ عنها (العدوانية).

يقول د. حجازي: (كل توتر عدواني ينتج عن الإحباط . شدة العدوانية تتناسب مع شدة الإحباط من ناحية، وقوة الحاجة المحبَطة من ناحية ثانية. تزداد العدوانية مع نمو عناصر الإحباط. صد العدوانية (إحباطها) يولد عدوانية لاحقة، بينما يخفف تفريجها من شدتها بشكل مؤقت أو دائم. صد أفعال العدوانية الموجهة يشكل إحباطاً جديداً ينتج عدوانية موجهة لمصدر الإحباط، يزيد قوة الدفع نحو أشكال أخرى من العدوانية التي تنتشر عندها لتنبث في مختلف النشاط وأوضاع الوجود)[2].

الطبيعة السادو– مازوشية

تكلم د. مصطفى حجازي كثيراً عن عقدة الاعتداء، ووقف عندها طويلاً وهو يدور حولها من زاوية إلى زاوية. إنها عميقة الغور في النفسية الاضطهادية، ومتعددة الجوانب. تتلخص علاقة هذا الصنف بغيرهم في كونها علاقة عدم أو وجود. ليس

---

[1] الحقد الفارسي لماذا ؟ ص١٥٥ المقدم عبد الجبار محمود السامرائي.

[1] التخلف الاجتماعي ، ص١٩٧–١٩٨.

هناك من وسطية أبداً. لا يعرف الواحد من هؤلاء أن يسير في طريق جنباً إلى جنب مع الآخرين. فإما أن يركب على أعناقهم، وإما أن يركبوا على عنقه.

في تحليل عميق لنفسية الدوني ، والأسباب الكامنة وراء ميله الشديد إلى الاعتداء وممارسة العنف البالغ القسوة تجاه الآخر. والذي من خلاله نفهم سر العدوانية العنيفة، واللهفة الساديّة التي تجتاح القوى الشيعية ومليشياتها المتخفية وراء القانون، والاندفاع الجامح لسفك دماء أهل السنة ، ومحاولة استئصالهم من العراق اليوم ، بدلاً من توجيه القوة والعدوان تجاه الهدف الصحيح، ألا وهو المحتل الصليبي وظهيره المجوسي. يقول د. حجازي:

(نظام التسلط والقهر يأخذ على مستوى اللاواعي شكل العلاقة السادو- ماسوشية. هناك من ناحية طرف قاسٍ، ظالم، مستبد، ينزل الأذى والعذاب بضحيته، لا يستطيع أن يحس بالوجود إلا من خلال تبخيسها، وتسبب الآلام لها. لا يحس بالقوة إلا من خلال التحقق من ضعف الضحية الذي كان هو سببه. هذا الطرف المتسلط لا يستقر له توازن إلا حين يدفع بذلك المقهور إلى موقع الرضوخ العاجز المستسلم، إلى الموقع المازوشي. جوهر السادية ولبها هما علاقة سطوة، لا يستطيع المتسلط السادي أن يكون إلا من خلال التعزيز الدائم لسطوته. وهذه لا تتعزز إلا بمقدار إضعاف الطرف الآخر في العلاقة، تحطيمه والاستحواذ الكلي عليه. وتصل غايتها عندما يعترف هذا الطرف المازوشي بسطوة السادي، ويقر بعجزه إزاءه. الرباط الإنساني يأخذ في هذه الحالة منحى العنف والعدوانية عوضاً عن الحب ، ويأخذ منحى سيادة الأنوية بدل توازن التعاطف والاعتراف المتبادل.

السادية في الأصل عدوان قبل أن تكون جنساً. والمازوشية معاناة مادية وجسدية ومعنوية قبل أن تكون تلذذا جنسياً بالألم كما كان يشيع من آراء. وأهم من المازوشية المادية، المازوشية المعنوية، أي وضعية الرضوخ والاستسلام للمهانة والتسليم بالضعف الذاتي وبسطوة السادي. ويرتبط السادي والمازوشي معاً في علاقة موقعية تحدد لكل منهما مكانته. وتستمد كل من السادية والمازوشية زخمها الحيويين من نزوة الموت، بما تتخذه من أشكال العنف والعدوان، فمصدرها النزوي واحد دائماً. العنف والعدوانية يتوجهان إلى الخارج، منزلين الأذى بالضحية عند السادي، بينما يرتدان إلى الذات التي ترضخ للأذى، إذا لم تستنزله عند المازوشي. وكل من هاتين الوضعيتين

دفاع ضد الأخرى. فالسادي يعنف ويقسو هرباً من مازوشيته الداخلية، من مشاعر الذنب التي تقض أعماق وجوده. وكلما زادت قسوته دل ذلك على شدة ذعره من أن ترتد عدوانيته إلى ذاته فتدمرها. السادي يتنكر لمازوشيته من خلال إلحاق كل الأذى بضحيته التي تجسد ما يخشاه من نفسه، وما يتنكر له من خلال صد قلق ساديته التي يخشى توجهها إلى الخارج، وإفلاتها من سيطرته بشكل يدمر الآخر وبالتالي يدمر الذات معه. المازوشي هو إنسان يعجز عن تحمل نتائج ساديته. ومن هنا تبدو له الأخطار الخارجية مضخمة، وتبدو له سطوة التسلط دون حدود، ولا وهن يمكن التصدي لها من خلاله. ويتناسب عجزه ومهانته بمقدار تضخم هذه الأخطار. المازوشي يمكن أن ينقلب عدوانياً، والراضخ يمكن أن يتحول إلى متمرد، يحطم سطوة المتسلط حين يتجرأ على تحمل تبعات عدوانيته)[1].

البحث عن الذات: أنت تتألم؛ إذن أنا موجود

ويقول في موضع آخر: (يكمن جوهر السادية في البحث اليائس عن الأنا، في الحاجة إلى توكيد الذات، في دفع الآخر للاستجابة إلى حقيقتك الذاتية: هذا أنا ، أنا هنا، يقول السادي: يجب أن تلاحظ وجودي، إذا لم تلاحظه بمحبتي فعليك أن تدركه من خلال ألمك، إني أنا من يجعلك تتألم. بألمك تعترف بوجودي الذي يصبح أكثر واقعية بمقدار ما تكبر معاناتك... ما يود السادي الوصول إليه هو إذن نشوة الجبروت من خلال مسح وجود الآخر. بذلك فحسب يطمئن إلى قوته غير الواثق منها، ويخفف من حدة قلقه)[2].

من أوضح الأمثلة على الطبيعة السادو – مازوشية الممارسات الوحشية للقوى الشيعية المستقوية بالمحتل ضد أبناء السنة والمجاهدين منهم على الخصوص. إن هذا يكشف عن أحد أهم الدوافع وأعمقها في النفسية الشيعية الاضطهادية، التي تجعل أصحابها يمارسون هذا العنف الوحشي الخالي من الإنسانية ضد المواطنين المخلصين في وطنيتهم، والمدافعين عنها بأرواحهم. إن الشعور الساديّ عند الشيعي لا يتوجه إلى المحتل خوفاً من العواقب، بل ينقلب إلى خضوع إلى حد المازوشية؛ إخفاءً لمشاعره

---

[1] المصدر السابق ، ص ٨٩-٩٠.

[2] أيضاً ، ص١٩٨-١٩٩.

التي يخشى انطلاقها ضده حتى لا تحطمه إذا اصطدم بالمحتل الذي يخشاه خشية مضخمة، وفي الوقت نفسه يحول عنفه وساديته ضد الآخر الذي يستضعفه مستقوياً بالمحتل لا بقوته الذاتية. وفي هذا تصريف لمشاعر القلق من مواجهة الذات بالحقيقة المرة وهي خوفه وانهزامه المشين من العدو الحقيقي. وفيه بالإضافة إلى ذلك نوع من الشعور بالكبرياء والتعالي، من خلال صب العار على الضحية. وفيه أيضاً إسقاط لمشاعر الذنب الذاتية التي لا بد أن تصاحب الإحساس بالفشل والمهانة عند الإنسان المقهور، والتي تظل عادة مكبوتة، على العنصر المتمرد: هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب.

التوحد بالمعتدي

تتولد (العدوانية) كذلك من خلال (عقدة الاضطهاد) ، ودور حيلة (التماهي – أو الذوبان والتوحد – بالمعتدي ، أو المضطهِد) التي يمارسها الإنسان الاضطهادي. وهنا (يتخلص الإنسان المقهور من مأزقه من خلال قلب الأدوار. يلعب دور القوي المعتدي، ويسقط كل ضعفه وعجزه على الضحايا الأضعف منه. الآخر الشبيه به هو المذنب، وهو المقصر، وهو بالتالي يستحق الإدانة والتحطيم. من خلال التماهي بالمعتدي يستعيد الإنسان المقهور بعض اعتباره الذاتي، أو على وجه الدقة يصل إلى شيء من وهم الاعتبار الذاتي . كما أنه يتمكن من خلال هذه الأوالية من تصريف عدوانيته المتراكمة والتي كانت تتوجه إلى ذاته، فتنخر كيانه وتحطم وجوده. هذا التصريف للعدوانية بصبها على الخارج من خلال مختلف التبريرات التي تجعل العنف ممكناً تجاه الضحية، يفتح السبيل أمام عودة مشاعر الوفاق مع الذات، شرط التوازن الوجودي. وتشتد الحاجة للضحايا بمقدار ازدياد العدوانية وتوجهها نحو الخارج، ومقدار النقص في الوفاق مع الذات)[١].

أما التحليل الآتي فيمثل تفسيراً نفسياً، يمكن على ضوئه أن نفهم هذا الدافع الشاذ من الدوافع المشتركة في تكوين الشخصية العدوانية لدى الجمهور الشيعي. ولماذا برز هذا العنصر العدواني الفاشستي بعد الاحتلال الصليبي المجوسي للعراق، وانتماء الشيعة إلى القوى المحتمية به، وتقليدها له حتى في مظهره بدءاً بالنظارة التي توضع

---

[١] أيضاً ، ص.١٣٣

على العينين، وانتهاءاً بالبسطال في الــرجلين. ولمــاذا كــان أفــراد القــوة المســماة بـــ(الحرس الوطني)، وقوى الأمن الداخلي أشد قسوة على أهل السنة من أفراد المحتل الأمريكي نفسه؟ حتى صار الأمريكان يهددون من يستعصـــي علـــيهم بإيكـــال أمـــره وتحويل مصيره إلى (الحرس الوطني)[1]!

يقول د. حجازي: (في كل حالات التماهي بالمعتدي يحدث قلب في الأدوار تتحول الضحية إلى معتد من خلال نقل دور الضحية أو وضعيتها إلى شخص آخــر يفــرض عليه الدور المزعج، ويصبح موضوعاً للتشفي من ناحية، وللتنكر من المخاوف الذاتية من ناحية ثانية: أنا لا أخاف، أنا أخيف. هو يخاف، أنا أخيفه. هذه الوضــعية الذاتيــة تؤدي إلى التخلص من كل المخاوف ومشاعر الضعف الداخلية أو كل مشاعر الــذنب الذاتية. فليس أكثر قسوة من المعلم الظالم إلا التلميذ الذي يوكل إليه هذا المعلــم حفــظ النظام في الصف. وليس أكثر شططا من الأم المتشددة إلا الطفل الذي يعاني مشـــاعر الذنب ويصبها على أخ أصغر، بينما يلعب هو دور الأم التي تحاسب وتعاقب. وسنرى كيف أن أزلام المتسلط وأدواته، هم في أغلب الأحيان أشد قسوة وتطرفا في تعـــاملهم مع الإنسان الضحية الذي فرض عليه دور المقهور)[2].

من مظاهر التوحد بالمعتدي أو المتسلط

---

[1] كتبت هذا أيام كانت قوة (الحرس الوطني) سيدة الساحة. أما الآن فـــالأمر اختلـــف بعـــد تـــولي الأصولي الشيعي إبراهيم الأشقوري، وأخيه الأصولي الأخر الإيراني جبر صولاغ وزارة الداخليـــة، ومجيء ما يعرف بـــ(حكومة الدريل) إلى السلطة. تصور..! لقد صرنا نترحم على أيـــام العلمـــاني الشيعي أياد علاوي الذي أباد الفلوجة، وأيام (الحرس الوطني)!!! إن قوى وزارة الداخلية، كالشرطة، والمغاوير، وحفظ النظام، وغيرها من المسميات، أكثر سادية ووحشية؛ بسبب قيادتها الدينية (حـــزب الدعوة، ومجلس محمد باقر الحكيم الإيراني)، وبسبب تركز الشيعة فيها أكثر ممـــا هـــم عليـــه فـــي تشكيلات (الحرس الوطني). ثم ازداد الوضع سوءاً للأسباب نفسها، في ظل الحكومة الجديدة، حكومة المالكي نائب الجعفري في قيادة حزب الدعوة.

ملاحظة مهمة/ كتبت ما سبق أيام حكومة الجعفري، واليوم نحن في عهد حكومة صـــاحبه نـــوري المالكي. اليوم نحن نترحم على عهد الحكومة السابقة!! ولا يأتي عليهم زمان إلا والذي بعده شر منه!

[2] أيضاً ، ص١٢٩ .

يقول د. حجازي: (مظاهر التماهي بعدوان المتسلط متعددة ومجالاته متنوعة، نجدها لدى من سنحت له الظروف كي يمارس سلطة على أناس دونه أو أضعف منه. كما نجدها عند من يلتمس حظوة من خلال التقرب من المتسلط . وهي في أبسط مظاهرها تبدأ بذلك التعالي الذي يظهره الفقير تجاه الأفقر منه، والبائس تجاه من هو أشد بؤساً منه. في ذلك التعالي يحاول أن ينكر مهانته الذاتية بصبها على الآخر. ومن مظاهرها أيضاً كل التصرفات الاستعراضية للقوة، أو لرموز القوة أو حتى لوهم القوة، سواء من خلال حمل السلاح واستعراضه دونما حاجة فعلية إليه، أو من خلال استعراض العضلات. وقد لا تتجاوز حد المباهاة والتعالي من خلال التخريف والادعاءات المتفاوتة بقوة أو منعة. في كل هذه الحالات ينخرط الإنسان المقهور في حرب ضد خطر الإحساس بضعفه الذاتي والموقعي، وفي محاولات دائبة لطمس هذا الضعف. إلا أن هذه المحاولات ليست خطيرة عموماً في نتائجها وآثارها. هناك حالات يبرز فيها التماهي بعدوان المتسلط صارخاً مكوناً نوعاً من الآفة الاجتماعية والمأساة العلائقية، سنتحدث عن ثلاث منها.

الحالة الأولى ذات الانتشار المحدود نراها في ظاهرة تسلط بعض (القبضايات) على الأفراد والمؤسسات لفرض الخوّة من خلال الابتزاز والتهديد. الواحد من هؤلاء يغطي ضعفه وهوانه الاجتماعي من خلال لبس جلد التمساح والاحتماء وراء مظاهر القوة العضلية والمسلحة يتخذها لنفسه ويهدد بها من حوله...

أما الحالة الثانية للتماهي بعدوان المتسلط ، فهي أكثر انتشاراً وشيوعاً ، نجدها خصوصاً في الأجهزة التي تشكل أدوات السلطة، سواء في الإدارة أو في أجهزة الشرطة والأمن. إن العلاقة بين المواطن وبين من يعملون في هذه الأجهزة على اختلاف رتبهم ومكاتبهم تشكو في البلد المتخلف من ظاهرة التماهي بعدوان المتسلط ...

هناك حالة ثالثة من التماهي بالمتسلط ، نجدها في الممارسات السياسية والمسلحة التي تفتقر إلى هدى تنظيم وتأطير ثوريين حقيقيين.

ما حدث على الساحة اللبنانية يعطينا نماذج واضحة عن تلك الممارسات. المقاتل الذي يحمل السلاح نجده في بعض تصرفاته لا يقف موقفاً نضالياً، بل هو يتصرف تبعاً لنموذج المتسلط الذي عانى منه سابقاً. بدل أن يعامل الجماهير برقة وروح أخوية نراه يتعالى عليها معطياً لنفسه مكانة مفضلة، ومقدماً ذاته على الآخرين. لقد تحول من خلال حمل السلاح من إنسان مقهور إلى آخر متفوق، يلعب دور المتسلط الصغير أو

الكبير[1]. كما أن الكثير من العلاقات المرتبية بينه وبين رؤسائه ومرؤوسيه تأخذ شكل العلاقة بين المتسلط والتابع: تعالٍ من ناحية ورضوخ من ناحية ثانية. وأما التصرفات الاستعراضية فهي في هذا المجال أكثر من أن تعد. نجد الواحد من هؤلاء يتباهى مختالاً باستعراض قوته المستجدة متمسكاً بالمظاهر بشكل يتنافى مع الروح النضالية الحقة التي تتصف بالكثير من التواضع تجاه الجماهير...[2] الإنسان المقهور من هذه الناحية كائن مزيف فقد هويته وأضاع أصالته ووجد نفسه عارياً أمام غربته عن نفسه. وهو يحاول بشتى الأساليب ومن خلال مختلف الأقنعة أن يجد هوية بديلة، وأن يحصل على وهم الوجاهة. التزييف الوجودي وما يقابله من أقنعة يمس كل شيء في حياته والنماذج عليه لا حصر لها)[3].

شرعنة الاعتداء

يقول د. حجازي : (على النقيض من الحب والخير والقيمة المطلقة التي تكتسبها الجماعة، تبخس الجماعات الخارجية (المختلفة قومياً أو عرقياً أو طائفياً) من خلال

---

[1] هذه ملاحظة مهمة يمكن أن نفهم من خلالها بعض التصرفات غير السوية لدى بعض الأفراد المنتسبين للمقاومة، ممن لم ينضجوا بعد، أو لم يتربوا التربية الإسلامية الصحيحة. وتستدعي عناية خاصة من قادة الجهاد والمقاومة لإرشاد أتباعهم إلى السلوك السليم وتغيير مفاهيمهم وعوائدهم التي درجوا عليها، واكتسبوها من خلال التفاعل المتبادل القديم مع المجتمع الاضطهادي التسلطي، حتى لا تنحرف المقاومة وهي لا تشعر، أو تضل عن أهدافها المرسومة، فتمارس الدور – حين تؤول إليها الأمور، كلياً أو جزئياً – بالأسلوب نفسه الذي كان يمارسه المتسلط القديم. يقول د. حجازي (ص١٤١) بعد كلام طويل: يخلق التماهي بالمعتدي آيدلوجية مضادة للتغيير الاجتماعي الجذري. تلكم إحدى أبرز مشكلات البلدان النامية وأكثرها خطورة. فالعديد منها تمكن من اجتياز مرحلة التحرر الوطني، ولكن معظمها يتخبط أمام مهمات التغيير الاجتماعي الفعلي، ويعاني من الفشل الذريع فيه، مما يجعلنا الآن نتابع مشهداً بائساً على امتداد العالم الثالث. فقد اتضح أن القدرة على التحرر الوطني لا تتضمن بالضرورة ولا تقود حتماً إلى عملية التغيير الاجتماعي المبتغاة. وليس هناك من مجال للدهشة بهذا الخصوص، فالسبب، أو أحد الأسباب الأساسية في نظرنا، وإذا ما وضعنا مصالح الفئة الحاكمة جانباً، يكمن في تغلغل التماهي بالمتسلط بمختلف صوره ودرجاته في نفوس معظم القادة وغالبية المسؤولين، والقطاع الأوسع من الجمهور.

[1] أيضاً ، ص١٣٣– ١٣٦.

[2] أيضاً ، ص١٣٨.

إسقاط كل العدوانية عليها. وهكذا تصبح جماعة غريبة، ومصدر كل سوء، صورة الشر بعينه، منبع كل تهديد للجماعة النرجسية. الجماعة الغريبة من خلال تجذير الاختلاف بينها وبين الجماعة الأولى المتعصبة، تصبح العقبة الوجودية الأساسية التي تقف في سبيل وصول هذه الأخيرة إلى أهدافها في الرفعة والمنعة وتحقيق الذات. إنها تحمل كل الآثام والأوزار، في حالة من تفريغ كل المسؤولية الذاتية وكل السوء والشرور عليها.

عند هذا الحد تنهار علاقة التعاطف والمشاركة في المواطنية. وتفتح الطريق عريضة أمام صب كل العنف على الجماعة الغريبة دون قيد أو ضابط . تحدث استباحة لها، ولكيان أفرادها، الذين يتحولون إلى مجرد أساطير للسوء والشر يجب القضاء عليها بإبادتها دون هوادة. ويفتح باب المجازر الدموية على مصراعيه وبشكل مذهل . فالجماعة المتعصبة فيما تقدم عليه من مجازر لا ترتكب إثما بحق إنسان لهم كيانهم، بل إنها تقوم بواجب الدفاع المشروع عن النفس. وأكثر من هذا تقوم بواجب القضاء على الأوبئة التي تقف في سبيل تقدم البشرية. مجازر الدم والإبادة، تتحول إلى عمل نبيل في وهم وقناعات أعضاء الجماعة المتعصبة. فالأمر لا يعدو مجرد قضاء على رموز مجسدة في أناس من الجماعة الغريبة، التي تحاط بمجموعة من الأساطير، تنتزع منها انسانيتها)[١].

إن هذا يفسر الصورة الشاذة التي عليها القوى الشيعية اليوم، التي أمسكت بزمام الحكم في العراق من خلال مليشياتها، ومن خلال قوى الأمن والشرطة والجيش! كيف يمارسون تعذيبهم الوحشي لأهل السنة وهم في حالة من التلذذ السادي والنشوة الغريبة! وكيف يقيدون الأبرياء الذين يعتقلونهم (على الهوية) بل (على الاسم)! ويضعونهم في السيارات وهم يطلقون الهتافات و(الهوسات) الشعبية معلنين نصرهم على (الإرهاب)، وأحياناً يصرحون باسم أهل السنة، أو يغلفونه بلفظ (الوهابية)! وكيف يهجمون على المدن السنية بملابس (الحرس الوطني) أو الجيش يرددون الهتافات نفسها وكأنهم لا يقتلون أبناء بلدهم، وإنما يطاردون عصابات الغازي الأجنبي، وفلوله الكافرة، أو هم في يوم الانتصار على اليهود وتحرير بيت المقدس الذي لا يخطر لشيعي متمجس على

---

[١] أيضاً ، ص١٨٨-١٨٩.

بال! وفي الوقت نفسه (يُسقطون) سلوكهم ومقاصدهم المنحرفة على أهل السنة كذباً وتزويراً ليقولوا: إن الوهابيين والتكفيريين يقتلون الشيعة (على الهوية)!

تشييء الآخر

ويواصل د. حجازي قوله: (يقابل هذه التطورات الذاتية تغير حثيث في إدراك الآخر، من خلال مجموعة من الأساطير التحقيرية. فالاتجاه الإنصافي لا يستمر إلا من خلال التحقير الثابت للضحية. يصف (اينار) بشكل رائع عملية التحقير هذه ((في الجريمة يتحول الآخر إلى أُسطورة (أسطورة الخيانة ، السوء ، الحسد ، الاضطهاد ، انعدام القيمة، الخ ...) الشخص الحقيقي المقصور ينمحي تدريجيا في حالة من التعامي الموجه والموافق عليه عن إنسانيته)).

يفقد الآخر حقيقته كشبيه إنساني (في عيني القاتل) متحولاً إلى أسطورة لا واقعية تبرر بتصرفاتها أو خصائصها الاعتداء عليها، يتحول إلى أسطورة العقبة الوجودية، أو السوء، أو انعدام القيمة. هذه الأسطورة تؤدي إلى تغيير شخصية القاتل وتبرر له اتجاهه الانصافي. وبمقدار ما تحقر الضحية ، وتتحول إلى أسطورة ، يزداد تسلط حق القاتل في القتل.

تصل عملية التحقير هذه حداً بعيداً فتُحمّل الضحية المقبلة كل الأوزار والصفات المنحطة، يعبر عنها أولاً بالسباب والشتائم، ثم بالنعوت المتصاعدة في تبخيسها. وقد يعمم الأمر من المستوى الفردي إلى مستوى كوني : الضحية كائن خطر على الجميع ويجب القضاء عليها . ولذلك يبدو القتل عندها في نظر القاتل كشيء طبيعي ، تفرضه الظروف وله ما يبرره دون أن يثير أي إحساس بالندم.

في هذه الكارثة العلائقية تتحول الضحية أسطورياً باختزال عادي في ذهن المعتدي لا إلى مستوى الشيء فحسب، ولكن إلى مستوى الشيء حامل اللعنة الذي يجب تحطيمه، الآخر المحقر، يحتل في ذهن المعتدي دلالة العقبة الوجودية التي تسرق له حقه في السعادة، حقه في الاستقلال، حقه في الحرية الخ... ولذلك يصبح فعل القتل، لا فقط بريئاً من الإثم ومبرراً فحسب، بل مطلوباً كواجب نبيل هو الدفاع عن الذات وكرامتها وقدسيتها، أو الدفاع عن الجماعة وقيمها. أو حتى الدفاع عن الحضارة والإنسانية من العناصر المخربة الهدامة. وهكذا يبدو العنف التدميري كضرورة مبررة

لا بد منها لإعادة الأمور إلى نصابها كواجب على المرء النهوض به من اجل بدء وجود جديد لا تسممه ولا تعرقله الضحية – العقبة الوجودية)[1].

دور حيلة (الإسقاط) النفسية

ثم يربط الموضوع كله بحيلة (الإسقاط) ، ويبين دورها في تأجيج عقدة العدوانية وترسيخها، وكيف توجه إلى الآخر فيقول:

(الإسقاط منتشر جداً في العلاقات بين الناس (خصوصاً المهنية والحزبية) فيما يتعلق بمصدر السوء والشر والعدوانية: الآخرون هم المخطئون. في الإسقاط تحول النزوة العدوانية إلى الخارج، وفي مرحلة تالية نتخذ من هذا الخارج هدفاً لصب عدوانيتنا المتبقية. في اتهام الآخرين نجد راحة مزدوجة: تصريف العدوان بصبه عليهم (الانتقاد) وإثبات البراءة الذاتية (نفي تهمة العدوان عن الذات)، ذلك ما يحدث في التعصب الديني والطائفي والسياسي. ليست العدوانية وحدها التي تسقط على الخارج، بل أيضاً مشاعر الذنب (الآخر هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب) ، ومن هنا تصبح العدوانية الذاتية مشروعة ومبررة، إنها إحقاق الحق من خلال قصاص الآخر... التنكر للعدوانية الذاتية، ولمشاعر الإثم الذاتية ، وإيجاد موضوع ضحية يجسدها ويعبر عنها في الخارج، والتهجم عليه لدرجة إبادته، وكذلك انشطار العواطف إلى الميول السيئة والحسنة، والإحساس بأننا ومن نحب، وكذلك من يحالفنا، مثال البراءة والارتقاء، وإسقاط كل الشر والخطر والعدوان على الأعداء[2].

---

[1] أيضاً ، ص٢٠١-٢٠٢.

[1] حدثني أحد أصدقائي الثقات – كان معتقلاً لدى (الحرس الوطني) في قضاء المحمودية، ثم خرج واغتيل بعد ذلك – أن أحد الحرس صرخ يوماً داخل المعتقل وبأعلى صوته: غصباً على الله سيدخل جورج بوش الجنة. كيف لا وهو الذي جلب لنا هذا الخير كله؟! ثم جيء لي بعد أكثر من سنة بشريط صوتي لأحد المحاضرين الشيعة يقول فيه: يريدون منا إخراج الأمريكان! كيف؟! نخرج هؤلاء الذين أذلوا صدام حسين والوهابية، جورج بوش رضي الله عن آية الله جورج بوش، هذا لو كان شيعياً لبايعته مرجعاً من المراجع. وآخر يترحم على اللعين فيروز أبو لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم يطلب من القطعان الذين حوله أن يؤمنوا على دعائه بأن يحشرهم الله مع (العبد الصالح الولي أبو لؤلؤة) (!!!).

يبقى هذا الإسقاط للعدوانية ولمشاعر الإثم أوالية فاعلة في حياتنا اليومية وفي كل صراعاتنا العلائقية. ولذلك نجد الكثير من العلماء قد قالوا به. يقول (انطونيني) بهذا الصدد: (إن هناك في كل الحالات تقريباً جهداً لإزاحة العدوانية خارج الذات، بشكل يمكننا من نفيها، من عدم رؤيتها في ذاتنا، يمكننا من التعامي عنها، فاكتشاف الحقد الكامن فينا ظاهرة مولدة للقلق. أما اكتشاف الشر عند الآخرين فيمنعنا من رؤية الشر الذي فينا)[1].

يتمسكن حتى يتمكن

ثم يقول: (الإنسان في المجتمع المتخلف عدواني، متوتر، يفتقر إلى العقلانية، ويعجز عن الحوار المنطقي؛ لأنه يعيش في حالة مزمنة من الاحباط الاعتباطي، ومن الإهمال. إنه متروك لنفسه كي يتدبر أمره كما يستطيع. ليس هناك ما يضمن له حقه أسوة بغيره. عليه هو أن يحفظ هذا الحق كما تمكنه ظروفه (الاحتيال، التقرب من السلطان وذوي النفوذ، التودد، أو العنف والصراع من أجل الغلبة). عالم الإنسان المقهور هو أشبه ما يكون بغابة ذئاب، عليه أن يعبئ نفسه ويظل يقظاً طوال الوقت لمجابهة أخطارها)[2].

عدم التعايش مع الآخر

يواصل د. حجازي تحليله القيم فيقول: (وعندما يحس كل واحد... إحساساً من هذا القبيل، فإن علاقات التعاطف والتفاهم تنهار لا محالة، لتحل محلها علاقات اضطهادية. الآخر هو الخصم الذي يتهدد المصير الذاتي، ويهدد بالاستيلاء على الحقوق الذاتية. إنه بالتالي العقبة الوجودية في وجه تأمين المصلحة الذاتية. ولذلك فلا بد من إعلان الحرب عليه، أو الاحتياط للحرب التي قد يعلنها علينا . يتحول الآخر إلى مصدر تهديد وخطر على الذات أو مصدر عرقلة لمصالحها، ومنذ تلك اللحظة يصبح كل عدوان عليه، كل تغليب مطلق للمصلحة الذاتية دون مراعاة للآخر، النمط المشروع من الدفاع عن النفس. الاحتمال البديل هو الرضوخ والاستسلام، أو التجنب والانسحاب، وبالتالي

---

[2] المصدر السابق ، ص١٩٥-١٩٧.

[1] أيضاً ، ص١٨٦.

فقدان فرصة الحصول على الحق الذاتي)[1].

الدوني إذا تمكن

إذا تمكن هذا الصنف المقهور من الناس وتحول فجأة – في بعض الظروف السانحة – من خاضع مقهور إلى (سيد) يمتلك القوة ويتصرف بها، يتحول إلى وحش كاسر لا تعرف الإنسانية إلى شعوره سبيلاً ! وتنقلب صفاته إلى الضد مما كان عليه (فبدل عقدة النقص تبرز عقدة التفوق والاستعلاء، وبدل العجز والاستسلام تبرز عقدة الجبروت، وبدل انعدام المكانة تبرز عقدة الاستثناء... يعوض عن نقصه بنوع من التفوق والاستعلاء على من حوله. يحس بشيء من الجبروت، بأنه وجماعته المسلحة فئة لا تقهر، تنهار أمامها الحواجز والصعاب. يحس بنوع من الاستثناء، فكل شيء مسموح له، وكل التجاوزات. ولذلك فهو يزدري كل القيم السابقة، ويشعر بالحاجة إلى كسر كل القواعد التي حكمت حياته. ويحدث في أغلب الأحوال نوع من التركز حول الذات، فكأن العالم كله يجب أن ينتظم انطلاقاً منه هو وتبعاً لوضعه. هناك تضخم ذاتي يقابله انحسار في قيمة وأهمية المحيط ، على العكس تماماً من مرحلة الرضوخ. هذا التضخم يؤدي إلى سيطرة مزاج نفاجي على الإنسان. نوع من الإحساس بالامتداد والعظمة... وتظهر التصرفات الاهتياجية بما فيها من تسرع وطنين وصخب، ويبدو كل شيء في متناوله، يطغى نوع من الحبور على الحالة المزاجية ويصطبغ المستقبل بالتفاؤل المفرط والمبالغ فيه دون سند كاف)[2].

خير مثال على هذا ما رأيناه ولمسناه من ممارسات لقوات (الحرس الوطني) والجيش والشرطة والأمن الداخلي الشيعي، التي تعيث في أرض العراق فساداً، بعد أن خدمتها الظروف لتقفز إلى ناصية القوة، التي لن تستمر بأيديهم بعون الله طويلاً. وكل من شاهد الحال في الشارع العراقي اليوم، وكيف تتصرف هذه القوات مع المواطنين، وتطلق النار عشوائياً فوق رؤوسهم – وعليهم أحياناً – وتمسك بالأبرياء بكل فظاظة

---

[2] أيضاً.

[1] أيضاً ، ص٥٤ . والتصرفات الاهتياجية هي هوس وتسارع في عمليات العقل والنفس والحركة مع نشوة وعدم اعتبار لكل الحدود والقيود. انظر الصطلحات النفسية.

وقسوة، وهي تردد الشعارات الحماسية والهوسات الشعبية وكأنها في عرس أو انتصار، أو كأنها حررت البلد من المحتل، أو تطارد فلوله، وليست هي تمارس العدوان على إخوانها ومواطنيها وأبناء بلدها، كل من شاهد ذلك يدرك المعنى الحقيقي لحالة الدوني إذا تمكن!.

تساوي المثقف والعامي في التخلف النفسي

يرفض د. حجازي التفريق بين الفئات العامية أو الجاهلة، وبين الفئات المثقفة أو المنظمة والمؤطرة، التي لديها تاريخ من الممارسة السياسية، وتصور أن الأخيرة قد تخلصت فعلاً من قيود التخلف ذهنياً وانفعالياً وعلائقياً. وفي ذلك يقول: (العكس هو الصحيح في معظم الأحيان، إذ يلاحظ تداخل بين أعلى درجات التنظير الفكري وأشد أشكال التخلف في الممارسة... إن الفئة التي تتمتع بقدر من الحظ وتقترب من مواقع السيطرة على هذا السلم لا تخلو بدورها من التخلف على جميع الصعد. الواقع أنها تتصف بالخصائص نفسها وإن اتخذ الأمر طابعاً مخففاً أو خفياً في غالب الأحيان. إنها متسترة بقناع من التقدم يكفي تمزيقه حتى نتحقق من أن سلوكها تحكمه القوى والمعايير نفسها والنظرة إلى الحياة التي تميز الإنسان المقهور... فبينما يتماهى الفلاح بسيده ويشعر بالدونية تجاهه، نرى السيد يتماهى بدوره بالمستعمر أو الرأسمالي الأوربي ويشعر بالدونية نفسها تجاهه)[1].

وهذا ما صرح به مؤسس علم نفس الجماهير غوستاف لوبون عندما قال: (والبشر الأكثر اختلافاً وتمايزاً من حيث الذكاء لهم غرائز وانفعالات وعواطف متماثلة أحياناً. والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة: من دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض، إلخ... فمثلاً يمكن أن توجد هوة سحيقة بين عالم رياضيات شهير وصانع أحذيته على المستوى الفكري، ولكن من وجهة نظر المزاج والعقائد الإيمانية فإن الاختلاف معدوم غالباً، أو قل: إنه ضعيف جداً.

وهذه الصفات العامة للطبع، التي يتحكم بها اللاوعي، والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٣ .

الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر، وبالتالي فرادتهم الذاتية تمَّحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية)[1].

لا علاج للنفسية المقهورة إذا تمكنت إلا القوة

يقول د. حجازي حديثه: (ما عدا القمع الخارجي والخوف، تبقى عدوانية الإنسان المقهور دون توازن داخلي من قوة مضادة تكبح جماحها وتلطفها)[2].

وفي هذا إشارة إلى قانون اجتماعي لا يقبل التغيير، وحكم ثابت لا يقبل النقض، هو أن الشيعة – بنفسيتهم الناقصة المقهورة – لا يفهمون إلا لغة القوة بكل معانيها: قوة الخطاب – إذا كان المقام مقام كلام – وقوة السلاح إذا استدعى الأمر.

---

[2] سيكولوجية الجماهير، ص٥٦-٥٧، غوستاف لوبون.

[3] التخلف الاجتماعي، ص٢٠٤.

(٥)
عقدة الاضطهاد

عن أبي عثمان الجاحظ قال: أخبرني يحيى بن جعفر قال: كان لي جار من أهل فارس وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط وكان طول الليل يبكي فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا وأذهب نومي فتسمعت عليه فإذا الآية: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى)[١].

تشكل عقدة الاضطهاد عاملاً مكملاً لعقدة الاعتداء، وضرورة من ضرورات وجودها ودوامها؛ إنها كالغذاء الذي لا بد منه لبقائها، وكالوقود اللازم لاستمرارها. فكما أن الاعتداء ضرورة من ضرورات البقاء عند (الفارسي)، فكذلك الادعاء بأن الغير هو المعتدي ضرورة لتبرير ذلك الاعتداء، وإعطائه زخماً من الفاعلية والتجدد. ومن هنا نشأت عند الشيعي عقدة الشعور بالاضطهاد والمظلومية. فهو – على الدوام – محروم.. مظلوم بسبب أو بدون سبب، وقع عليه ظلم أم لم يقع، معتديا كان أم عتدى عليه. كأن الله سبحانه خلقه ليعتدي ويؤذي دون أن يكون للآخرين حق في رد اعتدائه وأذاه! فالاعتداء والأذى واجب من واجباته، وسكوت المعتدى عليه حق من حقوقه! فإن قام بالرد بالمثل جزاءً أو دفاعاً عن النفس فان (الفارسي) لا ينظر إليه إلا بعين واحدة، تلك التي ترى الفعل المرتد، دون الفعل المسبب له.

---

[١] أخبار الحمقى والمغفلين ، الباب الخامس عشر في ذكر المغفلين من المؤذنين ، أبو الفرج ابن الجوزي

الشعور بالظلم والحرمان حالة يربى عليها الشيعي قصداً منذ ولادته، ويكبر، فتكبر معه. ولهم في تغذية أبنائهم بهذا الشعور أساليب شتى! ولشدة انطباع النفسية الشيعية بهذا الشعور انعكست هذه النفسية عند الشيعة بطريقة لا شعورية على (أئمتهم)، فراحوا يتخيلونهم ويرسمون لهم في مخيلتهم صورة هي مثال المحرومية والاضطهاد والمعاناة منذ أن خلقهم الله تعالى حتى توفاهم. يروي (الصدوق) – وهو الكذوب – عن أمير المؤمنين ع قال: (ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أمي. حتى إن كان عقيل ليصيبه رمد فيقول: لا تذروني حتى تذروا علياً، فيذروني وما بي من رمد)[1].

والحقيقة أن هذه النفسية الشيعية المفعمة بالشعور بالظلم والاضطهاد إلى حد الاختناق، أسقطت – بتلك الطريقة اللاشعورية المسماة في علم النفس بطريقة (التماهي الإسقاطي **Projective identification**)[2] – على (الإمام) فصار كما تخيلوه، أو كما ينبغي أن يكون عليه طبقاً لما توحي به تلك النفسية.

كان الشيعة يشكلون أكثر من (٦٥ %) من منتسبي حزب البعث الحاكم في العراق، والنسبة نفسها في جهاز المخابرات وجهاز الأمن. وهي أقوى الأجهزة التي كان يقوم عليها وجود النظام السابق. ومن المفارقات الطريفة أن (٣٦) شخصاً من قائمة المطلوبين للأمريكان من مسؤولي الحكومة السابقة كانوا من الشيعة. علماً أن العدد الكلي للمطلوبين في القائمة هو (٥٥)! من ضمنهم رئيس الدولة وولداه وأقاربه. أي إن عدد العرب السنة في القائمة – إذا استثنينا طارق عزيز المسيحي، وطه رمضان

---

[1] علل الشرائع ، ٤٤/١ ، باب العلة التي من أجلها يبتلى النبيون والمؤمنون ، مكتبة الداوري ، قم

[2] التماهي هو التقمص أو الذوبان . والإسقاط عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها ويحوّل إلى غيره صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره . أما التماهي الإسقاطي فهو عملية نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر محبوب أو مكروه لديه ، يتخذ منه – إن كان محبوباً – مجسداً لكل ما يرغب أن يتمثله في ذاته ، وبصورة أسطورية . إذ يصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية والطهر والخير ، والكدح والجهاد والمعاناة التي يرغب أن يكون عليها . أما إذا كان الغير مكروهاً بالنسبة إليه فيستخدمه كمجسد لنزعاته التي يخشاها كالغدر والعدوانية، أو صفاته التي ينفر منها كالحقد ، وذلك بالتنكر لها في النفس وإسقاطها على الشخص الآخر الذي يتعامل معه تبعاً لموقفه من تلك الخاصية (النزعة أو الصفة) ؛ إذ يعتبره رمزاً أسطورياً مضخماً لما هو ممنوع ومكروه في داخله . فمبالغات الكره والعدوان ، وكذلك مبالغات الحب والإحسان تقوم على هذه العملية النفسية اللاشعورية . (انظر فصل المصطلحات العلمية في آخر الكتاب) .

الكردي، ولربما فاتني آخرون ليسوا من السنة – يساوي (١٧) فقط من مجموع (٥٥)! وإذا حذفنا الرئيس وأقاربه – ولديه وإخوته الثلاثة وابن عمه، لتكون المقارنة عادلة، حين تكون بين الأشخاص من غير العائلة الحاكمة – فإن عدد أهل السنة سينخفض إلى حوالي (١٠) فقط !! أي أقل من ثلث عدد الشيعة!!! ومع هذا يدّعي الشيعة أنهم كانوا محرومين من المشاركة السياسية العادلة، وأن النظام السابق كان طائفياً يميز بين أهل السنة والشيعة، فيؤثر أولئك بالمناصب والمزايا، ويختص هؤلاء بالتهميش والاضطهاد. وما ذاك إلا بسبب ترسخ هذه العقدة في نفوسهم إلى حد الخروج إلى عالم الوهم ودائرة الهذيان!

ومما يشير بصراحة إلى رسوخ هذه العقدة في النفسية الشيعية، ما صرح به وزير المحافظات في حكومة الجعفري وائل عبد اللطيف حين قال: (ونحن في قمة السلطة نشعر بالمظلومية)!

هذاء الاضطهاد

وحين يترسخ هذا المرض يصل إلى حد (الهُذاء) ، والتوهم المرضي أن جهة ما معينة تضطهده، وتتهدده، وتعتدي عليه. بينما قد يكون العكس هو الواقع. خصوصاً في دائرة الأفكار والمشاعر. لكن المريض يقوم باستعمال حيلة (الإسقاط) ليعكس الأمر. وهو ما يطلق عليه علمياً اسم (البارانويا **paranoia**). يقول عنه سيجموند فرويد: (إنه مرض عقلي يتميز بوجود نسق منظم من الأفكار الهاذية، وسلسلة منطقية من النتائج المستنبطة من مقدمة خاطئة خطأً مطلقاً، يؤمن بها المريض إيماناً مطلقاً لا يمكن زعزعته أو تعديله أو التشكيك فيه. ومن حيث المضمون نجد أن فكرة الاضطهاد والريبة من نوايا الغير وأفعالهم تقوم بدور رئيس في هذا المرض. أما من حيث الشكل فإن المريض يستخدم عملية "الإسقاط" استخداماً متصلاً فينسب إلى الغير أفكاره ومشاعره، ولا يفتأ يؤوِّل حركات الآخرين وسكناتهم بما يتفق واعتقاده المرضي بحيث يتحول الصراع الداخلي – في النهاية – إلى صراع خارجي بين المريض والآخرين منقطع الصلة – بالنسبة للخبرة الشعورية – بأصله الذاتي)[١].

الحقيقة – كما يقول المختصون – أن المصابين بهذا الوهم أو المرض، هم دوماً في حالة دفاع مرضي عن النفس، يتوهمون أنهم في حالة حصار من قبل أعداء لا عدّ لهم

---

[١] الموجز في التحليل النفسي ص٨٩ ، سيجموند فرويد ، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش ، الناشر دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠ .

ولا حصر. كما يقول المختصون: أن خطــر المصـــابين بالشـــيزوفرينيا أو انفصـــام الشخصية هو الانتحار، أمّا خطر المصابين بالبارانويا فهو القتل. إن المجتمع الشـــيعي مصاب بالبارانويا؛ وهذه من العقد الكبرى في طريق الحل أو العلاج.

ومن هنا – ولأسباب أخرى – أفضل أنا استعمال كلمة (مواجهة) بدلاً مـــن كلمـــة (حل) أو (علاج).

يجلبون المآسي على أنفسهم

والشيعة في ذلك كاليهود، يجلبون على أنفسهم المآسي بسبب سوء أعمالهم، لكن مرض البارانويا يمنعهم من مراجعة أساليبهم الخاطئة بصورة موضوعية. فـــلا يملكـــون إلا الإصرار على الموقف؛ فينتهي الأمر بذبحهم. إن تكرار المذابح اليهودية عبر التـــاريخ لم يكن من قبيل الصدفة. وهو السبب نفسه الذي يجلب المآسي إلى الشـــيعة، ويـــوقعهم في مآزق التناحر مع السلطة، أو مع مواطنيهم. وهو السبب الخفي لما يحدث اليوم في العراق من مآسي وتصفيات متبادلة.

الطقوس والشعائر الشيعية

إن عقدة الاضطهاد وراء الشعائر والطقوس التي عزلت المتشيع فارسياً عن محيطه ومجتمعه، في شعوره وسلوكه وولائه وانتمائه. بل جعلته آلة تخريـــب بيـــد الأجنبـــي العجمي الذي يلوح له بأنه مضطهد مظلوم وانه يسعى لإنقاذه، ويبادله الشعور بـــالظلم والاضطهاد إلى حد النواح والبكاء ولطم الصدور والخدود، وشق الثياب السود، حزنـــا وأسى.



وهي التي تجعله يتلذذ بمجالس النياحة وحلقات اللطم والبكاء تحت ذريعة مظلمة (أهل البيت) دون ملل مهما تكرر الحديث أو كان أسطوريا أو خارجا عن الذوق أو منطق العقل والشرع والتاريخ! بل يتفاعل معه إلى حد البكاء والعويل بل لطم الخدود والصدور و(تطبير) الرؤوس وجلد الظهور بالسياط و(الزناجيل) وأذى الجسد بأنواع الأذى إلى حد فقدان الوعي أو الموت!



فتاوي السيستاني في تشريع اللطميات وأنها من شعائر الله!!!

وهو تعبير وتنفيس عن عقدة أخرى هي عقدة الذنب، تلك العقدة التي تكونت وتراكمت بسبب الجرائم والاعتداءات والآثام التي يرتكبونها بحق غيرهم وحق أنفسهم، وبسبب خذلانهم المتكرر للخارجين من أهل البيت العلوي على مر التاريخ.

إن الحديث عن الحسين و(مقتله)، و(مصيبة أهل البيت) ما هو في حقيقته إلا حديث عن النفس ومصائبها. إنه (مظلوم) كما (ظلم الحسين)، و(مضطهد) كما (اضطهد). ويتحول الحسين إلى رمز لـ(المظلومين) و(المضطهدين). فمهما حاولت أن تستثير عقلة ليفكر تفكيراً منطقياً فيقتنع بأن الحسين ﷺ لم يضطهده أحد. بل عاش عيشة الأمراء، ومات ميتة الكرماء. أما أنه قتل، فقد قتل في ميدان معركة سعى إليها بقدمه، كما قتل ويقتل الملايين. ومنهم من هو أشنع قِتلة واكثر عذابا وألما. أقول: مهما حاولت فربما لا تفلح معه لأن نداء عاطفته المعقدة أقوى من منبهات عقله المخدر

المقيد بقيود لن يستطيع معها أن يكتشف حتى الموت أن (المقتل) أسطورة أصلها صفحة واحدة كثّرها المتاجرون حتى صارت رواية تقرأ! و.. مسرحية تمثل!

أسطورة اضطهاد (الأئمة)

وبسبب هذه العقدة يعتقد الرافضي أن (أئمته) جميعا عاشوا مضطهدين، وماتوا جميعا ميتة ليست طبيعية ما بين مسموم ومقتول ومخنوق وهارب من وجه العدالة مختف في الكهوف والسراديب! مع أن الحقيقة الواقعة والمسيرة التاريخية غير ذلك!

لقد عاش علي ﷺ حياته وزيرا ومات خليفة وأميراً. وكذلك سيدنا الحسن ﷺ . ولطالما ذهب هو وأخوه سيدنا الحسين إلى دمشق معززين مكرمين ورجعا إلى المدينة بالهدايا والهبات. أما ان الحسين قتل فقد قتل – كما قلت – بسبب خروجه على خليفة المسلمين في معركة سعى إليها بنفسه. وتلك نهاية طبيعية لكل خارج لم يُعِدَّ للأمر عدته. وكل سلطان لا يرضى من أحد منازعته مهما كانت منزلته. وليس في ذلك اضطهاد، فما كل قتيل مضطهد.

وأما السبي فأسطورة مختلقة. وليس بين المسلمين سبي، إنما ذلك للكافرين.

وعاش علي بن الحسين في المدينة بحرية تامة، وكان أحد فقهائها الذين يتحلق حولهم طلبة العلم دون تضييق. وكذلك كان ابنه محمد وحفيده جعفر الذي لقبه الخليفة أبو جعفر المنصور بـ(الصادق) حين وشي به إليه فاستقدمه فأنكر فقال له: أنت (الصادق) وهم الكاذبون. ثم أكرمه ورده معززا مكرما.

وما يحصل من المتابعة والمساءلة والاستقدام فأمر طبيعي لا ينكر وقوعه؛ لأنه يحصل بأسباب موضوعية ليست خاصة ولا مقصودة. إذ الزمان زمان فتنة وخروج متكرر بسبب العجم الذين يبحثون لهم عن رموز علوية أو هاشمية للتمرد والثورة وكثيراً ما يفلحون في استزلال هذه الرموز كما حصل مع زيد بن علي وابنه يحيى وعبد الله بن الحسن وأبنائه الأربعة. وغيرهم كثير. ومن الطبيعي أن يثير هذا توجساً دائمياً لدى الخليفة لا سيما من الرموز العلوية التي كثر الخروج من أوساطها.

ويحدث أحيانا أن يرسل إلى من تحوم حوله الشبهة منهم وتكتب عنه التقارير ليحقق معه ثم يفرج عنه بعد أن تثبت براءته، أو يأخذ العهد عليه بعدم الخروج وإثارة الفتنة. وقد تكون التقارير مزورة أو مضخمة أو صحيحة. كما حصل لموسى بن جعفر وقد كاد له البرامكة منذ زمن المهدي والد الرشيد فلم يفلحوا، واكثروا من الوشاية به

حتى إنهم استطاعوا أن يستعملوا ابن أخيه محمد بن إسماعيل – حسب رواية الأصفهاني – في التجسس عليه فكتب عنه تقريراً مفصلاً مفاده أن لموسى اتباعا يكاتبهم ويكاتبونه ويجبون إليه الأموال من الآفاق فاعتقله الرشيد تحوطا وأوصى به إلى الفضل بن يحيى البرمكي وأوصاه بالإحسان إليه لكنه استغل غياب الرشيد وسفره إلى الشام فدس إليه الفارسي السندي بن شاهك فاغتاله[١].

وليس في الأمر – كما ترى – اضطهاد. وما حدث لموسى يحدث لغيره كثيراً. هذا هو الاستثناء الوحيد وهذه ملابساته! وأما البقية فلم يحدث لهم ما يسوءهم ، أو ينغص عليهم رغد عيشهم. لقد كان علي بن موسى – كما يحدثنا التاريخ – وأحفاده من بعده على وفاق تام مع البيت العباسي الحاكم. فلقد اسند إليه المأمون ولاية العهد، وزوجه ابنته، وعاش معه عيشه الوزراء حتى مات بقدر الله على فراشه فقال المعقدون: مات مسموما بيد المأمون!

وتزوج ابنه محمد ابنة المأمون الأخرى؛ فهو صهر الخليفة ! هل هناك أنعم وأهدأ بالاً من صهر الخليفة؟! فأين هو الاضطهاد ! قوم يعيشون في قصور الخلفاء وينكحون بناتهم ويتقلبون في نعمتهم ظهرا لبطن، وبطناً لظهر قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم!

اللهم نسألك (اضطهاداً) كهذا (الاضطهاد)!

واستمرت العلاقة حسنة بين البيتين حتى مات الحسن العسكري الذي عاش في سامراء مترفا تحوطه الجواري، وتطوف عليه السراري وتجبى إليه الأموال في أحسن حال وأنعم بال وأوفر نوال. ولما كان الحسن عقيما فلم يخلف عقبا وورثه أمه وأخوه اخترع له المعقدون ولداً وللولد اسماً وقصة! تقول العصفورة: إن (محمد) بن الحسن الطفل الصغير اختفى في سرداب في سامراء خوفا على نفسه من الخليفة! ولا بد لك من أن تصدق أن الخليفة قد خاف طفلا؛ فهو يسعى في طلبه وقتله. بينما هو يترك أباه الرجل القوي الغني الرمز يسرح ويمرح لم يتعرض له بسوء قط! وإلا فإنك من (أعداء أهل البيت وظالميهم).

مقارنة مع الأئمة الأربعة

لو أجرينا مقارنة سريعة بين (الأئمة الأحد عشر) ، والأئمة الأربعة لوجدنا الفارق

---

[١] مقاتل الطالبين ، ص٢٣٢-٢٣٦ ، أبو الفرج الأصفهاني. وهو شيعي شعوبي محترق.

كبيرا بينهما من حيث التعرض للأذى والمضايقات، أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم (الاضطهاد).

لقد تعرض الأئمة الأربعة لمضايقات كثيرة وحبس بعضهم وضرب واختفى وضربت عليه الإقامة الجبرية. كل ذلك لأسباب موضوعية لا علاقة لها كثيراً بالاضطهاد: فالإمام أبو حنيفة حبس مرات حتى قيل: إنه مات في الحبس! والإمام مالك ضرب حتى قيل: سقطت أو خلعت يداه! والإمام الشافعي جيء به مكبلاً من اليمن إلى بغداد. وأما الإمام ابن حنبل فمحنته أشهر من أن تذكر! ولقد ضيق عليه وحرم من الاتصال بالناس قرابة ثلاثين عاماً! هذا عدا ما تعرض له غير الأئمة الأربعة من حيف واضطهاد. كالإمام البخاري. والتفتازاني. وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي طورد وشرد ونفي وأوذي وسجن مرات حتى مات أخيراً في السجن! ناهيك عن المتأخرين منهم كسيد قطب وغيره من قوافل المعتقلين وشهداء الدعوة الإسلامية وأبطالها الذين عذبوا وأُذوا في سبيل الله وقتلوا وهم على ذلك.

فإذا كان الرافضة و(أئمتهم) مضطهدين، فماذا نقول نحن؟!

لا نقول شيئاً! لأننا – ولله الحمد – رزقنا السلامة من أمراض الفرس وعقدهم.

الشيعي كاليهودي مخرب أينما حل

إن هذه العقدة وراء الشخصية العدائية والتخريبية أو الانتقامية لدى الشيعي. فهو يسرق ويؤذي ويخرج على القانون إلى حد القتل والاغتيال والتفجير. فإذا عوقب طبقا إلى القانون ضج بالعويل والصراخ: أنا مظلوم أنا مضطهد! ومهما خرب وآذى واعتدى فهو بذلك ينتقم لنفسه (المضطهدة) ويسترد بعض حقها المسلوب حتى صار الخروج على القانون حقا من حقوق الشعوبي أو الرافضي.

يدعم هذا ويسنده نفسيته المعقدة المريضة والمصابة بعقد أخرى مثل عقدة (السيد). فالسيد لا يشعر بظلمه أو اعتدائه على عبده لأنه مُلك له يفعل به ما يشاء. لهذا فمهما أحسنت الدولة أو الآخرون إليهم فلن يعتبروه إحسانا، وإنما واجبا يؤدى تجاههم بلا جزاء ولا شكور.

وللأسباب نفسها يسبون رموزنا وصحابة نبينا ﷺ ويبغضونهم ثم يرمون بالتهمة علينا يقولون: إنكم تبغضون علياً وذريته! في الوقت الذي يشرّحون فيه أئمتنا وعلماءنا

تشريحا منكراً دون أن يحسوا بأنهم يسيئون إلينا بذلك! وفي المقابل يتحسسون تحسساً شديداً من الإشارة إلى أن علياً – مثلاً – أخطأ في كذا، وإن شفع القائل قوله بعبارة (رضي الله عنه) أو (كرم الله وجهه) أو حتى (عليه السلام). إن هذه اللواحق لن تحسب لقائلها ولا تصلح دليلاً على صدقه في حبه لعلي لأن عقدة الشك تصور مبعثها بصورة الملق والنفاق. وعقدة الاستعلاء والسيد تجعلها واجباً لا شكر عليه. وعقدة الاضطهاد والكراهية وبقية العقد ستمسح كل أثر لها ثم تكر على تلك الكلمة (أخطأ علي) فتضخمها لتجعل منها كفرا وجحودا وحقدا واضطهاداً لأهل البيت يجب أن يواجه بما يناسبه بل يزيد عليه من الاعتداء والانتقام!

كان أحد هؤلاء المعقدين يتحدثون في مجلس عن كرامات جذع نخلة في الحلة ، وكيف أن الشفلات وآلات القطع والقلع عجزت عن اجتثاثه أو قطعه فتركوه على حاله وحولوا الطريق إلى جانبه! فقال له صديق لي: أجرة الشفل واللوري عليَّ والدلالة عليك وأنا أتعهد لك بقلعه من جذوره ومن هذه اللحظة! يقول صديقي: فالتفت إلي مبهوتا ثم دقق النظر محدقاً في وجهي.. وبعد برهة قال باشمئزاز: إلا تخبروني ما هو سر عداوتكم لأهل البيت؟!!

ملحق في المشاركة الشيعية في الأجهزة الرسمية لدولة البعث

تحت عنوان (الدور الشيعي في حكومة حزب البعث) كتب محمد البغـدادي علـى موقع "الرابطة العراقية" بتاريخ ٢٥ – ٣ – ٢٠٠٥ ما يلي:

- اول وزير دفاع شيعي في العراق تم في زمن البعث هو الفريـق أول الـركن سعدي طعمة الجبوري.
- تعيين أول رئيس اركان للجيش العراقي من الشيعة تم في زمـن البعـث هـو الفريق الركن عبد الواحد شنان آل رباط.
- أطول مدة قضاها في المنصب كوزير خارجية للعراق كان من الشيعة، وقد تـم ذلك في زمن البعث وهو الدكتور سعدون حمادي، ثم تولى الوزارة طيلة التسـعينات محمد سعيد الصحاف، وهو شيعي ايضا.
- أطول مدة قضاها في المنصب كوزير نفط في زمن البعث في العراق كان مـن الشيعة وهو الدكتور سعدون حمادي.
- أول مرة في تاريخ العراق يستحوذ الشيعة على منصب وزير النفط ويتنـاوبون عليه وكان ذلك في زمن البعث والوزراء هم الدكتور سعدون حمادي و قاسـم احمـد تقي وعصام الجلبي (ابن عم احمد الجلبي)، وبذلك يعتبر الوزراء الشيعة هم اكثر من شغل هذا المنصب في تاريخ العراق وفي زمن البعث وليس غيره.
- أكثر فترة تولى فيها الشيعة منصب محافظ البنك المركزي العراقي كان ذلك في زمن البعث وهم الدكتور عبد الحسن زلزلة وطارق التكمه جي وهذا ما لم يحصل في اي عهد سابق.
- لاول مرة في تاريخ دولة العراق يتولى فيها شخص شيعي منصب مدير الامـن العامة وهي في زمن البعث وكان ذلك الشخص هو ناظم كزار وكان معاونه هو علي رضا باوة (شيعي فيلي).
- المسؤول الاول عن التحقيقات الجنائية للمنتمين الى حزب الـدعوة كـان مـن الشيعة وهو عقيد الامن علي الخاقاني، وهو من اهالي النجف.
- تولى رئاسة محمكة الثورة التي اختصت بالنظر في قضايا التآمر، شيعيان همـا هادي علي وتوت ومسلم الجبوري.
- لاول مرة في تاريخ العراق تناوب اثنان من الشيعة على رئاسة الوزارة وذلـك في زمن البعث هما الدكتور سعدون حمادي ومحمد حمزة الزبيدي.

- أطول فترة قضاها رئيسا للمجلس الوطني العراقي كان من الشيعة وهو الدكتور سعدون حمادي.
- شركة النفط الوطنية المسؤولة عن انتاج وتصدير النفط العراقي ترأسها اربعة من الشيعة ولاطول مدة وهم عبدالامير الانباري وفاضل الجلبي (ابن عم احمد الجلبي) ورمزي سلمان.
- أكثر من ٦٠ بالمائة من المدراء العامين في هيئة التصنيع العسكري كانوا من الشيعة واكثر من سبعين في المائة من الكادر الهندسي والفني المتقدم فيها هم من الشيعة.
- معظم خبراء وعلماء منظمة الطاقة الذرية كانوا من الشيعة من بينهم جعفر ضياء جعفر وحسين اسماعيل البهادلي وحسين الشهرستاني.
- نائب رئيس هيئة التصنيع العسكري للشؤون الفنية هو الدكتور نزار القصير وهو اهم شخص في هذه الهيئة كونه المسؤول عن كل مشاريع تطوير الانتاج فيها، وكان من الشيعة أيضاً.
- أكثر من ستين بالمائة من المدراء العاميين في الدولة العراقية وكوادرها الفنية والتقنية والعلمية الذين يشغلون المناصب والمسؤوليات المتقدمة فيها هم من الشيعة.
- أطول فترة قضى فيها شخص عراقي في منصب مدير عام في الدولة العراقية منذ تأسيها وحتى الغزو كان من الشيعة هو مدحت الهاشمي مدير عام الشركة العامة للسيارت.
- جميع المدراء العاميين لدوائر التربية في المحافظات العراقية في وسط وجنوب العراق كانوا من الشيعة طيلة فترة حكم البعث.
- إن اكثر من ستين بالمائة من البعثيين هم من الشيعة وكان الكادر الوسطي في البعث يتألف من اكثر من سبعين بالمائة من الشيعة وهم اساس بنية الحزب التنظيمية والتكوينة وهم من تولى العمل الجماهيري والتنظيمي فيه.
- إبان الحرب العراقية الايرانية ، كان قائد صنف المدفعية هو اللواء الركن حامد الورد ـ شيعي ، وقائد صنف الدروع هو اللواء الركن صبيح عمران الطرفة ـ شيعي، وامين السر العام لوزارة الدفاع (اي الشخص الثاني بعد وزير الدفاع) هو

اللواء الركن سعد المالكي، شيعي، ثم لاحقا اللواء الركن جياد الامارة ــ شيعي، وقائد الفيلق الثالث هو الفريق الركن سعدي طعمة الجبوري، شيعي، ومدير دائرة التوجيــة السياسي عبد الجبار محسن اللامي، شيعي، ناهيك عن عدد كبير من قادة الفيــالق وامراء الالوية وكبار ضبط الجيش والمستشارين العسكريين هم من الشيعة.

- المندوبون الدائميون للعراق في الامم المتحدة خلال حكم البعث كــان عــددهم عشرة اشخاص توالوا على هذا المنصب منهم اربعة شيعة هم:

١. طالب شبيب
٢. عبدالامير الانباري وقد امضى اطول مدة في المنصب وتولاه مرتين
٣. محمد صادق المشاط
٤. سعيد الموسوي

كما تولى المنصب شخص واحد كردي هو عصمت كتاني، وكذلك شخص واحد فيلــي هو عبد الكريم الشيخلي. اما السنه الذين تولوا هذا المنصب فهم:

١. عدنان الباجه جي
٢. صلاح عمر العلي
٣. نزار حمدون
٤. محمد الدوري

- مندوبو العراق في اليونسكو هما اثنان من الشيعة:

١. عزيز الحاج شيعي فيلي
٢. عبدلامير الانباري شيعي

- آخررئيس تحرير لجريدة الثورة الناطقة بحزب البعث هو سامي مهدي ، شيعي من تبعية ايرانية.
- المستشار الاعلامي لصدام حسين، شيعي وهو عبد الجبار محسن.
- مستشار صدام للشؤون الحزبية شيعي وهو محسن راضي سلمان.
- مرافق صدام طيلة فترة السبعينات والثمانينيات وحتى بداية التسعينيات هو صباح مرزة محمود وهو كردي فيلي وشيعي.

- غالبية المطربين والملحنين وشعراء الاغنية الذين تغنوا للبعث وبحب صدام في زمن البعث كانوا من الشيعة.
- غالبية الشعراء الشعبيين الذين كتبوا قصائدا للبعث ولصدام في زمن البعث كانوا من الشيعة.

ومن البعثيين الذين تعاونوا مع اجهزة المخابرات الاميركية في الحرب على العراق ما يلي:

- اياد علاوي، شيعي ــ عضو شعبة
- طاهر البكاء، شيعي ــ عضو شعبة
- راسم العوادي، شيعي ــ عضو فرع
- حازم الشعلان، شيعي ــ عضو قاعدة
- داود البصري، شيعي، يكتب في الصحافة، كان نصير متقدم في منظمة السفارة العراقية في الكويت.
- زهير كاظم عبود، شيعي ــ عضو فرقة• منذر الفضل، شيعي ــ عضو فرقة
- العميد سعد العبيدي، شيعي ــ عضو شعبة
- العميد توفيق الياسري، شيعي ــ عضو شعبة
- فالح حسون الدراجي، شيعي ــ مؤلف اغاني ، عضو عامل
- هاشم العقابي، شاعر، شيعي ــ عضو عامل في تنظيمات فرع صدام
- حسن العلوي، صحفي، شيعي ــ عضو فرقة (قلت: كان العلوي السكرتير الصحفي المرافق لصدام حسين، ومدير تحرير مجلة "ألف باء" الرسمية. وقد صرح في يوم ٢٠٠٦/٩/١٠ من خلال قناة "الحرة ــ العراق" فقال: (المحيطون بصدام من الصحفيين كلهم شيعة. لم يكن صدام يفكر بمسألة سنة وشيعة).
- أمير الحلو صحفي ومدير عام في وزارة الاعلام ، عضو فرقة (فرقة المثنى ــ منطقة زيونة في بغداد)
- عبد الكريم المحمداوي، رئيس عرفاء هارب من الخدمة في الجيش العراقي، شيعي، نصير متقدم في تنظيمات شعبة الرافدين العسكرية فرع ذي قار العسكري.

وعلى الموقع نفسه – وبتأريخ ٢٠٠٧/١/٧ – أضاف الكاتب نفسه أن كبار رجال

الدين الشيعة في بغداد وكربلاء والنجف والبصرة – ومن بينهم السيستاني، ومحمد صادق الصدر – وسدنة مراقد علي والحسين والعباس والكاظم، كانوا يمنحون – أسوة بالوزراء والمدراء العامين وكبار المسؤولين في الدولة – سيارات شخصية راقية من الدولة، وذلك كل سنتين. كما كانوا يستلمون المخصصات المالية الخاصة نفسها التي تمنح للمسؤولين لتعزيز قدراتهم على الإنفاق. ويقول: سأبقى شاهداً ما حييت على إصدار أوامر منح سيارات المرسيدس من السرية النقلية للقصر الجمهوري للكثير منهم.

كما ذكر بعضاً من أعضاء القيادة القطرية الشيعة – ولم يذكر الكل – وهم:

- جعفر قاسم حمود
- عدنان حسين الحمداني
- نعيم حداد
- حمد حمزة الزبيدي
- حسن علي العامري
- سعدون شاكر
- عزيز صالح النومان
- مزبان خضر هادي... وآخرون.

ومع كل هذا يتباكى الشيعة، ويولولون مرددين: (مظلومين.. مضطهدين..)!! ولك أن تقارن هذا الانسياح الكبير في أجهزة الدولة السابقة، مع ما فعلوه بأهل السنة من تهميش وإقصاء، وإخلاء لهم من جميع دوائر الدولة، ومرافقها الحيوية. وبكل الأساليب الممكنة: القانونية وغير القانونية!

(٦)

عقدة التخريب

جرت العادة، عندما يموت الملك في فارس في العصور القديمة، أن يترك النـــاس خمسة أيام بغير ملك، وبغير قانون، بحيث تعم الفوضى والاضــطراب جميــع أنحــاء البلاد. وكان الهدف من وراء ذلك هو أنه بنهاية هذه الأيام الخمسة، وبعــد أن يصــل السلب والنهب والاغتصاب إلى أقصى مدى، فإن من يبقى منهم على قيد الحياة، بعــد هذه الفوضى الطاحنة، سوف يكون لديهم ولاء حقيقي وصادق للملك الجديد؛ إذ تكــون التجربة قد علمتهم مدى رعب الحالة التي يكون عليها المجتمــع إذا غابــت الســلطة السياسية[1].

ولقد أتقن القوم التجربة بكل أبعادها، ومنها السلب والنهب والاغتصـــاب والحــرق والتخريب والتدمير. في يوم سقوط بغداد كنت في بعقوبة، ورأيت بعيني فلول الشــيعة – وأغلبهم من مدينة الثورة كانوا نازحين إلى هناك بسبب القصف على بغداد – كيــف عاثوا في المدينة وممتلكاتها، ورأيت كيف أن الحالة قد انتهت بعــد مــا يقــرب مــن ساعتين فقط، بفضل عشائر أهل السنة الذين نزلوا إلى الشوارع بأســلحتهم، وصـــاروا يطاردون أولئك السفهاء، ويستخلصون منهم ما نهبوه ليعيدوه إلى مكانه. وقد امــتلأت المساجد بالمسروقات التي استعيدت عنوة من المفسدين. وأما ما حصـــل فـــي بغــداد وغيرها من المدن فشيء يفوق الوصف. وغالب ما حصل كان بأيدي الشــيعة الــذين كانوا متهيئين للأمر سلفاً نفسياً ودينياً!

التخريب دين

إن تخريب الممتلكات العامة، وسرقة أموال الدولة سلوك شــيعي شــائع، تســنده الفتوى الدينية المشرعنة – كما هو ثابت في كتب الفقه الشيعي – التي تربي فيهم – في نهاية الشوط – قابلية الخيانة والخيانة العظمى. وهي إحدى الخصال التي يلتقون فيهــا

---

[1] الطاغية ، ص٥٤ ، د. إمام عبد الفتاح إمام . ط٣ ، ١٩٩٧ ، القاهرة .

مع اليهود. والملاحظ في الجنوب – مقارنة بغيرها – كثرة أسماء أعداء الأمة بينهم من المحتلين والغزاة المعتدين: لجمن، كوكس، بهمن، رستم... إلخ!

قبل سنوات كنت في زيارة لقائممقام قضاء المحمودية، فقال بمرارة وهو يشكو من تفلت الكادر الوظيفي وضعف أدائه، وميله إلى المعاكسة والتخريب: كيف أستطيع أن أُصلح وأبني إذا كان العاملون معي يتقربون إلى الله بالتخريب؟! وفي السنة الأولى لمجيء الخميني كنت أسمع من إذاعة طهران توجيهات علنية إلى جماهير الشيعة في العراق ترشدهم إلى ممارسة تخريب الممتلكات العامة بغية إنهاك الحكومة. يقولون لهم: لقد كان هذا ديدننا على عهد الشاه، فقد كنا نعلم أطفالنا ذلك حتى صار جزءاً من تساليهم ولعبهم، ينادي أحدهم على الآخر: هيا بنا نلعب لعبة التخريب! ولمن يصعب عليه تصديق مثل هذا الاتهام أسوق هذه الفتاوى:

يقول الخوئي: يجوز أخذ مال الناصب أينما وجد، والأحوط وجوباً وجوب الخمس فيه من باب الغنيمة[1].

علماً أن لفظ الناصب تعبير مخفف يكنون به عن السني، الذي يحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وإن أحب علياً رضي الله عنه معهما[2].

ويقول الشيخ يوسف البحراني تحت عنوان : **حل دم الناصب وماله** : أعلم أنه قد استفاضت الأخبار عنهم – سلام الله عليهم – **بحل دماء أولئك المخالفين وحل أموالهم..** فروى الشيخ (أي الطوسي) في الصحيح عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله (ع) قال: خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس (تهذيب الأحكام ٤: ١٢٢). وهي نص فتوى الخوئي الآنفة الذكر.

وروى الصدوق في كتاب العلل الصحيح عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله (ع): ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم[3].

وإذا سألت: لماذا يفتي الفقيه الشيعي الفارسي بمثل هذه الفتاوى الفاجرة؟! فلعل في التحليل الآتي جواباً على هذا السؤال، وعلى السر الذي يجعل الشيعي خارجاً دائمياً على القانون، ومخرباً أينما حل:

---

[1] منهاج الصالحين ١/ص ٣٢٥. وإذا عرفت أن (الغنيمة) في الفقه الإسلامي هي الأموال التي تغنم من الكفار المحاربين عرفت ما هو حكم الشيعة – ممثلين بزعيمهم الخوئي – في أهل السنة وهل هم مسلمون أم كفار؟!!

[2] الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، ص٩٩ ، الشيخ يوسف البحراني.

[3] المصدر السابق ، ص ٢٥٧.

عدوانية موجهة إلى الخارج

يقول د. حجازي في معرض كلامه عن (العدوانية الموجهة إلى الخـارج) وكيـف تأخذ صوراً شتى منها الخفية، كالكسل أو التكاسل الذي يمسي ظـاهرة فـي المجتمـع المقهور لأسباب متعددة منها الانتقام الخفي من رب العمل المتسلط : (بالإضـافة إلـى الكسل هناك عدوانية أكثر صراحة من حيث توجهها ضد المتسـلط ، وهـي ظـاهرة تخريب الممتلكات العامة التي تلاحظ في ظروف الفوران في المجتمع، يُقبل المواطنون (خصوصاً الشبان منهم) على تخريب وإتلاف التجهيزات العامة فـي الطـرق (كسـر إشارات الضوء، اقتلاع شجيرات الزينة، اقتلاع الحواجز على الأرصفة الخ ...) مـع أن الفائدة المباشرة منها تعود عليهم قبل غيرهم. إنهم في عملهم هذا يهـاجمون رمـوز المتسلط ؛ لإحساسهم بأن ما هو عام ليس ملكهم. والواقع أن الإنسـان المقهـور فـي المجتمع المتخلف يحس بالغربة في بلده، يحس بأنه لا يملك شيئاً، حتى المرافق العامـة يحس أنها ملك للسلطة، وليست مسألة تسهيلات حياتية له هو. ذلك أن الهوة كبيرة جداً بينه وبينها، وأن ما يستحقه من خدمات وتقديمات، تقدم له (إذا قدمت) كمنة أو فضـل. لا كواجب مستحق له. عندما يخرب المرافق العامة فهو، أولاً وقبل كل شـيء، يعبـر عن عدوانيته جاه المتسلط . يبدو هذا الأمر جلياً حين يرزح المجتمع تحت وطأة تسلط أجنبي استعماري. ويقرب من ذلك الميل إلى إتلاف الملكية الخاصـة بشـكل خفـي، كتعبير عن الحقد الذي يصاحب الإحباط في هذا السـلوك انتقـام مـن ذوي الحظـوة المقربين من المتسلط عموماً)[١].

---

[١] التخلف الاجتماعي ، ص١٨٠.

(٧)
عقدة التعصب (Prejudice)

من علماء الشيعة الذين ينظر إليهم كمصلحين داخل المذهب الشيعي، بعيداً عن التعصب والطائفية اللبناني محمد حسين فضل الله. تأمّل هذه الواقعة عن هذا الرجل الموصوف بالتسامح، وأنه يسعى في سبيل الجمع بين أهل السنة والشيعة، والذي صدّق كثير من أهل السنة مثل هذه الأساطير عن هذا الرجل وأمثاله:

كتب أحد المشايخ الشيعة هو "طالب السنجري" كتاباً أسماه (التشيع كما أفهمه)، أكد فيه أن الرجوع إلى الخليفة عمر بن الخطاب كما الرجوع إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما؛ لكون الاثنين يستقيان علمهما من منبع واحد، وهو القرآن والسنة. فكانت هذه الكلمة كفيلة لكي يقوم المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله بطرده من حوزته الكائنة في منطقة السيدة زينب في سوريا، حيث كان الشيخ طالب السنجري أستاذًا للفقه فيها. وقد حورب السنجري على رأيه هذا وحوصر من جميع الجهات، الأمر الذي دفعه للقيام بفتح محل لبيع الأحذية، بعد أن أغلقت جميع الحوزات الشيعية أبوابها في وجهه، وقطعت جميع مكاتب المرجعيات الشيعية رواتبها التي كانت تقدمها لطلبة وأساتذة الحوزات عنه. وهو اليوم يعمل الآن إمامًا لأحد المراكز الإسلامية في مدينة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية[١].

يقول د. حامد عبد السلام زهران: (التعصب هو اتجاه نفسي جامد مشحون انفعالياً، أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو ضد جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، بل ربما يستند إلى أساطير وخرافات.. وهو يجعل الإنسان **يرى ما يحب أن يراه فقط ، ولا يرى ما لا يحب أن يراه؛** فهو يعمى ويصم ويشوه إدراك الواقع، ويعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب.

سمات المتعصب

وقد وجد أن الشخص المتعصب يفضل استخدام العقاب الجسمي، والانضمام إلى الأحزاب المتطرفة الأقرب إلى الفاشية، ويميل إلى صلابة الرأي والمحافظة

---

[١] موقع الرابطة العراقية ، صباح الموسوي ، محاولات أولية لإصلاح الشيعة ، ١ محرم ١٤٢٨ ، ٢٠٠٧/١/١٩ .

والتسلطية، ويتصف بجمود الفكر وجمود الاتجاهات وعدم المرونة، ويهتم بالمكانة الاجتماعية والقوة، ويتأثر بسهولة بأصحاب مراكز السلطة، ويميل إلى العدوان والقلق، إلا أنه قد يكبته، ويظهر مؤدباً هادئاً، ويسقط عدوانه وقلقه على الجماعات التي يتعصب ضدها.

الدوافع النفسية للتعصب

يرى علماء التحليل النفسي أن التعصب يؤدي وظيفة نفسية خاصة تتلخص في التنفيس عما يعتلج في النفس من توتر وكراهية وعدوان مكبوت، وذلك عن طريق عمليتي الإزاحة والإبدال دفاعاً عن الذات وعمن تحبه..

وقد يكون التعصب عبارة عن **إسقاط نقائص** الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين الذين يعتبرون ((كبش فداء)) أو ((ضحايا)). ومن ثم يعتبر التعصب إحدى حيل الدفاع. وتقول نظرية ((كبش الفداء)): إن الإحباط يسبب العدوان، ويكون هناك محاولة لكف العدوان ضد المصدر الحقيقي للإحباط، وقد يغيب أو لا يعرف مصدر الإحباط. وهذا يسبب إزاحة العدوان على جماعة أخرى..

ويؤكد البعض أن التعصب معناه حب الذات أو عشق الذات أو النرجسية..

ويقول البعض: إن الفرد يكتسب التعصب من مجتمعه من باب الموافقة أو المطابقة أو المسايرة. ويعتبر بمثابة ((تذكرة دخول اجتماعي)) تساعد الفرد على التفاعل الاجتماعي ومسايرة النمط الثقافي السائد في مجتمعه.

ويرى كريتش وكروتشفيلد (١٩٤٨) أن التعصب لا يوجد في الغالب إلا بين الشخصيات التي تعاني من السادية ومشاعر العدوان والإحباط والهُذاء (البارانويا).

وأوضحت بحوث فرينكل – برونزويك (١٩٤٩) أن التفكير الجامد النمطي يسهل نمو التعصب. فقد وجدت أن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون أيضاً إلى أن يتصفوا بالتعصب والتسلطية، وعدم التسامح بالنسبة للسلالات أو الأجناس أو الجماعات الأخرى. وهذا غالباً يرجع إلى عدم الأمن الذي يطغى على تكوين الشخصية لديهم)[1].

---

[1] علم النفس الاجتماعي ، ص١٧٤-١٧٩ ، الدكتور حامد عبد السلام زهران. عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤.



السيد علي الميلاني

تاريخ التسجيل » Dec 2002
البلد »
عدد المشاركات » ١٨٥
بمعدل » ٠.٤٥ مشاركة لكل يوم

ما حكم مصافحة الوهابي ؟

العضو السائل : عبر البريد
رقم السؤال : ١٥٩

السؤال :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. و أدامكم الله لما فيه الخير ..
ما حكم مصافحة الوهابي ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم

إنّا مأمورون بحسن المعاشرة مع سائر الناس حتى الكفار الملاحدة، وبرعاية الآداب الإجتماعيّة والأخلاق الإنسانيّة مع الكلّ، غير أن "النواصب" أنجاس ويجب تطهير اليد بعد المصافحة إن كانت برطوبة.
والسلام

أخبر المراقب عن هذا الرد | رقم الـ IP

حكم مصافحة الوهابي (أي السني)

التعصب إذن مرض اجتماعي خطير يعبر عن طفولية حضارية، وبدائية فكرية، وبدوية عنصرية، يؤدي بصاحبه إلى أن لا يستجيب لشواهد الحق مهما وضحت، ولا أسباب الرفق والإحسان مهما تنوعت وكثرت!

إنه ينظر إلى الأشياء والحقائق بمنظار واحد، هو منظار الطائفة التي ينتمي إليها: فالحق ما وافق طائفته، والباطل ما خالفها!

إن مثل المتعصب في النظر إلى طائفته – كما يقول الدكتور علي الوردي في أحد كتبه – كمثل البدوي في النظر إلى قبيلته. إن الحق لا يعنيه في أي جانب يكون بقدر ما يعنيه موقف القبيلة!

وهي صفة متأصلة في اليهود الذين **(إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ)** (البقرة:٩١). فالحق (ما أنزل عليهم) لا (ما أنزل) مطلقاً. فما نزل على غيرهم هو الباطل، لسبب بسيط هو أنه أنزل على غيرهم! على من خالفهم.

من فمك أدينك

ولهذا يجمع علماء الشيعة ليس على تكفير أهل السنة فحسب، بل تكفير كل المخالفين،

ولو كانوا من الشيعة.

يقول الخوئي : (المراد من المؤمن هنا من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثني عشر (ع) أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم القائم الحجة المنتظر. ومن أنكر واحداً منهم جازت غيبته لوجوه: الوجه الأول: أنَّه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم أي غيبتهم لأنهم من أهل البدع والريب،بل لا شبهة في كفرهم. لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية ، وكفر المعتقد بالعقائد المذكورة، وما يشبهها من الضلالات)[1].

هل هناك تعصب أشد من هذا؟!!!

وقد لاحظ الشيخ محمد طه الكرمي (وهو شيعي محترق) هذه الصفة المقيتة في الفرس حين قال: (والفرس طائفيون أكثر من غيرهم. فهم لو أعطاهم المجال من نفسه فسحة ذات مدى، لما عرفوا للعالَم ديّاراً يليق به من كافة شؤونه، حيوية أم اجتماعية، إلا أنفسهم! ويزرون على كل أحد، وخصوصاً إذا جمعتهم المحافل في صميم ديارهم. في حال أنهم أمة تقصر عن سائر الأمم بكثير في كثير من الأمور، إن في العدة وإن في العدد وإن في الشؤون الأُخر. فهؤلاء الترك – ونحن قد مارسناهم ودرسنا روحياتهم – لا يقرظون أنفسهم ولا بمعشار ما يقرظ الفارسي نفسه! على أنهم أمة ذات عدد وشوكة، وأخذت الشوط البعيد في الحياة حاكمة لأكثر المعمور. ولها اليوم كيان رفيع في مستوى الجامعة)[2].

الشعور بالتهديد الخارجي

وإذا عرفنا أن الشخصية الدونية الاضطهادية – فرداً أو جماعة – تمتاز بالخوف والشعور بالتوجس من الآخر؛ ما يؤدي بها إلى الانغلاق الانكماش على الذات، فإننا نجد في كلام د. حجازي الآتي خير تفسير لجذور التعصب والانغلاق عند عامة الشيعة، وتمسكهم البدائي بالطائفة، وحاجتهم الطفولية للمرجع والمرجعية:

(الجماعات المغلقة من الظواهر التي حللها جيدا علم النفس الاجتماعي . إنها وليدة

---

[1] مصباح الفقاهة ، ص٣٢٣ .

[2] الحياة الروحية ، الحلقة الثانية ، ص٢٤٨ ، محمد الكرمي ، مصدر سابق.

الإحساس بالتهديد الخارجي، أكان مصدره بشريا أم طبيعيا. ينقسم العالم في هذه الحالة إلى عالمين متناقضين تماماً: الخارج والداخل. أما الخارج فهو العدو ومصدر الخطر والشر، العلاقة معه عدائية اضطهادية، والموقف منه إما انسحابي تجنبي، أو تهجمي تدميري. وأما الداخل فهو الخير كله، وهو مصدر الأمن والشعور بالانتماء، مصدر الهوية الذاتية، وهو بالتالي المرجع والملاذ.

ويحدث في هذه الحالة نوع من الانشطار العاطفي بشكل يجعل المواقف قطعية: كل الشر والخطر والسوء، كل العقبات والموانع الذاتية والموضوعية، كل العدوانية الذاتية المقموعة والمتراكمة، تسقط على الخارج؛ مما يؤدي إلى تبخيسه تماماً. وهكذا يتحول الخارج إلى مجرد أسطورة مخيفة يجب الحذر منها. وليس من موقف اتجاهها إلا العنف والتدمير. وأما العواطف الإيجابية فتتوجه إلى الداخل، إلى النموذج الذي يجب أن يحتذى. كل منهم يتحول إلى مرآة تعكس للآخرين ذواتهم الإيجابية. ويحدث هنا إفراط في إعطاء القيمة للجماعة الداخلية على حساب الإفراط في تبخيس الجماعات الخارجية. وتشتد الأواصر ضمن الجماعة المغلقة بقدر حاجتها لتجنب قلق الانفصال. إنها تشتد بقدر الحاجة لإنكار الصراعات والتناقضات الداخلية، وما يرافقها بالضرورة من مشاعر عدوانية. ويذهب الدفاع ضد هذه التناقضات حد الذوبان الكلي في الجماعة لدرجة يفقد معها الفرد استقلاليته وهويته الذاتية، ولا يعود له من هوية سوى الهوية الجماعية. وتغلق الحدود النفسية بين الجماعة وغيرها من الجماعات. يقتصر التفاعل والتواصل على الحد الأدنى الضروري، أو يتوقف عند حدود الاضطهاد المتبادل. وبالطبع بمقدار انغلاق الجماعة، ترتفع درجة النرجسية ضمنها وبين أفرادها؛ نظراً لأن كلاً منهم يكون مرآة ذات الآخر.

تضخم قيمة الجماعة

وبارتفاع النرجسية تتضخم قيمة الجماعة حتى تصبح القيمة المطلقة أو الوحيدة. وتتضخم معها وبنفس الدرجة قيمة الفرد. ويأخذ الأمر على هذا المستوى نوعاً من الشعور بالامتلاء والاعتزاز بالانتماء، وحالة من الإحساس بالمنعة. وترتفع درجة الذوبان في الجماعة على المستوى الفردي، بما يتناسب مع مستوى الإحساس بالضعف والعجز وانعدام القيمة. أكثر الأفراد ذوباناً في الجماعة وتعصباً لها هم، في معظم

الأحوال، أشدهم عجزاً عن الاستقلال والوصول إلى مكانة فردية، وإلى قيمة ذاتية تنبع من شخصيتهم. العلاقة الدمجية، أو الذوبانية داخل الجماعة المغلقة تتصف بالاتكال الشديد على رموز القوة في هذه الجماعة، وعلى عناصر السلطة المادية والنفسية فيها. هذه العناصر تتضخم بدورها بشكل لا واقعي بمقدار الحاجة إلى الإحساس بالأمن والمحبة. كما أن هذه العلاقة نكوصية أساساً. بمعنى أن الفرد من هؤلاء يبحث، بشكل لا واع، عن العودة إلى العلاقات الدمجية بالأم، مصدر الحب والدفء والحنان والغذاء، ومصدر السلوى، وعامل إبعاد المنغصات الحياتية. الجماعة المغلقة ذات الدلالة الإيجابية ومرجع تعريف الذات وتوكيدها، هي الأُم بعينها، الأُم المعطاء التي يجب أن تستقطب كل الولاء. ومن هنا التعصب المفرط لتقاليد الجماعة ومعاييرها، وردود الفعل العنيفة ضد كل من يحاول خرقها من الداخل، أو الاعتداء عليها من الخارج.

هذه الظاهرة تشيع كثيراً في المجتمعات المتخلفة، حيث نجد أينما حللنا جماعات متفاوتة في كبرها، مغلقة على ذاتها، تشد أفرادها إليها بقوة لا تقاوم، وتقوم بينها وبين الجماعات المتجاورة علاقات صراع وعداء وحذر واضطهاد. كل التناقضات الداخلية توجه إلى الجماعات الأخرى التي تستباح عادة إذا سنحت الفرصة في أملاكها وأموالها وأرواحها)[1].

وهكذا تجد أتباع التشيع منغلقين على أنفسهم، ومتعصبين إلى حد العقدة، والعقدة الشائكة المركبة المتشابكة الأسباب والجذور.

إنها عقدة وعقيدة وولاء وتقليد وتاريخ وجغرافيا وعنصر وهوية! لا يرون الحق إلا في جانبهم مهما كانت أفكارهم باطلة وخارجة عن العقل أو العرف والمألوف. ويكفرون غيرهم طبقا إلى هذه الأفكار السمجة، ويلمزونهم بشتى الألقاب والنعوت مثل (أبناء العامة) و(الوهابية) و(النواصب). وكلها نعوت مكفرة عندهم. يغذي هذه العقدة حقد (مجوسي فارسي) عميق ضد الإسلام، وضد العرب أولئك القوم الذين أزاحوا الفارسي وأطفأوا ناره وكبتوا أهله ودمروا عرشه وحطموا تاجه.

---

[1] التخلف الاجتماعي ، ص١١٤-١١٦.

(٨)
عقدة (السيد)

عقدة النقص أو الدون هي الدافع

تتنازع (الفارسي) عقد تبدو في ظاهرها متناقضة، ولكنها في حقيقتهـا تنبـع مـن مصدر واحد وتتفاعل فيما بينها بتناسق وتساند. فهو من ناحية يعاني من عقدة الشعور بالنقص، ومن ناحية أخرى يحيط نفسه بمظاهر الفخفخة والكبرياء، ويتصرف بغطرسة واستعلاء. والحقيقة أن هذه من تلك!

يقول د. علي الوردي: (يقول جعفر بن محمد: ((ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه)). وهو قول يصدق في حالات كثيرة. فلقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الكبرياء تستعمل أحياناً كستار للتغطية لدى بعض الأفراد: فإن الذي يملك مزية حقيقية تميزه عن غيره من الناس لا يحس بحاجة إلى هذا الستار . فهو يدخل بين الناس على طبيعته من غير تكلف أو تكبر أو رياء.

أما الذي يشعر بأنه دون الناس، أو مثلهم على الأقل، فهو يحاول أن يضع بينه وبين الناس حجاباً من الكبرياء؛ لئلا تتكشف حقيقته العادية بينهم. ويلجأ إلـى وضـع هـذا الحجاب في الغالب أولئك الذين صعد بهم القدر إلى مناصب ليسوا هم في الحقيقة أهلاً لها. إنهم مضطرون في مثل هذه الحالة أن يتخذوا لهم سلوكاً خاصاً بهم لكي يتميـزوا به عما سواهم من الناس. وبعبارة أخرى: إنهم يخلقـون لأنفسـهم مظـاهر التميـز، ويتصنعون بها تصنعاً لكي يعوضوا بذلك عما فقدوه من حقيقة التميـز الطبيعـي. إن الفوارق الاصطناعية التي يلتزمها الناقصون ويتعصبون لهـا تشـبع فـيهم رغبـة لا شعورية للتفوق والاستعلاء والتباهي)[1].

فالاستعلاء والكبرياء إذن ما هو إلا غلاف يحيط به نفسه لستر شـعوره بـالنقص إزاء الآخرين! وذلك كما فعل إبليس مع آدم عليه السلام حين فضله الله تعالى عليه فـ(أبـى واستكبر) و(قال أنا خير منه). وكما فعل اليهود من بعد حين ادعوا انهـم (شـعب الله المختار) و(قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه).

ثلاثة حين عجزوا عن حيازة الأفضلية بالفعل، وشعروا بالدون جنحوا إلى التبجح

---

(١) خوارق اللاشعور ، ص٢١٦ ، د. علي الوردي.

بالعنصر: (إبليس واليهود والفرس) حتى تحول ذلك فيهم إلى (عقدة)! بل.. عقيدة!!.

إنهم – من ناحية – أفسد خلق الله تعالى فعلاً ، و – من ناحية – أكثرهم تبجحاً واغترارا بالطين والعنصر؟ ولهذا قال الخبراء – كما مر بنا من قبل – (الفارسي إنسان متغطرس وأكثر ميلاً إلى احتقار الغريب فيما إذا اعتقد بأنه يحاول إخضاعه وإذلاله). وهو دائما يعتقد هذا في الغريب لإصابته بـ(عقدة الشك) (ومركب الخوف من كل ما هو أجنبي وغريب ويثير لديهم غلوا في التعصب لوطنهم وتفاخرا عميقا بجميع الأشياء الفارسية ويتنامى عندهم شعور بالاستثنائية الفذة التي لا مثيل لها).

عقدة الاضطهاد وعلاقتها بعقدة السيد

ولـ(عقدة الاضطهاد) المغروسة عميقاً في نفسية (الفارسي) علاقة وثيقة بـ(عقدة السيد). يقول د. محمد احمد النابلسي (استاذ الطب النفسي وأمين عام الاتحاد العربي للعلوم النفسية): (ان مشاعر الاضطهاد تشكل عنصر الدعم الأساسي لمشاعر العظمة والتفوق. وهذا ما تثبته الوقائع العيادية– النفسية. حيث يترافق جنون العظمة (البارانويا) دائما مع مشاعر الظلم والاضطهاد. مما يجعل من هذه الأخيرة ضرورية للشعور بالأهمية والعظمة والتفوق)[١].

تأمل اسم أول دولة لهم في التاريخ عيلام : **Hal-tampt** ! ان معناه (بلاد السيد) فـ(**Hal**) تعني(بلاد) و(**tampt**) (سيد)[٢] .

بل أطلقوا على أنفسهم اسم (السادة) و(الأحرار) حتى صار هذا الاسم علما على الفرس! فإذا قيل (السادة) أو (الأحرار) فإنما يعني بِهِ القائل (الفرس) لا غير . وبهذا يظهر أن لقب (السيد) علماً على (رجال الدين) فارسي المصدر، لا سيما إذا استحضرت أنهم لا يفرقون بين (رجل الدين) ورجل المُلك، وعلمت أن الدين والملك عندهم محصور في بيت واحد.

احتقار الأمم لا سيما العرب

وظل الفرس يسمون أنفسهم كذلك تعصباً لعنصرهم، واحتقارا لغيرهم من الشعوب لا سيما العرب؛ لأنهم يشعرون تجاههم بـ (عقدة الدون). ومن شواهد ذلك ما روى لنا

---

(١) لقاء مع مجلة اللواء الإسلامي ، طرابلس ، مستل من الانترنيت.

(٢) الصراع العراقي الفارسي ، ص٤٦ ، مصدر سابق .

التاريخ من أن الملك الوحيد الذي مزق كتاب النبي ﷺ من بين الملوك الذين راسلهم النبي بكل عنجهية وكبرياء هو كسرى حتى قال الخبيث (لع): كيف يتجرأ فيذكر اسمه قبل اسمي وهو عبد من عبيدي؟! ثم ماذا فعل بعدها؟ انظر إلى هذا التصرف الذي لا ينم إلا عن عقدة مريضة: أرسل إلى نائبه على اليمن أن ابعث رجلين من قبلك إلى هذا الذي يزعم أنه نبي وليأتياني به مقيداً !!!

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد أن أحد علماء السنة المعروفين في شيراز على عهد الشاه إسماعيل الصفوي وهو شمس الدين الخفري حين تقدم بين يدي الشاه من أجل امتحانه في سب الخلفاء الثلاثة انبرى يلعنهم لعناً شنيعا فنجى بذلك من الذبح، ولما خرج من عند الشاه عاتبه أصحابه وقالوا له: كيف ارتددت عن دينك ولعنت أئمتك الثلاثة؟! فأجابهم: لأجل هؤلاء الأعراب الثلاثة أقتل أنا مع ما أنا عليه من الفضل والكمال![1]. انظر كيف عبر عذره عن (عقدته) الكامنة في نفسه – عقدة (السيد)!

شاهد أو مشهد مثير

تأمل هذا المشهد، الذي لا يمكن أن يخطر ببال أحد، إلا في أفلام الخيال – ربما – والذي يمثل نموذجاً صارخاً للتعبير عن هذه العقدة لدى الفارسي أو المتشيع بتشيعه: عنجهية ما بعدها عنجهية، واستكبار فارغ لا ينم إلا عن مرض خبيث متأصل في نفسية مريضة لا أمل في شفائها! لشخص مجرد من كل قوة في بلد غريب عنه يعامل وزيراً في بلده جاءه مبلغاً رسالة من رئيس دولته، يعامله بهذه الطريقة:

(كان الشاعر والأديب الذي تقلد منصب وزير الإعلام والثقافة، شفيق الكمالي، قد كلف بإبلاغ خميني برسالة صدام التي فحواها أن استمرار بقاء آية الله في النجف من شأنه أن يصبح خطراً على أمن العراق ومصلحته القومية، وأنه بالنظر إلى الحالة غير المستقرة والمتوترة في إيران، وحفاظاً على العلاقة بين البلدين عليه أن يرحل.

دخل شفيق الكمالي ومعه وفد كبير شقة الخميني. وقبل أن يسمح لهم بالدخول على الخميني ظهر سكرتيره الخاص وأخبرهم أن آية الله الخميني لا يرغب في مصافحة أحد، وأن عليهم أن يكتفوا بتحية الإسلام المعروفة ((السلام عليكم)). وعندما دخلوا

---

[1] لمحات اجتماعية، ٥٨/١ ، الدكتور علي الوردي.

الحجرة التي يستقبل فيها الخميني ضيوفه، كان الخميني يجلس مع المترجم على الأرض. قال الكمالي: ((السلام عليكم))، لكن آية الله رد السلام ببرود ولم ينهض أيضاً، فكان على أعضاء الوفد العراقي أن يجلسوا هم أيضاً على الأرض ، قبل أن يصرح وزير الإعلام والثقافة برغبة صدام.

كان الخميني يحملق في سقف الغرفة أو في مترجمه أو سكرتيره بشكل ملفت للانتباه، فلم يكن لينعم على وزير الإعلام أو أي من المبعوثين من بغداد بنظرة واحدة. كان يجيب على الأسئلة بنعم أو بلا، أو يترك مهمة الإجابة عنها لسكرتيره الخاص. ولم ينظر الخميني إلى الرسل القادمين من بغداد إلا بعد أن انتهى الحديث الذي لم يدع فيه الكمالي مجالاً للشك أنه لا يوجد حل آخر سوى أن يغادر الخميني العراق في أقرب وقت ممكن.

((كان ينظر إلينا الواحد تلو الآخر دون أن ينبس بكلمة، كان له حضور قوي. كنت أشعر كما لو كنت أقف في مهب محرك نفاث عندما يصوب عينيه نحوي. بدأت أرتعد))، ذلك ما رواه لي الكمالي فيما بعد مضيفاً: ((كان لدينا جميعاً نفس الشعور عندما خرجنا من عنده)). يقول مدير صحة محافظة البصرة آنذاك، نزار شاهبندر، الذي كان عضواً في لجنة مهمتها الإشراف على كل شيء يخص فترة إقامة الخميني والاعتناء به أثناء المرور من هناك والتوجه إلى الكويت: ((كان الخميني غاضباً وثائراً بشكل جنوني))[1].

غاضباً من أي ؟ وثائراً على من ؟ أيها الحاقد المعقد ! أكثر من عشر سنين وأنت تتنعم بخيرات العراق، وتتقلب في نعمه. من أنت؟ ومن أين أتتك كل هذه الكبرياء الجنونية؟ وهذا الحقد الذي يأكل كبدك كالجرب بحيث لا تتحمل أن تنظر في وجوه قوم طالما أحسنوا إليك! ما سوء الأدب هذا؟! وزير وحاشية تتجشم عناء المجيء إليك من بغداد، احتراماً لشيبتك وصفتك طبقاً لأخلاق العرب، من أجل أن يبلغوك أمراً كان يمكنهم بكل بساطة أن يستدعوك إلى أقرب مركز شرطة ليبلغوك إياه، أو يرسلوا إليك شرطياً يقوم بالمهمة، أو يشد وثاقك ليرميك خلف الحدود، أو يسلمك إلى الشاه يفعل بك ما يشاء، وينهي قصتك. لكنهم لم يفعلوا بك ذلك كله – وهم قادرون لو أرادوا – واعتبروك ضيفاً، أو (دخيلاً) يلزمهم الخلق العربي أن يعاملوه معاملة خاصة. وفوق ذلك أولوك – بلا معنى – احتراماً لا تستحقه، وتأبى عليك نفسيتك المعقدة أن تفهمه

[1] كنت طبيباً لصدام ، ص٨٥-٨٦ ، الدكتور علاء بشير ، مصدر سابق.

كما يفهمه الأسوياء؛ فأرسلوا إليك وزيراً ! فتستكثر على وزير احترمك ووقرك وقطع إليك كل تلك المسافة، أن تستقبله وتصافحه وتكرمه كما يوجب عليك الدين الذي تنتسب إليه، أو الخلق الإنساني على الأقل ؟! ولكنها العقد الفارسية: عقدة السيد وعقدة الصفاقة وعقدة اللؤم ونكران الجميل و.. و... . ليس الذنب ذنبك، إنما ذنب أولئك الذين احترموك. ألم يكن فيهم رجل رشيد يقوم إليك في تلك اللحظة ليمرغ أنفك بالحذاء، ويخرج تلك **الشم**خرة من ذلك الأنف الخبيث؟ ثم يرميك على حدود إيران؟ عفواً أيها(السيد) ! المشكلة فينا، وليست فيكم. ولعل الكثيرين لا يعلمون أنك من أرباب السوابق الذين سجلت في حقهم دعوى في شرطة النجف أيام كنت طالباً في الحوزة وقد ضبطت مع عريف في الجيش متلبساً بالجرم الذي لا يكاد يسلم منه معمم فارسي! من هنا خرجت تلك العنجهية، وتلك الكبرياء الفارسية الفارغة. من هنا شحنت بذلك الحقد وتلبست بتلك الغطرسة! هل عرفت نفسك؟!

وشهد شاهد منهم على مثله

يقول شيعي محترق، لكنه عليم بحال الفرس، خبير بهم لطول معاشرته إياهم هو محمد طه الكرمي: (والفرس بطبيعتهم أنانيون يتطلبون مساقط العنوان، ومهابط الفخفخة، بكل ما يتمكنون، وبأي طريق يحصل لهم ذلك. ولذا كثرت فيهم المذاهب، وتفتقت شعب الدين؛ لأن هذه الاختلافات من مظان الترقي وشهرة الاسم. ففيهم كثرة الصوفية والأقطاب. وفيهم الشيخية، وفيهم البابية والبهائية. وفيهم المجوسية لحالهم الحاضر. وفيهم الكسروية واللامبدئية بصورة فاشية، إلى غير ذلك من مشارب ومذاهب... وزعيم الشيخية، الذي منهم وعندهم، آية في التجبر والتنفس والتعنون والتنعم والثروة. وهكذا نوع طبقاتهم الشاخصين ، إن باسم الدنيا، وإن باسم الدين. ولم يحدثنا التاريخ ، فيما سبق لنا من سلف ، أنهم يستأجرون المأمومين وطلبة العلم لصلاة الجماعة وحضور حلقة الدرس بدراهم ودنانير كما أوقفنا عليه في حاضره هذا، ومن الفرس فقط ومن تأثر بروحياتهم فحسب.

وهم أناس متحركون يعرفون كيف يسلكون في تصيد الدنيا والعنوان. فيشتري من يريد منهم الاسم والعنوان، وأنه صار مندوباً في المجلس النيابي في الدورة السادسة عشرة مثلاً الرأي الواحد بمئات الدراهم، بل بآلافها، وإن كان لا يستفيد من الكرسي سوى الاسم فقط! ويهاجر الذي لم يجد منهم في داره حيلة ومناصاً إلى مناطق تغلب عليها

البساطة حتى يستطيع التأثير عليها. وإذا به (آقا خان المحلاتي) دب لا يعقل سوى الأكل والشرب والبطن المنتفخ، واكتناز الأموال، واحتجاز الغواني في قصره المشيد في الهند)[1].

ويقول أيضاً: (فالرجل الفارسي إذا حصل في الجامعة أقل عنوان من تمول أو رياسة أو علم، نفخ صدره بما لا حد معه مبدئياً كان أم مادياً. حتى إن العلماء الرامين إلى التدين وترويج الشريعة منهم إذا خولهم الزمان أقل فرصة من فرصه فسادوا واشتهروا لا تحملهم الأرض يمشون عليها من تبخترهم. دع عنك ذواتهم؛ فقد تكون لها قيمة ذاتية، ولكن هلمّ الخطب في خدمهم! فتراه بعد أن كان حمالاً يستأجره أقل الناس لحمل أثقاله بدراهم بخسة، فوفقه الزمان لخدمة هذا الرجل لا يعير التفاتاً لأي أحد، وبالأخص إذا كان من الروحانيين الذين يتقاضون من مخدومه الخبز والدراهم)[2].

---

[1] الحياة الروحية ، الحلقة الثانية ، ص٢٤٤ ، محمد الكرمي ، مطبعة قم ، سنة ١٣٨٦ . والكتاب مليء بالطعن في الصحابة فمن دونهم من حملة ديننا، وصناع تاريخنا. وإن أعجب فعجبي من عنوان الكتاب (الحياة الروحية)!!! وليس فيه من (الروحانيات) سوى ذلك النبش الفارسي المكرر الممل نفسه لتاريخنا والإساءة إليه بكل سبيل، وفي خيرة عصوره الزاهرة! وأعجب منه تناقضه في ادعائه الانتساب إلى أمة العرب، ثم هو يحذو حذو الشعوبيين المتطرفين في ذم تاريخها، ومخالفة دينه وعقيدتها! انظر إليه كيف يقول: (أفيرجى من هذه الأمة المتخاذلة من بادئها القديم ما سوى عصر النبوة وقليل بعده إلى حاضرها الفعلي التي تكيل دينها جزافاً ومجاناً أن تقوم بحفظ ناموسها المبدأي، وتحتفظ بشعارها الديني، وتمشي إلى جنب مقرراتها مشياً صحيحاً، لا غش فيه ولا تدليس بدافع نفسها وباختيار منها. كلا وحاشا. فإن الأدوار التاريخية لا تزال – كما لم تزل – تحدث عن الأمة الإسلامية أحاديث مشوهة توجب الخجل والفشل، يعلم الله . ولو جاز لنا أن نكشف الغطاء عن مساوي هذه الأمة وذنوبها بالنسبة إلى دينها وعقيدتها، وخيانتها لمبدئها القويم، لملأنا المجلدات الضخمة بأحاديث لا تقبل الريب والتشكيك في صدورها ووقوعها من الخليفة أمير المؤمنين إلى من دونه بمرقاة، وهكذا إلى أدنى الطبقات)!!!/أصول الدين الإسلامي ، الحلقة الرابعة من سلسلة الحياة الروحية ، ص٢٣٥. وهذا من الدلائل على أن التشيع الخبيث إذا تمكن من قوم لم يعد بينهم من فرق في عقدهم وعقائدهم، فرساً كانوا في أصلهم أم عرباً أم غيرهم، إلا في أمور ظاهرية غير مؤثرة. فافهم تسلم.

[2] أيضاً ، ص٢٤٧ .

المتسيد لا يحترم إلا من يذله

والسيد لا يلتفت إلى إحسان العبد تجاهه؛ لاعتقاده أن ذلك حق من حقوقه. وكل ما يقدمه (العبد) تجاه (السيد) يعتبر خدمة واجبة عليه لا يستحق عليها الشكر. ولا يلتفت السيد إلى رأي العبد كذلك، ولا يسمع لكلامه بل قد لا يسمح له بالكلام في حضرته أصلاً لأنه عبد.

إن عقدة (السيد) عند العجمي والمستعجم تبطل مفعول أي إحسان تقدمه إليه من أجل تقريبه وكسبه. وتجعل آذانه في صمم عن سماع كلامك ورأيك ما لم يكن كلام سيد يمتاز بالقوة والجرأة والاستعلاء اللذين يمتاز به كلام السادة مع العبيد. إن هذه العقدة تفرض على من يتعامل مع المصابين بها أحد خيارين: فإما أن يتعامل معهم كـ(سيد)، وإما أن يعاملوه كعبد! وليس من خيار ثالث.

إن اللين واللطف وجميع أساليب التقريب ليست أكثر من (مغذ) أو حقنة (فيتامينات) تغذي هذه العقدة عند (الفارسي) وتقويها! فيبتعد أكثر عن (اللينين) الوادعين. ويتصامم عن سماع كلامهم ويحتقرهم ولا يعاملهم باحترام؛ لأن (السيد) لا يحترم إلا سيداً مثله، ولا يعتبر إحسانه إليه. بل يفسر كل مجاملة أو تعامل لطيف على أنه ضعف أو خداع! فإذا أردت منه أن يحترمك ويسمع لكلامك فكن سيداً مثله في خطابك وموقفك وكلمه بلغة السيد ولهجته. وإن علوت أكثر وأشعرته بأنك فوقه وأنه دونك فهذا أجدى. وإلا فإن الطريق الآخر مسدود.

والتاريخ – وكذلك الواقع – خير شاهد.

ما ضعف العراق في التاريخ مرة إلا وغزاه الفرس

لقد ثبت تاريخياً أن (الفرس) لا يحترمون إلا القوي، ولا يعترفون إلا به ولا ينصاعون إلا للقوة ولا يفهمون سوى خطابها ولغتها. وما من مرة تولى فيها الحكم في العراق حاكم ضعيف إلا وتحرك العجم باتجاهه يغزونه ويعتدون عليه. وما من حاكم قوي إلا وله معهم موقعة يلقنهم فيها أحكم الدروس وأبلغها. من أوتوحيكال وسرجون إلى حمورابي ونبو خذ نصر إلى آشور بانيبال وسميراميس إلى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وصولاً إلى صدام حسين. عندها قد يسمعون له وهو يتكلم لهم عن (أسطورة) الجار وحقوقه أو الدين ولوازمه وآدابه. كاليهود تماماً! أخذ الله عليهم

الميثاق وهم تحت الطور الذي يكاد ينقض عليهم، ثم ما إن ذهب عنهم الخوف حتى تولوا فكانوا من المعرضين! وعلى هذا الأساس تعامل معهم رسول الله ﷺ فنجح أيما نجاح.

ولقد أثبتت الوقائع ، والأحداث والواقع ، أن جميع محاولات التقريب لم تجد مع الشيعة شيئاً، وأن الأفكار التقريبية والدعوات اللينة أو (الهادئة) وكلمات المدح والتزلف تنقلب عندهم – لفساد مزاجهم – إلى سلاح متفجر يحاربوننا به ويفجرونه في وجوهنا كل حين. إن هذا لا يزيدهم إلا عتواً وخبالاً، ولا نكسب منه إلا مزيداً من الأدلة أو الأسلحة التي تستعمل ضدنا بوقاحة وصلف!

هل أجدت معهم هذه المقولات الخانعة: (لولا علي لهلك عمر) (لولا السنتان لهلك النعمان) (إن جعفر الصادق هو إمام المذاهب)..الخ؟!

على العكس! لقد استعملوها بالمقلوب واعتبروها أدلة على جهل عمر وأبي حنيفة، وأن الأصل هو التشيع وما عداه ففرع وعالة.

إن السيد – أيها السادة ! – لا يحترم إلا سيداً مثله أو يزيد عليه.

(٩)

عقدة الاستخذاء

قيل لأعرابي: كيف تقول إذا أردت الفعل المضارع من الفعل (استخذيت) ؟ فقال : لا أقول شيئاً. قال: ولم ؟ قال: لأن العربي لا يستخذي.

عقدة النقص هي الأساس

تظهر على المتشيع فارسياً صفتان تبدوان - في ظاهرهما - متناقضتين، لكنهما في الحقيقة جد متناسقتين: فهو من ناحية متكبر متغطرس ولكن مع من هو دونه، أو مع من يقوم تجاهه بمراسيم الاحترام، وذلك بسبب عقدة (السيد). وهو متذلل متمسكن يتملق، لكن مع من هو أقوى منه، أو من يذله بسبب عقدة النقص.

إن المثل القائل: (يتمسكن حتى يتمكن) ينطبق عليه تمام الانطباق. ولقد رأينا العجم في مجتمعنا - والمستعجمين - يرتقون سلم الوجاهة والنفوذ من تحت سطح البحر خدماً في البيوت والدوائر وفراشين، ويمتهنون مهناً دنيئة و.. ومن هناك يرتقون!

وقد عبّر الباحث الأمريكي جاك ميلوك - كما مر بنا سابقاً - عن هذه الصفة عند الفارسي أصدق تعبير حين قال: (إن الملق والمداهنة والكذب والغش يجب أن تكون جميعا الأدوات التي يحتاجها الفرد لأجل أن يتقدم ويصعد إلى أعلى. لقد قال زعيم إيراني: إن الإيرانيين هم مثل الحرباء. إنهم يغيرون ألوانهم كل يوم وتتلون سياساتهم بما يتناسب مع ألوانهم المتغيرة. إن استعمال تعبيرات مثل: (إنني عبدك المطيع) أو مثل (إنني التراب الذي تطأه قدماك) أو (دعني اقبل رجليك ألف مرة)[1] هي جميعها

---

[1] إن هذا يذكرني بما هو شائع في الجنوب العراقي من هذه الألفاظ وأمثالها: أبوس إيدك، أنا خادمك، عْبَيدك (مع ترقيق الباء). والإشارة إلى الأشياء بأسمائها المصغرة: خبيزة (خبزة)، مَيَّه (ماء)، ثْليجة (من الثلج)، ثْويب (ثوب)، رْجَيجيَّة (رَقِّية)، بْطَيطِيخَة (بطيخة)، طْمَيطاية (من الطماطة)، خْوَيرة (من الخيار)، بعد روَيحتي (روحي)، بعد عوينتي (عيني) الخ... وهذا يدل على تأصل المذلة والعبودية والمسكنة في تلك النفوس. وإلى ذلك أشار عبد الرحمن الكواكبي بقوله:

جزء صغير من مفردات قياسية للغة اليومية التحادثية). مثلهم كمثل إخـوانهم اليهـود الذين (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) (البقرة:٦١). وفي الوقت نفسه لا يخجلون من قولهم: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُه) (المائدة:١١٨).

من مظاهر الملق عند المستعجم تقديسهم للعلماء إلى حد التأليه، واتخاذهم أربابا من دون الله يتذللون لهم ويقبلون أيديهم ويمارسون معهم جميع طقوس الخضـوع الـذليل التي لا تليق بعربي أو مسلم كريم. هذه الخاصية الخلقية الفارسية لها أكثر من جانـب يفسرها إضافة إلى النظر إليها من خلال عقدة النقص الأصلية.

المضطهد يقدس القوة

عقدة الاضطهاد مثلاً لها دور فاعل في تكوينها. المضطهد المغبون يميل إلى عشق القوة، وقد يصل به الأمر إلى حد التقديس، والوله المجرد؛ فهو يقـدس القـوة كيفمـا كانت، ومن أي جهة صدرت! فإذا كانت في جانبه أصابه الزهو، وتلبسـته الكبريـاء، ومضى يذل الآخرين ويستعبدهم يريد منهم أن يعبدوه أداءً لحق القوة المقدسـة التـي يمتلكها. وإذا كان ضعيفاً لا يملك القوة، توجه بالتقديس والتذلل نحـو مـن يمتلكهـا، فيعامله بالمذلة والملق والاستخذاء! لقد عبد الفرس النار؛ لأنها رمز القوة المتناغمة مع نفوسهم: النار قوة هوجاء مخربة، والفرس كذلك.

ولربما يفسر هذا أساس علاقتهم مع الشيطان المخلوق مـن نـار، وهـي كعلاقـة إخوانهم المنافقين به. ويسمون القوة العظمى في العالم – التي هي أمريكا – (الشـيطان الأكبر)، الذي ما إن قدم إليهم حتى قدموا له فروض الطاعـة، وتعـاونوا معـه. أمـا عداؤهم له، فادعاء فارغ يقوم على عقدة الاستعراض لا أكثر. وقد تكون في الآيتـين الآتيتين أشارة إلى هذا: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

(يستدل على عراقة الأمة في الاستعباد أو الحرية باستنطاق لغتها: هل هـي قليلـة ألفـاظ التعظـيم كالعربية مثلاً، أم هي غنية في عبارات الخضوع كالفارسية وتلك التي ليس فيها بين المتخاطبين أنـا وأنت، بل سيدي وعبدكم)/ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، ص٥٠ ، عبد الرحمن الكـواكبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ ، ١٩٧٣م ، دار القرآن الكريم ، بيروت.

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ... مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ) (البقرة:١٧،١٤).

اجتياف عملية التبخيس

جانب آخر يفسر هذه الخاصية الفارسية هو اجتياف عملية التبخيس والتقزيم التي يغرسها القوي في نفس الضعيف، فيتمثلها بدوره مشاعر قلة ودونية لذاته، وإعجاب وانبهار بالقوي المتسلط ، تنعكس على تصرفاته ملقاً وذلة ومسكنة، كما قال تعالى عن إخوتهم اليهود: (**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**) (آل عمران:١١٢) . انظر إلى الذلة والمسكنة كيف اجتمعت مع التكبر والعصيان والعدوانية إلى حد قتل الأنبياء!

يقول د. حجازي: (إن أبرز مظاهر اجتياف التبخيس والعدوانية اللذين يفرضهما عليه المتسلط هو الإعجاب به والاستسلام له في حالة من التبعية الكلية. وبمقدار ما ينهار اعتباره لذاته يتضخم تقديره للمتسلط ويرى فيه نوعاً من الإنسان الفائق الذي له حق شبه إلهي في السيادة والتمتع بكل الامتيازات. تلك علاقة رضوخ ((ماسوشي)) من خلال الاعتراف بحق المتسلط بفرض سيادته. ومن هنا تبرز حالات الاستزلام والتزلف والتقرب. ويتحدد الاعتبار الذاتي انطلاقاً من درجة التقرب من المتسلط ... الذي يعود فيزدريه من جديد لرضوخه واستكانته وتبعيته، محملاً إياه كل الوزر، معتبراً دونيته كجزء من لا يتجزأ من طبيعته؛ مما يبرر لنفسه كل أشكال القهر التي يمارسها)[١].

وهذا ملاحظ بوضوح على المجتمعات الشيعية من خلال علاقتها بالحاكم، وتقربها منه بأنواع القربات، وعلاقتها بالمستعمر كذلك. ومن أوضح الأمثلة علاقتها بالمرجع أو (السيد)، وتقديسها له تقديساً يصل أحياناً إلى حد العبادة، مع استهانته بهم، ومعاملته الفوقية لهم!

---

[١] التخلف الاجتماعي ، ص٤١.

أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين



الماسوشية وعقدة الاستخذاء..؟!!!



السادية وعقدة السيد

(١٠)

عقدة الشك

(كان معنا في الزنزانة معتقل إيراني الجنسية، لا يكلم أحداً، فهو يفهم العربية ويتكلمها قليلاً. ولكنه لا يكلمنا؛ لأنه يشك بأن أحداً من بين المعتقلين معنا في الزنزانة مدسوس من قبل المخابرات. وزع أغلب وقته في روتين منتظم : إما يصلي أو يدعو ويتوسل إلى ربه. ويأخذ التوسل والدعاء هذان أغلب وقته. قبل الغروب يومياً، أي قبل أن تصبح الزنزانة معتمة، يبدأ بفاصل البكاء الذي يتراوح بين نصف ساعة وأكثر، ويردد كلمات أو جملاً. لا يوجه كلامه إلى أحد بل يكلم نفسه فقط . كان يرافقنا عندما نذهب إلى الحمام، ويكون عادة متهيئاً كالآخرين لدورة الحمام، ولكنه لا ينظر باتجاهنا، ولا يرغب في أن ينظر إليه الآخرون، بل يعيش طوال أيامه معنا في عزلة مطبقة. لم نكن نفهم ما يعني أو يقول، هل هو دعاء أم عتاب أم شكوى إلى الله! لا ندري. ثم يعمد ويمسك قدمه اليمنى ويبكي بصوت خافت وحزين، كالأنين، ويتكرر هذا البكاء والأنين في الصباح التالي. علمت من الذين كانوا أقدم مني في الزنزانة أن هذا الرجل قضى في هذه الزنزانة ما لا يقل عن ثلاث أو أربع سنوات. فهو أصلاً كان راعياً

على الحدود العراقية – الإيرانية. ولم يمض على نقلي لهذه الزنزانة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، حتى جاء الحارس ونادى الرقم المعين، وأخذ هذا الإيراني جميع ملابسه وغادر. فرحنا جداً له وقال الجميع: (خلص هذا المسكين). كان هذا كل ما تم من همس بحق هذا الرجل، ولكنه همس لا يعبر إلا عن جزء من شعور كل منا بالظلم في حقه، والقسوة المريرة التي كنا نعيشها ونعاني منها)[1].

جاء هذا في كتاب لرفعت الجادرجي سجل فيه قصة اعتقاله على أيدي المخابرات العراقية السابقة، كنت أقرأ فيه – ومن باب التنويع والترويح – فلفت انتباهي ما جاء في ثناياه – دون قصد من الكاتب – عن حالة ذلك الشخص الإيراني الذي كان معتقلاً معهم. والصورة تعبر بوضوح عن الشخصية الشكاكة التي يتمتع بها الفارسي.

جاء في النصوص الفارسية القديمة: (هل ادعى لك الملك ذات مرة أنك آمن تماماً وأنت في معيته؟ إذن ابدأ منذ تلك اللحظة في الإحساس بعدم الأمان. فإذا ما دأب إنسان على تسمينك، فلا بد أن تتوقع أنه سرعان ما يذبحك)[2].

(الفارسي) شخص ساكن أو مسكون بالخوف، يتوجس دوماً من تصرفات الآخرين ويشك في نواياهم. إن شعوره الحقيقي بالضعف تجاه المحيطين به، والذي تسبب في إصابته بعقدة النقص، جعله يلتجئ إلى هذه الحيل النفسية عبر التاريخ من أجل حماية نفسه منهم. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى – ولأجل السيطرة عليهم – فإنه يثير لديهم الخوف من كل ما هو أجنبي، وينمي هذه العقدة في نفوسهم ليحقق التفافهم حوله على أنه الملاذ الآمن الوحيد. وإلى هذا أشار د. عماد عبد السلام بقوله: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي وإثارة شعور التوجس لديها من خطر ما يأتي من الخارج)[3].

وبفعل تراكم الزمن وعوامله ترسخ هذا الشعور، حتى غدا عقدة بل صار سجية لا تفارق (الفارسي) أبداً، ومرضا معدياً يصيب الآخرين الذين يثقون به ويتأثرون بفكره

---

(1) جدار بين ظلمتين ، ص١٦٠ ، بلقيس شرارة ورفعة الجادرجي ، ط٢٠٠٣/١ ، دار الساقي، بيروت – لبنان.

(1) الطاغية ، ص٣٥٨ ، د. إمام عبد الفتاح إمام . مصدر سابق .

(3) مقدمة كتاب الصراع العراقي الفارسي ، مصدر سابق.

وديانته. فتجد أحدهم لا يطمئن أبداً إلى سلامة نية الآخرين تجاهه، ويفسر تصـــرفاتهم الطبيعية وأعمالهم الطيبة، ويؤوّلها دائماً، أو يحملها على غير ظاهرها. وهو ما لمسناه واضحا وفاشيا في أوساط المستعجمين أو المتشيعين فارسياً حتى من تغير مـــنهم فـــي فكره، ولكنه ظل مستعجماً في عقله ونفسه وشعوره وخلقه، ويمارس عملية (إسقاط) ما بداخله من عيوب على الآخرين. ولا بأس أن أثبت هنا ما قاله الباحث الأمريكي جـــاك ميلوك: (إن هذا الشعور بالارتياب يجعل الإيراني يعتقد بأنه ليس هناك شـــيء بـــنفس البساطة والاستفادة التي ربما يظهر عليها، وإنه لا يمكن قبول الأمـــور علـــى أســـاس قيمتها السطحية أو الظاهرية.

قصة الملا ناصر الدين والحمال..!

وفي قصة (الملا ناصر الدين والحمال) ، تصوير دقيق لهذه النفسية المفعمة بالشك والتوجس والارتياب من الآخرين. وذلك عندما يطلب ناصر الدين من أحـــد الحمـــالين مساعدته في نقل حقيبة إلى داره:

– الحمال: فديتك بنفسي يا مولاي وأين دارك؟

– ناصرالدين: (باستغراب) يالك من شخص متوحش وسيء الصيت وربما سارق يجب رفسه! هل تظنني ساذجاً حتى أخبرك موقع داري؟ (!).

التوجس من كل شيء

يقول الشخص الإيراني العادي: إذا ما كنت نزاعاً إلى الثقـــة بـــالآخرين فســـوف يقوم البقية باستغلالي؛ لذلك فإنه من السخف والحماقة أن يكون المرء واثقاً مما حولـــه. إن المعنيين بدراسة إيران وشؤونها متفقون عموما على الاستنتاج القائل بأن الارتيـــاب وعدم الاطمئنان والتخفي الديني تحت مظهر كاذب هي مميزات الإيرانيين) [(١)].

حتى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة تعاملوا معها على هذا الأساس. إن لكل آيـــة أو حديث عندهم باطنا غير ظاهره. وكل قول أو تصرف لعالم أو إمام يمكـــن أن يفســـر تفسيراً يغاير ما يتبادر إلى الذهن منه. من هنا نشأ القول عندهم بـــ(التقية).

[(١)] جاك ميلوك ، مصدر سابق.

إن ظواهر النصوص والتصرفات ما هي- فـي تصـورهم - إلا أغطيـة كثيفـة لمقاصد بعيدة جداً بعداً يمكن أن يصل إلى حد الانقطاع بين الصلة الظاهرية والباطنية للفظ فلا يعود للغة وضوابطها عندهم أي اعتبار ! يروي الكليني عن موسى بن جعفـر أنه سـئل عـن قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأعراف:٣٣) فقال: إن هذا القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في القرآن هـو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور. وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق[1].

ومن هذا الباب ادعاؤهم أن رسول الله ﷺ إنما اصطحب أبا بكر في الهجرة حتى لا يشي به أو يدل عليه!

تفسير التاريخ

وهكذا تعاملوا مع أحداث التاريخ. فهم لا ينظرون إلى الحدث بموضوعية كما هـو عليه، بل يفسرونه طبقاً إلى هذه العقدة. بل يصنعونه ثم يروونه كما يحلو لهم ويتمنون أن يكون قد وقع، لا كما وقع بالفعل. فعلي زوّج ابنته أم كلثوم لعمـر (تقيـة) وخوفـا واغتصابا! وسمى أولاده باسم أبي بكر وعمر وعثمان ملقا و(تقية) كذلك. والحسن بايع معاوية (تقية) أيضاً.

إنهم (يسقطون) ما في نفوسهم المكبوتة على الآخرين. كما يقول د. عزت راجح: (إن الكبت يجعلنا **نسقط** عيوبنا ومقاصدنا السيئة على غيرنا من الناس فنسـيء تأويـل سلوكهم. فالمرتاب في نفسه الذي لا يعترف لنفسه بذلك يرى الريبة في غيره. والـذي يكبت العداوة للغير يرى العداوة في سلوكهم. والزوج الذي تنطوي نفسه علـى رغبـة مكبوتة في خيانة زوجته يميل إلى اتهامها بالخيانة. والأناني أو البخيل أو المغرور الذي ينكر هذه الخصلة لديه ينسبها إلى الناس، ويغالي في تقديرها لديهم)[2].

ومن ذلك أنهم يكابرون منطق الأحداث مكابرة عجيبة ؛ فلا يصدقون – مثلاً – أن

---

(1) أصول الكافي ، ٣٧٤/١ .

(1) أصول علم النفس ، ص١٧٥.

أحداً من (الأئمة) مات ميتة طبيعية: فهم بين مسموم ومقتول ومخنوق!

حتى (المهدي) المعدوم اختفى خوفاً على نفسه من القتل رغم إجماع المؤرخين على العلاقة الحسنة بين البيت العباسي والبيت العلوي آنذاك! وليس (المهدي) هذا إلا صورة طبق الأصل عن الشخصية الفارسية المأزومة والمصابة حتى النخاع بعقدة الشك! فإنه رغم تغير الأحوال وظهور دول تنادي صباح مساء – حتى بحت أصواتها – بخروجه وفرجه العاجل، إلا أن المسكين لا يصدق كلامهم ولا يثق بأحد منهم! فمن يدري لعلهم نصبوا له كميناً وهذا النداء ما هو إلا خديعة ومكر، أو فخ لاصطياده فهو مستمر بالاختفاء وعدم الظهور، حتى يفاجأ بيوم النشور! وإلا لخرج منذ زمن بعيد.

إن هذه النفسية المعقدة المفعمة بالشك لا تستجيب لسياق المنطق. ورواياتهم مليئة بالتناقض لكنهم يتقبلونها رغم تناقضها؛ لأنهم **يفكرون بنفوسهم لا بعقولهم**. وإذا كان الأمر كذلك فإن النفس المعقدة المعوجة تنتج فكراً معقداً معوجاً متناقضاً. ويمسي العقل في هذه الحال مجرد نقطة عبور خالية من الحرس!

تأمل كيف يعتقدون أن الحسن بن علي ﷺ قد مات مسموماً أيضاً وعلى يد زوجته! إن امرأة تسم زوجها حتى الموت ليست صالحة، وليست أهلاً لأن يتزوجها الصالحون. فكيف تزوجها الحسن وهو – عندهم– معصوم من الخطأ!

لكن عقدة الشك والتعصب والحقد وعقداً أخرى تكفي لبلع هذا التناقض وزيادة دون أدنى شعور بِهِ! مع جنوحهم إلى الاحتجاج بالمتشابهات مثل اقتران نوح عليه السلام ولوط عليه السلام كذلك بامرأتين كافرتين مع عصمتهما. وهو نوع من الاحتجاج للخطيئة بالخطأ! فـ(العصمة) التي ألصقوها بالحسن لا تشبه عصمة الأنبياء الثابتة لهم عليهم السلام. (فعصمة الأئمة) مطلقة غير قابلة للخطأ وعصمة الأنبياء ليست كذلك. ثم إن الزواج من امرأة تتآمر على زوجها بسبب شهوتها ورغبتها في رجل آخر إلى حد القيام بسمه يستلزم سوء الاختيار والخطأ الحتمي فيه من قبل الزوج. ولا شك أن سيدنا الحسن ﷺ حين اختار هذه المرأة إنما اختارها لدينها وخلقها. ولا بد أنه سأل عنها وتثبت من ذلك ثم بعده أقدم على الزواج منها. فما فعلته بعد – مما يقوله الرافضة – يستلزم عدم التثبت، والخطأ في تصور صلاحها وهو يتناقض مع (العصمة) المطلقة أو نضطر إلى القول بأن الحسن تزوجها لغايات دنيوية فقط، وهو ما لا يليق بصغار الصالحين فكيف بكبار المصلحين؟!

ثم أن الشيعة يعتقدون أن (الإمام) يعلم الغيب وما كان وما يكون[1] ، فهلا علم الحسن بأن امرأته غير صالحة أو أنها ستسمه فلماذا أقدم على الاقتران بها؟ أفيعمل إنسان على جلب الشر والسوء لنفسه؟! أم لم يقل الله تعالى وهو يخاطب نبيه ﷺ :

(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:١٨٨)؟!

لقد تزوج هذه المرأة (جعدة بنت الأشعث) بعد موت الحسن ابن عمه العباس بن عبد الله بن عباس، ثم تزوجت من يعقوب بن طلحة. أفيغيب عن أبناء عم الحسن أنها سمته ويعلم ذلك الشذاذ المفترون؟ أم أنهم أمنوا على أنفسهم من امرأة تسم زوجها؟ أم ماذا؟!

ورغم كل هذا فالأسطورة باقية تقاوم جميع عوامل التعرية! وتستطيع أن تجرب بنفسك وتناقش رافضياً حول هذا الموضوع لترى مكونات الحشوة الدماغية التي ترقد مستقرة في قحفه! وتسمع أن الحسن صار يلفظ قطع كبده من فمه! وأنا لا ادري ما الذي جاء بالكبد إلى المعدة مع أن الكبد في يمين التجويف البطني والمعدة في شماله! ما هذا الأنبوب المجوف الذي يصل بينهما؟ أم أن أحشاء (الأئمة) تختلف تشريحياً عن أحشاء بني آدم؟!

من هنا نفهم قول د. موسى الموسوي عن الخميني: (إن الرجل شديد الظن بكل شيء، ومن الصعب عليه أن يسمع كلاماً ويحمله على الصحة أو الإخلاص. ومن هنا جاءت معاملته لكثير من المتعاونين معه سيئة)[2].

هل رأيت مدى عمق هذه العقدة (عقدة الشك والتوجس) في النفسية الفارسية؟!!!

---

[1] راجع أصول الكافي للكليني ٢٦١/١ باب (إن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وانه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم).

[1] الأستاذ الخميني في الميزان ، ص٦ ، د. موسى الموسوي.

(١١)

عقدة الغدر

وقف الفاروق عمر ﷺ يوماً وهو يخاطب جمـــوع العـــرب المتـــوجهين لتحريـــر العراق: (احذروا العجم فإنهم غَدَرة مَكَرة). فالغدر خلق أصيل عرف به العجـــم منـــذ القدم.

والسبب الأصيل وراء هذا الخلق الذميم هو (عقدة النقص) أو الضعف؛ فإن الضعيف إذا سنحت له الفرصة لا يتركها تفلت من يده لخوفه من فواتها إلى الأبد، وانعدام الثقـــة بالنفس وقدرتها على اصطناع الفرص عند الحاجة؛ فهو لا يعفو عند المقدرة أبداً.

ومن أسباب الغدر عقدة اللؤم التي تجعل صاحبها يتمرد على مـــن يحســـن إليـــه، ويبغضه ويتطير من رؤيته؛ لأنها تشعره بنقصه أمامه. لكنه لا يجد مبرراً لعداوته فـــي العلن فيضطر إلى الكيد به في السر. وهذا هو الغدر ذلك الخلق الفارســـي الأصـــيل. تغذيه عقدة التوجس والارتياب والشك في كل تصرف أو فعل فلا يأخذه على ظـــاهره، بل لا بد له من تفسير سلبي في الباطن؛ إذن لا بد من التوقي منـــه بتوجيـــه الضـــربة الأولى. ولقد مر بنا سابقاً في الدراسات النفسية قول جاك ميلوك: (إن الفرس يشـــبهون

رجلاً مدفوعاً في حياته بواسطة رغباته الطبيعية التي يتربع على قمتها الخوف. وذلك من أجل الحفاظ على أنفسهم من أخطاء الهجمات. وبسبب شكوكهم ، وعدم ثقتهم بالآخرين فليس لديهم القدرة على الامتزاج. إنهم يبحثون عن الأمان في الانعزالية عن الناس أو بواسطة توجيه ضربتهم الأولى).

شواهد التاريخ

والشواهد على غدر الفرس لا تحصى.

يحدثنا التاريخ أن (الهرمز) قائد الفرس في (ذات السلاسل) لم يخجل أو يتردد من الخروج المخزي على تقاليد الفروسية حين بيت كمينا وطلب من خالد بن الوليد قائد العرب أن يبرز له حتى إذا التقيا خرج الكمين ليقتل خالد! مع أن الشرف العسكري، وأعراف العسكرية تستلزم أن تكون المبارزة واحدا لواحد، أو اثنين لاثنين... وهكذا.

ومن شواهد التاريخ ما فعله الشاه أحمد القاجاري بالشيخ خزعل الكعبي أمير المحمرة، حين دبر له مكيدة في نيسان سنة ١٩٢٥ بمساعدة البريطانيين، قادها الحاكم الإيراني فضل الله زاهدي الذي تظاهر بالانسحاب والعودة مع جنوده إلى طهران إثر معارك بين الجيش الفارسي والقوات العربية في الأحواز، حصل بعدها صلح بين الطرفين، وقد أبدى زاهدي رغبته في توديع الشيخ خزعل، مع ضمانات من القنصل البريطاني بضمان سلامته. وفي حفلة التوديع التي أقيمت على اليخت الخزعلي في شط العرب نفذ الحاكم الفارسي نيته المبيتة فغدر بالشيخ خزعل، وقام جنوده باعتقاله واقتياده إلى طهران، ليموت في معتقله سنة ١٩٣٦ بعد إحدى عشرة سنة قضاها في الاعتقال[١].

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، لتتكرر المشاهد نفسها بين الفرس والعرب، وما خبر النعمان بن المنذر عن هذا ببعيد. والغبي الغبي من وثق بالفرس وشيعتهم! وهل دمر دولة الإسلام على مر العصور إلا العقدة التاريخية المتكررة: (الوزير الفارسي

---

[١] الشيخ خزعل أمير المحمرة ، ص٧٣-٧٤ ، مجموعة من المؤلفين ، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان.

والخليفة العربي)[٢] ؟! وهل كان للخلافة الإسلامية العباسية أن تسقط لولا خيانة ابن العلقمي الوزير الفارسي في دولة الخلافة وغدره بها، الذى راسل التتار، وخفض عدد الجند حتى صار عدد جيش الخلافة المدافع عن بغداد عشرة آلاف جندي فقط ؟!

وتتكرر الشواهد

ويكرر التاريخ نفسه ليقوم أحفاد ابن العلقمي الجدد (السيستاني وآل الحكيم وآل الخوئى وأحمد الجلبى وأياد علاوي وإبراهيم أشقوري الجعفري) بالدور نفسه. قصة احتلال التتار لبغداد نفسها قد تكررت على أيدي هؤلاء المجرمين مرة أخرى. وغدر السستاني وأبالسته بالعراق الذي يعيشون فيه ويتنعمون بخيراته. والعربي يقول: البئر الذي تشرب منه الماء لا ترم فيه حجراً. فتجد عموم أهل السنة في العراق اليوم يقاومون المحتل الأمريكي، بينما تجد الشيعة – إلا من رحم – قد خانوا دينهم الذي يدّعون الانتساب إليه، وباعوا وطنهم الذي يعيشون فيه، وغدروا بمواطنيهم أشنع الغدر حين اصطفوا مع المحتل الكافر، وصاروا يضربون أهل السنة في ظهورهم، متوهمين أن فرصة تاريخية سنحت لهم، لا بد من استغلالها لإنهاء الوجود السني في العراق. فأي خيانة؟! وأي ختر وغدر؟!!!

كما غدر الخميني وجوقته بكل من تحالف معهم ، من أهل السنة وغيرهم ، الذين ضحوا في سبيل إزاحة الشاه، حتى إذا تم له ما أراد انقلب عليهم قتلاً وسجناً وتشريداً. ولا يستثنى من ذلك حلفاؤه من علماء الدين الشيعة داخل إيران وخارجها، مثل حسين علي منتظري رئيس مجلس خبراء الدستور والمرشح السابق لخلافة الخميني، وصبحي الطفيلي الأمين السابق لحزب الله في لبنان، ومحمد حسين فضل الله الأب الروحي للحزب الخ... هذا.. وشعار الفرس: إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد!

---

[٢] مقولة ذكية للأخ الوفي والشيخ اليعربي حسن علوان السلطاني (أبو خالد) أحد شيوخ عشيرة البو سلطان الزبيدية في ناحية المدحتية في الحلة. عجل الله تعالى بفكاك أسره من سجون الشعوبيين.

(١٢)
عقدة الخداع والتضليل

مر بنا قول الخبراء بـ(أن الشعور بعدم الأمان مغروس عميقا عند الإيرانيين) و(أن الناس في أثناء توقعاتهم بحصول التضليل وحلول الخديعة بهم يقومون بالبحث عن موازنة التحالفات بأخرى معاكسة لها وبهذه الطريقة تتحقق نبوءة كل واحد فيهم بوقوع التضليل).

يخدع بعضهم بعضاً

أي أن الإيراني يتوقع عادة أن الغير يحاول خداعه وتضليله فيقوم هو من جانبه بخداعه وتضليله حماية لنفسه على قاعدة (أتغدى به قبل أن يتعشى بي). والنتيجة أن الجميع يخدع بعضهم بعضاً! بحيث تحول الخداع والتضليل و(التقية) إلى ظاهرة

اجتماعية في كل مجتمع مستعجم فضلاً عن المجتمع الإيراني العجمي. وهذا كله نــاتج عن ضعف الثقة بالنفس المشتقة أصلاً عن عقدة النقص.

الرغبة الخفية بالانتقام

ويفتح لنا د. حجازي نافذة أخرى، نطل منها على هذه السمة النفسية عند الشــيعي وترسخها من خلال علاقته بالحاكم ونظرته إليه. وذلك حين يبين أن علاقــة الإنســان المضطهد (المقهور) بالمتسلط ليست جامدة بحيث لا يصدر عنه على طول الخــط إلا الطاعة والخضوع. وإنما يحاول أن ينتقم لنفسه بوسائل شتى كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، فيقول:

(يحاول الإنسان المقهور الانتقام بأساليب خفيــة (الكســل، التخريــب) أو رمزيــة (النكات والتشنيعات). وهذا يخلق ازدواجية في العلاقة: رضوخ ظــاهري، وعدوانيــة خفية. أبرز مثل على هذه الازدواجية هو موقف الرياء والخداع والمراوغــة والكــذب والتضليل... وهكذا يصبح الكذب جزءاً أساسياً من نسيج الوجود المتخلف على مختلف الصعد وفي كل الظروف. ويعمم على كل العلاقات: كذب في الحب والــزواج، كــذب في الصداقة، كذب في ادعاء القيم السامية، كذب في ادعاء الرجولة، كذب في المعرفة، كذب في الإيمان... معظم العلاقات زائفة، معظم الحوار تضليل وخداع)[١].

إن هذا – مع التحليلات السابقة عن النفسية العدوانية – يؤكد القول بأن الشــيعي لا يعرف الوسطية في علاقته مع الآخر. فهو إما مستخذٍ متمسكن مخــادع حــين يشــعر بالخوف والقوة القاهرة، وإما مستكبر عدواني متسلط حين يشعر بالأمان ويمتلك زمــام السيطرة على الآخرين.

---

[١] التخلف الاجتماعي ، ص٤١-٤٢.

(١٣)
عقدة الكذب

الكذب هو الشعار القومي لـــ(الفرس)! إلا من صـــهرهم الإيمـــان، أو بقيـــت فـــي نفوسهم بقية من عناصر الفطرة الأصيلة تقاوم عوامل التعرية. يقال: إن أكبر دولتـــين في القدرة أو التفنن في تزوير العملة إيران والكيان الصهيوني! والتزوير أحـــد أنـــواع الكذب. وكذلك هم متفوقون في تزوير التاريخ!

شاهدان من إيران

المحمرة وعبادان والحويزة – وغيرها من مدن قطر الأحواز – هي أسماء عربية، أطلقت عليها منذ نشأتها. وقد غيرها الفرس في عهد رضا خان بهلوي إلى الفارســية، ساعين إلى محو كل ما يوحي إلى العروبة في الأحواز. وحين جاء النظام (الإسلامي)

منع تداول هذه الأسماء العربية؛ مدعياً أن حزب البعث في العراق هــو الــذي غيــر أسماءها من الفارسية إلى العربية! والعجيب أنك ترى مؤرخين إيرانيين يظهرون على شاشات التلفزيون الإيراني، وهم يؤكدون أن نظام البعث هو الذي فعل ذلك. في مكابرة وقحة لإنكار كل الحقائق التاريخية الصارخة، والوقائع الناطقــة بغيــر مــا يقولــون ويدّعون!

يقول الدكتور موسى الموسوي عن الخميني: (والخميني لا يأبى من الكــذب أمــام الخاصة والعامة على السواء. وإذا كذب يصر في الكذب ما استطاع إلــى الإصــرار سبيلا. فقد رأينا كيف أن كل أجهزته عندما اعترفت بشراء الأسلحة من إسرائيل أنكــر الخميني ذلك أكثر من مرة. وحينما ثبت ذلك أمام العالم بعد سقوط الطائرة الأرجنتينية، وانكشفت حقيقة النظام الحاكم في إيران، واعترفت إسرائيل بذلك في آخر الأمر. كرر الخميني إنكاره لشراء الأسلحة، وبإصرار وعناد وكأنما الشيخ العجوز يعيش في عــالم آخر لا يرى الشمس في رابعة النهار) .

شاهدان من العراق

لقد أظهرت الانتخابات الأخيرة التي جرت في العراق (١٥/١٢/٢٠٠٥) ارتكاب عمليات تزوير من قبل القائمة الشيعية ذات الخمسات الثلاثة الشهيرة (٥٥٥)، ربما لــم يشهدها العالم من قبل، ولا من بعد! وهي القائمة التي يقف وراءها إيران والمرجعيــة الشيعية بكل ثقلها: ففي الانتخابات السابقة (٣٠/١/٢٠٠٥) حكم السيستاني بالنار علــى كل من لا ينتخبها، وفي هذه المرة أشار إليها بقوله: انتخبوا القوي الأمــين. وشــاعت فتاوى أخرى بقوة في الشارع العراقي، لم تفصح بشكل رسمي عن مصــدرها، تلجــئ الشيعة إلى (اختيار) هذه القائمة، وإلا فإن النار مصير كل مخالف. والتزويــر أوضــح تصرف عملي على الكذب.

وفي صبيحة إعدام الرئيس صدام حسين خرج الشيعي موفق الربيعي مستشار الأمن العراقي على قناة العربية قبل ظهور شريط فيديو الإعدام بقليــل ليقــول: (إن صــدام حسين عند صعوده إلى غرفة الإعدام كان خائفاً ومرتعباً، وشــديد الإرتبــاك، وتلفــظ بعبارات غير مفهومة. وتمت معاملته وفق الشرائع الإسلامية أثناء إعدامــه، وكــذلك أثناء مماته، وبحضور رجل دين من السنة، ولم يمس بأي سوء). ويشاء الله تعــالى أن

يفضح زيف هذه الادعاءات بعد ظهور شريط الإعدام. الذي يخالف هذه الدعوى حرفاً حرفاً !!! وقد شاهد العالم كله كيف دخل الرجل غرفة الإعدام، بكل ثبات وجرأة وإقدام، شهد له به الأعداء والخصوم قبل المحبين، في موقف جسد عنفوان العراقيين، واختزن تاريخ أنفتهم وزهوهم على مدى العصور. ومات وهو يتلفظ بالشهادتين بكل فصاحة ووضوح، وليس (بعبارات غير مفهومة). بعد أن استهزأ بجلاديه، ورفض أن يضع لثام الموت على وجهه. بل كانوا هم الذين يضعون لثام الجبن والنقص على وجوههم. ولم يكن من أحد من أهل السنة حاضراً لا من علماء الدين ولا غيرهم. حتى إذا سقطت جثته بادروها بالرقص على أوصالها – كما اعترف هذا الدجال نفسه – وأظهرت الصور آثر حز سكين نافذ في نحره. بينما قطعت رقبة أخيه برزان ووضعت على جسده! فعن أي شرائع إسلامية يتحدث هذا العلج المجوسي؟!!

قوم يشتكي الكذاب من كذبهم

مر بنا في بداية الكتاب قول الشاه محمد رضا بهلوي: (إن الكذب ذاته يجري تمجيده عند الفرس على أساس أنه فضيلة) مقتبسا في شكواه ما جاء في قصيدة الشاعر الفارسي المشهور سعدي من قوله: (إن الكلمات التي تخدعك وتضللك ولكنها تسعد قلبك هي أغلى من الصدق...الخ). فما بالك بقوم يشتكي الكذاب من كذبهم؟!

ولا أدل على القابلية المذهلة للكذب من ذلك الركام الهائل من المؤلفات الضخمة التي كتبها كهنة التشيع، القائمة على الكذب والدس والافتراء المحض. أحدهم ألّف كتاباً من أحد عشر مجلداً باسم (الغدير) بناه على كذبة تاريخية اسمها بيعة الغدير! أحد عشر مجلداً من الكذب! أما محمد باقر المجلسي فهو بحق – كما يلقب – مخترع المذهب! لقد ألّف هذا الأفاك كتاباً بلغ حجمه مائة وعشرة مجلدات كلها كذب. وأصل الأصول عند الشيعة هو كتاب (الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني. لقد أوصل الشيعة أنفسهم عدد الروايات المكذوبة فيه – من مجموع ستة عشر ألف رواية – إلى أكثر من تسعة آلاف رواية. ومنهم من جعلها أحد عشر ألف رواية ، أي إن ما يزيد على ثلثيه كذب. هذا بشهادتهم هم! وقس على ذلك.

وشواهد الكذب الشيعي الفارسي لا تحصى! وإذا عرف السبب بطل العجب!

الجذور

أما إذا أردنا البحث في جذور هذه الظاهرة فنقول: يظل السبب الأساسي لهذه العقدة – وكل عقدة – لدى (الفارسي) رغبته في السيطرة على من يفوقه عـدداً ومعنـى. إن شد القوميات الإيرانية المختلفة باتجاه الداخل وعزلها عن امتداداتها الخارجيـة تحـت القبضة الفارسية لا يتم إلا بالكذب والدعاوى التي تصور لهذه القوميات أن خطراً مـا يهددهم من الخارج! فإن لم يكن هناك من خطـر حقيقـي اختلقـوا أسـبابا للمشـاكل والخصومات الخارجية يدّعون فيها دائماً أنهم مظلومون معتدى عليهم فالكذب بالنسـبة لـ(الفارسي) ضرورة من ضرورات الحياة كالطعام والشـراب والهـواء لا يسـتطيع المقاومة والبقاء بدونه.

وقد عشنا الواقع عياناً وسماعاً، وقرأنا الكتب وتعاملنا مع الرافضة فما رأينا أكـذب منهم! حتى تستطيع أن تقول: إن الكذب عند الرافضي مهنة! ورحم الله شيخ الإسـلام ابن تيمية الذي قال: **سبحان من خلق الكذب وجعل تسعة أعشاره في الرافضة.**

ودخل الإسلام بلاد فارس فما تغير من كذبهـم إلا الاسـم، أمـا المضـمون فقـد بقي كما هو! كما هو ديدنهم مع كل عنصر من عناصر الدين. يأخذون منهـا الاسـم والمصطلح ليعطوا لكل اسم بعد تطويعه وتحويره ما يناسبه مـن مضـامين فارسـية مجوسية. فالزنا والإباحة المجوسية: (متعة). وأكل أموال النـاس بالباطـل: (خمـس) و(حقوق شرعية). وتأليه البشر وعبادة (رجال الدين): (إمامـة). والفـتن وتحليـل دم المسلم والاغتيال السياسي: (جهاد)...وهكذا !

الكذب تسعة أعشار دين الفرس

أما الكذب – الشعار القومي للفرس فأطلقوا عليه اسم: (التقية)، وجعلوه تسعة أعشار الدين! وقالوا: جعفر الصادق يقول ذلك[١]! ولا أدري كيف ينسب للصادق تقديس الكذب إلى هذا الحد! وعن محمد الباقر أنه قال: (التقية من ديني ودين آبائي. ولا إيمان لمـن لا تقية له)[٢]. ولا شك أن هذا هو دين العجم وإيمانهم الذي دفعهم للقيام بـأكبر عمليـة

---

[١] أصول الكافي للكليني ٢/٢١٧.

[٢] المصدر نفسه ٢/٢١٩.

تزوير للدين في التاريخ كتاباً وسنة وأحكاماً. وللتاريخ أيضاً! وليس هو دين الله رب العالمين.

(١٤)
عقدة اللؤم (نكران الجميل)

المتشيع فارسياً شخص لئيم. لا سيما من تمكن منه هذا التشيع فقضى على جميع العناصر الفطرية الطيبة في داخله. فهو لا يعرف الوفاء، والجزاء على الإحسان بالإحسان. إن له ذاكرةً لا تلتقط إلا إساءة من أساء إليه. وإذا ألجئ أحدهم إلى تذكيره بالإحسان بادر إلى إنكاره وجحوده. واللئيم عادة ما يقصد بالإساءة من أحسن إليه.

جذور اللؤم

تستند هذه العقدة – في نشوئها – على عقدة الشك والتوجس. والمصاب بمرض الشك يفسر كل شيء على غير ما يظهر عليه. إن لكل تصرف ظاهر عنده مقصداً باطناً، ونية مخبوءة، هي التي تحرك المقابل، وتدفعه إلى ما تدفعه إليه.

ولهذا – وبسبب عقدة الشك عند (الفارسي)- فإن الإحسان لا يجدي مع الشيعة نفعاً. رغم أن المرء مجبول على حب من أحسن إليه. إلا (الفارسي) لشكه، وتوجسه، ووجود عقد أخرى تتساند فيما بينها – كالدونية وعقدة النقص – فهو لئيم يكره من يحسن إليه، يسيء به الظن، ويعتقد أنه بذلك إنما يريد إذلاله! أو يبتغي به منفعة ذاتية يتخذه وسيلة إليها. فهو كما قال الشاعر:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا

فإذا لنت معهم بالكلام قالوا: ضعيف. وإن أحسنت إليهم قالوا: متملق. وإن أعلنت بالاخوة قالوا: ماكر مخادع. وإن تقربت منهم قالوا: كيد وخطة مدبرة! وهي أخلاقهم (يسقطونها) على الآخرين ! ولا أرى سيدنا علياً رضي الله عنه عنى غيرهم حين قال: "عجبت لقوم إذا أكرمتهم احتقروك، وإذا احتقرتهم أكرموك"!

إنكار الإحسان وانقلاب آثاره

وإذا استقرينا التاريخ فقد لا نجد أحدا أحسن إلى الشيعة كما أحسن إليهم الخليفة العباسي المأمون بن الخليفة الرشيد حتى أفضى بولاية العهد إلى العلوي علي بن موسى ولقبه بـ(الرضا) حتى صار علماً عليه، وزوجه ابنته!

لقد كلف هذا الأمر – نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي – تضحيات جسيمة وخسائر فادحة كادت أن تودي بملكه إذ ثار عليه العرب في بغداد، وبايعوا بدله عمه إبراهيم خليفة للمسلمين ، واستمرت الحروب بينهما سنتين أزهقت فيها آلاف الأنفس!

لم يكن المأمون مضطرا إلى هذه المغامرة. فليس من قوة أجبرته على ذلك وجعلته يتحمل في سبيله ما تحمل. وقد كان في استطاعته أن يعزل علياً ويحبط محاولة عمه الذي ثار معه العرب في العراق جميعاً. لكنه ظل وفياً بعهده حتى تغلب عليه واستقرت له الأمور.

ويشاء الله تعالى أن يموت ولي العهد وصهر الخليفة وابن عمه علي بن موسى الرضا حتف أنفه. فكيف تعاملت العقلية (الفارسية) المعقدة مع الحدث؟ قالوا: لقد مات مسموماً، والذي سمه المأمون! واخترعوا قصة عنقود العنب المسموم الذي قدمه له المأمون بنفسه. ثم صاروا يجسدون هذه الأسطورة على شكل صورة تجمع بين المأمون وعلي هذا في قصر الخلافة الفاره: المأمون يقدم العنقود لعلي، وعلي ماد يده إليه. والصورة منتشرة جداً، تعلق في البيوت والمقاهي والمطاعم والمحال العامة!

ولم يكسب المأمون من عنائه وجهوده التي حرقها في خدمتهم سوى اللعن والطعن وتشويه السمعة!

وهذا شأنهم مع كل حاكم من غير ملتهم ، مهما تقرب إليهم ، ومهما تسامح معهم وخدم قضيتهم وعمّر مزاراتهم ومشاهدهم وقام بعمارتها وزيارتها!

ماذا كسب صدام حسين من وراء ذلك؟ وماذا جنى ابنه عدي الذي سخّر جريدته (بابل) لنشر ما لم يحلم الشيعة بنشره من عقائدهم وأفكارهم؟ بل نشر لهم على صفحاتها تباعاً كتباً كاملة، واحد منها كتاب المراجعات! حتى قال عنه كثير من المراقبين: إنه تحول إلى مذهب الشيعة، وصار شيعياً ! النتيجة الوحيدة التي خرج بها هي اللعن على رؤوس الملأ، والوصم – أو الطمغة الجاهزة لكل مخالف – بالطائفية. ولم يحصل على كلمة واحدة منصفة – لا أقول: كلمة مدح أو ثناء – من أحد منهم! وقد كانوا هم أنفسهم يكيلون له في حياته من ذلك بالأطنان! بل ولا كلمة رحمة حتى بعد موته قتيلاً على أيدي المحتلين[1]. بينما كان صدام حسين إذا ذكر عدوه الخميني يترحم عليه، ويقول: نحن العرب من عادتنا الترحم على الميت من أي جنس كان.

حسن العلوي كان السكرتير الصحفي لصدام حسين، وهو محسوب على التيار العلماني القومي، وعلى (المعتدلين) من الشيعة. وله كتاب – كما أخبر هو – عن مآثر عمر بن الخطاب. يقول في كتابه (الشيعة والدولة القومية): ظهر في إحصائية مودعة بوزارة التخطيط أواخر السبعينات، أن (٨٠%) من حملة الشهادات العليا في الفروع العلمية، كانوا من أبناء الشيعة.

انظر إليه كيف تأبى عليه عقدة اللؤم إلا أن يفسر هذا بما يتناسب مع عقدته الموروثة! يقول: إنها ردة فعل من الشيعة على سياسة التمييز الطائفي[2]!!

---

[1] يقول د. علاء بشير الطبيب الخاص للرئيس صدام حسين وهو يتحدث عن حركة غوغاء الجنوب سنة ١٩٩١ وعمن شارك في قمعها من رجال الحكومة: كان عدي هو الوحيد الذي رفض المشاركة. روى لي صديقه وسكرتيره الخاص أن قصي حاول جاهداً أن يقنع أخاه: ((لا بد أن تقود أنت أيضاً إحدى الوحدات)). أجاب عدي: ((لا، ليس عندي الرغبة في اغتيال الشيعة)) / كنت طبيباً لصدام ، ص١٦٢ ، د. علاء بشير ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

(٢) الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠ ، حسن العلوي ، ص٢٢٧ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، إيران – قم .

هل نسي هذا العلوي أن أغلب – إن لم يكن كل – الصحفيين الذين كانوا يحيطـون بصدام هم من الشيعة؟ وكان هو واحداً منهم، بل على رأسهم. وكان مقرباً جـداً مـن الرئيس[1].

موسى الصدر مؤسس حركة (أمل) الشيعية في لبنان أحد الأمثلة التي لا تخطئ على اللؤم الشيعي الفارسي. لقد استطاع هذا السفاح أن يقيم علاقة وثيقة مع حركة فتح – ذات الخلفية السنية، فقامت بتدريب وإعداد الجناح العسكري لحركة أمل! ودعمها بالسلاح وتقديم الخدمات لها![2] وقد استفادت الثورة الخمينية من الكوادر التي تدربت

---

(٢) اعترف العلوي في صفحة ٢٣١-٢٣٢ من كتابه السابق قائلاً: وقد برز صحفيون شـيعة فـي الخطوط الأولى دفاعاً عن السلطة وقيادتها، كسامي مهدي وحميد سعيد وعبد الجبار محسـن وعبـد الأمير معلة وصاحب السماوي وعكاب سالم وحسن العلوي.

هذا والذين لم يذكرهم صاحبنا من الصحفيين الشيعة الذين كانوا فـي (الخطـوط الأولـى) يبلغـون أضعاف عدد المذكورين! ولا أدري هل كان وجود هذا الحشد من الشيعة في الخطوط الأولـى مـن السلطة، (ردة فعل من الشيعة على سياسة التمييز الطائفي) أيضاً ؟! ثم ها هو اليوم يصرح – مراراً وتكراراً في القنوات الفضائية – أن صدام حسين لم يكن طائفياً، ويأتي على ما يقول بشواهد لمسـها بنفسه!

(٣) ذكر ياسر عرفات في حواره مع مجلة التضامن، في ١٩٨٥/١١/٢ ، أن حركة فتح دربت عناصر حركة أمل ، وقال : " نحن أول من أمدها بالسلاح ، بل أنا من أسماها أمل، لأن الإمام موسى الصدر كان واقفاً معنا وضد من يشهر السلاح ضدنا " ! وقد كان عرفات مغترا بثورة الخميني، وكان في طليعة الذين زاروا طهران فور وصول الخميني إليها، وزعم أنه إمامه.. وأيدت منظمة التحرير إيران في حربها ضد العراق، وضلل عرفات شعبه فأصبحوا ينتظرون بفارغ الصبر سقوط بغداد لأن الخميني قال لهم: إن الطريق إلى القدس يمر من بغداد والكويت والرياض وعمان! ولا زال بعض القيادات الفلسطينية مثل قادة منظمة (الجهاد) على اغترارهم ! ويعترفون علناً بإمامة (إمامنا آية الله العظمى السيد علي الخامنئي)، ويمتدحون إيران . وكذلك بعض قادة منظمة (حماس) ، إلى حد أن أحد كبارهم قبل يد خامنئي أمام أعين الكاميرات ! وهذا ساهم في تشييع الكثير من الفلسطينيين ، ممن صارت فلسطين – وليس الله جل وعلا – هي معبودهم . وليس خوفي من تشيع أهلنا في فلسطين على مستوى الأفراد فحسب ، وإنما الخوف كل الخوف من التحول الجماعي . وعندها سينشغل الفلسطينيون لا باليهود فحسب ، وإنما بمشكلة الصراعات الطائفية بين الشيعة والسنة عندهم ، كما هو الحاصل اليوم عندنا في العراق . (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ

في لبنان في ترتيب أوضاعها بعد الانقلاب على الشاه!

لكنه ما إن تمكن وصار في غنى عن منظمة التحرير، وبدأت تعلن المصالح المختلفة أساساً عن نفسها حتى بدأ يهاجم – وبصورة شخصية – المنظمة. ولم يتوان عن استعمال أخس الأساليب في محاربتها، ومحاولة اجتثاثها. مثل اتهامه لها بالعمل على قلب الأنظمة العربية الحاكمة وعلى رأسها النظام اللبناني! ودعا الأنظمة إلى مواجهة الخطر الفلسطيني! كما نقلت ذلك وكالة الأنباء الفرنسية في ١٩٧٦/٨/١٢، ونقلته أيضاً بعض الصحف اللبنانية! ما جعل ممثل منظمة التحرير في القاهرة يصدر تصريحاً يندد فيه بمؤامرة الصدر على الشعب الفلسطيني. كما لم يخجل الصدر من القول: لسنا في حالة حرب مع إسرائيل والعمل الفدائي في الجنوب يحرجنا![1]

ولم يكتف الصدر وشيعته بذلك، وإنما أخذوا يطالبون بوقف العمل الفدائي، وإخراج الفلسطينيين من الجنوب. ومن أجل ذلك وقعت صدامات ونظم الشيعة إضراباً عاماً في صيدا وطالبوا بإخراج المنظمات المسلحة من الجنوب!

وكان الصدر أول من طالب بقوات طوارئ دولية تتمركز في الجنوب، زاعما أن لبنان في هدنة مع إسرائيل، ولا يجوز أن يخرقها الفلسطينيون، وعندما جاءت قوات الطوارئ نجح في أن تكون نسبة كبيرة من هذه القوات من إيران. وتعاون معظم زعماء الشيعة في الجنوب مع اليهود وصنيعتهم سعد حداد. كما يفعلون اليوم في بغداد!

التاريخ القديم

وتاريخ إيران القديم – والحديث – مليء بالشواهد!

في عام ٦٦٤ ق.م حصل شقاق في البيت العيلامي المالك لجأ على إثره أبناء الملك السابق (اورتاكو) إلى البلاط الآشوري مع رماة سهامهم ومرافقيهم بسبب عداء الملك الجديد (تيومان) لهم. ومنحهم الملك الآشوري (آشور بانيبال) حق اللجوء، ورفض كل طلبات الملك العيلامي بتسليمهم إليه. وبعد حوالي عشر سنوات أي في عام ٦٥٣ق.م. هاجم تيومان ملك عيلام بلاد بابل بجيش كبير، فتصدى له الآشوريون وأوقعوا به

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٥٣). نسأل الله تعالى ألا يقع لإخواننا في فلسطين ما وقع لنا في العراق ! آمين .

(١) مجلة الدستور الصادرة في فرنسا، ١٩٧٨/٦/٢٦ .

هزيمة منكرة وقبضوا على الملك العيلامي (تيومان) وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى (آشور بانيبال) في نينوى. بعدها أعاد آشور بانيبال أولاد الملك السابق الذين لجأوا إليه ونصبهم على عرش عيلام. فانظر كيف رد هؤلاء عليه؟ وكيف كان (إحسانهم) إليه؟!

بعد عام واحد أي في سنة ٦٥٢ ق.م. قامت ثورة انفصالية في بابل بقيادة (شمش شموكين) شقيق (آشور بانيبال) فما كان من ملك عيلام – الذي كان لاجئاً في البلاط الآشوري أكثر من عشر سنين آمناً منعماً ثم تمكن بفضل آشور بانيبال من استرداد عرشه – إلا أن سارع لمساندة الثائر الانفصالي ضد أخيه وأرسل جيشا بقيادة ابن (تيومان) مع قواد آخرين لمساعدته . فكان هذا أول مكافأة قام بأدائها ملك عيلام، تجاه ملك آشور رداً على إحسان الأخير إليه[١].

الخميني الدجال

كذلك فعل حفيده وخلفه الخميني الدجال تماماً!، الذي آواه العراق، وقدمت له حكومته أسباب العيش والحماية ثلاثة عشر عاماً. فكان أول عمل قام به بعد تولي العرش سنة (١٩٧٩) أن شن حرباً ضروساً على البلد الذي آواه، بعد عام واحد فقط من ذلك، دامت ثماني سنين!

انظر إلى بعض ما أسداه العراق والحكومة العراقية إلى الخميني، على لسان خبير به هو الدكتور موسى الموسوي إذ يقول: (ولكي أضع النقاط على الحروف أود أن أسجل هنا للتاريخ قائمة بتفاصيل المساعدات التي كان يتلقاها الخميني من الحكومة العراقية التي هو اليوم في حرب معها؛ ليعلم الشعب الإيراني قبل الشعب العراقي حجم المساعدات التي تلقاها الخميني من الحكومة العراقية طيلة العشر سنوات التي قضاها في كنفها ليعود بعد ذلك إلى إيران ويجازي العراق وشعبه جزاء سنمار .

(١) أعطت الحكومة العراقية الأولوية القصوى بين اللاجئين السياسيين المتواجدين آنذاك في العراق للخميني وحاشيته وسهلت لهم العيش والحياة وزودت

---

[١] الصراع العراقي الفارسي ، ص٧٢-٧٤ ، مصدر سابق.

كثيرا منهم بالجوازات العراقية بعد أن حرمهم الشاه من هويتهم الإيرانية فسهلت له التنقل بين البلاد والاتصال بالعباد .

(٢) خصصت وزارة الإعلام للخميني قناة خاصة في القسم الفارسي بإذاعة بغداد كان يبث منها ما يتصل بالخميني ونضاله ضد الشاه. وكان المذيعون فيها جماعته والمنتسبين إليه. وكان يذاع منها برنامج يومي اسمه (النهضة الروحية).

(٣) كان مصطفى بن الخميني على اتصال وثيق بالحكومة العراقية. وكان يجري الاتصال بأركان الدولة مباشرة، أو عن طريق المرحوم جنرال بختيار. ويطلب المساعدات المختلفة لجماعة أبيه. وكانت طلباته لا ترد.

(٤) كانت الجهات المعنية بشؤون التدريب العسكري تدرب جماعة الخميني خارج مدينة النجف. وكان ممثل الخميني لدى الحكومة للإشراف على التدريب هو الشيخ يزدي زاده الموجود حاليا في إيران. وكانت الحكومة تعطي لهم المال والسلاح.

(٥) كان الخميني يستقبل شخصيات كبيرة في الدولة . وكانت أحاديثه معهم هي التعبير عن الشكر والامتنان للحكومة، مع الدعاء لها بالتوفيق والتسديد.

(٦) كان الخميني يقدم الرجاء إلى الرئيس العراقي في القضايا المتعلقة به، وكان رجاؤه يقبل حتى في المناسبات الخطيرة. كما جدث ذلك في عام ١٩٧٠ عندما حكمت محكمة الثورة على السيد حسن الشيرازي بالإعدام لاتهامه بالتجسس لصالح دولة أجنبية. وكان هذا الشخص محسوباً على الخميني، ومن حاشيته. فكتب رسالة بخطه إلى الجنرال تيمور بختيار الموجود آنذاك في بغداد يطلب منه نقل رجائه إلى الرئيس صدام الحسين الذي كان آنذاك نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة، يطلب الرحمة والعفو عن المتهم. فقبل رجاءه وعفى عن الشيرازي. وأطلق سراحه بعد شهرين. الأمر الذي لم يحدث له نظير من قبل .

(٧) عندما توفى ابنه مصطفى قدم الخميني رجاء إلى الرئيس العراقي يطلب إصدار الأمر بدفن ابنه (بصورة استثنائية) في الروضة الحيدرية، الأمر الذي كان ممنوعا بقرار من مجلس قيادة الثورة. ورفع الخميني هذا الرجاء عن طريقي، فرفعته إلى الرئيس العراقي عن طريق وزير الأوقاف. فقبل الرجاء، ودفن ابنه حيثما أراد الخميني .

(٨) كان أحمد ابن الخميني يقدم الرجاء إلى الحكومة يطلب حماية أبيه من اغتيال السافاك، فكانت الحكومة تجند لحماية الخميني رجالها، وبالتنسيق مع أحمد.

وعندما غادر الخميني العراق إلى الكويت، ولم تسمح له السلطات الكويتية بالدخول إلى أراضيها بقي في الحدود الكويتية حيران لا يدري ماذا يفعل؟ فعلمت حكومة العراق بذلك، فوافقت على عودته إلى العراق. وقيل له عندما وصل إلى بغداد أنه يستطيع العودة إلى النجف والعيش فيها إذا شاء على شرط أن يحترم قوانين العراق.

وبعد كل هذا ليت شعري كيف يبرر الخميني والخمينيون حربهم مع العراق؟! وكيف يبررون هذا الموقف العدائي لهذه الدولة التي أكرمتهم؟[١]

والتاريخ يعيد نفسه. فكذلك فعل كسرى (برويز) من قبل مع (النعمان بن المنذر) الذي احتضن والده (المنذر بن النعمان) جد كسرى المذكور (بهرام بن يزدجرد) فقام بتربيته ورعايته ولما مات أبوه (يزدجرد) أراد عظماء المملكة حجب الملك عنه فجهز (المنذر) عشرة آلاف (وقيل ثلاثين ألف) فارس من فرسان العرب وذوي البأس والنجدة بقيادة ابنه (النعمان) ووجههم إلى (طيسفون) أو (المدائن) مما جعل الفرس يذعنون للأمر ويتوجون (بهرام) ملكاً عليهم . فماذا كان الجزاء ؟ قتل حفيده (برويز) (النعمان بن المنذر) وسلبه ملكه![٢]

وفي الوقت الذي يحاول الإيرانيون نكران فضل الحضارة العربية عليهم بشتى الطرق والأساليب ومنها اعتبار بعض الشخصيات العربية المفكرة ذات أصل فارسي نجد الشعب الأسباني – مثلاً – لا يزال إلى اليوم يعترف بفضل الحضارة العربية عليه بصراحة وفخر[٣].

التاريخ القريب

وآخر ما عبرت به هذه الخصلة الذميمة الصيحات الشيعية العالية المتكررة في العراق التي تتهم العرب بلا استثناء بـ(تواطئهم مع النظام السابق، وسكوتهم عن ظلمه

---

[١] الأستاذ الخميني في الميزان ، ص١٤-١٥ ، د. موسى الموسوي.

[٢] المصدر نفسه ، ص١١٣.

[٣] الحقد الفارسي لماذا؟ ، ص١٥٦ ، مصدر سابق.

للشيعة، وعدم إعانتهم أو الدفاع عنهم). ولكل واحد يسمع هذا أن يقول: كم من دولة عربية شاركت – بالموقف السلبي أو الإيجابي – في العدوان الأخير على العراق، الذي يسميه الشيعة تحريراً لهم؟ وهل كان بالإمكان تحقيق هذا (التحرير) التاريخي للشيعة، والذي أسفر عن وصولهم إلى قمة السلطة، لولا التسهيلات العربية؟ من أين دخلت جيوش (الفتح والتحرير)؟ أليست من أراض عربية؟! وكم دولة عربية آوت مجاميع الخونة الشعوبية الذين أسموا أنفسهم بـ(المعارضة)، وقدمت لهم الدعم المادي والمعنوي؟

كيف يمكن أن ينكر دور سوريا في إيوائهم، وإعانتهم؟! ومن العجيب أن الحكومة الشيعية الحالية في العراق، إذا حدت أمريكا أسنانها على سوريا، حدت تلك الحكومة سكاكينها وحرابها واندفعت أمامها في اتهام سوريا العربية. لكنها تصمت صمت القبور إذا تعلق الأمر بإيران الفارسية! ليس تعلقهم بإيران لأنها ساعدتهم، والعرب لم يساعدوهم. كلا ! الأمر أعمق من هذا.

أين ذهبت مئات الملايين الدولارية التي أنفقتها دول الخليج على آل الحكيم وغيرهم من الزمر الشعوبية؟ كل هذا وغيره قدمه (العرب) للشيعة ومع ذلك يتهمونهم بكل وقاحة ولؤم ونكران جميل بأنهم لم يقفوا معهم، بل ساعدوا على ظلمهم!!!

يقول د. موسى الموسوي عن الخميني : (إن أحد أقربائه المتصلين به سألني يوماً هل تذكر يوم كنا في بيتك مع الخميني وتغدينا على مائدتك؟ قلت: نعم. إنه كان في عام ١٩٥٥ وعندما كنت مقيماً في طهران. فأضاف محدثي معلقاً: فإذا كان صحيحاً ما سمعناه عن أيام إقامته في العراق، ومن أنه كان يطلب منك العون في بعض الحالات، فكن على حذر منه؛ فإنه سيقتلك إذا ظفر بك؛ لأن الخميني يحقد على شخصين، ويريد أن يزيحهما من الوجود إذا استطاع : شخص أساء إليه ، وشخص أحسن إليه ؛ لإنهما يذكرانه بأيام ضعفه، وهو لا يريد أن يذكر تلك الأيام، حتى ولو كانت له.

وقد ثبت لي صحة هذا الكلام بعد أن قتل الخميني الجواهريان ودستمالجي، وكلاهما من أخلص المخلصين له، وكانا قد قدما له عشرات الملايين لنجاح ثورته عندما كان في العراق وفي باريس... كما أن قتل الشباب المجاهدين الذين على أكتافهم

وبنضالهم وصل إلى سدة الحكم، وحربه مع العراق الذي آواه وأسنده وقدم له العون طيلة ١٥ عاماً خير دليل على سداد رأي الرجل وسداده)[١].

هكذا تجد الشيعي – إلا من رحم – في كل مكان هو هو، مهما اختلفت بيئته، وتنوعت ثقافته؛ لأن العقيدة والتربية واحدو. فالمهجرون من الشيعة في جنوب لبنان، حينما آواهم أهل السنة في قراهم رفضوا الدخول إلى أي مدرسة أو مسجد يحمل اسمًا لصحابي جليل أو زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ورفضوا أيضًا قبول المساعدات التي تحمل اسمًا أو شعارًا لأهل السنة، لا سيسما من المملكة العربية السعودية. ومن قبلها منهم تحت وطأة الاضطرار مزق الاسم والشعار معلناً أن مال المملكة مال خبيث!

بيت العنكبوت

ومن مظاهر اللؤم وعدم الوفاء تآمر البيت العجمي على نفسه. البنت تكيد لأمها، والولد لأبيه كي يحُل محلَه. فحين يكبر الولد في إيران كثيراً ما يبذل قصارى جهده كي يثبت قانوناً أن أباه خرف، أو مريض عقلياً؛ ليطبق في حقه قانون الحجر على أموال السفيه، فيتسلمها ولده من بعده، ويكون مصير الوالد دار العجزة أو مستشفى الأمراض العقلية. وهذا التصرف اللئيم مقتصر على العجم حصراً؛ ولهذا لا تجد في دار العجزة التي في الأحواز عربياً واحداً؛ فليس اللؤم من شيمة العرب.

شواهد من واقع المجتمع المستعجم

وقد صادفتنا في تعاملنا مع المجتمع الشيعي المستعجم حالات غريبة جداً للؤم ونكران الجميل! في إحدى نواحي محافظة بابل كان لي صديق يشغل وظيفة إمام وخطيب المسجد السني الوحيد في الناحية. انعقدت علاقة بينه وبين شاب من جيران المسجد، لا زال يدرس في إحدى الكليات، فقير الحال، ترك له والده مسؤولية العائلة وفارق الحياة. وقد أرهق كاهله الجمع بين الدراسة والقيام على شأن العائلة. فكان صديقي الشيخ كثيراً ما يعينه، ويشكو حاله عند أهل الخير ليجمع له بعض المال ليواصل المسير. ويخبرني الشيخ يوماً أن لصوصاً سرقوا بيت الشاب، فلم يتركوا له غير الجدران! وقد تبرأ منه أعمامه وأقاربه، ولا يدري ماذا يفعل؟ وفكرت طويلاً حتى هداني الله فذهبت إلى أخوال لي في إحدى قرى اللطيفية، وشرحت لهم الحال فتأثروا لما

---

[١] الأستاذ الخميني في الميزان ، ص٦-٧ ، د. موسى الموسوي.

قلت. وعدوني خيراً، وأمهلوني عدة أيام. وحين رجعت إليهم في الموعد المضروب وجدتهم قد جمعوا له أثاثاً كاملاً كانت السيارة التويوتا البيكب تنوء بحمله، ويفيض عنها، ليس في بيت أحد منا أثاث مثله! وذهب معي في سيارته أحد أخوالي وهو وجه قومه، إلى تلك الناحية التي تبعد عن بيته أكثر من مائة كيلومتر. وكان بيده ينزل الأغراض إلى داخل الحجرات! كذلك كان الشيخ وأنا معهم. كان موقفاً مؤثراً سالت له دموع والدة الشاب الذي كان ساعتها ينظر متعجباً ومبهوتاً مما يرى!

ومرت بضع سنوات ليعتقل الشيخ في ليلة ظلماء. وبعد البحث والتنقيب توصلنا إلى أنه معتقل لدى جهاز المخابرات في بغداد في البناية المعروفة بـ(الحاكمية).

قضى الشيخ في المعتقل تسعة أشهر في تهمة كاد أن يدفع لها حياته، لولا أن منّ الله تعالى عليه ببعض الخيرين من ضباط الجهاز الذين تفهموا موقفه ولملموا القضية لينقذوه من حكمها. هل تعلم من الذي وشى به وكتب التقرير الأصفر إلى الجهة المذكورة مع الوثيقة الدامغة بخط الشيخ؟ هل تصدق إذا قلت لك: إنه ذلك الشاب الذي كان الشيخ يحسن إليه سنين عدداً !!!

وقد رأينا من خلال التجربة في المناطق الجنوبية أن الشك وسوء الظن ، كثيراً ما يفسد العلاقة بين المعطي المحسن وبين المعطى إليه. مثلاً طالب العلم يرسله الشيخ للدراسة في مدرسة من المدارس الدينية أو غير الدينية. ومن باب عمل المعروف ولحاجة الناس يقوم الشيخ على شؤون الطالب المادية. ويبذل في ذلك ماء وجهه وهو يدور على هذا وذاك يستجدي إحسانهم من أجل هذا الطالب وغيره من أمثاله. لكن الطالب هذا يتوهم في نفسه – وكذلك أهله – أن الشيخ مرتبط بجهة ما في هذا الكوكب تزوده بالمال حسب عدد الطلاب، وأنه يتقاضى منها راتباً لقاء جهده هذا، وأنه لولا انتفاعه لما فعل ما فعل. ولا بد أن له مقاصد الله أعلم بها من وراء حرصه هذا غير المفهوم وسعيه المحموم وراء الطلاب وتجميعهم والصرف عليهم. وهكذا تنقلب الأمور ويمسي الطالب هو المحسن، والشيخ متلقٍّ لإحسانه. لا بد أنه كنز ثمين فعليه أن يحرص عليه، وإلا تركه إلى سواه! لقد تولد عنده شعور خطير ألا وهو أن هذا المال حق من حقوقه يجب عليك أداؤه له، وأنك ملزم بذلك تجاهه فيكون الأساس الإيماني قد انتفى وحل محله شعور بأنك تشتري – وهو يبيع – ولاءه لك بهذا المال. ويشعر كذلك

بأنه يعطيك مقابل ما يأخذ، حتى لو كان هذا المقابل وهماً أو شيئا مبهمـا لا يسـتطيع التعبير عنه، وأن هذا العطاء المتبادل شخصي لا ديني: فأنت تعطيه مالاً يسـتفيد منـه مقابل شيء تستفيد منه أنت يحققه هو لك، أقله أنه صار من أتباعك! فإذا قصـرت أو قطعت ما كان موصولاً لأي ظرف أو سبب شمخ بأنفه وثنى بعطفه! ثم استطال لسانه ليدخله فيما لا يحل! وساءت الظنون وبدأت الطعون، وعدت مذموماً مخذولاً ! وهكـذا تسهم عقدة الشك في تنمية وتغذية عقدة اللؤم ونكران الجميل.

شاهد من عصر التغول الشيعي في العراق

على موقع (الرابطة العراقية) وفي يوم (١١/٤/٢٠٠٧) كتب أحد المنكوبين باللؤم الشيعي يروي قائلاً: (في صباح يوم مشؤوم استيقظنا على صوت عيارات نارية قريبة منا! نزلت من الطابق العلوي، وإذا بي أسمع أن جارنا (م) قد اغتيل أثناء ذهابه إلـى عمله بالقرب من محلتنا. وجدت أن أخي أحمد (العريس الذي زف إلى عروسـه قبـل أربعة أيام فقط) قد خرج إلى الشارع الرئيس مع بعض الجيران، وهم يحاولون إنقـاذ جارنا، ونقله إلى المستشفى. لكنه سرعان ما فارق الحياة. رجع أخي أحمد إلى البيـت وكان متأثر جداً، وذهب إلى أمي – التي ما تزال نائمة – ليخبرها بنبأ مقتـل جارنـا ويقول لها بكل بساطة: (لأن جارنا السيد م رجل طيب فقد قُتل). فنهضت أمي مسرعة وذهبت إلى بيت جارنا. وبدأت بالضرب على رأسها والنواح والبكاء. وتجمع أقـارب جارنا وإخوته، وانقلبت الدنيا لمقتله وقامت ولم تقعد. لم تتـأخر الجنـازة كثيـراً فـي المستشفى؛ لأن أخا المقتول يعمل في وزارة الصحة؛ لذلك ما إن وصلت الجثـة إلـى المستشفى حتى تسلموا تصريح الدفن، ورجعوا بالجنازة إلى البيـت. وكـان الجميـع بانتظارهم، ومنهم أخواي (أحمد ومصطفى). وعندما خرجوا بالجنازة من البيت كـان إخوتي يحملونها مع الآخرين على أكتافهم، حتى أوصلوها إلى الشارع، ليضعوها على السيارة. وقد امتلأ الشارع بالمسلحين والسيارات نوع مونيكا. بدأ المسلحون بـإطلاق العيارات النارية على الناس عشوائياً؛ ما أدى إلى مقتل ثلاثة أشـخاص. ثـم أخـذوا يرمون الرصاص باتجاه الأرض ليفرقـوا النـاس. وإذا بسـيارتين مظللتـين جاءتـا مسرعتين وقد كانتا متوقفتين أمام بيت جارنا. ونزل منها شباب مسلحون، سألوا: مـن

منكم سني؟ فأشار شخص – وهو أحد جيراننا الشيعة، وصديق لإخوتي – على أخي أحمد الذي كان واقفاً جانباً بعد أن أوصل الجنازة إلى السيارة. فهجم المسلحون على أخي وقاموا بضربه بقوة وأصعدوه إلى السيارة. لقد تبين أن هؤلاء المسلحين من فيلق بدر، كم تبين أن جارنا (الطيب)!! هو أحد قياديي الفيلق!!

في أثناء خطف أخي أحمد كان أخي الأصغر مصطفى قد عاد إلى البيت، وتركه هناك مع المشيعين. وعندما سمع بما جرى لأخيه جن جنونه، وأغمي عليه! لكنه أفاق بعد لحظات، ليأخذ مفاتيح السيارة العائدة لأخي أحمد. لم تنفع توسلات أمي ولا توسلات زوجته، في منعه من اللحاق به. وكذلك حاول بعض الحضور، لكنه أفلت من بين أيديهم وذهب بالسيارة مسرعاً ولحق بالخاطفين عند حسينية (الأئمة) المشهورة في حي العامل.

لم يدر أن المجرمين كانوا بانتظاره؛ لقد علموا عن طريق الموبايل من جواسيس منطقتنا بأن مصطفى قد لحق بهم، وما إن وصل إليهم حتى قاموا بالهجوم على السيارة وأنزلوه إلى داخل الحسينية. لم يحرك جيراننا أهل المقتول ساكناً، ولم يتدخلوا لانقاذ أحمد ومصطفى، ولم يقولوا لهم: إن هؤلاء جيراننا، ولا ذنب لهم فيما جرى. بل تواطأوا معهم بسكوتهم على الجريمة. ولم يكتفوا بواحد، وإنما قتلوا أخويَّ كليهما! وقد قاموا بتعذيبهما بواسطة المثقب الحديدي (الدريل) والمنشار الكهربائي (الكوسرة). ثم أطلقوا عليهما الرصاص. ورموهما فوق جنازة جارنا القيادي في فيلق بدر. ثم قاموا بخطف أربعة شباب من السنة أيضاً – وذلك قبل أن تتحرك الجنازة – وقتلوهم، ورموهم فوق الجنازة. ثم تحركوا بعدها.

أهكذا يكون رد الجميل؟!!!



الشهيد مصطفى عبد ذياب الهيتي/ بكالوريوس لغة عربية وفقه، مواليد ١٩٧٣

انظر إلى آثار التعذيب بالدريل وغيره..!!!

لقد وقف أخوتي إلى جانبهم، وشاركوهم مصيبتهم، وحملوا الجنازة معهم على أكتافهم. وفضل أخوتي من قبل عليهم لا يعلمه إلا الله! فنحن نطبق حديث نبينا محمد ﷺ وهو يوصينا بالجار ولكن ماذا كان الجزاء من جارنا؟!

ملاحظة/ لم يكتف جيراننا بقتل أخوتي دونما ذنب، وإنما كتبوا على دارنا – بعد خروجنا منها – (الدار لا يباع ولا يؤجر)!

(١٥)
عقدة التحلل

اشتهرت شعوب كثيرة بالفساد الخلقي والإباحية، لكن الشعب الوحيد – على ما يبدو– الذي أطّر فساده بالدين، وأعطاه مشروعية دينية هو الشعب الإيراني، ومنذ أقدم عصور التاريخ.

فالزرادشتية تبيح زواج الابن بأمه والأب بابنته والأخ بأخته![١]. والمزدكية تقول باشتراك الناس في الأموال والنساء وأصبحت دين الدولة الرسمي في عهد الملك قباذ الأول عام ٤٨٨م. يقول ابن النديم: (وصاحبهم القديم مزدك أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم عن حرمة الآخر ولا يمنعه)[٢]. والخرمية – وهي ديانة متطورة عن المزدكية، وتعني بالعربية دين الفرح – تمتاز بالإباحية العامة[٣].

ولعل هذا ما جعل هؤلاء يأتون هذه الرذائل دون أن يدركوا – ربما – أنهم يقترفون منكراً من الفعل، أو يرتكبون منهياً في حكم الشرع أو الخلق العام، كما قال تعالى في أمثالهم: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)** (البقرة:١١،١٢). ومن هنا يمكن إطلاق وصف (العقدة) على هذا المرض الخلقي الوبيل.

---

(١) دماء على نهر الكرخا ، ص ٧٣ ، حسن السوداني .

(٢) الفهرست، ص ٤٩٣. نقلاً عن دماء على نهر الكرخا، ص ٧٣.

(٣) دماء على نهر الكرخا، ص٧٤.

الرذيلة هي العلامة الفارقة

تسللت هذه الرذائل متسترة بالدين إلى جميع الفرق الباطنية التي انتسبت للتشيع. مثل الواقفة الذين وقفوا بالإمامة على موسى بن جعفر. وهم اتباع محمد بن بشير وقد قالوا بإباحة المحارم والفروج والغلمان وترك الفرائض[١]. والخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي بالولاء الذين يبيحون المحارم من الزنا واللواطة والسرقة وشرب الخمر وشهادة الزور وترك الفرائض[٢]. والمنصورية اتباع أبي منصور العجلي بالولاء ، وقد استحلوا المحارم ونكاح الأمهات والبنات[٣] . والنصيرية أتباع محمد بن نصير النميري بالولاء الذي قال بألوهية الحسن العسكري وادعى النبوة وحلل المحارم ونكاح الرجال. ويروي بعضهم أنه رآه وغلام على ظهره[٤] .

إن التشيع أو التشيع الفارسي ليس إلا حالة متطورة لهذه الفرق التي كان أحد أسباب اندثارها، وعدم قدرتها على الصمود والاستمرار، وضوحها وعلنيتها؛ بسبب قلة خبرتها في ذلك الزمن وتخبطها في تجاربها.



---

[١] التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ، ص٣٥ ، محمد البنداري.

[٢] أيضاً ، ص٣١.

[٣] أيضاً.

[٤] أيضاً ، ص٣٤.

استبطان التشيع الاثني عشري لرذائل الفرق الباطنية كلها

يخطئ من يتصور أن هذه الفرق بادت وانتهت حقيقة. كلا فإن كل الذي حصل هو أنها صارت تستفيد من التجارب والأخطاء لتكون أكثر باطنية. وتغلف مقاصدها لتظهر باسم التشيع لأهل البيت أو الأمامية أو الاثني عشرية. وهو ما نطلق عليه اسم الرفض أو التشيع – وقد يسمى بالتشيع الفارسي – الذي يعتبر حالة متطورة جداً عن تلك الحالات البدائية الأولية. إن إباحية الجنس والمال في الديانة المزدكيـة والخرميـة وغيرهـا مـن الديانات الفارسية القديمة ظهرت عند الإمامية بشكل مقبول مؤطر باسم شرعي، ويمكن ربطه ببعض الألفاظ القرآنية. أما إباحية المال فظهـرت باسـم (الخمـس) و(الحقـوق الشرعية) وما شابه. وأما الإباحية الجنسية فظهرت باسم (المتعة) التي تغنـي صـاحبها وتعوضه عن أشد حالات التحلل والفساد الجنسي. والتي هي تقليد زرادشتي قديم. تقول د. شهلا حائري وهي حفيدة المرجع الديني الإيراني آية الله حائري: (عند الزرادشتيين يحق للزوج أو رب العائلة إعطاء زوجته أو ابنته من خلال إجراءات رسمية رداً على طلب رسمي الى أي رجل من قومه ، يطلبها كزوجة مؤقتة لفترة محـددة. وفـي هـذه الحالة تبقى المرأة زوجة دائمة لزوجها الأصلي وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتـة لرجل آخر. وأي طفل يولد خلال فترة الزواج المؤقت يعود إلى الزوج الدائم أو لوالـد المرأة وفقاً للحالة)[١].

---

[١] المتعة ، ص ٤٠ ، د. شهلا حائري.



محمد باقر الصدر مع إحدى النساء.. تمارين قبل أن يبدأ (الدرس)

أما أخبار المراجع فحدث ولا حرج ! وأن المرجع الفلاني أهديت إليه شابة لكنه لكبر سنه وتقدم شيخوخته غير قادر على تلبية فطرتها، فتولى ابنه الشاب المهمة عنه فشيء عادي وعلى كل لسان ! ولا من مشكلة! وشهد بذلك شاهد من أهلها المعمم عباس الخوئي بن المرجع الشيعي المشهور أبي القاسم الخوئي. لقد تحدث عن فضائح أخلاقية حصلت في بيت الخوئي نفسه ومن قبل أقاربه الأدنَين. من ذلك السبب الذي جعل أباه يطلق زوجته والدة محمد تقي وعبد المجيد الذي قتله أتباع مقتدى عشية دخوله النجف مع (الإخوة) المحتلين. والتفاصيل موجودة في قرص ليزري. وقد ذكر فيه حكايات عن علمائهم ومراجعهم يخجل القلم من تقييدها.

إتيان الذكور

وللقوم ولع خاص بالشذوذ ونكاح الذكر أو الغلام. ولعل هذا هو السبب وراء انتشار اسم (غلام) بينهم. وقد تحدث عباس الخوئي عن تفشي اللواطة بين علمائهم! ثم عقب قائلاً : المشكلة ليست في هذا، المشكلة حين يصير الملوط به مرجعاً، وقد حصل!!!

التقيت بعض الأحوازيين فإذا هم يحدثوننا الحديث نفسه! حدثونا عن حي في مدينة أصفهان اسمه (سَي وسَه پُل)، هو عبارة عن مركز دعارة علني متخصص بممارسة اللواطة! وذلك تحت سمع وبصر حكومة دولة إيران (الإسلامية) دون أي تضييق أو محاسبة!! ومن المعتاد أن يسأل سائق التاكسي أثناء الطريق من يستأجره إلى ذلك الحي: كم تريد عمر الغلام: ١٠ سنوات،١٢،١١؟! كما أن كثيراً من مدرسي الحوزات لا يتزوجون قبل الأربعين، فإذا سألت أحدهم كيف لك أن تعيش من دون زواج؟ يضحك ويجيب: "عايشين على... وعلى الطلاب" (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)!

وحدثني أحد الأقارب – كان يسكن الديوانية في الجنوب العراقي – له جار يدرس في إحدى مدارس الحوزة النجفية. يقول: لفت نظري أن جاري هذا يذهب إلى النجف صباحاً ويعود مساء كل يوم. فسألته: لماذا لا تبيت في القسم الداخلي للطلبة؟ فأجابني: لا أدري ماذا أقول لك؟! هل تصدق أن ثلاثة أرباع الطلبة يمارسون اللواطة مع بعضهم بعد انتهاء الدوام؟!

وإليك هذه العجيبة – وهي مفردة يومية من مفردات حياة كثير من معممي الشيعة – حدثني من لا أتهمه، قريب وصديق لي يعمل في استيراد السيارات. يقول: رأيت شاباً شيعياً من أهل مدينة العمارة في الجنوب العراقي، كان يبحث عن عمل في (المنطقة الحرة) في (عدرا) بسوريا. اتجه بنا الحديث إلى أن قال هذا الشاب: لي صاحب يسكن قريباً مني في حي السيدة زينب، وكنا نبحث عن عمل فلا نجد. مرت الأيام سريعة، فلاحظت تغيراً على صاحبي في ملبسه ومأكله، وجيبه! قلت له: يظهر أنك وجدت عملاً؟! قال: نعم. قلت: ألا يمكن أن تشركني فيه؟ قال: لا ينفعك، ولا تقدر عليه. قلت: أخبرني عن هذا العمل؟ ما طبيعته؟ قال: دعه، لا تسل عنه (!). وألححت عليه، وكان بيني وبينه علاقة حميمة وميانة. فقال بعد تلكؤ وتردد: تعرفت في هذه المنطقة على معممين شيعيين اثنين مأبونين، أزور كلاً منهما مرة في الأسبوع... وأحصل من ورائهما على مبالغ محترمة.

وقد انسحب هذا الولع على علاقتهم الزوجية فتاوى أجمعوا بها على جواز ممارسة الأسلوب نفسه مع الزوجة. على أن بعضهم يغلف فتواه بالكراهة التي هي مجرد كلمة لا أثر لها عند الفعل.

ويشيع في الوسط الإيراني نكاح المحارم الذي انتقل بالحث والعدوى إلى جميع المجتمعات التي تدين بالتشيع. إن أشد المجتمعات تديناً بالتشيع، أشدها ابتلاء باللواط ونكاح المحارم والشذوذ الجنسي. والنجف مثال! وقد كان في سجن أبي غريب على

عهد النظام السابق، ومن مدينة الثورة فقط معقل (جيش المهدي)، التي صارت تسمى مدينة الصدر (٨٠٠٠) سجين بجريمة زنا المحارم. وقد روى لي الثقات أن أحد المحكومين بجريمة الشذوذ الجنسي شاب من مدينة العمارة الشيعية وعده أبوه بأن يزوجه من الفتاة التي يحبها إن هو رجع إلى الخدمة العسكرية. وحين رجع إلى بيته في الإجازة الدورية وجد أباه قد تزوج تلك الفتاة! فما كان منه إلا أن أمسك، ثم عراه من ملابسه، وربطه بقضبان الشباك، ثم قام بنكحه!!! هل سمعتم بمثل هذه الجرائم الجنسية، وتخيلتم صور شذوذها؟!!!

وما كثرة الحديث عن هذه القاذورات في (الرسائل العملية) للفقهاء إلا انعكاس للواقع الاجتماعي الفاسد.

فتاوى الفقهاء

والعجيب أن الفقيه لا يهمه من جريمة مثل نكاح والد الزوجة وعمها وأخيها وأمها سوى صحة العقد من فساده، والسؤال عما إذا كان الفعل وقع قبل العقد أم بعده!! مع أنه يلقب نفسه بـ (الحاكم الشرعي) اللقب الذي يخوله حق التصرف بالأموال والأنفس والأعراض !.

انظر مثلاً إلى ما يفتي به فقيه كبير لدى الشيعة كالخوئي: إذا تزوج امرأة ثم لاط بأبيها أو أخيها أو ابنها لم تحرم عليه[١].

كما أن عملية جنسية شاذة مقرفة لا يفعلها إلا شياطين، ينفذها ثلاثة مع بعضهم في وقت واحد (ذكر وأنثى وخنثى) لا تثير لدى الأخ الخوئي انتباهاً إلى شيء سوى التفكير في مسألة الغسل وعلى من يجب ؟! يقول الخوئي: لو أدخلت الخنثى في الرجل أو الأنثى مع عدم الإنزال لا يجب الغسل على الواطئ ولا على الموطوء! وإذا أدخل الرجل بالخنثى وتلك الخنثى بالأنثى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأنثى![٢].

هذا في كتاب اسمه (منهاج الصالحين) ! ولا أدري ماذا يتضمن كتاب أكثر من هذا حتى يسمى عندهم بـ(منهاج الفاسدين) ؟! إن ن قوماً يجعلون شر أنواع الفساد ، وأكثره شذوذاً منهاجاً للصلاح وسبيلاً للصالحين هم أفسد خلق الله، وأضلهم عن سواء السبيل.

---

[١] المسائل المنتخبة، ص٣٠٠ – مسألة (٩٩٢).

[٢] منهاج الصالحين، ٤٧/١.

ولإدمان ذوات هؤلاء، وتطبعها بهذه الرذائل والنجاسات حتى صـــارت جــزءاً لا يتجزأ منها، ومفردات يومية يتعاملون بها دون أن تثير لديهم أدنى تحسس تجاهها تجدهم يتهمون، وبلا تردد، أشرف الخلق بمثلها. بدءاً بالصحابة الأخيار والذين تبوءوا الــدار والإيمان، وشهد الله تعالى لهم بصدق النية وحسن الخلق ! حتى وصلوا بــتهمهم إلـــى أطهر بيت على وجه الأرض – بيت النبي صلى الله عليه وســلم، فــاخترقوا حجابــه ولاكوا بألسنتهم القذرة سمعة أزواجه أمهات المؤمنين، وهم يعوون كالكلاب ويطوفون كالذباب. إنها رذائلهم (يسقطونها) على غيرهم ولا يتصورون مدى وقع هذا الفعل على الطيبين الطاهرين حين تتهم رموزهم الطاهرة الزكية بهذه التهم الفارسية المزدكية التي لم يعرفها المجتمع العربي قبل ظهور التشيع، حتى قال أمير المؤمنين عبد الملــك بــن مروان رحمه الله: لولا ما قصه الله علينا من أمر قوم لوط لما خطر في بالي أن ذكــراً ينزو على ذكر!.

من هذا الباب كثر ذكر المسائل الجنسية في كتبهم ورسائلهم العملية، وبأحط الألفاظ والأوصاف المرذولة. تذكر هذه الرسائل أعمالاً شنيعة يهتز لها العــرش لا لشـــيء إلا لذكر الحيل والمخارج (الشرعية) للتحلل من إثمها! فتحس أن هذه الجــرائم والرذائــل ممارسات عادية قد أدمن الناس على فعلها ويمكن إتيانها أو ارتكابها بلا نكيــر لا مــن العلماء، ولا من غيرهم!. كل الذي يشغل الفقيه من جريمة، مثل اللواطة ، هو هل إن



السؤال: أنا فتاة أبلغ من العمر ١٥ عام أبي متدين جدا وأنا ألبس الحجاب الكامل خارج المنزل والحمد لله ولكن أبي يقبلني كثيراً بين ثديي أو في فمي أو يأتي من خلفي ويحتضنني ويقبلني في نحري فأقول له أليست هذه الأفعال حرام فيقول لي إنها حرام إذا كانت بشهوة لكن أنا أفعل معك ذلك بعاطفة الأبوة وان الرسول محمد كان يقبل ابنته السيدة فاطمة في نحرها وبين ثدييها وفي فمها ويمص لسانها فهل الرسول كان يفحش في ابنته لا وإذا الرسول فعل ذلك فهذه رخصة لأي أب أن يفعل مع ابنته ذلك ويقول لي إنني لا ألمس العورة وهي القبل والدبر وكل ما ليس بعورة مصرح برؤيته أو لمسه أو تقبيله وأنه يفعل هذا من خوفه علي من إغراءات الشباب فالفتاة التي تسلم نفسها لأي شاب تكون مفتقدة لمشاعر الحب والحنان داخل المنزل. فهل ما يفعله أبي حلال أم حرام وإذا كان حرام كيف كان الرسول يفعل هذا مع ابنته السيدة فاطمة الزهراء وشكرا على هذا الموقع المفيد.

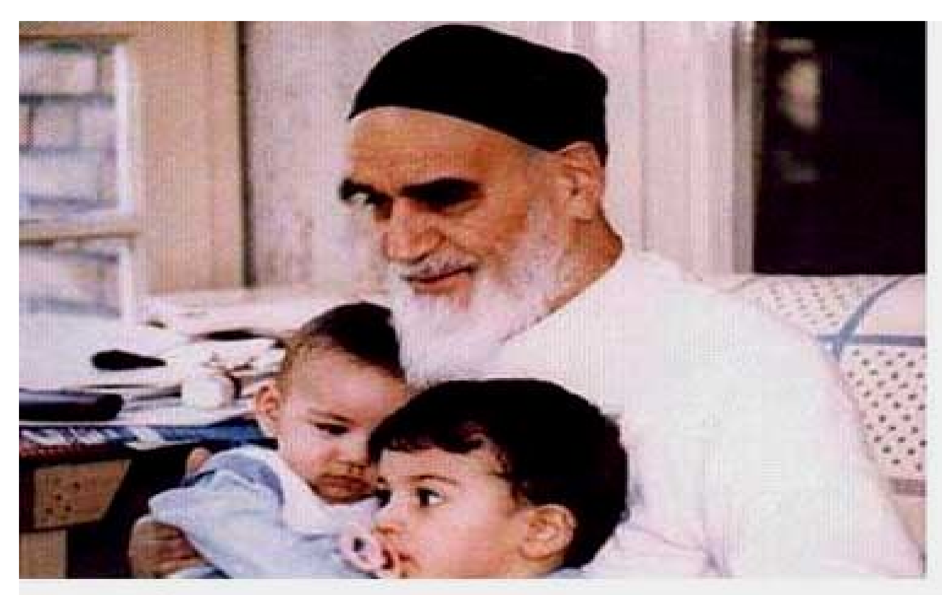
الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إن فعل والدك جائز بالشرط الذي هو يقوله وذلك في قلبه ولا تظني به السوء. أهلا بكم.

الاغتسال منها واجب أم على الأحوط !!. ويفرط في ذكر أمور يخجل حتى القلم من تسطيرها مثل: اللواط بوالد الزوجة أو أخيها أو عمها أو جدها، أو إتيان أمها وخالتها، ومصائب وبلاوي عمت وطمت وقال الغلام وحكى الأمرد وأدخل فأوقب)[١].

---

[١] سياحة في عالم التشيع، ص ١١٥ ، المؤلف.

تزعجني جداً الطريقة التي يتعامل بها بعض رموز أهل السـنة مراجـع الشـيعة، يلقبون الواحد منهم بــ(سماحة السيد)، ويتقدمون إليه بأن يتعاون معهم في سبيل نصرة الدين والدفاع عن الوطن، ويرسلون إليهم الوفود لحل القضايا، فـلا يرجعـون مـنهم بشيء! كيف لا؟ وهؤلاء – إلا أقلهم – بهذا المستوى! وما الكبرياء التي يتظاهرون بها إلا غطاء يتعوضون به عما هم فيه من نقص وانحدار؛ فلا ينفع مع صـنف كهـذا إلا الازدراء والتعامل بفوقية تجعلهم يدركون أننا أكـرم ممـا يتوهمـون، وأن خبايـاهم مكشوفة وليست خافية علينا كما يتصورون.



٢١٦ ــــــــــــ تحرير الوسيلة ج٢

مسألة ١١ ـ المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة، و الأحوط تركه خصوصاً مع عدم رضاها.

مسألة ١٢ ـ لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دواماً كان النكاح أو منقطعاً، و أما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة و الضم و التفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة، ولو وطأها قبل التسع و لم يفضها لم يترتب عليه شيء

تحرير الوسيلة ج٢ ص٢١٦ للخميني

(١٦)
عقدة الاستعراض

لا زلت أذكر – ومنذ أكثر من ربع قرن! – شخصاً كـان سـكيراً يـؤذي أهلـه وجيرانه. ذهب يوماً إلى الحج. وعاد منه، فكنت أراه يفتح الباب الخارجي لـداره ثـم يقرأ القرآن قرب الباب بصوت مرتفع، يسمعه ويراه الرائح والغادي. أنا أقرأ القـرآن؛ إذن أنا تبت، أنا تغيرت، اعلموا ذلك!

المظاهر المبهرجة

الشخصية الفارسية شخصية استعراضية مظهرية تهتم بالشكل والمظهر اهتمامـاً كبيراً، وذلك تعويضاً عما تعانيه من عقدة نقص متأصلة في نفسيتها المريضـة. تـدفع هذه العقدة صاحبها إلى أن يتحول إلى مخلوق يخفي ذاته من أجل التستر على خوائهـا الداخلي بكل ما يمكن أن يبهر الآخرين ويثير غيرتهم. إن هذا الخواء يقـض مضـجع الإنسان الناقص، ويدفع به دفعاً إلى مزيد من الإقبال على المظاهر التي تتسـتر عليـه وتخفيه. تجد ذلك واضحاً في الزي الديني للمراجع والعلماء: العمامة الكبيـرة البالغـة الكبر، واللحية الطويلة، واللباس الخاص الذي يحرص الواحد منهم حرصاً مبالغاً فيـه على عدم ظهوره للناس ولقائه بهم إلا من خلاله. هذا مع الكـالوش المتعـدد الألـوان حسب الدرجة العلمية (الأسود ثم الأحمر ثم الأصفر البرتقالي الشبيه بالشمس أو النار)، والمحابس المتعددة الملونة ذات الفصوص الكبيرة في أصابع كلتـا اليـدين. وتسـتطيع بالمقارنة مع الزي الديني السني، وقلة حرص العالم على ملازمة لبسه أن ترى الفـرق، وتدرك دلالة القصد.

كما تجد (الاستعراض) واضحاً في المسيرات والمواكب والحشود، والمسـرحيات التي تسمى بـ(التشابيه) اعتماداً على الشخصية الإيحائية لدى (الفارسي). وتجده أيضاً في الألقاب الفخمة التي يتعوض بها مراجع الشيعة عما يعانون منه من عقـدة نقـص: السيد، المرجع الأعلى، ولي أمر المسلمين، زعيم الحوزة... إلخ. وكذلك فـي أسـماء أحزابهم وتنظيماتهم: المجلس الأعلى، فيلق بدر ، حـزب الله ، المجلـس الإسـلامي الأعلى، الهيئة العليا لكذا وكذا.

يقول برنارد شو: (الإنسان بحاجة إلى الإلحاح اللفظي على ما يفتقر إليه). فالمهزومون يفرطون في الحديث عن الانتصارات، والعميان يسرفون في استعمال الأفعال التي تعني الإبصار، ودرجات الألوان والمسافات. والجائع يكثر من ذكر الطعام. كذلك العطشان في حديثه عن الماء.

اختفاء المرجع

وقد يتخذ الاستعراض مظهراً عكسياً بأن يختفي المرجع فلا يظهر للعامة إلا نادراً من أجل إضفاء هيبة غامضة مضخمة، والإيحاء بالشخصية المبهمة المستعصية على الإدراك والفهوم (تشبهاً بالإله الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار).

الدعاوى الفارغة والتصريحات الرنانة

وتجد (الاستعراض) لدى الشيعة في الدعاوى الرنانة الفارغة من المحتوى لإثارة الانتباه وجلب الإعجاب. وآخر ما طلعوا به علينا من ذلك ما صرح به الرئيس الإيراني المتشدد محمود أحمدي نجاد من دعوته إلى محو دولة إسرائيل ، وعرضه نقلها إلى ألمانيا ، أو إحدى دول أوربا، وإنكاره لحقيقة المجازر التي تعرض لها اليهود على يد هتلر.

إخفاء الذات

إن هذه العقدة تتماشى مع عقدة النقص من ناحية أخرى: فالفارسي لنقصه حريص على إخفاء ذاته، وإظهارها بعكس ما هي عليه. إنه كائن يخفي ذاته من أجل التستر على خوائها الداخلي، ويتمظهر بكل ما من شأنه أن يبهر الآخرين ويثير إعجابهم وغيرتهم. وليس من باب الشرع والتدين حرصه على إخفاء المرأة الفارسية بغطاء (التشادور) والبوشية، إنما هو من باب الحرص على التخفي والتستر على الذات. فالكثير من هؤلاء النسوة في الواقع لسن أكثر من مجرد سلعة معروضة لـ(المتعة)، وقد تفرج على جسدها مكشوفاً عارياً العشرات من الرجال من طالبي اللذة المتاع الرخيص! فأين هذا من هذا ؟!!!.

المسيرات والمظاهرات

وتجد هذه العقدة واضحة في مسيراتهم ومظاهراتهم الشعبية، وهم يستعرضون

قوتهم من خلال الدبكات والهوسات النارية، والشعارات والأعلام والصور والوعد والوعيد. من أجل ماذا؟

مثلاً: في يوم ٢٠٠٥/١/١٥ أظهرت الشاشات الفضائية صورتين: إحداهما في حي الثورة الشيعي في بغداد، والأخرى في الأنبار والموصل السنيتين. بين الصورتين من المفارقة ما بين الأرض والسماء! في (الثورة) مسيرة ضخمة بالدبكات والهوسات الشعارات والأعلام! وأقول مرة أخرى: من أجل ماذا؟ وعلى مَ كل هذا؟! إنهم يطالبون بتوفير النفط والغاز والبنزين والكهرباء! أما في الأنبار الباسلة – ومعها الموصل – فظهرت صورة للمجاهدين – بأبي هم وأمي!!! – ملثمين يحملون قاذفاتهم وأسلحتهم الأخرى، يهاجمون الأمريكان ويحرقون آلياتهم وناقلات جنودهم. ولكن.. بلا هوسات ولا دبكات ولا أعلام ولا ضجيج.

ويخرج مستعرضاً بعض الخائبين، ومن أقذر مدينة في الشرق الأوسط بلا منازع وأكثرها وساخة وعفونة ليسميها بـ(مدينة الصدر المقدسة، وفي رواية: المنورة)!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا.

وتتوالى هذه الصور والمشهد يتكرر: مظاهرات رنانة واستعراضات فارغة في المدن الشيعية من أجل توفير فرص عمل ، ومطالبة بالتعيين في سلك الشرطة في السماوة ، ومظاهرات في الرميثة، وتفاخر فارغ بما فعله الأجداد في ثورة العشرين:

اليـوم نْعيـدِ الماضـي   واحنا احفادَك يـا شـعلانْ

الشـاهدْ هـذا المركـزْ   هذا اليَمَّـكْ مـوشِ بْعيـدْ

ماذا تتصور يريد (أحفاد شعلان)؟ إنهم يطالبون بالتعويض عن الشلب الذي مات بسبب انقطاع الماء ! بئس الخلف!.

وصدق الشاعر فلاح عسكر حين قال:

احنا مْن اولِ التاريخْ معروفينْ   احنا اهلِ السيوفِ الباشطهْ الزينهْ

وانتو مْنَ اولِ التاريخْ معروفينْ   حياچْ الزوالـي الحَـدرْ رِجلينـا

(١٧)

عقدة الصفاقة

الصفاقة: قلة الحياء، ومثلها الوقاحة.

و(الفارسي) بطبعه وقح صفيق، بسبب اعتياده على إتيان النواقص التي يندفع إليها مضطراً لحماية نفسه كالكذب والخداع والغدر والاعتداء، وهو يحاول الوصول إلى غايات أكبر من حجمه. وبسبب كثرة هذه الرذائل أو النواقص التي يرتكبها فإنها كثيراً ما تتكشف، مما يزيده جرأة في تعاطيها حتى تصير مفردات يومية يتعامل بها في حياته الاجتماعية دون تردد أو خجل! لهذا صار (الفارسي) ذا طبيعة وقحة لا يتأثر بإتيان الرذائل. تسند ذلك عقدة النقص، والناقص لا يستنكف من النقائص؛ لأنه كما قيل: الذي في الأسفل لا يخشى السقوط. وفيه وفي أمثاله قال الشاعر العربي:

من يَهُنْ يسهَلِ الهوانُ عليه ... ما لجُرحٍ بميتٍ إيلامُ

يطلق على الشخصية المصابة بمرض الوقاحة في علم الأمراض النفسية اسم (الشخصية السيكوباثية **Psychopathic Personality**). على أنني أذكر القارئ بأن (الفارسية) ليست قومية بقدر ما هي شخصية. فقد يكون المرء فارسياً في أصله، لكنه طبيعي في شخصيته. ولربما يكون عربياً في أصله، لكنه (فارسي) في شخصيته.

معالم الشخصية الصفيقة

يقول سيجموند فرويد فيقول عن الشخص السيكوباثي: "كثيراً ما نجده يندفع بقوة لاتباع نزعاته وأهوائه المكبوتة دون أدنى اعتبار للقيم والمعايير الأخلاقية، أو لما يفرضه المجتمع من أنظمة وتقاليد". ويقول عن هذه الفئة من المرضى: "نجد من بينهم الكاذب الماهر ذا الخيال الخصب ، والخائن المراوغ، والأرعن المتهور الأناني. ومنهم كذلك من لا يقبل أي نقد أو نصح أو إرشاد"[١].

ويقول الدكتور علي الوردي عن هذا المرض وصاحبه: "وقد يصح تعريبه بـ(داء الصفاقة)، فالشخص المصاب بهذا الداء يتميز عن غيره بوجود ضعف في

---

[١] الشذوذ النفسي عند الجنسين ، ص١٨٨-١٨٩ ، سيجموند فرويد.

تناسق ذاته من الناحية الزمنية فهو لا يبالي بما فعل في الماضي أو ما سوف يفعل في المستقبل ولا يستحي منهما. إنَّهُ قد يستقرض منك مبلغاً من النقود على أن يرجعه إليك بعد ساعة. ثم تمضي عليه الساعة والساعتان وعشرات الساعات دون أن يشعر بأهمية وعده. وربما قابلك بعدئذ بوقاحة كأنه لم يستقرض منك شيئاً وهو قد يبتسم لك ابتسامة بلهاء ثم يكرر الوعد لك مرة بعد مرة بلا جدوى.إن الشخص (الصفيق) قد يخونــك أو يغشك أو يغتابك أو يهاجمك بصلافة ثم ينسى ذلك ويريد منك أن تنساه أيضاً.

ومما يجدر ذكره أن الشخص السوي قد يرتكب مثل هذه الأفعال، ولكنــه يخجــل منها عادة، ويحاول الاعتذار عنها، أو تبريرها. أما الشخص (الصفيق): فهــو يرتكــب تلك الأفعال بلا اكتراث كأنه لم يفعل شيئاً يســتحق اللــوم... لا ننكــر أن الشــخص (الصفيق) قد يستفيد في بعض الظروف فقلة الحياء فيه تجعله ناجحا في انتهاز الفرص أحيانا. إنه يستطيع أن يتزعم كل مظاهرة ويقف في كل حفلة ويتزلف لدى كل متنفــذ. والمعروف عن بعض المتنفذين أنهم يحتاجون إلى شخص من هذا الطراز ، لكي يقــوم بخدمتهم في المهمات التي لا يرضى أن يقوم بهــا الأشخاص الأسوياء[١].

الصفاقة عند الفرس فضيلة وليست رذيلة

على أن الوقاحة أو الصفاقة عند الفرس سجية اجتماعية محمودة، وليست رذيلــة ممقوتة. إن الأدب الفارسي يمجد (الوقاحة) كما يمجد (الكذب). ولا بأس بإعادة ما مــر بنا سابقاً من قول الخبير الأمريكي جاك ميلوك عن هذه الصفة: (فــي قطعــة أدبيــة مشهورة في الأدب الفارسي ينصح أحد الحكماء الإيرانيين من ذوي العقل الراجح ابنــه حول الكيفية التي يتوجب على الابن اتباعها من أجل أن يكسب حياته فــي إيــران: (لا تتخوف من سوء استعمالك للحق أو للسلطة، ولا مــن الإذلال أو تشــويه الســمعة أو الافتراء... وعندما يجري طردك خارج أحد الأبواب، تعال وادخل بابتسامة من بــاب أخرى... كن وقحا ومتغطرسا وغبياً؛ لأنه من الضروري في بعض الأحيان التظــاهر بالغباوة؛ لأن في ذلك فائدة).

و(الوقاحة) ظاهرة لمسناها في الوسط الشيعي المستعجم. جاءني مرة واحــد مــن هؤلاء يناقشني في مسائل تتعلق بالشيعة والتشيع قال لي: كيف تــتهم علماءنــا بــأنهم

---

[١] لمحات اجتماعية ، ٣١٢/٢-٣١٣ ، الدكتور علي الوردي.

يقولون عن (الإمام علي) إنه دابة الأرض؟ قلت له: هذه حقيقة وليست تهمـــة. وممـــن قالها محمد الصدر قال: مستحيل. قلت: علام هذا المستحيل؟ إن لـــه رســـالة اســـمها (الرجعة) فيها هذا الكلام. قال هذا غير صحيح. قلت: هل اطلعت على الرسالة؟ قـــال: نعم وليس فيها ما تدعيه عنه.

كنت لحظتها أبحث بين الكتب. ولما أخرجت الرسالة وأخذت أقلبها لأقـــع علـــى موضع الشاهد منها إذا به يقول: نعم موجود هذا الكلام وليس فيه من شيء فالدابة كـــل ما دب على الأرض (!!) وعجبت من (صفاقته)!! لقد قالها دون تلعثم! ودون أن تتغير ملامح وجهه! واستمر في حديثه وجدله كأنه لم يفعل شيئاً! مع أنَّهُ لو كان إنساناً ســـوياً لذاب خجلاً ولاذ بالصمت ليغادر الجلسة إلى أقرب حمام كي يغسل العرق الذي جللـــه! ولكنها (الصفاقة)!

إن هذا يذكرني بصفاقة يهود، ووقاحتهم الباردة، يوم أسلم حبرهم عبـــد الله بـــن سلام رضي الله عنه (وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بُهْتٌ وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك فأرسل إليهم فاسألهم عني: أي رجل ابن سلام فيكم؟ قال: فأرسل إلـــيهم فقال: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابـــن عالمنـــا وأفقهنا وابن أفقهنا. قال: أرأيتم إن أسلم تسلمون؟ قالوا: نعيذه بالله مـــن ذلـــك. قـــال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شـــرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا)[1].

نعم ! إنها الصفاقة تلك السجية اليهودية الفارسية التي من مظاهرها ما نراه أثنـــاء الخصومة حين يتمادى البعض منهم إلى حد (الفجور) فلا يدع وسيلة لإيـــذاء خصـــمه وتشويه سمعته وبصورة علنية سافرة إلا استخدمها، حتى إذا انتهت أسباب الخصـــومة يعود هؤلاء المختصمون إلى حد (الفجور) أصدقاء يتحدثون كأن لم يكـــن بيـــنهم مـــن شيء! والمتدينون منهم يغلفون هذه (الصفاقة) بأسماء ومبادئ شرعية كالعفو والصـــفح والمغفرة و(عفا الله عما سلف)...الخ وما هي إلا وقاحة وصفاقة ورقاعة لأن أصـــحاب العفو والصفح والمغفرة لا يفجرون في الخصومة.

خاصمني بعض هؤلاء خصومة فاجرة شديدة لم تنفع معها كل محاولات الإصلاح والنصيحة. ومرت الأيام فإذا أحدهم يقبل بعد صلاة الجمعة ليسلم علـــيَّ ويصـــافحني.

---

[1] رواه البخاري ، وأحمد واللفظ له.

ومددت يدي أرد عليهم السلام. وبعد حين سمعت أنهم يشكون من عدم تقديري لهم ؛ لأن سلامي عليهم كان باردا ! لعلهم كانوا يريدونه بالأحضان ومضخما بالقبلات! مع أن حقهم – الذي لا يستحقون غيره – كان الطرد بلا سلام ولا كلام!

إن داء (الصفاقة) هو الذي يجعل (الشيعي) لا يتردد من سب الصحابة في وجهك ببرودة أعصاب وجمودة وجه كأنه يترحم عليهم! دون أن يعير لشعورك أدنى اعتبار. حتى إذا أنكرت عليه قال لك متغيظاً: لماذا تكرهون (أهل البيت)؟ ولك مني جائزة مجزية إذا تمكنت من حل هذا اللغز الذي يجعل من الدفاع عن الصحابة هجوماً على (أهل البيت)!!

هكذا تكشر الصفاقة عن سوءتها..!

ما إن تسلم عبد العزيز الحكيم رئاسة الدورة الشهرية لما سمي بـ(مجلس الحكم) في العراق حتى أعلن على الملأ – بلا تردد ولا حياء – أن على العراق أن يعوض إيران (١٠٠) مليار عن خسائرها في الحرب. هل كان يشعر أنه رئيس مجلس حكم العراق وليس إيران؟ لا أظن! هذا.. وفي الوقت نفسه يطالب الدول العربية بشطب ديونها التي بذمة العراق!!!.

ومن أرض الأردن – البلد العربي ذي الانحدار البدوي الأصيل – هاجم وزير الداخلية المفروض على العراق باقر صولاغ، وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قائلاً: (لسنا في حاجة إلى نصائح بدوي يركب الجمل)! لا لشيء سوى أن الأخير انتقد إيران على تدخلها السافر في شؤون العراق. ونسي صولاغ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يركب الجمل. ولكن عقله الباطن الذي يختزن احتقار العربي أبى إلا أن يفصح عن نفسه. كما نسي أنه وزير خارجية العراق، لا وزير خارجية إيران. والملاحظ أن الجوقة الحاكمة في العراق لا يثيرها شيء كما يثيرها توجيه النقد لإيران، وتنبري للدفاع عنها بصفاقة تحسد عليها!

وقد افتتح إبراهيم الجعري دست منصبه كرئيس لوزراء العراق فكان أول قرار اتخذه الإفراج عن (٤٠٠) معتقل إيراني في السجون العراقية، وغلق ملفاتهم جميعاً بصرف النظر عن نوع القضايا التي يحاكمون بها! مع أن سجونه تعج بالعراقيين والعرب، وزادت أضعافاً متضاعفة.

ومن فوق أرض الإمارات العربية السنية تهاجم الفضائيات الشيعية أهل السنة! في يوم (٢٠٠٥/١٢/١٤) نقلت (فضائية الفيحاء) الشيعية مظاهرة احتجاج على (قناة

الجزيرة) التي ظهر فيها قبل يوم في برنامج (الاتجاه المعاكس) شخص تهجم على المرجعيات الشيعية ووصفها بالعميلة. وكان المتظاهرون يرددون (نعال السيد يسوى الدوحة وما بيها). والدوحة هي عاصمة إمارة قطر التي من أرض جارتها (الإمارات) تبث قناة الفيحاء برامجها الفضائية ! المدعومة بمال خليجي سني! هل رأيت ماذا تفعل الوقاحة بأصحابها؟! والشواهد على الوقاحة والصلف الفارسي كثيرة منها: دخل أحدهم على الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت. يقول: فوجدته غاضباً جداً. ولما سألته عن سبب غضبه قال: (قبل أن تأتي بدقائق كان عندي محمد باقر الحكيم جاء يطلب مساعدة الكويت ضد صدام حسين، وقد رفع صوته عليّ وأساء معي الأدب. هذا وهو زائر مشرد، وقد لا يرى بلده، فماذا سيفعل إذا حكم العراق؟!)[1].

ويستقبل المسؤولون في السعودية مقتدى في موسم حج عام (١٤٢٦) استقبال الملوك، ويكرمونه، وينزلونه أعلى المنازل. لكنه ما إن يرجع من هناك، حتى يتهمهم بأنهم وراء تفجير قبة المرقد في سامراء!

أما استخفافه بأهل السنة – الذين مدوا له أيديهم من قبل بكل صدق وعفوية، وصفقوا له، ومجدوه – فقد بلغ به حداً أن يعلن في الانتخابات الأخيرة (٢٠٠٥/١٢/١٥) تحالفه معهم، ولكن.. في محافظة واحدة فقط.. هي.. محافظة الأنبار! رمز أهل السنة! دون بقية المحافظات: العربية عامة، أو الشيعية، أو المختلطة.

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب، ما حدثني به صديق من أهالي ناحية (جبلة) كان شيعياً فهداه الله تعالى، فقال: كان لنا أغنام، فيها نعجة سوداء اللون، ترك والدي صوفها يطول كي يصنع منه عباءة له. ومر بنا يوماً – حسب العادة الجارية – (سيد) يأخذ منا ما يقدر عليه مما يسميه (حق جدي). رأى (السيد) تلك النعجة تختال بصوفها الأسود الجميل، فما كان منه إلا أن عزلها عن الأغنام ليسوقها ضمن القطيع الذي يريده للمرحوم (جده). وحين قال له والدي: دع هذه النعجة وخذ غيرها بدلاً عنها، وأعلمه بالسبب. لم يقتنع، وأصر على أخذها بعينها! ولم تنفع معه كل المحاولات

---

[1] راوي الواقعة عن الأمير هو جهاد الخازم. وقد ذكرها الأستاذ فيصل القاسم على (قناة الجزيرة) في برنامج (الاتجاه المعاكس) يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٨/١٦.

والاستعطاف والترجي، وصار يتهجم ويصيح، ولم تنته المشكلة إلا حين قــام والــدي بسبه وضربه، ثم طرده كالكلب الممطور شر طردة!

التلون وتعدد الوجوه

ولعل التلون الذي عرف به الفارسي، وعدم استقراره على حــال، أو خلــق، لــه علاقة بهذه السجية. يقول الشيعي المحترق الشيخ محمد الكرمي: (والفرس بطبيعــتهم متلونون، فتراهم يقبلون على الشيء بكلهم ، وقد يكون ذلك منهم لا لداعي، ثم يدبرون عنه بالمرة الواحدة كذلك! والمثال القريب لهذه الدعوى أنّا وجدنا الأمة الإيرانية قبــل عشر سنين لا أكثر أخذت تهاجم الدين والمتدينين بصورة بشعة يعلم الله. فنســاؤهم – فضلاً عن كونها بادية الوجوه – بادية في كل ما تملك، ومضيفة على ذلــك التحســين والتزيين، بعد أن كانت هي بنفسها تلتاث بحجاب حصين، ولا تترك صــلاة الجماعــة بحال مقدسة غاية التقدس... والكثير من هاته النسوة كان في وسعهن أن لا يخــرجن، كما كان في وسع أزواجهن أن يمنعوهن. ولكن القوم لبوا هذا النداء[1] بصورة مستغربة للغاية! حتى إن الأمم النازعة الجلباب – كالغربيين – رأوا في إيران عنــدما دخلوهــا صورة مهيجة، لم يجدوها ولا في باريس فرنسا، أو نيويورك أمريكا! ولــذلك غــدوا يطاردون نساءها في أي زاوية كن، بعد أن طمعوا في كثير من سافراتها. وحتــى إن الرجل كان بنفسه يهيئ لزوجته وبنته وسائر نسائه التي في بيته آلات الزينــة، كيمــا تبدو إلى الخارج ببزة جالبة، ووضع جاذب. ولما أن تدهور ذلك الوقت بصاحبه أخــذ يهيئ له ولأهله جلابيب التستر والحجاب، ناقماً على الوضع السابق، الذي مــا صــيره نقمة إلا هو لعنه الله وقلل من أمثاله. وكان في وقت سفوره يهزأ بالــدين والمتــدينين، ويسخر من العمائم والمعممين بما لا جابر له على ذلك أصلاً. غايــة مــا هنــاك رأى السلطة الحاكمة مخالفة لهذا النوع، لا أنها جابرة له على توهينه وتحقيره . فعاد – بعد أن انتكست أعلام تلك الدولة – مقبلاً على ما كان جافياً له، ساخراً منه!.

ونحن كلما أردنا أن نتعقل جهة لذلك الإدبار، وهذا الإقبال، لم نجد للقضــية فــي وجهتيها السلبية والإيجابية وجهاً يعلم الله سوى التلون البارد فحسب)[2].

---

[1] يشير إلى دعوة الشاه رضا بهلوي النساء إلى السفور اقتداء بمصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

[2] الحياة الروحية ، الحلقة الثانية ، ص٢٤٧-٢٤٧ ، محمد الكرمي ، مصدر سابق.

(١٨)
عقدة الذنب

الشيعي يلطم نفسه، ويجلد ذاته، ويفري بالزناجيل الحديدية ظهره! يشدخ رأسه، ويخمش وجهه، ويجز شعره، ويشق ثوبه! لماذا؟ وعن أي عقدة نفسية يعبر؟

عقدة النقص والخجل من الذات

تؤدي (عقدة النقص) إلى شعور المرء بالخجل والحاجة إلى الابتعاد والتواري عن الأنظار. ويحصل بمرور الزمن نوع من الإدانة للنفس، والشعور بالذنب الذي يتحول شيئاً فشيئاً إلى عقدة تؤثر على سلوك الإنسان، وتحكم تصرفاته لا شعورياً، حتى لو لم يكن هناك من ذنب مرتكب! كما يقول العلامة ((يونج)) : (إن المرء يمكن أن يشعر بالذنب لا على أثر فعل ممنوع، ولكن أيضاً عندما لا يستطيع الوصول إلى تحقيق ذاته، وإبراز فرديته الخاصة والعميقة)[١].

اجتياف عملية التبخيس

هذا وقد لاحظ علماء النفس أن الظلمة والمستبدين يحتقرون شعوبهم، ويمارسون تجاهها عملية تبخيس وتحقير مستمر. وهذا يؤدي – بمرور الزمن – إلى أن تجتاف (تتقبل وتتقمص) الجماهير المقهورة – أو تلك التي تعاني من (عقدة الاضطهاد) – عملية التبخيس والتحقير هذه، وتمسي أسيرة الوهم بأنها لا تستحق من المكانة أكثر مما هي عليه من الذلة والتبعية والمهانة؛ فتنعكس عدوانية المتسلط وقهره لها ذاتياً على شكل مشاعر إثم ودونية فـ(يزدري إنسان العالم المتخلف ذاته ويخجل منها، ويود لو تهرب من مواجهتها، كما ينقم عليها في نفس الوقت. وهنا يكيل النعوت السيئة لنفسه،

---

[١] أيضاً ، ص.١٧٩

متهماً إياها بالتقصير والتخاذل والجبن. ويميل إلى إنزال العقاب بنفسه حتى إنه يرى أحياناً في القهر والظلم الإنسانيين ، كما في قسوة الطبيعة واعتباطها ، عقاباً مستحقاً له على تخاذله واستكانته)[1].

فكيف إذا كانت الذات أساساً قد أحاطتها الخطايا والذنوب، وغرقت فيها إلى الأذقان؟! والجواب يفهم من خلال ما قاله د. حجازي: (هناك ذات مدانة محقرة ومعنفة دون هوادة، وذات أخرى تدينها، تحقرها وتشتط في سومها سوء العذاب. هذه الذات الأخرى ضمنية، بها يتماهى (يذوب) الإنسان المقهور في حربه ضد ذاته المهانة التي يحاربها. إنه نوع من الاحتيال على واقع لا قبل للمرء بمجابهته حتى يحتفظ بقيمة ضمنية لذاته الحميمة والحقيقية (في نظره). ليس هناك من مذنب إلا وينبذ جزءاً من ذاته معتبراً إياه خارجاً عن أصالته، ومسقطاً عليه كل اللوم، وكل التبخيس بغية الاحتفاظ بذاته الحقيقية (الخفية) دون مساس. بذلك فحسب يستطيع أن يعيش، وإلا فليس أمامه سوى الانتحار، إذا لم يحتمِ بالازدواجية. حتى الانتحار، يتضمن في النهاية نوعاً من الازدواجية: تدمير الذات السيئة، أو بالأحرى تدمير الصورة السيئة عن الذات بعد تحميلها كل الإثم أملاً في خلاص وهمي، في تطهير ذاته الحقيقية مما ألم بها من سوء ومهانة. ولكن مأساة المنتحر تكمن بالتحديد في أن تدمير الذات المدانة وصورتها السيئة يتم من خلال الجسد (وعاء الذات الوحيد)، وبالتالي القضاء الفعلي على الوجود. أما في وهم المنتحر فالأمر لا يعدو القدرة على فعل خطير وجذري من أجل الخلاص)[2].

كما أن المصاب بعقدة الذنب يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير – ولو بعقاب نفسه – التماساً للراحة، وتخففاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر؛ فيندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. وهو يفتش عما يؤذيه ليجد الراحة بل اللذة في هذا الأذى أو العقاب (الماسوشية). وفي ضوء هذا التفسير نجد أن الشيعي من خلال اللطم والتطبير – ناهيك عن الممارسات الماسوشية الأخرى الشائعة في الأوساط

---

[1] أيضاً ، ص٤٠ .

[2] أيضاً ، ص١٧٧.

الدينية الشيعية، وما قرب منها وتأثر بها، كاللواطه – إنما يمـــارس الانتحـــار – وإن بصورة رمزية – للخلاص من ذاته المذنبة المدانة.

احتقار الأمثال والأتباع

هناك ملاحظة مهمة عن صاحب هذه الشخصية أشار إليها د. حجازي بقوله: (بينـــه وبين هؤلاء تقوم علاقة ازدراء ضمني؛ لأنهم يعكسون له مأساته وعاره، كما يعكـــس مأساتهم وعارهم. ويصيب المرأة والأتباع في عملية التحقير هذه النصـــيب الأوفـــر... فما يلقاه من تبخيس ومهانة، وما يفرض عليه من تبعية يعود فيمارسه علـــى زوجتـــه ونساء أسرته ، كما يمكن أن يفرضه على أتباعه ومن هم في إمرته)[1].

---

[1] أيضاً ، ص٤٠. هذه مسألة نفسية في غاية الأهمية نعرف من خلالها أن المهزوم نفسياً لا يحتـــرم أتباعه، ولا يعتبر آراءهم، على العكس ممن يعامله معاملة الند أو الخصم.

(١٩)
تأليه الحاكم

كان الملك أو (حاكم المدينة) في بلاد ما بين النهرين يعتبر نائباً عن الإله أو وكـيلاً عنه. وفي حفل التتويج يرتدي الملك زي الكاهن رمزاً لاتحاد الدين بالدولـة. وبينمـا يظهر حمورابي في مسلته وهو يتلقى القوانين من الإله، كان الفرس يعتبـرون الملـك إلهاً وليس نائباً عن الإله. ويطلقون عليه لقب (ملك الملوك). وله السلطة المطلقة فـي طول البلاد وعرضها، فكانت الكلمة التي تصدر من فيه كافية لإعدام من يشـاء بغيـر محاكمة، ولا بيان للأسباب. وكان في بعض الأحيان يمنح أمه أو كبيرة زوجاته حـق القتل القائم على النزوات والأهواء. وقلما كان أحد من الأهالي – ومنهم كبار وأعيان – يجرؤ على انتقاد الملك أو لومه. كما كان الرأي العام ضعيفاً عاجزاً عجـزاً مصـدره الحيطة والحذر، لدرجة أن كان كل ما يفعله من يرى الملك يقتل ابنـه البـريء أمـام عينيه رمياً بالسهام أن يثني على مهارة الملك العظيمة في الرمايـة! وكـان المـذنبون الذين تلهب السياط أجسادهم بأمر الملك يشكرون له تفضله بأنه لم يغفل عن ذكرهم.

وعندما غزا الاسكندر فارس وجد القوم يسجدون للامبراطور ويؤلهونـه؛ فأعجبـه ذلك، وسعى لأن يكون إلهاً فابتدع سياسته الخاصة بالمزج وإدماج العناصر المقدونيـة بالفارسية في إمبراطوريته، واتخذ في المناسبات الـزي الفارسـي، ومراسـم الـبلاط الفارسي. وإذ ذاك أزمع على اقتباس تلك العادة الفارسية: عادة السجود للملـك. وهـي التي يتعين بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك السجود له[١].

---

[١] الطاغية ، ص٦٩ ، د. إمام عبد الفتاح إمام ، مصدر سابق ، بتصرف.

يقول السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي: (كانت الأكاسرة ملوك فارس يـدَّعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي. وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئا علويا مقدساً فكانوا يكفِّرون[1] لهم وينشدون الأناشيد بألوهيتهم. ويرونهم فوق القانون، وفوق الانتقاد، وفوق البشر. لا يجري اسمهم على لسانهم ولا يجلس أحد في مجلسهم . ويعتقدون أن لهم حقا على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم . وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة.

وخصصوا بيتا معينا وهو البيت الكياني فكانوا يعتقدون أن لأفراده وحدهم الحق أن يلبسوا التاج ويجبوا الخراج. وهذا الحق ينتقل فيهم كابرا عن كابر وأبـاً عـن جـد لا ينازعهم ذلك إلا ظالم، ولا ينافسهم إلا دعي نذل. فكانوا يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك لا يبغون عنه بدلا ولا يريدون عنه محيصا)[2].

ويقول أيضاً: (كانت السيادة والقيادة الدينية والحكم في قبيلة "ميديا". ثم انتقلت هذه الزعامة إلى قبيلة "مغان" منذ غلبة الديانة الزردشتية وتأثيرها على إيران. وكان الفرس يعتقدون في طبقة الكهنوت **priest class** أنهم ظل الإله على الأرض، ولم يخلقوا إلا لخدمة الإله. ولا بد للحاكم أن يكون من هذه القبيلة؛ فإن ذات الإله تتجسم فيه، وإن منصب الإشراف على بيت النار وتنظيمه حق يختص بهذه القبيلة وحدها.

ويقول الأستاذ دوزي (**DOZY**): ((قد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي. ونظروا هذا النظر إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب، وإن إطاعته إطاعة الله))[3].

إسقاط عناصر الديانة الفارسية على الإسلام

---

[1] أي يضعون أيديهم على صدورهم أمامهم ويطأطئون رؤوسهم على عكس ما يفعلون في صلاتهم! وقد شددوا في هذه المسألة حتى حكموا ببطلان صلاة من كفَّر في صلاته!

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص٤٩-٥٠ ، السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي.

[2] المرتضى ، ص٢٨٣-٢٨٤ ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

وبعد أن اكتسح الإسلام بلاد فارس أسقط الفرس صفات التأليه هذه على من أسموهم بـ(الائمة) من البيت العلوي، وحصروا الملك الوهمي في هذا البيت فاعتقدوا أن كل من نازعه الملك دعي ملعون. ومن هنا ولدت فكرة (الإمامة). إنها فكرة فارسية مجوسية ألبست ثوبا عربيا وعنوانا إسلاميا. انظر إلى عقيدة الخميني في (الأئمة) تجدها هي هي عقيدة الفرس القدماء في كهنتهم وملوكهم. يقول هذا الدجال: (إن للأئمة مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإئمة عليهم السلام، كانوا قبل العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله)[1].

ثم قاموا بإسقاط هذه الصفات – بعد (الأئمة) – على الفقيه الذي يلقبونه – ويلقب هو نفسه أيضاً – بـ(الحاكم الشرعي)! تأمل هذا النص في أوثق المصادر عند الإمامية: (عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرئط انه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس **والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله**)[2].

إن هذه العقدة أو العقيدة هي السبب الكامن وراء تلك الطاعة العمياء الصماء للعلماء مهما كانوا منحرفين فاسدين!

إسقاط صفات الملك الفارسي على المرجع الشيعي

إن الفقيه في حقيقته ملك من ملوك بلاد فارس القديمة مسلط على النفوس والأموال والأعراض يتصرف فيها مطلق اليد بلا رقيب ولا حسيب، حتى لو أدى ذلك إلى تعطيل الأحكام الشرعية، ومعارضة النصوص السماوية معارضة صريحة! (وقد وقع

---

[1] الحكومة الإسلامية ، ص٥٢ ، طبع مكتبة بزرك الإسلامية ، طهران . نقلاً عن المصدر السابق، ص٢٨٣ .

[2] عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، ص١٢٤ ، إبراهيم الزنجاني، وعقائد الشيعة ص٩ ، محمد رضا المظفر ، وهو الكتاب المقرر في مدارس الحوزة النجفية.

ذلك فعلاً فقد نشرت صحيفة (كيهان) الصادرة من لندن في عددها ١٨٢ ، الصادرة في ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، رسالة للخميني موجهة إلى رئيس الجمهورية سيد على خامنه إي، بعنوان بقلم عريض: " إن الحكومة تستطيع أن تعطل المساجد أو تهدمها. وإن الحكومة مقدمة على الصلاة والصيام " ويقول فيها:

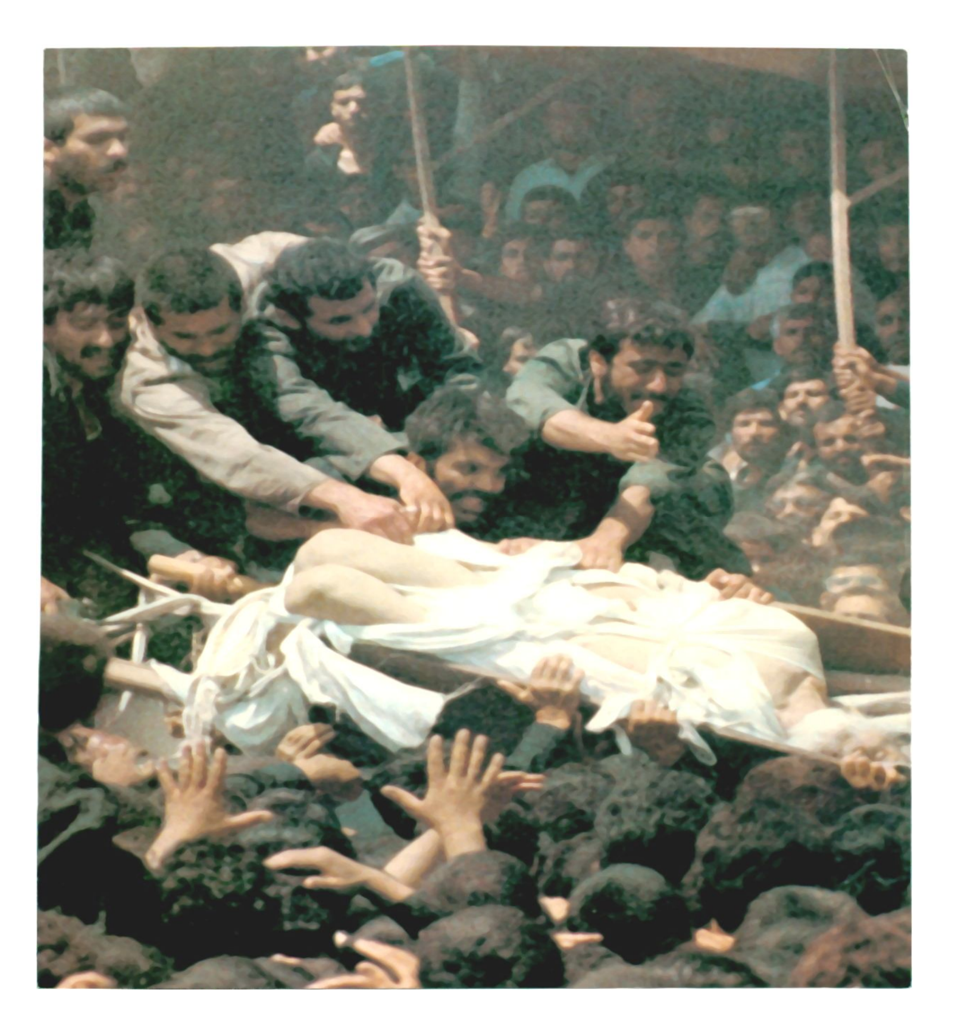
إن الحكومة هي فرع من ولاية رسول الله المستقيمة، ومن أحكام الإسلام الأولية، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم والحج: فيجوز للحاكم أن يعطل المساجد عند اللزوم، ويخرب مسجداً، ويلغي أي حكم من أحكام الإسلام – سواء كان من العبادات أو غير العبادات – إذا كان مخالفاً لمصالح الإسلام. ويعطل الحج الذي هو من فرائض الإسلام المهمة إذا اقتضت ذلك مصلحة المملكة الإسلامية؛ لأن هذه الحكومة هي ولاية إسلامية مطلقة)[١].

تشييع الخميني..!

وقد شهد العالم كله على شاشات التلفاز وغيره صورة من صور ذلك التقديس الوثني للفقيه أو تأليه الحاكم يوم هلك الخميني!

---

(١) المرتضى ، ص٢٨٥ ، أبو الحسن الندوي.



هكذا يؤله الإيرانيون دجاجلتهم

فقد (روت الصحف ووسائل الإعلام العالمية، أنه لما مات آية الله الخميني في ٣ مــن يونيو ١٩٨٩ في طهران، وحاولت منظمات الحكومة نقل جثته إلى المقبرة التي تسمى بــ(جنة زهراء) على سيارة، انهالت عليها الجماهير وتهافتت، حتى أصــبحت عمليــة النقل مستحيلة، وحملوها على طائرة الهليكوبتر فلما وصلت هناك انهالــت الجمــاهير الحاشدة على التبرك برؤية الجثة، ولم ينفع إطلاق النار والإنذار مرة بعد مرة، وخرت الجموع في حماس ديني على الجثة، واختطفت الأكفان ومزقتها تمزيقاً، واقتسمتها فيما بينها تبركاً بها، حتى أصبحت الجثة عارية ووقعت على الأرض، واضطر المسؤولون الرسميون إلى تأجيل دفنها، وتحقق ذلك بعد ساعات...

وليس كل ذلك إلا نتيجة إيجاد تلك الهالة القدسية الإلهية التي صنعتها عقيدة الإمامة الغالية واعتقاد العصمة والقداسة التي تسمو على البشرية العامة والعبودية التي يقرها الإسلام، وتنافي سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وتعاليمه)[١]. وما هذا كله إلا انعكاس مُحوَّر للرواسب الاعتقادية الإيرانية، والجاهلية الزرادشتية القديمة، ولكن.. بأثواب جديدة.



كعبة الشيعة التي يقيمونها في النجف يوم عاشوراء

---

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢٠)

العقلية الخرافية

هذه آخر عقدة من بين العقد والأمراض النفسية التي أشرناها على الشخصية الفارسية. وهي وإن كانت تتعلق بالعقل والفكر أكثر من النفس، لكن انعكاساتها على التصرف أو السلوك فرضت عليّ إدراجها ضمن (العقد النفسية)، ولأن فهم تلك الشخصية – وسليلتها الشيعية – يبقى ناقصاً دون التعريج على هذه الحالة. فأقول:

الفرس قوم مشهورون بأساطيرهم وخرافاتهم. ذوو عقلية خرافية شغوفة بالأساطير والقصص الغريبة، وقابلة لتصديقها ببساطة. وتواريخهم تعج بالأساطير عــن ملــوكهم وأوصافهم السوبرمانية. وقد انتقلت هذه الأساطير باسم الدين إلــى تــواليفهم الدينيــة وألصقت تلك الأوصاف الطرزانية بــ(الأئمة) و(المراجع) الذين يلتقون في ســراديبهم بــ(صاحب الزمان) ذلك الرجل الأسطوري الذي تغيب في سرداب منذ اثنــي عشــر قرنا وسيخرج يوما ليملأ الأرض – بلمسة ساحر – عدلا بعد أن ملئت جوراً !.

في إحدى إشراقات محمد صادق الصدر الكهنوتية أثناء إحدى خطب الجمعة، وذلك بعد عام من إقامته الجمعة رغم اعتراض علماء الشيعة عليه، وتفســيق بعضــهم لــه. استدل على صحة ما فعله، فهل تتصور أن دليله الخارق على ذلك أنه قال: ما أقيمــت الجمعة في منطقة إلا وانقطع المطر عن تلك المنطقة، فلم تمطر السماء عليها. وها أنتم ترون انقطاع المطر عنا ههنا منذ عام! فــإذا بقطعــان الحضــور يضــجون بــأعلى أصواتهم: "اللوهمّ صل على محماد والي محماد"! فلا تدري مم تعجب: من النــاعق أم من القطيع الذي لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون؟!

حدثني أحد الأسرى العائدين من إيران أن ضابطاً إيرانيا برتبة نقيب من مســؤولي أقفاص الأسرى أظهر يوما دهشته من بعض (الأعمال) اليدوية التي صنعها الأســرى فقال له أحدهم ساخرا: إن هناك ما هو أعجب! إن بعض الأسرى يخطط ليصنع طيارة من (قزانات) الطعام ليهرب بها إلى العراق. وصدق الضابط مــا قالــت العصــفورة فأصدر أمره فورا بعدم إبقاء (القزانات) لحظة واحدة بعد الانتهاء من توزيع (الطعام)!

يقول أدور سابيليه: (ولد الخميني سنة ١٩٠٠ وبعد بضعة أشهر من ولادته مــات والده مصطفى الذي غادر إلى زيارة النجف، غير انه اغتيل في الواقع علــى مســافة قريبة من قريته. وبسبب ميل الإيرانيين دائما إلى الإيمان بالأســاطير فــإنهم أشــاعوا رواية تقول بأن والد آية الله الخميني قد اغتيل من قبل رضا شاه والد العاهل الأخيــر. وهذا ما جعل الابن ينشأ على روح الكراهية نحو أسرة بهلوي. مع أن رضا بهلوي لــم يكن معروفاً بعدُ في عام ١٩٠٠، ولم يتسلم السلطة إلا في عام ١٩٢٠ لكي يجلس على العرش عام ١٩٢٥ أي بعد مرور ربع قرن على وفاة مصطفى!

والحقيقة أن هذا الأخير قد مات على أثر مشاجرة حدثت بين ملاك الأراضي. غير ان زوجته (هاجر ساغافي) عادت سيراً على الأقدام إلى المدينة، وأدت شهادة بشأن وفاة زوجها حيث قالت بأنه أدين وحكم عليه شنقاً) [١].

ولهذا يصدقون ما يقوله (الروزخونية) عن (مقتل) الحسين و(السبايا) والقصص العجيبة عن رأسه الذي رفع على رمح يدل التائهين المتوجهين إلى الشام! و ... إلخ من هذه الخرافات.

القهر والتعلق بأوهام الخلاص السحري

للدكتور مصطفى حجازي كلام دقيق عن المجتمع الاضطهادي أو المقهور، أو ذلك الذي يعاني من (عقدة الاضطهاد)، وكيف تتسبب أزماته المستعصية في صناعة العقلية الخرافية. وأنه إزاء هذه الأزمات: (لا يملك الإنسان المقهور حلاً سوى الهروب إلى الماضي: الخرافي أو الواقعي الذي قد تحمل أمجاده بعض العزاء له. كما قد يهرب من إطار الزمن بتفجير الديمومة من خلال الغرق في الممارسات التي تنسيه واقعه المؤلم: كالذكر، والمخدرات، والزار، والتخريف. ومن وسائل الهرب الشائعة التمسك بأوهام الخلاص السحري من خلال معجزة ما، تقلب الواقع وتنسف معطياته وتغير مصيره: الخلاص على يد زعيم منقذ، أو من خلال تدخل الحظ)[٢].

وهذا يلقي الضوء على الطابع الخرافي لعقلية المجتمع الشيعي، والطابع الحزين لنفسيته. وإليه يعود التعلق الطفولي السمج بالتمثيلية التراجيدية الحسينية، وأسطورة مقتله وما فيها من خرافات ومبالغات لا تمت للحقيقة التاريخية بصلة. ولماذا يتعلق بها الشيعة تعلقاً إلى حد الهوس والخروج عن مقتضى العقل؟

يعود د. حجازي في موضع آخر إلى الخرافة ليتكلم عن منشئها، وعلاقتها بالمجتمعات الاضطهادية التي تشعر بالقهر والحرمان، ويعزوها إلى (عقدة النقص والاضطهاد) بما يلفت الانتباه إلى السر في كون العقلية الفارسية ميالة إلى الخرافة ميلاً شديداً صبغ تاريخها وعقائدها وفكرها، وانعكس بوضوح على ما أفرزته من تشيع، تجد ذلك بوضوح في مؤلفات علمائهم بدءاً بكافي الكليني، ومروراً ببحار

---

[١] إيران مستودع البارود ، مصدر سابق.

[٣] التخلف الاجتماعي ، ص٤٧ .

المجلسي وإلى ما لا نهاية من المؤلفات الخرافية! ناهيك عن تعلقهم بالأولياء وآثارهم ومراقدهم وتصوراتهم المضحكة عن قدراتهم الأسطورية الخارقة للزمان والمكان! ولقد كنت فيما مضى أعجب كيف لكتاب خرافي مثل كتاب (الكافي) أن يحظى بهذه المنزلة الرفيعة عند الشيعة؟! وكيف لعالم يريد أن يكسب الناس ويؤثر فيهم أن يكتب لهم مثله؟! ثم اهتديت بعد زمن أن سر نجاح هؤلاء العلماء في الأوساط الفارسية والمجتمعات الشيعية، وشيوع هذه التوليفات بينهم، يكمن في الخرافة نفسها! فلولا أنها خرافية مفعمة بالخرافات والأساطير لما شاعت بينهم.

يقول د. حجازي:

(لا يستطيع الإنسان أن يتحمل وضعية القهر والعجز ببساطة أو أن يتقبلها بواقعيتها المادية الخام. لا بد له في كل الحالات من الوصول إلى حل ما يستوعب مأساته، ويقيض له شيئاً من السيطرة عليها، وإلا أصبحت الحياة مستحيلة. فإذا لم تتيسر له الحلول الناجعة التي تمكنه من التحكم الفعلي بالواقع على مستوى ما، لجأ إلى الحلول الخرافية والسحرية...

السيطرة الخرافية على الواقع، والتحكم السحري بالمصير، هما آخر ما يتوسلهما عندما يعجز عن التصدي والمجابهة قبل أن ينهار ويستكين. وتشكل هذه السيطرة بالتالي أحد خطوط الدفاع الأخيرة له. ويتناسب انتشار الخرافة والتفكير السحري في وسط ما مع شدة القهر والحرمان، وتضخم الإحساس بالعجز، وقلة الحيلة، وانعدام الوسيلة. كلما طال عهده بالاعتباط ينصب عليه من الطبيعة والناس، وضاقت أمامه فرص الخلاص، اندفع إلى التماس النتائج من غير أسبابها، واستبدال السببية المادية بالسببية الغيبية... وهكذا تنتشر ممارسات سحرية خرافية، وشعوذات تتلاعب بأمل الإنسان في الخلاص أو تحرك خوفه من الحاضر وقلقه على المستقبل...

تقوم السيطرة الخرافية على المصير على أسس نفسية نكوصية. يتقهقر الإنسان المتخلف الذي يؤمن بها من العقلانية التي يجب أن تميز حياة الراشدين إلى مرحلة التفكير الطفلي الذي يخلط الواقع بالخيال، والحقائق بالرغبات، والصعاب المادية بالمخاوف الذاتية. تطغى عليه الذاتية الطفلية ويقع في شرك التفكير الجبروتي. إنه يسقط على ممارسي الشعوذة، وعلى وسائل التصدي السحري للواقع، القدرة المطلقة التي كان يعتقد أنها تميز والديه اللذين يبدوان له قادرين على كل شيء، مالكين لزمام كل أمر. ويقيم مع عوامل السيطرة الخرافية ورموزها نفس علاقة الاتكال الطفلي التي

كانت له مع والديه والتي تستبدل فيما بعد بعلاقة الاتكال الديني. في كل هذه الحالات هناك احتماء برموز القوة التي تسيطر على القدر من الأخطار العديدة التي تتهدد الوجود (وجود الطفل كوجود الإنسان المتخلف). يشكل هذا الاحتماء الضمانة الوحيدة له نظراً لعجزه وقلة حيلته، مما يعطل الاعتماد على القوى الذاتية، وينفي المسؤولية الشخصية في تحمل أعباء المصير. وبمقدار هذا الانتفاء وذاك التعطيل، لا بد لاتكاليته من التفاقم مما يدفع به إلى مزيد من توسل الممارسات الخرافية...

وهكذا يضع الإنسان المقهور أمله في الصور الخيرة ورموزها الخرافية، كما يسقط مخاوفه وعجزه ومشاعر ذنبه الناتجة عن فشله الوجودي على أعداء خرافيين بدورهم. ومن خلال تجنب هؤلاء، والتقرب من أولئك تتم له السيطرة الخرافية على حاضره، ويشعر بشيء من التحكم بالقوى التي تحرك مصيره)[١].

التفكير الارتغابي Wishful thinking

تستطيع أن تقول: إن الشيعي يعتقد ما يريد أن يعتقد، ولا يريد أن يعتقد ما ينبغي أن يعتقد. وهو ما يسمى بـ(التفكير الارتغابي **Wishful thinking**) الذي توجهه الرغبات لا الوقائع. وهو تفكير نكوصي بدائي يجعل الشخص يميل إلى تصديق ما يحب، وإلى إنكار ما يكره واعتباره باطلاً. بهذا المنطق الطفولي كتبوا التاريخ، وصوروا وقائعه: تاريخ الصحابة، مقتل عثمان، معركة الجمل وصفين والطف التي قتل فيها الحسين، تاريخ الأمويين والعباسيين والعرب عموماً. وهو نقيض (التفكير الواقعي **Realistic thinking**) الذي يبذل جهداً في معرفة الوقائع، وإخضاع العقائد والقناعات إلى نتائجها. والتفكير الارتغابي الذي لا يتقيد بالواقع، ولا يحفل بالقيود الاجتماعية والواقعية هو الذي يعرض الشيعة دوماً إلى خيبة الأمل، ويشوه الأمور في أعينهم فيرونها كما يريدون، لا كما هي عليه في الواقع، ومن ثم يحول هذا التفكير بينهم وبين حل المشكلات التي يقعون فيها، بل هو السبب في وقوعهم في المشكلات، والعداوات والقتل والسجون والتشريد، دون أن يكفوا ويرعووا، أو يعتبروا وينتبهوا إلى أنهم هم السبب فيما تجنيه أيديهم عليهم على مر العصور!

---

[١] أيضاً ، ص١٤٥-١٤٨.

الحقيقة أن موضوع عقلية الشيعي، وكيف يفكر؟ تحتاج إلى بحث خـاص، خـارج اختصاص هذا الكتاب. عسى أن يتهيأ له في المستقبل من يقوم به، ويعطيه مستحقه من الاهتمام

حديث (لو كان الإيمان عند الثريا...)

لا شك في أن كل فكرة راسخة أو أصل ثابت يمكن أن تثور في وجهه شـبهات، وتشوش عليه اعتراضات، تبلبل فكر غير الراسخين من الناس. ليس أوضح ولا أثبت ولا أرسخ من دعوة الإسلام إلى التوحيد، ولكن يوجد من يشكك في هذه الحقيقة بشتى الحجج كالطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود. وهل هناك أعظم من حقيقة الوجود الإلهي، غير أن جبلاً كثيراً من البشر انساق وراء شبهات الإلحاد.

كذلك ما نحن فيه من الحديث عن تلك العقد، والعقدة الأخيرة منها. فربما انطلى على الكثيرين دعوى الشعوبية أن المبرزين من علماء الأمة هم من الفرس لا من العرب. ويكفيني في هذه العجالة أن أذكر أن أئمة المذاهب الفقهية السنية أربعة: ثلاثة منهم عرب هم الإمام مالك (ت ١٧٩هـ). وهو عربي الأصل أصـبحي. ثـم الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) وهو عربي قرشي: يتصل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في الجد الثالث عبد مناف. ثم الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) وهو عربي من بنـي شـيبان من عرب العراق. وإذا أضفنا إلى القائمة المذهب الزيدي، وهو مذهب مسـند معتبـر يصبح العدد أربعة من خمسة لصالح العرب. فالإمام زيد بن علي عربي هاشمي. ولـم أشأ أن أتكثر بإضافة الإمام جعفر بن محمد؛ لعدم وجود مذهب فقهي له محفوظ لا عند الشيعة ولا عند أهل السنة. و قد أثبت هذا في كتابي (أسطورة المذهب الجعفري). وأما أقدم كتاب في الحديث فهو موطأ الإمام مالك، ثم مسند الإمام الشافعي. ثم مسند الإمام احمد، وهو موسوعة حديثية ضمت حوالي أربعين ألف حديث عن النبـي صـلى الله عليه وسلم. وهؤلاء كلهم عرب، كما أسلفت. وإذا كان الإمام البخـاري (ت٢٥٦هـ) أعجمياً فإن الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) عربي من قبيلة قشير العربيـة. ونسـبته إلـى نيسابور نسبة مكان لا نسب. ومن كبار المحـدثين العـرب أبـو داود (ت٢٧٥هـ) صاحب السنن، فهو عربي من الأزد. وغيره كثير. وإمام اللغة بلا منازع هو العربـي الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أول معجم في اللغـة (العـين)، ومكتشـف علـم

(العروض)، وكان إماماً متفرداً في علم النحو وغيره من فنون لغة العرب. من تلاميذه سيبويه الذي نسب إليه الكتاب المعروف بـــ(الكتاب) في النحو؛ فقد ذكر الإمام ثعلـــب أنه في الأصل إملاءات الفراهيدي على أربعين من تلامذته أحدهم سيبويه. ذكر ذلـــك الشيخ محمد سعيد العرفي في كتابه (الأمة العربية وســـر انحلالهـــا)، وبـــين أن اليـــد الشعوبية هي التي قامت بجمعه ونسبته إلى سيبويه، ورفعت من شأنه، وتغافلـــت عـــن الفراهيدي كي يقال: إن إمام لغة العرب فارسي لا عربي. على أنه لـــيس بضـــائر أن يكون ضمن إكليل علماء الأمة فرس وترك وبربر وهنود وغيرهم من الأعاجم الـــذين أكرمهم الله بالإسلام، أو بالعيش في ظل حضارته، التي حمل العـــرب مشـــعلها الأول، ليسلموه إلى بقية الأجيال في أمة كبيرة عظيمة، اختلط فيها العرب بالعجم؛ فكـــان مـــن الطبيعي أن يأخذ كل قوم حظهم من معطيـــات حضـــارتها حســـب نســـبتهم. ولـــيس بمستغرب أن يكون الكثير من علماء الأمة، أو أكثرهم من غير العرب؛ فنسبة العـــرب العددية وسط أولئك الأقوام هي الأقل مقارنة بالمجموع.

روايات الحديث

هذا.. وربما أشكل على البعض ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبـــي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلـــت عليـــه سورة الجمعة (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال: قلت: من هم يـــا رســـول الله؟ فلـــم يراجعه حتى سأل ثلاثاً. وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله صلى الله عليه وســـلم يده على سلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل مـــن هـــؤلاء). وفي رواية (لناله رجال من هؤلاء) دون تردد. وفي رواية لمسلم بلفظ: (لو كان الـــدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله). وله بلفـــظ (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). ورواه أحمد بلفظ (لو كان الإيمـــان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). وبلفظ (لو كان الدين عند الثريا لذهب رجـــل مـــن فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله). كلهم عن أبي هريرة.

فقد رأيت من أهل السنة من توهم فراح يتصور أن في الحـــديث مـــدحاً للعجـــم أو الفرس بإطلاق، دون اعتبار لكل المعطيات المناقضة علـــى أرض الواقـــع، والتـــاريخ

الدامي والمليء بالدس والتآمر، والتخريب والتحريف، والكوارث التي لم تصب الأمـــة بمثلها أبداً ! وذلك على يد الفرس! ولو لم يكن إلا التشيع لكفى به شراً!

ولو عدنا بالنظر إلى نصوص الحديث لوجدناها تتحدث عن رجـــال مـــن الفـــرس يؤمنون ويدينون بدين الإسلام. وليس في هذا نكرة ولا غرابة؛ فإن الأمم كلها قد دخل في دين الإسلام منها رجال، آمنوا بهذا الدين وحملوه إلى غيرهم. والفرق هو مناســـبة وجود سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ ما جعل النبي يشير إليه. وقـــد وقـــع مـــا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فآمن من الفرس رجال، وكان منهم العلماء والدعاة والمجاهدون في سبيل الله. ولسنا ننكر ذلك، ولا ننفسهم عليه. وفي ذلك يقول ابن حجر في (فتح الباري) عند شرح الحديث: "ووقع في بعض طرقه عند أحمد بلفظ (لو كـــان العلم عند الثريا). قال القرطبي: وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم عياناً فإنه وجد مـــنهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير مـــن غيـــرهم". وهذا من باب قوله تعالى عن اليهـــود والنصـــارى وأمثـــالهم: (لَيْسُـــوا سَـــوَاءً) (آل عمران:١١٣)إ.هـــ. قلت: وقد آمن رجال من اليهود منهم الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكثير من النصارى فكان منهم العلماء والعبـــاد والمجاهـــدون. وليس أن يقع مثله من الفرس ببدع من الحوادث، أو خوارقها!

على أن للصورة صفحة أخرى غطت على ذلك وزادت عليه. هي صـــفحة الفـــتن والشرور التي لم نر مثلها من غيرهم، خصوصاً نحن أهل العراق، في تاريخنا أبـــداً ! ولا يبعد أن يكون الفرس هم المقصودون بقول النبي صلى الله عليه وســـلم فيمـــا رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله يشـــير إلى المشرق فقال: (ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنـــا مـــن حيـــث يطلـــع قـــرن الشيطان). وفي رواية لأحمد بلفظ (ها هنا أرض الفتن) وأشار إلى المشرق. جاء فـــي بعض الروايات تفسيرها بأهل نجد وأهل الإبل وربيعة ومضر. لكن لا يمنـــع هـــذا أن يكون المقصود أبعد من ذلك. سيما وقد جاء عن الفاروق رضي الله عنه قوله: (يا ليت بيننا وبين فارس جبلاً من نار). وهو والد عبد الله بن عمر راوي حديث الفتن السابق.

هذا إذا أخذنا بلفظ الجمع (رجال). أما إذا أخذنا برواية الإفراد: (لو كـــان الإيمـــان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء) – وهي رواية صحيحة متفق عليها – فالأمر يخـــف

كثيراً ؛ فقد يكون المقصود به سلمان نفسه، أو أبا حنيفة رحمه الله . وعندها لا يحتاج الموضوع إلى تعليق أصلاً !.

هذا.. ولم أجد الحديث بهذا اللفظ (العلم) عند أحمد – كما قال ابن حجر – ولا غيره. وذلك من خلال البحث في الكتب التسعة بواسطة القرص المدمج. إنما هو (الإيمان والدين). وليس من شرطهما البروز في العلم. وعلى أية حال فالحديث يمكن أن يكون فيه إشارة إلى قلة الدين والإيمان في أمة الفرس؛ فأن ينال رجل أو رجال منها الدين أو الإيمان – أو حتى العلم – أمر في غاية القلة. فهو إلى الذم أقرب منه إلى المدح. والله تعالى أعلم.

الشعوبيون يستغلون الحديث ويضيفون إليه

أما الرواية التي جاء فيها: عن أبي هريرة تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً هذه الآية (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قالوا: ومن يُستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله على منكب سلمان ثم قال: (هذا وقومه، هذا وقومه). فهي رواية ضعيفة، تفوح منها رائحة الشعوبية. رواها الترمذي وضعفها هو نفسه بعد أن رواها فقال: هذا حديث غريب، في إسناده مقال. والغريب في اصطلاح الترمذي هو الضعيف. وسبب ضعفها من جهة إسنادها أن فيها راوٍ مجهولاً. قال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا شيخ من أهل المدينة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً هذه الآية... الحديث. فالحديث منقطع بين عبد الرزاق والعلاء بن عبد الرحمن. هذا ولم يسلم بعض الرواة الآخرين من مقال؛ فالحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج. فكيف والواقع التاريخي يشهد بعكسه تماماً ؟!

نقول هذا الكلام لأننا لم نرتض لأنفسنا أن نجلس وراء المكاتب، أو خلف الجدران الصماء، لا ندري بما يدور وراءها. نتطلع إلى الناس من فوق بروجنا العاجية؛ فنفسر النصوص بما يمكن أن تحتمله من معانٍ، دون النظر إلى الواقع، أو مصداقها منه. ولا ندرك كيف يتصيد الخصوم كلماتنا وينفذوا من ثغراتها؛ ليستثمروها في صالح معتقداتهم، وتحقيق أهدافهم، وخدمة أغراضهم. هذا واحد من دجاجلة الشيعة هو علي الكوراني. انظر إليه كيف يتعامل مع هذه النصوص! فيقول:

(الآيات والأحاديث في مدح الإيرانيين: وردت الأحاديث حول الإيـرانيين وحـول الآيات المفسرة بهم بتسعة عناوين : " قوم سلمان. أهـل المشـرق. أهـل خراسـان. أصحاب الرايات السود. الفرس. بني الحمراء أو الحمراء. أهل قم. أهـل الطالقـان " وسترى أن المقصود فيها غالبا واحد. وقد تكون أحاديث أخر عبرت عـنهم بعنـاوين أخرى أيضا. في تفسير قوله تعالى: "وان تتولوا يستبدل قوما غيركم" قال عـز وجـل: "ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله، فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء. وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثـالكم " (محمد:٣٨) . قال صاحب الكشاف (ج ٤ ص ٣٣١) " وسئل رسـول الله صـلى الله عليه وآله عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقـال: "هـذا وقومـه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس". وقال صاحب مجمع البيان: "روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: "إن تتولوا يا معشـر العـرب، يستبدل قوما غيركم، يعني الموالي"... وفي الحديث الشريف معنيـان متفـق عليهمـا، وهما: أن الفرس هم الخط الثاني عند الله تعالى لحمل الإسلام بعد العرب، والسبب في ذلك أنهم يصلون إلى الإيمان مهما كان بعيدا عنهم، وكان طريقه صعبا. كمـا أن فيـه ثلاثة أمور محل بحث: أولها: هل أن هذا التهديد للعرب باستبدال الفرس بهـم خـاص بوقت نزول الآية في عصر النبي صلى الله عليه وآله أو مستمر في كل جيل، بحيـث يكون معناه: إن توليتم في أي جيل يستبدل بكم الفرس؟ والظاهر أنه مسـتمر، بحكـم قاعدة أن خصوص المورد لا يخصص الوارد، وأن آيات القرآن تجري في كل جيـل مجرى الشمس والقمر، كما ورد في الحديث واتفـق عليـه المفسـرون. وثانيهـا: أن الحديث الشريف يخبر أن رجالا من فارس ينالون الإيمان أو العلم، ولا يخبر أنهم كلهم ينالونه. فهو مدح لأفراد نابغين منهم وليس لهم جميعا. ولكـن الظـاهر مـن الآيـة والحديث أنهما مدح للفرس بشكل عام لأنه يوجد فيهم رجال ينالون الإيمـان والعلـم. خاصة إذا لاحظنا أن الحديث عن قوم يخلفون العرب في حمل الإسلام. فالمدح للقـوم بسبب أنهم أرضية للنابغين، وأهل لاطاعتهم والاقتداء بهم. وثالثها : هل وقع إعـراض العرب عن الإسلام واستبدال الفرس بهم ، أم لا ؟ والجواب: أنه لا إشكال عند أحد من أهل العلم أن العرب وغيرهم من المسلمين في عصرنا قـد أعرضـوا وتولـوا عـن

الإسلام. وبذلك يكون وقع فعل الشرط " إن تتولوا " ويبقى جوابه وهو الوعد الإلهي باستبدال الفرس بهم. كما لا إشكال عند المنصفين أن هذا الوعد الإلهي بدأ يتحق...

في تفسير قوله تعالى: "بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد" في (البحار: ج٦٠ ص٢١٦) عن الإمام الصادق عليه السلام ، " أنه قرأ هذه الآية. فقلنا جعلنا فداك من هؤلاء ؟ فقال ثلاثا : هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم "...

أما الأحاديث الواردة من طرق الفريقين في مدح الإيرانيين ومستقبل دورهم في حمل الإسلام، فهي كثيرة... وهو يدل على أن الوعد الإلهي سيتحقق في العرب فيتولوا عن الدين ، ويستبدل الله تعالى بهم الفرس، ولا يكونوا أمثالهم. ويدل على أن الفتح الإسلامي في هذه المرة سيكون ابتداء من إيران في طريق القدس والتمهيد للمهدي عليه السلام)[1].

تركيبة متشابكة من العقد النفسية المركبة

نحن إذن أمام تركيبة غريبة من العقد النفسية المركبة المتشابكة، يقوم بعضها على بعض، ويغذي بعضها بعضاً، وتتساند فيما بينها لتنتج حقداً متأججاً تعبر عنه باستمرار (عدوانية) لا تهدأ إلا لتثور. فهدوؤها كمون، وثورانها جنون!

أطلق د. عماد عبد السلام على هذه التركيبة النفسية مصطلح (العقدة الفارسية).

إن (العقدة الفارسية) جزء لا يتجزأ من النفسية (الفارسية) يلتجئ إليها صاحبها كضرب من الحيل النفسية من اجل حماية نفسه التي يشعر على الدوام بأنها مهددة لذلك هو لا يستطيع التخلي عن هذه العقدة – أو العقيدة أيضاً – لأنه سيجد نفسه المهددة بالخطر قد صارت بلا حماية وبتعبير آخر: إنه يرى أن التخلي عن هذه العقدة يساوي التخلي عن حياته! لذا فإن المصابين بـ(العقدة الفارسية) لا يجيدون الإصغاء إلى نداء العقل والحكمة، أو الضمير والرحمة، أو المبادئ والقيم، أو الأعراف والقوانين.

لغة واحدة يفهمونها هي القوة! إنهم يحترمون القوي أيما احترام! ويستجيبون له استجابة غير طبيعية. إنهم يستخذون له ويتملقونه ويبوسون قدميه بل حذاءه، وينحنون إلى حد الافتراش! لكنهم ينقضّون على من يرونه أضعف وأدنى، يذلونه ويجبرونه

---

[1] عصر الظهور ، ص١٩٥-٢٠١، علي الكوراني.

على الملق والاستكانة. لا يعرفون الوسطية؛ فهم بين ضعيف مستخذي، وقوي مستضري! ومنهاجهم: تمسكن حتى تتمكن.

النار معبودهم. وبينهم وبين النار مشاعر وحوارات.. وصفات مشتركة: الهيجان والجنون، والتدمير والتخريب، والقوة العمياء، والقسوة والحقد الأسود. إنهم يرون أنفسهم ويجدونها فيها. فعبادتهم لها تعبير عن أنانيتهم وعبادتهم لهذه النفوس الهائجة المخربة الحاقدة.

(الفارسية) وباء

تجد (الفارسية) في المجتمعات التي ترزح تحت وطأة التشيع ظاهرةً منتشرةً كالوباء المتوطن. صحيح أن البعض قد أُفلتوا منها، كما هي طبيعة الوباء: لا بد أن يُفلت منه بعض الأفراد. إلا أن المحصلة النهائية للمجتمع أنه مجتمع مريض.

ومع ذلك فإن كل مجتمع يسلط على عموم أفراده ضغطاً اجتماعياً لا يمكن مقاومته، بحيث يجعل كل واحد منهم يتبنى ما عليه المجتمع من أفكار وميول وعادات وأخلاق وسلوك، حسب قانون اجتماعي يسميه المختصون بـ(التنويم الاجتماعي).

يقول الدكتور علي الوردي: (إن الإنسان يخضع في حياته الاجتماعية لتنويم يشبه من بعض الوجوه التنويم المغناطيسي وهو ما يمكن أن نسميه بـ(التنويم الاجتماعي). فالمجتمع يسلط على الإنسان منذ طفولته الباكرة إيحاءً مكررا في مختلف شؤون العقائد والقيم والاعتبارات الاجتماعية. وهو بذلك يضع تفكير الإنسان في قوالب معينة يصعب الخروج منها. هذا هو الذي يجعل الإنسان الذي نشأ في بيئة معينة ينطبع تفكيره غالباً بما في تلك البيئة من عقائد دينية وميول سياسية واتجاهات عاطفية وما أشبه. فهو يظن أنَّهُ اتخذ تلك العقائد والميول بإرادته واختياره ولا يدري أنَّه في الحقيقة صنيعة بيئته الاجتماعية. ولو أنَّهُ نشأ في بيئة أخرى لكان تفكيره على نمط آخر)[١].

وهكذا تجد المجتمع الشيعي يسلط على أفراده – طبقاً إلى هذا القانون – ضغطاً اجتماعيا يجعلهم يستسلمون في النهاية، ويصابون بـ(العقدة الفارسية). ويتحول التشيع عندهم – شاءوا أم أبَوا – إلى تشيع فارسي بكل ما فيه من أفكار وميول وعادات وأخلاق وسلوك وعقد نفسية تصب في محصلتها النهائية في مجاري المصالح الفارسية.

---

[١] لمحات اجتماعية ٦/١ ، مصدر سابق.

ولقد لاحظنا ميدانيا أن هذه العقدة قد يتعدى ضررها - عن طريق العدوى - إلـــى غير الشيعة من المستوطنين في تلك المجتمعات، فتجد بعضهم شيعياً (فارسياً) في خلقه وسلوكه ، وإن كان غيره في اعتقاده وفكره!

الفصل الخامس

التحليل النفسي لأهم عقائد وطقوس التشيع

الجذور الفارسية بشهادة الفرس أنفسهم

أود أن أبتدئ هذا الموضوع بشهادة لأحدى الشخصيات الشيعية المرموقة هي الدكتور علي شريعتي الذي أدرك العلاقة الحميمة بين التشيع المنحرف والشخصية الفارسية، وأن هذا التشيع ما هو إلا تعبير أمين عن تلك الشخصية فقال في معرض حديثه عن صعوبة التفريق بين (التشيع الصفوي) المحرف و(التشيع العلوي) الصحيح لكون المحرفين استعملوا الأسماء نفسها مع تفريغها من محتواها الصحيح وزرقها بالمحتوى المحرف.

يقول د. علي شريعتي: (المشكل هنا أن المذهبين لهما من حيث الاسم نفس الأصول ونفس الفروع دون اختلاف، وهذا يجعل الفرز والتشخيص أكثر تعقيداً، ذلك أن التشيع الصفوي جاء وأرسى دعائمه على هيكلية مضاهية لهيكلية التشيع العلوي، واستعار نفس القوالب الفكرية والعقائدية لهذا التشيع بعد أن أفرغها من مضمونها ومحتواها الواقعي وركّب عليها نفس أسسه ومبادئه بأسلوب ماكر وهادئ وبالاستعانة بعلماء ذوي خبرة واختصاص، وذلك لكي يتسنى له تمرير هذه العملية على ذقون الناس، وقد نجحوا بالفعل إذ لم ينتبه الناس لعملية التبديل تلك، رغم أنها طالت كل شيء وشملت الله والكتاب والنبي والإمام وسائر الشخصيات البارزة في الدين والتاريخ، لقد تبدل كل شيء من دون أن يشعر أي أحد! وإلى يومنا هذا ما زال الناس غير قادرين على اكتشاف عملية التزوير التي تمت وتم من خلالها تبديل اللب والإبقاء على القشور فقط!

ليتهم أعلنوها صراحة وقالوا رسميا بأن ديناً جديداً قد جاء أو أن فرقة جديدة قد ظهرت إلى الوجود، ولكن كيف يفعلون ذلك وهم يدركون تمام الإدراك أن مسعاهم هذا لن يكتب له النجاح ولن يخدم مصالحهم ولا يحقق الأهداف التي تدور في خلدهم. ومن هنا حافظوا على جميع المصطلحات المتداولة في التشيع (العلوي - الإسلامي) وحرصوا على إبقاء نفس الأصول والفروع، نفس الأسماء والشخصيات والأعلام، بل لجأوا إلى القيام بعمليات تجميل واسعة لكي تبدو تلك المصطلحات والأسماء أكثر بريقاً ولمعاناً وجاذبية، ولكن في ظل هذا البريق واللمعان زرقوا موادهم السامة والمخدرة

والتي كانت تحمل التشيع اسماً وهي في الواقع عناصر معادية للتشيع الحقيقي ومناوئة لأهدافه. إنها عناصر تشيع (صوفي – صفوي) تم تمريرها على المجتمع دون أدنى مقاومة، وذلك لأن الضمير الاجتماعي لم ينجح في اكتشافها نتيجة لشدة التشابه وصعوبة التمييز، فعملية التمويه كانت دقيقة ومخططة ومدروسة، واندفع الشيعة وراء المظاهر الظاهرية والمراسيم الشكلية والشعائر المفرغة من المضمون[١]... هو تشيع يتعاطى مع كل العقائد والعقائد النبيلة المشار إليها بشكل مختلف ويحولها إلى أحقاد دفينة وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والإيرانيين... وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشيعية في سبيل تحقيق أهدافه ومراميه المتمثلة بإقامة الدولة الصفوية)[٢].

والآن نتوقف عند أهم العقائد والسلوكيات والممارسات العملية أصولاً وفروعاً في التشيع الفارسي، وكيف تمكن المزورون من إفراغها من مضمونها، وزرقها بموادهم السامة والمخدرة التي تعبر عن عقائدهم وعقدهم القديمة، حتى تتضح العلاقة أكثر بين التشيع الفارسي والعقد النفسية التي يعاني منها أصحابه، وتتأكد نظرتنا في كون هذا التشيع ما هو إلا إفراز نتن لتلك العقد المتأصلة في أعماق نفوس حملة العقيدة الشيعية الفارسية من أي الشعوب والأعراق كانوا، وفي أي الأماكن والأصقاع وجدوا.

١. الإمامة

عقدة السيد – الناشئة عن عقدة النقص – تجعل من الشخصية الفارسية شخصية نُفاجية أو نرجسية. والنفاجية – كما مر بنا – حالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغة الخرافية لقدراتها وممتلكاتها ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات. إنه مبالغة في الادعاء لا تستند إلى أي إحساس من الواقع الذاتي أو الموضوعي. والنفاجي كائن مهووس بالعظمة وارتفاع الشأن، فهو يبالغ في كل ما يمت إليه بصلة خصوصاً في تصوير قدراته. وقد يصل النفاج إلى حد هذيان العظمة، وادعاء ألقاب مفرطة في تفخيمها. والنفاج نوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر

---

[١] التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ص٢٤٧-٢٤٨ ، الدكتور علي شريعتي.

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٦٤.

نقص ذاتية شديدة. إنه رد فعل تمرد خرافي على العجـز، بحيـث يكـون التضـخيم الخارجي متوازٍ عموماً مع النقص الداخلي.

من هنا صار الفارسي يشعر بأحقيته في السيطرة على الآخر ، وإلغائه من خارطة الاعتبار. وقد تعمق هذا الشعور بمجيء الدولة الساسانية التي سيطر عليها وحكمها كهنة بيت النار في إصطخر؛ فاختلط عندهم الملك بالدين، وصار البيـت الـديني هـو البيت المالك؛ فكان سبباً في شيوع الاعتقاد الديني لديهم بأن الملـك يجـب أن يكـون محصوراً في بيت واحد هو البيت الديني، وأن من نازعه الملك أو خرج عليـه فهـو ملعون خارج على الدين نفسه. وحين جاء الإسلام تحول هذا التصور الفارسـي إلـى بيت النبي ﷺ فاعتقد عامة الفرس عدم جواز خروج الملك منه إلى غيره. وقد اسـتغل الكهنوت السياسي الفارسي هذه التصورات بعد أن ألبسوها لبوس الدين وأعطوها اسماً مناسباً هو (الإمامة)، ليجعلوا جمهور المتشيعين لهذه العقيدة أناساً يعتقدون بأن كل حاكم من غير (أهل البيت) خارج على الدين تجب محاربته، ويسوغ الخروج عليه لإرجـاع الحق المغتصب إلى أهله. وهذا هو منشأ جميع الفتن الشيعية في أوساط الأمة، بدءاً من الفرقة الطائفية، وانتهاءاً باستعداء الأجنبي على البلدان التـي يسـتوطنونها، وخدمتـه بالعمالة والجاسوسية، وتقديم جميع أشكال العون له ضد أبناء الوطن. فعقيدة (الإمامـة) نابعة من (عقدة السيد) عند الفرس المتأتية من (عقدة الـنقص)، وتحقـق الأغـراض الفارسية في إثارة القلاقل في بلاد العرب والمسـلمين خدمـة لأحلامهـم وأهـدافهم التوسعية، وتلبية لما يعتمل في نفوسهم من حقد على الأُمة، والاندفاع للثأر منها بشـتى السبل والأساليب.

٢. العصمة

تنبع هذه العقيدة من أكثر من زاوية في تركيبة العقد النفسية لدى الشـيعي. أهمهـا عقدة الشعور بالذنب. ففي فطرة الإنسان شوق إلى تمثـل صـفات الطهـر والنظافـة والنقاء، خصوصاً المتلطخ بالذنوب والآثام، وأشد منه من وصل به الأمـر إلـى حـد العقدة؛ إن شعوره بالعجز عن بلوغ تلك الدرجة من السمو والاستقامة يجعله في حاجة إلى مثال يعاكس صفاته تماماً يرى فيه الصورة المثالية التي يشتاق إليهـا ويتمنـى أن يرى عليها نفسه. وتستمر التفاعلات النفسية لتصل إلى نهايتها عـن طريـق عمليـة (التماهي الإسقاطي)، وهو – كما سيجيء في موضوع المصطلحات النفسية – عمليـة

نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر مكروه لديه أو محبوب. وفي حالتنا يعمل التماهي الإسقاطي عمله ليصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية والطهر والخير الذي يرغب أن يتمثله في ذاته. كذلك فإن عقدة الذنب تؤدي إلى اليأس من الخلاص الذاتي من تبعات الذنوب عند الله تعالى، لا سيما إذا كان صاحبها في الواقع لا يقدر أو لا يريد تركها أو التخلص منها؛ فيدفعه ذلك إلى التعلق بوسائط يستشفع بها عند الله عساها تحقق له الخلاص المطلوب. وحتى تكون الواسطة صالحة للاستشفاع الذي لا يرَدّ ، فلا بد أن تكون طاهرة مقدسة إلى الحد الأقصى.. عكسه تماماً! وهذا ما يدفعه إلى الغلو في وصفها إلى حد التقديس الكامل الذي لا يليق إلا بالله! فيتصورها لا تخطئ ولا ترتكب ذنباً صغيراً ولا كبيراً. ومن هنا نشأ القول بعصمتها. من (عقدة الذنب) إذن نشأت عقيدة (العصمة) لدى الشيعة. وهي نفسها عقيدة تقديس الفرس لملوكهم، وأن دماً إلهياً يجري في عروقهم، الناشئة من العقدة نفسها. انتقل مضمون هذه العقيدة بعد أن لبس الفرس لبوس الإسلام ليظهر بالشكل الذي يلائم التغيير الحاصل. وبهذه التحويرات الشكلية حافظوا على عقائدهم الأولى. فالمضمون ثابت، والتغير إنما طرأ على الشكل فقط.

٣. المرجعية الدينية

وجود المرجعية الدينية والتعلق الهوامي بها عند الشيعة راجع إلى عدة عقد. أولها (عقدة النقص) وما تثيره من خوف من الآخر؛ فتحتاج إلى الاحتماء بزعيم أسطوري يلبي ميولها النكوصية في توفير الأمن والرعاية، ويحقق أحلامها الخيالية في الأخذ بحقها والانتقام لها. وتأتي بعدها (عقدة الاضطهاد) التي يعبر عنها د. حجازي خير تعبير فيقول: (الجماهير المغبونة والمقهورة متعطشة بشكل مزمن للقوة في مختلف رموزها وعبر شكليها الأساسيين: البطش والغلبة من ناحية والعظمة والتعالي من ناحية ثانية. وهي مستعدة للانقياد وراء زعيم عظامي يقودها في هذا الاتجاه، يفجر ميولها للتشفي والعظمة، ويعبر عنها... إنها تنساق وراءه وتستسلم له بشكل رضوخي طفلي، تتعطل فيه إرادتها وقدرتها على الاختيار والنقد والتقدير، ولا يبقى سوى طاقة انفعالية متفجرة تفيض على كل شيء، وتكتسح أي صوت للعقل، وأي نداء لليقظة. الجماعة المقهورة عاطفية انفعالية تعشق العنف والسطوة، وتعشق الرضوخ لرموزها وأبطالها، وتتحرق عطشاً للإثارة الانفعالية والتهييج الذي يلهب حماسها. في ذلك كله

تغيير سحري للمصير من بؤس وركود وموات ومهانة، إلى نشوة وامـــتلاء وتضـــخم ذاتي وإحساس بالاعتبار الوجودي. من خلال التهييج والإثارة تحس الجماعـــة أن كـــل فرد فيها يعيش. تتشبث الجماهير المقهورة بقيادة من هـــذا النـــوع تشـــعرها بالحيـــاة، وتعوض لها نقصها، وتستبدل مشاعر العجز ، بأحاسيس الجبروت والسيادة. وتتضـــخم أهمية هذه الجماعة على حساب الخارج تضخماً مفرطاً يجعلها تنغلق على ذاتهـــا فـــي حالة من النرجسية الكلية (لا ترى إلا نفسها، ولا تحس بقيمة خارج قيمتها، ولا تعترف بوجود سوى وجودها). وبمقدار ما تغرق في انغلاقها، تســـير نحـــو العزلـــة وتقطـــع علاقات التفاعل والمشاركة مع بقية الجماعات، كي تحل محلها علاقات عداء وحقـــد، واضطهاد متبادل .

من خلال انهيار علاقات التفاعل والمشاركة، والانغلاق على الذات تجد الجمـــاهير المقهورة حلاً سحرياً لمأزقها من خلال أوالية الانشطار العاطفي والوجداني. العواطف المتجاذبة التي يمتزج فيها الحب والحقد، التقرب والنفور، التعاون والصراع ، تنشـــطر بشكل جذري إلى عواطف متناقضة (الحب القاطع، العدوانية الخالصـــة). أمـــا الحـــب فيتوجه كله إلى الجماعة من خلال الالتفاف حول الزعيم والتعلق العاطفي به. هذا القلق يؤدي إلى حالة ذوبان كلي في الجماعة وفقدان تـــام للفرديـــة والأصـــالة الشخصـــية لأفرادها كما يخلق حالة اعتماد مطلق على الجماعة، مصـــدر كـــل اعتبـــار وقيمـــة، ومصدر الاعتراف بالذات وتحقيقها. ينشأ نوع من اللحمة العاطفيـــة والوجوديـــة بـــين أعضاء الجماعة من خلال التعلق بالزعيم الذي يشكل مثلها الأعلى: مصدر ونمـــوذج القوة والقدرة روح الجماعة والمعبر عن آمالها وشخصياتها ومخاوفها. وكذلك حـــامي الجماعة والمدافع عنها الحافظ لمصالحها.

هذا الانشطار في الجماعة يلغي كل تناقضاتها الداخلية ويجعلها مرجع كل فرد فيها، ومصدر كل توجه. وينشأ، محل الخوف والتهديد المتبادل، تعاطف وتعاضد واحتمـــاء متبادل. كل فرد في الجماعة يصبح مرآة للآخر، والكل يرى نفسه في المرآة الكبـــرى وهي الزعيم. كل الصراعات تزول بشكل سحري، مما يشكل وظيفة هامة جـــداً لهـــذه الميول التعصبية)[١].

---

[١] التخلف الاجتماعي ، ص١٨٧-١٨٨.

٤. تحريف القرآن

اللؤم والحقد والشك عقد نفسية فارسية انعكست على القرآن الكريم حين لبس العجم لباس التشيع فادعوا أن يد الصحابة امتدت إليه بالتحريف ؛ فليس القرآن الموجود بين أيدينا هو القرآن نفسه الذي أنزل على قلب النبي محمد ﷺ . لقد مر بنا أن العقلية الفارسية تعودت أن تنظر إلى الإسلام وحضارته بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها. فلقد اعتنق الفرس الإسلام كسائر شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحرف العربية لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها. لقد وجدوا في القرآن أكبر خطر يهدد سيطرتهم، ووجدوا في القول بتحريفه أكبر عامل تخريب داخلي للإسلام وتقويض لهيمنته الحضارية. وبدلاً من أن يشعروا بالمنة الربانية والكرامة الإلهية في نزول القرآن ووصول نوره إليهم ليدفعهم ذلك إلى خدمته وحمله إلى الأمم من حولهم، بدلاً من ذلك صار مثلهم كمثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها، فقالوا بتحريفه وتعطيله بحجة تحريفه. وما لم يتمكنوا من إلصاق التحريف به لفظاً قالوا بتحريفه معنى مستندين إلى أكبر قاعدة للتحريف المعنوي ألا وهي القول بأن للقرآن ظاهراً غير مراد هو ما يتبادر من معناه، وباطناً مراداً هو معنى آخر لا علاقة له باللفظ البتة. وهو ما يتفق مع طبيعة الفرس الباطنية المخادعة التي تجعلهم يظهرون غير ما يبطنون، وطبيعتهم الشكاكة المتوجسة التي تجعلهم على الدوام يفسرون الأمور على غير ما تبدو عليه.

وتضرب عقيدة التحريف بجذورها الخفية إلى (عقدة السيد) من حيث علاقتها بعقيدة (الإمامة) المرتبطة بهذه العقدة. والقول بالتحريف نتاج منطقي لتسلسل القول بـ(الإمامة). وذلك لخلو القرآن الكريم من نص صريح عليها؛ فقالوا: إن نصوص (الإمامة) مما حذف منه. ومن هذا الباب قال البعض منهم بتحريف النقص دون تحريف الزيادة.

وهكذا تجد أن هذه العقيدة نابعة من مجموعة عقد فارسية، وتخدم في الوقت نفسه أغراض الفرس وأهدافهم.

٥. المهدي المنتظر

نشأت هذه العقيدة من تفاعل عدة عقد في النفسية الفارسية أولها عقدة النقص، ثم عقدة الاضطهاد وعقدة الحقد، وما يترتب عليها من الحاجة للانتقام والتشفي والثأر والعدوان.

إن عقد النقص تؤدي إلى التعلق بأوهام الخلاص، على يد منقذ سحري، من خارج الذات. وقد كتبت بحثاً مطولاً في كتابي (المهدي المنتظر هذه الخرافة) عن الجذور الفكرية والنفسية لخرافة المهدي المنتظر، مما جاء فيه قول الدكتور مصطفى حجازي: (تميز مشاعر الدونية بشكل عام موقف الإنسان المقهور من الوجود. فهو يعيش حالة عجز إزاء قوى الطبيعة وغوائلها، وإزاء قوة السلطة على مختلف أشكالها. مصيره معرض لأحداث وتغيرات يطغى عليها طابع الاعتباط أحياناً والمجانبة أحياناً أخرى. يعيش في حالة تهديد دائم لأمنه وصحته وقوته وعياله. يفتقر إلى ذلك الإحساس بالقوة والقدرة على المجابهة الذي يمد الحياة بنوع من العنفوان ويدفع إلى الاحترام والمجابهة. الإنسان المقهور عاجز عن المجابهة. تبدو له الأمور وكأن هناك باستمرار انعداماً في التكافؤ بين قوته وقوة الظواهر التي يتعامل معها. وبالتالي فهو معظم الأحيان يجد نفسه في وضعية المغلوب على أمره، يفتقد الطابع الاقتحامي في السلوك، سرعان ما يتخلى عن المجابهة منسحباً أو مستسلماً أو متجنباً إما طلباً للسلامة وخوفاً من سوء العاقبة، أو يأساً من إمكانية الظفر والتصدي. وبذلك يفقد موقفه العام من الحياة الطابع التغييري الفعال، ويقع في أسلوب التوقع والانتظار، والتلقي الفاتر لما قد يحدث. ثم هناك انعدام الثقة بالنفس، إذ لا شيء مضمون في وجوده. فقدان الثقة هذا يعمم على كل الآخرين أمثاله. وهكذا يشعر أنه وإياهم لا يستطيعون شيئاً إزاء قهر الطبيعة وقوى المتسلط. ويصل الأمر حد انعدام الثقة بقدرة الجماهير على الفعل والتأثير، مما يلقي به، وبشكل نكوصي، في الاتكالية على منقذ منتظر بشكل سحري. صورة هذا المنقذ على العكس من صورته عن ذاته. إنه القوي المتمتع بالجبروت، الكفيل بقلب الأمور رأساً على عقب، حامل الخلاص العاجل. ومن البديهي أن هذا الموقف يهيء هذه الجماهير إلى التعلق بالزعيم الفرد، تعلقاً يغري بالتسلط والدكتاتورية تحت شعار إنقاذ الوطن وخلاص الجماهير. إنسان العالم المتخلف يفتقر نظراً لما يعانيه من مشاعر دونية إلى الإيمان بالجماهير. يحس إحساساً عميقاً بأنه لا يمكن أن يُنتظر شيء يذكر من هذه الجماهير المقهورة على غراره. وإذا كان هناك

من خلاص ممكن فهو بالتأكيد لا يأتي ، في نظـره ، عـن طريـق هـذه الجماهير العاجزة)[١].

وقلت بعد كلام طويل في سياق التحليل النفسي لهذه العقيدة:

(نستخلص مما سبق جملة عناصر متفاعلة ومقدمات ونتائج أهمها:

١. إنسان مقهور يشعر بالقهر والظلم المسلط عليه شعوراً عميقاً.

٢. يعاني من عقدة الشعور بالضعف أو النقص إلى حد فقدان الثقة بالنفس والشعور التام بعجزه عن التغيير من خلال ذاته.

٣. فقدان الثقة هذا يعمم على الجمهور المقهور أو كل الآخرين أمثاله فيشعر أنه وإياهم غير قادرين على التغيير.

٤. وعليه يكون التطلع إلى الإنقاذ الخارجي هو السبيل الوحيد أمامه للخلاص من مأزقه.

٥. العلاقة مع المنقذ الخارجي سحرية وخيالية يضفي المقهور فيها عليه صفات أسطورية ينزهه بها عن كل أوجه القصور والعجز التي يشكو منها الإنسان المقهور، ويضعه في مرتبة المثل الأعلى له، وتجعله قادراً على تغيير الأمور بشكل فجائي سحري، ومن دون تدخل المقهور الذي يظل قاعداً ينتظر الخلاص والخير والأمن والهناء على يد ذلك المنقذ الذي سينشق عنه حجاب الغيب!

إذن المصاب بعقدة الشعور بالنقص أو الضعف يشعر – دائماً وأبداً، بسبب أو بغير سبب – بالاضطهاد والقهر، وأنه إنسان مضطهد مقهور، أو مغبون مغلوب على أمره. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يحس بالعجز عن التغيير من خلال ذاته المجردة أو الجمهور المقهور من أمثاله دون منقذ من خارجه.

وقد تمثل هذا المنقذ الخارجي في عقيدة الشيعي بالمهدي المنتظر، وفي سلوكه بالاستعانة بالأجنبي للخلاص من القهر الداخلي... فعقيدة المهدي المنتظر أساسها عقدة نفسية متأصلة عند الفارسي هي عقدة الشعور بالنقص، إضافة إلى عقدة الحقد الدفينة ضد العرب والتي تأججت أخيراً بفعل إزالة العرب لدولة العجم ما جعل هؤلاء يتطلعون باستمرار إلى رجل من آل كسرى يكون على يده تحقيق الخلاص والانتقام).

وفي التراث الشيعي روايات كثيرة عن قيام المهدي بمجازر فظيعة ضد العرب عامة

---

[١] أيضاً ، ص٤٢-٤٣.

والعراقيين خاصة، وأنه يبتدئ أول ما يبتدئ بانتقامه بقريش! ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وغيرهما من المساجد. بل ورد فيها أنه رجل من آل كسرى! كما جاء على لسان محمد باقر المجلسي الذي روى نقلاً عن ابن عياش في المقتضب بسنده عن النوشجان بن البومردان قال: (لما جلا الفرس عن القادسية، وبلغ يزدجرد بن شهريار ما كان من رستم وإدالة العرب عليه، وظن أن رستم قد هلك والفرس جميعاً، وجاء مبادر وأخبره بيوم القادسية وانجلائها عن خمسين ألف قتيل، خرج يزدجرد هارباً في أهل بيته ووقف بباب الإيوان، وقال: السلام عليك أيها الإيوان! هأنذا منصرف عنك، وراجع إليك أنا أو رجل من ولدي لم يدنُ زمانه ولا آن أوانه. قال سليمان الديلمي: فدخلت على أبي عبد الله ع فسألته عن ذلك وقلت له: (أو رجل من ولدي) ؟ فقال: ذلك صاحبكم القائم بأمر الله عز وجل السادس من ولدي ، قد ولده يزدجرد فهو ولده)[١].

وهكذا تجد هذه العقيدة – كغيرها من عقائد التشيع الفارسي – تبتدئ من عقدة نفسية فارسية، وتنتهي بخدمة أغراض وأهداف الفرس، وما جماهير الشيعة إلا ضحية ساذجة لا تدري إلى أين يسير بها جزارها: إلى حتفها ؟ أم إلى علفها؟!

٦. الرجعة

عرفنا أن الطبيعة الفارسية طبيعة حقودة ، لا تنسى أحداً تسبب لها بأذى، ولا تغفر إساءة من أساء إليها أبدا. ولا شيء يشغلها كما يشغلها هم الثأر من خصومها، والتشفي بتعذيبهم وقتلهم والانتقام منهم. ومن هنا عبدوا النار؛ لأنها تناسب طبيعتهم الحاقدة المخربة. وكعادة المقهور دائماً تجد الفرس يراود مخيلتهم الحلم بزمن نموذجي يتحقق لهم فيه الانتقام التام من أعدائهم، تساعدهم على هذا الخيال عقليتهم الخرافية. كل هذا جعلهم يتطلعون إلى يوم يقتلون فيه من تسبب في زوال دولتهم – وأولهم أبو بكر وعمر وابنتاهما عائشة وحفصة – شر قتلة على يد علي أو امبراطورهم المهدي الذي سيقيم لهم دولة تمتد إلى آخر الدهر. وغلفوا ذلك بتغليفة دينية أسموها (الرجعة). من عقدة الحقد الفارسي إذن خرجت عقيدة (الرجعة)، التي تخدم الفرس حين تجعل الشيعة يشعرون بالعزلة النفسية عن مجتمعاتهم وحكوماتهم ودولهم، متطلعين دوماً إلى يوم الخلاص الذي يتم لهم فيه النصر على أعدائهم والانتقام منهم وقتلهم شر قتلة.

---

[١] بحار الأنوار ٥١/١٦٣-١٦٤.

٧. شفاعة أهل البيت

يعول الشيعة كثيراً على مبدأ شـفاعة (أهـل البيـت)، ويعتقـدون أن مـن آمـن بـ(ولايتهم) وإن كثرت ذنوبه، وإن لم يعمل عملاً صالحاً لن تمسه النار أبداً. وقد أدت هذه العقيدة بهم إلى الاستغراق في الذنوب والآثـام ، مـع الانتمـاء الاسـمي للـدين والتعصب للطائفة، والتمسك بالشعائر القشرية والتعويل عليها في النجـاة مـن النـار والفوز بالجنة. فتجد أفسد الناس وأشدهم تهتكاً، وأكثـرهم انحـداراً، وأجـرأهم علـى المعصية وأكل أموال الناس بالباطل، واستباحة دمائهم وأعراضهم حين يقبـل محـرم ينبري ليستعرض عضلاته في اللطم والنواح، ويظهر أمام الناس بمظهـر الحـريص على المذهب من خلال قيامه بطبخ الهريس في الشارع، والسهر ليلة عاشوراء حتـى مطلع الفجر، ونصب قُلل الماء عند باب داره أو محله. هذا كل حظه من الدين حتـى إذا تقضت الأيام العشرة انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلـك هـو الخسـران المبين. لكنه يحسب أنه يحسن صنعاً، ويعمل صنيعاً سينجيه يوم القيامة بما ينيله مـن شفاعة (أهل البيت)!

وعند التحليل النفسي تجد مبدأ (الشفاعة) نابعاً من (عقدة الذنب) الفارسية. وقد مـر بنا في موضوع العصمة أن عقدة الذنب تؤدي إلى اليأس من الخـلاص الـذاتي مـن تبعات الذنوب عند الله تعالى، لا سيما إذا كان صاحبها في الواقع لا يقـدر أو لا يريـد تركها أو التخلص منها؛ فيدفعه ذلك إلى التعلق بوسائط يستشفع بها عنـد الله عسـاها تحقق له الخلاص المطلوب.

٨. الغلو في أهل البيت

يعتقد الشيعة في أهل البيت العلوي عقائد غالية تخرجهم عن رتبة البشر، وتـرفعهم إلى مرتبة الألوهية، وينسبون إليهم خوارق ومقدرات أسطورية خارجة عـن الـذوق والعقل. وعقيدتهم هذه في (أهل البيت) ما هي إلا انعكاس وامتداد لعقيدة الفـرس فـي ملوكهم و(أهل بيت النار) عندهم. وهي ناشئة عن (عقدة النقص) التي تؤدي بأصحابها إلى ردود فعل خرافية، ومبالغة في الادعاء لا تستند إلـى أي أسـاس تعويضـاً عـن الشعور الشديد بالنقص، بحيث يكون الادعاء الخارجي مكافئاً للشعور الداخلي بالنقص. وهذا هو منشأ الخرافة في العقلية الفارسية، وكل الخرافات والأسـاطير والتصـورات الهُذائية التي ألصقت بـ(أهل البيت) والتشيع عموماً، والتي تمتلئ بها كافـة المؤلفـات الشيعية بلا استثناء.

٩. سب الصحابة

سب الصحابة ﷺ وتكفيرهم ، وإنزالهم في الشق المناوئ لــ(أهل البيت) ، يشــكل الركيزة الثانية – بعد الإمامة – من ركائز االاعتقاد عند الشيعة. وهو ناشئ من عــدة عقد فارسية أولها (عقدة الحقد) على العرب المتجذرة في نفوس الفرس منذ الجاهليــة، حتى إذا جاء الإسلام زادها حدة وأواراً؛ إذ ارتبط مجيئه بزوال دولة الفــرس وملكهــم وسلطانهم، وانطفاء نيرانهم، وخفوت بريق عقائدهم ودينهم. وكان ذلك كله قــد تحقــق على يد الصحابة؛ فحقد الفرس عليهم أشد الحقد وأعمقه – لا سيما الفاروق عمــر بــن الخطاب مبيد الأكاسرة ومزلزل عروش القياصرة رضي الله عنه وأرضــاه – وســعوا في الكيد لهم والنيل منهم بكل وسيلة، وسلكوا إليه كل سبيل. وقد تضافرت على ترسيخ هذه العقيدة القذرة مع عقدة الحقد (عقدة الشعور بالاضــطهاد): إذ اعتبــر الشــيعة أن تاريخ اضطهادهم بدأ – بزعمهم – من يوم تآمر الصــحابة علــى علــي واغتصــبوا الخلافة منه (السقيفة). ومن يوم منعوا الرسول ﷺ من كتابة الكتاب الذي لو كتب لمــا اختلفت الأمة من بعده أبداً. ولولا تلك المؤامرة لاستقام الأمر لعلي وشيعته، ولم يخرج من يدهم إلى غيرهم. وقد عملت عقدة (الوقاحة أو الصفاقة) الفارسية عملها في نشــر عقيدة تكفير الصحابة، وإشهار سبهم دون حياء أو خجل من أهل السنة، أو مداراة لهم، ولا خجل من الأكاذيب المفضوحة والتهم الواضحة البطلان التي يلصقونها بخير جيــل لخير أمة أخرجت للناس! وبينما ترى أهل السنة يحاولون بكل السبل دفع تهمــة كــره (أهل البيت) عن أنفسهم؛ فيمدحونهم ويغلون في حبهم ومدحهم، ترى الشــيعة وبكــل وقاحة يجهرون بسب الصحابة وقذفهم بكل تهمة مهما كانت مكشوفة الزيف وواضــحة البطلان!

وقد تأملت تهم الشيعة التي يوجهونها إلى الصحابة ﷺ فوجدتها نقائص شائعة بينهم يحولونها لاشعورياً بواسطة حيلة (الإسقاط) النفسية إلى الصحابة. وبواســطة التكــرار والإشاعة على طريقة: (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس) صــدقوها هــم، ورســخت عندهم حتى صارت عقيدة لا يتطرق إليها الشك بحال. خذ مثلاً (الأُبنة) التي يتهمــون بها كل من تسمى بأمير المؤمنين من خلفاء المسلمين بدءاً بعمر بن الخطاب ﷺ : مــا هي إلا رذيلة مشتهرة ومنتشرة في الأوساط الدينية الفارسية وما قرب أو تقرب منهــا

وتأثر بها وسار على هديها منهم. ثم تغلغل هذا الوباء ليتركز في البلاد المجاورة حيثما حل (رجال الدين) الفرس، وانتشر من هناك إلى ما حولهم من المناطق. ولهـذا تجـد أكثر المدن شهرة بهذه الرذيلة هي مدينة النجف لكثرة الحوزات الدينية فيها! وقس على ذلك.

١٠. اتهام أهل السنة بكره (أهل البيت)

يصر جمهور الشيعة إصراراً سمجاً على اتهام أهل السـنة بكـره (أهـل البيـت) ومناصبتهم العداء، ويطلقون عليهم لقب (النواصب). ورغم أن هذه الدعوى لا تجد لها أي سند من الواقع لكن الشيعة لا يحاولون عنها فكاكاً، ولا ينون في إشاعتها والتبـاكي بها!

والتحليل النفسي يكشف عن نشأتها من جملة عقد يعاني منهـا الفـرس، وخصـال يتصفون بها، منها. أولها الكذب، وقد ظلوا يشيعونه حتى صدقوه! وحتى وصـل بهـم الأمر إلى حد عقدة الوهم ووهم الاضطهاد (= البارانويا)[1]. فدعوى كره (أهل البيـت) منعكسة عن سب الشيعة للصحابة قاموا عن طريق عملية (الإسقاط) بتحويلها إلى أهل السنة متهمين إياهم بكره (أهل البيت). وقد فعلت (عقدة الاضطهاد) فعلها فـي تسـهيل هذا التحويل من حيث أن المصاب بها يتصور أن الآخر هو الذي يضـطهده ويعتـدي عليه وليس العكس.

وأرى أن هذه التهمة تعبر أيضاً عن شعور دفين بكره (أهل البيت) فـي النفسـية الفارسية، يتحول عن طريق (الإسقاط) إلى أهل السنة. ولهذا الفعل أمثلة كثيرة يسـوقها علماء النفس. (فالكاذب أو الجحود أو الأناني أو المتعصب الذي لا يفطن إلـى وجـود هذه الخصال في نفسه، ينسب الكذب والجحود والأنانية والتعصب إلى غيره. ومن هذا الباب لا يصدق الكذاب ما يقوله الناس؛ لأنه يرى فيهم نفسه المطبوعة علـى الكـذب. ومن أمثلة ذلك: الزوج الذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجتـه يميـل إلى اتهامها بالخيانة. والأب الفاشل في عمله يميل إلى اتهام ابنه بالإهمال في دراسـته. والمدرس الكسول لا يغفر لتلاميذه الكسل؛ لأنهم يصورون له الناحية التي يكرهها مـن نفسه. كذلك نرى القاضي الذي تعتلج في نفسه ميول إجرامية يميل إلى الصرامة فـي

---

[1] سبقت الإشارة إلى هذه العقدة عند الحديث عن (عقدة الاضطهاد) عند الشيعة.

أحكامه. ومتى رأينا عيوبنا في الناس ملنا إلى وعظهم واشتددنا في محاسبتهم على عيوب نتسم بها ولا ندري. فيكون الوعظ في هذه الحالة مظهراً للإسقاط. من هنا نرى أن أحكامنا على الغير كثيراً ما تكون أحكاماً على أنفسنا، فهي اعترافات أكثر من أن تكون اتهامات. ولكن أكثر الناس لا يشعرون)[1].

مما يؤيد ما ذهبت إليه، أن (مهدي الشيعة) حين يظهر يصب انتقامه على قريش، فلا يبقي منها إلا ما خرج عن طاقته، وأفلت عن طوقه! وما (أهل البيت) إلا من لبة قريش؛ فهذا القتل الذريع سيشملهم حتماً، لو وقع الأمر كما تتخيل النفوس المريضة التي وضعت الروايات التالية في ذلك تنفيساً عن أحقادها:

روى المجلسي عن أبي عبد الله ع أنه قال: (إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف)[٢]. وروى محمد بن إبراهيم النعماني في كتابه (الغيبة) عن أبي عبد الله ع أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فما يأخذ منها إلا السيف)[٣]. تأمل تخصيص قريش بالحقد، وقصدها بالانتقام!

ويروي النعماني عن محمد الباقر ع أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس. أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يقبل منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم)[٤].

١١. مخالفة أهل السنة

يتفق فقهاء الشيعة على مقولة ينسبونها إلى الإمام جعفر الصادق رحمه الله وهو منها بريء، تنص على أن (ما خالف العامة ففيه الرشاد)[5]. وهي رواية مشهورة متفق

---

[١] أصول علم النفس ، ص٤٦٠-٤٦١ ، الدكتور عزت راجح.

[٢] بحار الأنوار ، ٣٥٥/٥٢.

[٣] الغيبة ، ص٢٣٤.

[٤] الغيبة ، ص٢٣٣.

[٥] أصول الكافي ، الكليني ، ٦٨/١.

عليها عندهم علماً وعملاً. ناشئة عن (عقدة السيد) التي تجعل صاحبها يأنف من التشبه بالآخر ومحاكاته، ويستنكف من أي قول أو فعل يشير إلى المساواة بينهما، فضلاً عن التبعية له. وتعبر بصورة أخص عن احتقارهم للعرب وازدرائهم للدين الذي جاءوا به، وحمله الفرس عنهم مكرهين. وفي الوقت نفسه تحقق أهدافهم في إثارة الفرقة وتمزيق الصف وتجويف الدين وتخريبه من الداخل.

١٢. التقية

لم تبلغ أمة في الكذب والنفاق كما بلغ الفرس! وقد بحثنا الأسباب الباعثة في موضع سابق ، وتبين لنا كيف أن هذه الصفة متأصلة في طبيعتهم تأصل الروح من الجسد لا تفارقه إلا بالموت.

كلنا يعرف لماذا تبنى عبد الله بن أبي بن سلول النفاق وصار رأس المنافقين في المدينة؟ وللذكرى أقول: حين دخل النبي ﷺ المدينة كان أهلها على وشك تتويج ابن سلول ملكاً عليهم. وبمجيء النبي انصرف الناس عن ابن سلول ونسوه، وانشغلوا بالنبي ﷺ والدعوة الجديدة، فانتفخ حقداً على النبي وأصحابه لأنهم كانوا السبب في حرمانه من الملك. ولما يئس من رجوع ملكه تبنى المراوغة والخداع وتظاهر بالإيمان وأبطن الكفر، وصار يثير المشاكل ويفرق الصفوف ويؤلب الكفار على دولة الإسلام الناشئة، ويقتنص الفرص للطعن المبطن برسول الله ﷺ وذلك بتشويه سمعته في أصحابه وأزواجه، فهو الذي أثار الغبار على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك المعلومة.

الأمر نفسه وقع حين دخل المسلمون العرب إلى العراق وأبادوا جيوش النار وأزاحوا الفرس عن الملك واستولوا على عروشهم ودولتهم وتيجانهم وسبوا نساءهم وذراريهم ومرغوا أنوفهم كبرياءهم وعنجهيتهم بالوحل. حتى إذا يئس الفرس من رجوع ملكهم وإزاحة العرب عن سلطانهم فعلوا ما فعل المنافقون أول مرة ولكن بصورة أعمق وأوسع فتبنوا المراوغة والخداع وتظاهروا بالإيمان وأبطنوا الكفر وصاروا يثير المشاكل ويفرقون الصفوف ويؤلبون الكفار على دولة الإسلام الناشئة، ويقتنصون الفرص للطعن المبطن برسول الله ﷺ وذلك بتشويه سمعته في أصحابه وأزواجه. والمؤرخون يذكرون أن الفرس بقيادة يزدجرد اجتمعوا بعد هزيمتهم في

معركة نهاوند الفاصلة وقرروا التظاهر بالدخول في الإسلام لتخريبه من الداخل. وهكذا كان. وتوسلوا لذلك بوسائل منها مبدأ (التقية) الذي يبيح لهم التظاهر بالإسلام مع إبطان الكفر، والكذب والتحايل والخداع وإظهار شيء وإخفاء نقيضه متى ما احتاجوا إلى ذلك وإن لم يكن إلجاء أو إكراه، ومع المسلمين وغيرهم. وهي صفات الفرس النفسية ألبسوها لبوس الدين. فـ(التقية) ناشئة عن الطبيعة النفسية الفارسية التي تمتهن الكذب وتعتاش عليه، وتخدم في الوقت نفسه أغراض الفرس، وتحقق أهدافهم.

وأما جذورها البعيدة فيمكن تحسسها من خلال علاقتها بـ(عقدة النقص). وفي ذلك يقول د. حجازي: (عقدة العار هي التتمة الطبيعية لعقدة النقص. الإنسان المقهور يخجل من ذاته، يعيش وضعه كعار وجودي يصعب احتماله. إنه في حالة دفاع دائم ضد افتضاح أمره، افتضاح عجزه وبؤسه. ولذلك فالسترة إحدى هواجسه الأساسية. إنه الكائن المعرض ، ويخشى ، أن ينكشف باستمرار، يخشى ألا يقوى على الصمود. يتمسك بشدة بالمظاهر التي تشكل ستراً واقياً لبؤسه الداخلي. هاجس الفضيحة يخيم عليه (فضيحة العجز أو الفقر أو الشرف، أو المرض). حساسيته مفرطة جداً لكل ما يهدد المظهر الخارجي الذي يحاول أن يقدم نفسه من خلاله للآخرين... ولكن الرجل المقهور يسقط العار أساساً على المرأة: المرأة العورة أي موطن الضعف والعيب.

بسبب هذا الإسقاط يربط الإنسان المسحوق شرفه كله، وكرامته كلها بالحياة الجنسية للمرأة)[١]. إن هذا يفسر بوضوح منشأ التقية والبوشية الفارسية.

١٣. السجود على التربة والإسبال في الصلاة

كان الفرس إذا وقفوا بين يدي ملوكهم وقفوا ورؤوسهم مطرقة بكل بخشوع، وأيديهم على صدورهم علامة على التذلل والاستسلام والخضوع. أما التراب فيعتبر من العناصر المقدسة – إضافة إلى النار – في العقيدة الفارسية المجوسية؛ ولذلك يحرق المجوس موتاهم ولا يدفنونهم في التراب تقديساً له أن يضم جسد الميت النجس حسب اعتقادهم. وقد انعكس ذلك على الفقه الشيعي قولاً بنجاسة جسد الميت؛ فإذا مسه أحدهم بادر إلى الاغتسال، ولا يكفي للتطهر مما أصابه من النجاسة غسل اليد أو حتى

---

(١) التخلف االاجتماعي ، ص٤٥-٤٦.

الوضوء! ما يشير إلى عمق هذا الطقس في نفوسهم وأنه مرتبط بعقيدة عميقة الجذور.

نأتي الآن إلى تفسير العلاقة بين السجود على التربة وإسبال اليدين في الصلاة وبين أصلهما الفارسي المجوسي فنقول: إن الإسبال – حسب النظرة الفارسية – يتناقض مع التذلل والخضوع الذي يرافق التكتف، فأداء الصلاة مسبلاً لا متكتفاً يعني الإشارة المبطنة إلى عدم الاعتراف بالصلاة من قبل مؤديها. ووضع التربة في قبلة المصلي ما هو إلا إشارة – ولو من بعيد – إلى أن هذه الصلاة ما هي إلا طقس يؤدى تجاه أحد الرموز المقدسة عند المجوس وهو التراب. وهو ما يفسر احترام المصلي للتربة إلى حد تقبيلها والتمسح بها، واعتقاد قدرتها على الشفاء من الأمراض. وقد وجدنا بعض الترب مرسوماً عليه صورة الشمس، وبعضها صورة النار! وهذا دليل آخر يؤيد ما ذهبنا إليه. وقد اشتط الفقه الشيعي في التمسك بالإسبال في الصلاة إلى حد القول ببطلان صلاة المتكتف. وهو مذكور في نواقض الصلاة في (الرسائل العملية) التي يصدرها كل فقيه صالح للتقليد. وذلك يحقق للفرس هدفاً سياسياً من أهدافهم هو إشاعة الفرقة بين المسلمين، والحيلولة دون التقائهم بأي شكل من الأشكال ولو كان هو صورة ظاهرة لا أكثر.

١٤. زيارة المراقد وانتشار ظاهرة الأضرحة

زيارة المراقد هي أعظم طقس عبادي يمارسه الشيعة في حياتهم الدينية، على اعتبار أن (الإمامة) هي أعظم الأصول النظرية عندهم؛ فزيارة (الأئمة) لتقديم مراسيم الولاء والتقديس لهم ، ثم طلب الحاجات منهم ، لا بد أن تكتسب الأولوية في سلم الطقوس العملية.

ويقف د. حجازي هنا عند هذه الظواهر والرموز كي يتناولها بالعرض والتحليل الذي تدرك من خلاله كيف تفعل (عقدة النقص) فعلها في نشوء الدافع النفسي للتعلق بالأولياء ذلك التعلق الخرافي البدعي، بل الشركي، ونسبة الكرامات التي هي في حقيقتها – على الأغلب الأعم – خرافات رسختها الإذاعة والإشاعة لتستوطن تلك الأرضية النفسية المفعمة بالشعور بالحرمان والاضطهاد؛ لأنها هي البيئة الأنسب لنموها وترعرعها وانتشارها، فيقول:

(تنتشر ظاهرة التعلق بالأولياء. واللجوء إليهم لاستجلاب الخير ودرء الشر، بكثرة في القطاعات المقهورة من السكان . وتتفشى خصوصاً حيث يعم الجهل والعجز وقلة

الحيلة، وحيث يتعرض الإنسان لأقصى درجات الاعتباط من الطبيعة يأتيه كتهديد لقوته وصحته وولده، ومن الإنسان يصيبه كقمع وتسلط واستغلال. الإنسان المقهور بحاجة إلى ولي لشدة شعوره بعجزه وقصور إمكاناته على التصدي والمجابهة والتأثير. ويحتاج إلى حماية نظراً لشدة إحساسه بالعزلة والوحدة في مجابهة مصيره المحفوف بالمخاطر حين تلم به النوائب أو يصاب في نفسه أو ذويه أو أمنه أو قوته. فالولي ملاذ ومحام يتقرب إليه ويتخذه حليفاً ونصيراً، كي يتوسط له لدى العناية الإلهية. الولي هو ولي الله، ومن خلال التقرب منه تتحقق الحاجات وتعم الرحمة الإلهية. وتسقط على الولي قدرات خارقة لها علامات، هي الكرامات التي تميزه عن سائر البشر...

من الواضح أن هذه الكرامات تشكل النقيض تماماً لوضعية الإنسان المقهور. فهي ترسم صورة الإنسان الفائق الذي يعوض صورة الإنسان المهان واقعياً. وهي تجسد أماني الجماهير المغلوبة على أمرها في أمل الخلاص من خلال وجود نموذج الجبروت الطفلي هذا. ومن خلال إمكانية التقرب من الولي صاحب الكرامات الخوارق، الذي يفلت من قيود الواقع والزمان والمكان، بواسطة الأدعية والنذور والقرابين. تلك أوالية ضرورية للتوازن النفسي لهذه الجماهير العطشى إلى إرضاء حاجاتها لمصير مغاير لمصيرها، العطشى لمظاهر الجبروت (القدرة على تحقيق الأماني). فقط من خلال أمل كهذا تظل حياة القهر ذات الآفاق المسدودة والتهديد الدائم ممكنة.

تحدث الكرامات إجمالاً لأناس اصطفتهم العناية الإلهية دون أن يكون لهم في ذلك فضل أو إرادة (دون جهد أو تدريب وإعداد وإدارة كفاح). فقد يكون صاحب الكرامة ذكياً أو غبياً عالماً أو جاهلاً. وتلمح في ذلك الاعتباط الذي يميز وجود الإنسان المقهور، الخاضع لقدرية ليس له فيها أي مسؤولية. ذلك ما يدفع به إلى القبول بقدره من ناحية ويجنبه مشاعر الذنب النابعة من فشله من ناحية ثانية، ويدغدغ في نفسه أمله الطفلي بتغير ما ورائي يصيب مصيره، فيحوله من حال إلى حال من ناحية ثالثة، إذ قد يجد نفسه يوماً صاحب كرامة دون أن يدري أو يقصد. ويكون له الخلاص والرفعة بعد بؤس وضعة. حينما يستفحل عجز الإنسان وقصوره، وحده الخلاص الخرافي يظل ممكناً كأمل يبقي له على رمق من الحياة)[١].

---

[١] أيضاً ، ص١٤٩-١٥٠.

وعن انتشار ظاهرة الأضرحة يواصل د. حجازي حديثه الشيق، فيتطرق إلى الأسباب النفسية الكامنة وراء ذلك في المجتمعات الاضطهادية. إن زيارة واحدة للجنوب العراقي تريك الفرق الشاسع في عدد المراقد بين المناطق الشيعية والمناطق السنية التي لا تكاد ترى فيها مرقداً لولي إلا بصعوبة. ذهبنا مرة في سفرة إلى البصرة. وما إن صرنا على مشارف الحلة حتى التفتّ فرأيت صاحبي قد أخرج ورقة وصار ينظر إلى بعض المراقد التي بدأت تطل بأعناقها ونحن على الطريق الدولي. قلت له: ماذا تفعل؟ قال: أريد أن أحصي عدد الأضرحة على الطريق. فضحكت لطيبة قلبه، قلت: ستتعب. لكنه ابتسم واستمر يكتب. ثم ما إن سارت بنا السيارة بضع عشرات من الكيلوات حتى وضع القلم جانباً وهو يضحك معلناً الاستسلام! وفي مرة سابقة كنا متوجهين إلى السماوة سالكين الطريق القديم، ننظر عن يمين وشمال فنرى لافتات حديدية لا حصر لها، كل واحدة منها مكتوب عليها عبارة (إلى الإمام فلان). كان معنا صديق من أهل الفلوجة، بينما نحن في وسط الطريق، والسيارة تنهب بنا الأرض نهباً إذا به يقطع علينا لحظات صمت مرت بنا وهو يقول ضاحكاً بقوة متعجباً: انظروا ما مكتوب: (إلى الإمام خلَف)! هل سمعتم بإمام اسمه خلف؟! ونظرنا فإذا لافتة من سطرين: الأول هو (إلى الأمام خلف) وتحته مكتوب (القائد صدام حسين) فتكون العبارة كاملةً هكذا: (إلى الأمام خلف القائد صدام حسين)! لقد استعجل صاحبنا فقرأ السطر الأول، ولم يجد نفسه في حاجة إلى قراءة ما بعده لكثرة ما قرأ من أمثالها! وصاح متعجباً قبل أن ينتبه إلى تكملة العبارة في السطر الثاني. وشهد الزمان ساعتها نكتة قوية ضحكنا لها كثيراً !.

يقول د. حجازي: (تنتشر أضرحة الأولياء ومقاماتهم في كل أرجاء المجتمع المتخلف. ولا تكاد تخلو منه قرية، أو حي في المدن الكبرى. وتشكل هذه الأضرحة نواة التجمعات السكانية، تقوم حولها أماكن العبادة ثم تحيط بها المساكن والمنازل والفنادق، وتنتشر الأسواق التجارية. فهي إذاً محج وملجأ وأماكن للتبرك واستجلاب الخير كما أنها أماكن للحماية من غوائل الطبيعة والناس. من جاور ضريح الولي فهو في مأمن، ولا بد أن يناله قسط من بركته. تتجمع الجماهير المقهورة سكانياً حول أضرحة الأولياء ومقاماتهم، كما يتجمع أعضاء حزب معين حول شخص الزعيم طلباً للهداية والحماية، وتقرباً من مصدر الخير.

وهناك أسطورة تخصص الأولياء في قضاء الحاجات. فهناك من يشفي من الصداع،
وآخر من العقم، وثالث من الحسد، ورابع يرد الكيد، وخامس يمد بأسباب القوة على الحبيب الهاجر، وسادس ينصر على الغريم، وغيره يرد الغائب وهكذا. ويبرز في التجمعات السكنية المتخلفة عدد من مقامات هؤلاء الأولياء يغطي كل الحاجات التي تعجز الجماهير عن تحقيقها بجهدها، والتي قصر الحاكم في القيام بواجب تلبيتها. بالإضافة إلى النذور والقرابين، تحتل الأدعية والابتهالات مكانة خاصة في التقرب من الأولياء، والتماس قضاء الحاجات على أيديهم وببركتهم وتتنوع الأدعية لتشمل مختلف الأغراض وتصلح لقضاء الحاجات المتنوعة للفئات المغبونة. فهناك أدعية للشفاء من المرض، وأخرى لتفريج الغم، وثالثة لإزالة الكرب، ورابعة لتوسيع الرزق، وخامسة لتوكيد المحبة، وسادسة للخلافات الزوجية وهكذا...

من خلال هذه الصور الخيرة للأولياء وكراماتهم وبركتهم، والأدعية وغيرها من وسائل التقرب منهم، يملأ الإنسان المقهور خواء عالمه العاجز المحدد بأمل القدرة على التصدي لواقعه، والتحكم بمصيره بمقدار ما يتخذ من هذه الرموز حلفاء له. جبروت الرجاء يحل محل قوة الفعل التغييري. روحية الاستجداء والاحتماء تحل محل المطالبة بالحق والتصدي لانتزاعه)[١].

١٥. المتعة والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم

كتبت في آخر كتاب (نكاح المتعة نظرة قرآنية جديدة) تحليلاً اجتماعياً عن علاقة هذا النوع من الصلات الجنسية بالحضارة الفارسية جاء فيه ما ملخصه: من خصائص الحضارة الفارسية أنها حضارة قامت على الفساد والتحلل الخلقي والإباحية الجنسية. وقد اختلفت في ذلك عن الحضارة الغربية بأنها قد أطرت فسادها بإطار الدين، على عكس أختها الغربية التي ظلت واضحة في فسادها، صريحة جلية في عهرها. وإذا كانت هناك شعوب أخرى قد اشتهرت بالإباحية والفساد الخلقي فإن الشعب الوحيد – على ما يبدو – الذي غلف فساده بالدين، وأعطاه مشروعية دينية هو الشعب الإيراني. ومنذ

---

(١) أيضاً ، ص١٥٠-١٥٢.

أقدم عصور التاريخ. فالزرادشتية تبيح زواج الابن لأمه والأب لابنته والأخ لأخته[1]. والمزدكية تقول باشتراك الناس في الأموال والنساء وأصبحت دين الدولة الرسمي في عهد الملك قباذ الأول عام ٤٨٨م. والخرمية – وهي ديانة متطورة عن المزدكية ، وتعني بالعربية دين الفرح – تمتاز بالإباحية العامة[2].

وتسللت هذه الرذائل متسترة بالدين إلى جميع الفرق الفارسية التي انتسبت للتشيع. ولست في مقام تفصيل أسمائها وأفعالها.

إن إباحية الجنس والمال في الديانتين : المزدكية والخرمية، وغيرهما من الديانات الفارسية القديمة ظهرت بشكل مقبول مؤطر باسم شرعي، ويمكن ربطه ببعض الألفاظ القرآنية.

أما الإباحية الجنسية فظهرت باسم (المتعة) التي تغني صاحبها، وتعوضه عن أشد حالات التحلل والفساد الجنسي. والتي هي تقليد زرادشتي قديم لا يختلف تخريجه الفقهي كثيراً عما موجود في الفقه الشيعي الحالي! بحيث يستطيع كل متأمل أن يستنتج أنهما يخرجان من عمامة واحدة ، وأن هذا ما هو إلا نسل (محسَّن) عن ذاك! وفي ذلك تقول د. شهلا حائري حفيدة المرجع الديني الإيراني آية الله حائري: (عند الزرادشتيين يحق للزوج أو رب العائلة إعطاء زوجته أو ابنته من خلال إجراءات رسمية رداً على طلب رسمي إلى أي رجل من قومه يطلبها كزوجة مؤقتة لفترة محددة. وفي هذه الحالة تبقى المرأة زوجة دائمة لزوجها الأصلي وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتة لرجل آخر. وأي طفل يولد خلال فترة الزواج المؤقت يعود إلى الزوج الدائم أو لوالد المرأة وفقاً للحالة)[3].

وكذلك نكاح المحارم الذي كان يمارس في إيران قبل الإسلام انتقل تقليده – بصورة أو بأخرى – إلى جميع الفرق والمجتمعات التي صارت تدين بهذا الدين الدخيل الغريب على حضارتنا الإسلامية وجذورها العربية.

---

[1] دماء على نهر الكرخا ، ص ٧٣ ، حسن السوداني.

[2] أيضاً ، ص٧٤.

[3] المتعة، ص ٤٠ ، د. شهلا حائري. والكتاب رسالة دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة كالفورنيا في لوس أنجيلوس.

ومن معلوماتنا القريبة الموثقة أن أكثر المتشيعين فارسياً تعاطياً للواطة هم طلاب الحوزات الدينية! والتحليل النفسي يشير إلى علاقة هذه الرذيلة بـ(عقدة الذنب) التي تجعل صاحبها يميل إلى التعرض بكل وسيلة إلى معاقبة نفسه؛ فيتحول إلى شخص (ماسوشي) يتلذذ بإيقاع العقاب من قبل الآخر والخضوع له إلى حد الانبطاح والافتراش. ومن هنا نشأت رذيلة (الأُبنة) في تلك الأوساط. وقد دلت الملاحظة العلمية النفسية على أن (الماسوشي) كثيراً ما يكون (سادياً) أيضاً تجاه من هو أضعف منه، وهو دائم البحث عن ضحية يمارس عليها (ساديته) التي تبلغ قمتها بافتراشها وممارسة اللواطة بها. وهذا برأيي هو الجذر النفسي لتفشي هذه الرذيلة في المجتمع الإيراني قبل الإسلام، واستمرارها عند جميع الفرق الباطنية التي تسترت بالتشيع، ومنها انتشرت إلى كل الأوساط التي تأثرت بها وتشيعت لأفكارها.

١٦. الخمس والحقوق الشرعية

عقدة السيد التي تعاني منها النفسية الفارسية تجعل المصاب بها ينظر إلى نفسه نظرة مضخمة، ويشعر بحالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغة الخرافية لقدراتها وممتلكاتها ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات، كنوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر نقص ذاتية شديدة، بحيث يكون التضخيم الخارجي متوازٍ عموماً مع النقص الداخلي. وهي تسمى في علم النفس بـ(النُّفّاج). والنفاجي كائن مهووس بالعظمة وارتفاع الشأن. أصيبت هذه الشخصية النفاجية بنكسة حادة شديدة الانحدار بمجيء الإسلام الذي حرم ملوكهم وقادتهم ودهاقنتهم من مظاهر عظمتهم، وشردهم في أصقاع الأرض. تمكن هؤلاء بمرور الزمن من التسلل داخل المنظومة الإسلامية بطرق شتى أهمها التخفي وراء عباءة الدين والظهور بمظهر (رجل الدين). فإذا علمنا أن العقلية الفارسية تمزج بين بيت الدين وبيت الملك إلى درجة التلازم الكامل أدركنا أن (رجل الدين) هذا ما هو – في قرارة نفسه – إلا حاكم متوج اتخذ تاجه شكل العمامة نتيجة للظروف التي استجدت، والتي ما عادت تسمح له بالظهور كما يريد. ومن هنا تجده قد أحاط نفسه بهالة من الألقاب الضخمة التي تعبر أصدق تعبير عما يجول في دخيلة نفسه من إحساس بحقيقة وضعه الذي ينبغي أن يكون عليه، ويرغب في أن يعامله الناس طبقاً إليه مثل: ولي أمر المسلمين ، الحاكم

الشرعي ، زعيم الحوزة ، الإمام الأكبر ، المرجع الأعلى ، وهي ألقاب سياسية أكثـر منها دينية. ناهيك عن الألقاب الفخمة الأخرى الفارغة مثل: آية الله العظمى ، رئيس المجلس الأعلى ، وهلم خراً !

رجل الدين الشيعي إذن حاكم فارسي مقنع. ولا تكمل شخصية الحاكم إلا بممارسة جباية الأموال من الرعية للقيام بمقومات الحكم. على أن تؤدى هذه الأمـوال بطريقة يشعر فيها المالك أنه ملزم بأدائها، ويجلس بين يدي المرجع متذللاً متمسكناً يقبـل يـده امتناناً بقبولها منه. وذلك كما كانت الرعية تؤدي أموالها إلى الحاكم الفارسي من قبل.

وأخيراً أقول: إن المتأمل بدقة يظهر لـه بوضـوح تـام أن تشـريع مـا يسـمى بـ(الخمس) و(الحقوق الشرعية) مكمل لعقيدة (الإمامة)، وأن كليهما يخرج من **مخـرج** واحد هو (عقدة السيد) الفارسية المجوسية.

١٧. النياحة ومراسيم العزاء الحسيني

من الطقوس المشهورة في فلكلور التشيع الفارسي مواكب اللطم بالأيدي على الوجه والصدر، وبالزناجيل على أعلى الظهر ووسطه، وتطبير الرأس بالآلات حادة كالحربة وما شابهها. وتراهم يؤدون هذه الطقوس العنيفة جماعياً؛ ما يزيد في عنفها ووحشـيتها حتى تصل ببعضهم إلى الموت أو الإغماء! يترافق ذلك مع النياحة والبكاء والعويل... إلى آخر مراسيم عاشوراء.

هذا وسواه في الفلكلور الشيعي، ناشئ عن أكثر من عقدة نفسـية فارسـية: أولهـا العدوانية، ثم عقدة الاضطهاد، وعقدة الذنب.

أما العدوانيـة، وعلاقتها بهذا الطقس الشيعي المتخلف ، فيمكن فهمها من خلال هذا التحليل العلمي للدكتور مصطفى حجازي:

(العدوانية تنخز وجود الإنسان المقهور عموماً. وتنخره أكثـر فـأكثر فـي العـالم المتخلف. وهي عبء وتهديد للتوازن النفسي، ودافع للإقدام على العديد من تصـرفات تدمير الذات. كما أنها، في الوقت نفسه، دفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي تأتيه مـن الخارج...

عندما لا يتمكن الإنسان من تحمل مسؤولية عدوانيته المتراكمة، يحل المأزق الناتج عنها الذي يتهدد توازنه، بالمداورة تحت وطأة القمع المفروض عليه، والـذي يخشـى ردود فعله. يشيع العنف المقنع إذاً مع ازدياد حدة القمع المفروض مـن الخـارج مـن ناحية، وازدياد إحساس الإنسان بالعجز عن التصدي له من ناحية ثانية.

والعنف المقنع قد يرتد على الذات متخذاً شكل السلوك الرضوخي والميول التدميرية

الذاتية، أو هو يتوجه إلى الخارج على شكل مقاومة سلبية[1]...

أما العدوانية المرتدة على الذات ، فلأنها لا تجد طريقها إلى الخارج إلا بشكل باهت وهزيل لا يساعد على تصريفها والتحرر من وطأتها داخلياً؛ ولذلك فهي ترتد إلى الذات، وتعنف بها وتقسو عليها وتنزل بها مختلف أشكال العنت وتسومها سوء العذاب. إنها وضعية الرضوخ في سيكولوجية الإنسان المقهور الذي يلوم نفسه، ويشتط في تبخيسها والحط من شأنها. إنه يحملها مسؤولية الفشل المصاحب لوضعية القهر، ويصل في ذلك حد التماهي بعدوان المتسلط الذي يغرس في ذهن الإنسان المقهور الدونية والتخلف والعجز والجهل. ويوهمه بأنه كائن منحط خلق هكذا وسيظل كذلك. ذلكم هو الكفر بالذات الذي يشيع في فترات الهزيمة والنكسات في المجتمع المتخلف: إننا لسنا جديرين بالحياة ولن يصدر عنا أي خير، لا نصلح لأي رفعة، ولا يحق لنا أن نحيط أنفسنا بأي اعتبار أو تقدير. وتصل الإدانة (النابعة من توجيه العدوانية إلى الذات المذنبة لتقصيرها وقصورها) حد النكاية بالنفس، وبالآخرين المشابهين لنا...

تتضمن هذه الإدانة للذات دفاعاً عنها بشكل خفي. فالإدانة الذاتية تظل أخف وطأة من إدانة الآخرين. وفي إدانة الذات والحط من شأنها نوع من التكفير عن الخطيئة الوجودية تجاه المصير، تتضمن ولا شك، بشكل كامن، الأمل في الغفران. فمن يدين ذاته يأمل في الحفاظ عليها من إدانة أشد وطأة. كما يأمل، في الوقت نفسه، في إثارة مشاعر صفح ضميره، وصفح الآخرين على حد سواء. وإدانة الذات بهذا الشكل وسيلة كارثية للسيطرة على الميول التدميرية المتصاعدة، التي تصاحب العدوانية المتراكمة والموجهة نحو الذات. من خلال هذه الإدانة (الجزئية والمرحلية دوماً) يفرغ العدوانية المتراكمة من التهديد بالاندثار الذي تتضمنه. فمن يجسد خطيئته في عقاب محدد ومحسوس، يأمن شر العقاب الجذري الغامض الذي يثير في لا وعيه عقدة الهجر والفناء. إذ أن الإنسان يخشى سوء العاقبة ما دامت لم تحدث بعد. أما وقد حدثت فإنه يطمئن إلى أنه لن يتعرض لما هو أسوأ منها)[2].

---

[1] مثل النكات، تخريب الممتلكات العامة، السرقة... الخ.

[1] التخلف الاجتماعي ، ص١٧٥-١٧٧.

وعقدة الاضطهاد –المتغلغلة عميقاً في نفسية الفارسي، والتي انتقلت بالحث والعدوى إلى كل شيعي – جعلت الشيعة في شعور دائم بالظلم والغبن، وصبغت نفوسهم بالحزن والأسى، وعبأتها بالانفعالات المتأججة والمتحفزة للثورة في كل حين. وهل يمكن أن تتخيل شيعياً لا يلهج بأنه مظلوم، مضطهد، مستضعف، مغتصب الحقوق؟ هذا أحوجه إلى أن يفتش عما ينفس عن كربه وأحزانه، ويفجر الدموع مدرارة من عيونه وأجفانه، بما يسمى في مصطلح علم النفس بـ(التفريج أو التصريف **Catharsis**) ومعناه: (تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطبيعة المؤلمة، من خلال وضعية يثار فيها الوجدان، وتنبعث الأحزان إلى درجة تزول معها الضوابط الواعية، في حالة من المشاركة بين الشخص الذي يعاني وآخرين يتعاطفون معه. يعقبه عادة ارتياح عام وعودة السكينة إلى النفس التي تنقاد للتعبير عن المعاناة أو المأساة بحرية تسمح بتصريف كل التوتر المتراكم. كالمشاركة الوجدانية في حالات الموت)؛ فكانت النياحة على (الحسين المظلوم) خير وسيلة مشرعنة لتحقيق ذلك. إنه في الظاهر يبكي على الحسين، لكنه في الحقيقة إنما يبكي على نفسه الحزينة إلى حد العقدة، التي ورثت الحزن من عقدة الاضطهاد الفارسية، التي لبست آثارها ثوب الدين لتظهر بالشكل المعلوم.

وأما عقدة الذنب: فبعد أن انتقلت من الفرس إلى كل المجتمعات الشيعية جعلتهم يشعرون بالحاجة الماسة إلى عقوبة النفس وجلد الذات تكفيراً عن ذنوبها. فقد مر بنا أن المصاب بعقدة بالذنب يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير – ولو بعقاب نفسه – التماساً للراحة، وتخففاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر. وهكذا ترى أن من يعاني عقدة ذنب يندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. سواء كان هذا العقاب مادياً أو معنوياً، فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. فتظهر عقدة الذنب واضحة لدى الشيعي وهو يجلد نفسه ويلطم صدره ويشدخ رأسه إلى حد فقدان الوعي أو الموت تحت ذريعة خيالية هي حب الحسين! وكان أول طقس نياحي في تاريخ الإسلام يوم خرج الشيعة في مسيرة جماعية إلى قبر الحسين بعد مقتله بقليل وهم يبكون وينوحون على خذلانهم إياه يوم ورطوه فاستقدموه ثم تركوه فلم ينصروه حتى قتل هو وأصحابه وأهله، يقودهم سياسي محنك متعطش إلى السلطة هو الدجال المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم خرج بهم – بعد أن ارتووا من البكاء والعويل – للقتال أخذاً بثأر الحسين. وقد تم له ما أراد فقتل والي

الكوفة عبيد الله بن زياد، وتولى الحكم بعده. لكنه – وكالعادة – لم يدم ملكــه طــويلاً. وقد عرفت حركته هذه بحركة (التوابين). فالشيعة – حــين يبكــون علــى الحســين ويجلدون أنفسهم و(يطبرون) رؤوسهم – لا يدرون أنهم مسيرون بعقدة الــذنب التــي تدفعهم لمعاقبة أنفسهم على ما اقترفوه من آثام واجترحوه من خطايا، ومنها أنهم كــانوا السبب في مقتل الحسين يوم دعوه لينصروه لكنهم خــذلوه وقتلــوه. نعــم! الشــيعة لا يعلمون بواعيتهم (= العقل الواعي) أنهم كانوا السبب في قتل (إمامهم)، لكنهم يــدركون أو يستشعرون بخافيّتهم (= العقل الباطن) أنهم هم الذين قتلوه، فالحسين قتله أهل الكوفة شيعة علي، لا يجادل في ذلك أحد، وإن كانوا بقيادة رجل من غيرهم؛ فهذا لا يبرر لهم أن يرتكبوا فعلاً بمستوى قتل (إمامهم). وقد استغل دجاجلة الفرس ذلك من أجل تحريك جموع الشيعة نحو وهم هو الأخذ بثأر الحسين! فتراهم على مــر التــاريخ يخرجــون ليثيروا الفتن والحروب ضد أهل السنة بهذه الحجة الواهية محملين إياهم تبعــة القتــل، بواسطة حيلة (الإسقاط) النفسية، التي حولوا بها التبعة عن نفوسهم وألصقوها بغيرهم. وهذا – من ناحية أخرى – يخدم أغراض الفرس، ويمهد لتحقيق أهدافهم. وهكذا تجــد أن هذا الطقس يصدر عن عقد فارسية، ويخدم أهدافاً فارسية.

وقد شهد على مثله شاهد من أهلها هو الدكتور علي شريعتي في كلام طويل نقتطف منه ما يلي: (من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمســيحية حيــث تضامن الاثنان لمواجهة الامبراطورية الإسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعــل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني وشكلت خطراً جدياً على أوربا. وقــد وجــد رجالات التشيع الصفوي أنه لا بد من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضــامن السياســي فعملوا على تقريب التشيع من المسيحية... ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوربا الشرقية – وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض – وأجــرى هنــاك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراســيم الدينيــة والطقــوس المذهبيــة والمحافــل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلــك حتى أنماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات. واقتــبس تلــك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي لإجــراء بعــض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية وبما ينسجم مــع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى بالتالي إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني ولا في

الشعائر الدينية الإسلامية. ومن بين تلك المراسيم النعش الرمزي والضرب بالزنجيل والأقفال والتطبير واستخدام الآلات الموسيقية وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسيم أنْ يشخص أنّ هذه ليست سوى نسخة من تلك... إن الشيء الذي كانت تهدف إليه الصفوية من هذه الأعمال ليس سوى تأجيج المشاعر الصفوية غير المنضبطة عبر ممارسة تلك الطقوس التراجيدية وعلى النمط المسيحي لا على النمط الذي يرتئيه الدين الإسلامي الحنيف والذي يحرص على أن يكون كل عمل يزاوله الإنسان شيئاً هادفاً وله على الصعيد التربوي نتائج وثمار محددة)[1].

ثم قال في موضع آخر : (إن التشيع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المسلم وتقوم فلسفة وجوده على أساس بث الفتنة وزرع الاختلاف بين أعضاء الجسد الإسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الأم الكبير، وما وجد التشيع الصفوي إلا من أجل تحقيق هذا الغرض، ويؤيد هذا التصور أن التشيع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في أوربا لضرب القوة الإسلامية التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الامبراطورية العثمانية البغيضة، وقد كانت الضربة التي وجهها التشيع الصفوي بمثلبة طعنة في الظهر، تجلت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفويين وسلاطين أوربا الشرقية تمخضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على العدو المشترك للمسيحية الغربية والتشيع الصفوي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية.

ومن هنا نرى أن مراسيم (التشبيه) وهي نسخة طبق الأصل من طقوس دينية يؤديها المسيحيون على خشبة المسرح، بدأت تتضمن لقطة جديدة يدخل في غضونها شخصية ترتدي الملابس الإفرنجية من السترة والبنطال وتنضم إلى معسكر الإمام الحسين وتقاتل معهم بحماسة واستبسال منقطعي النظير) إلى أن قال عن التشيع هذا: (هو تشيع يتعاطى مع كل العقائد والعقائد النبيلة المشار إليها بشكل مختلف ويحولها إلى أحقاد دفينة وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والإيرانيين. ويحيل الاختلاف بين التشيع والتسنن الذي يعكس في واقعه الاختلاف بين إسلام الشعب وإسلام الحكومة، بين إسلام الرب وإسلام الأرباب، بين إسلام النبي وإسلام الخليفة المزعوم! يحيله إلى حقد أعمى بين السنة والشيعة، بين المجتمع السني الموجود الآن وبين

---

[1] التشيع العلوي والتشيع الصفوي. مقتطفات من الصفحات: ٢٠٦– ٢١٨، الدكتور علي شريعتي.

المجتمع الشيعي الذي يعايشه، وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشيعية في سبيل تحقيق أهدافه ومراميه المتمثلة بإقامة الدولة الصفوية)[1].

النيران والمشاعل: وقبل أن أنتهي من الموضوع أو تنبيه القارئ إلى النيران والمشاعل التي ترافق بكثافة هذه المراسيم والطقوس. وكل من شاهد مواكب النواح واللطم وضرب الزناجيل التي تظهر على الشاشة الإيرانية يرى بصورة لا يمكن أن تخطئها العين مشاهد النيران التي تؤجج في مواقد كبيرة هنا وهناك، والبرج الذي يرتفع في طرف ساحة المسيرة كيف تنبعث منه النار، والمشاعل التي يحملها الأشخاص المشاركون في المسيرة وكيف يحمل كل واحد منهم المشعل بيد ويلطم صدره باليد الأخرى! ومنهم من يحمل جوقة من المشاعل ويمشي بها بين القطيع! كذلك ليلة العاشر من محرم تحيى بإشعال النيران إلى الصباح. وليلة (المِحيا) – وهي ليلة الخامس عشر من شعبان من كل عام التي يعتقد الشيعة أنها ليلة مولد المهدي – أهم وأبرز طقس فيها إشعال النيران مع ترديد عبارة (مشعل يا دايم)! حتى تمثيلية (المقتل) تنتهي بإحراق الخيام بالنار والدوران حولها !!

وهذا كله يشير إلى العلاقة الواضحة بين الطقوس الشيعية الدينية والطقوس المجوسية الفارسية بصورة لا تقبل الشك، ولا تحتاج إلى التأكيد لدى كل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

١٨. التمسك الشديد بالتقاليد والبدع

التشيع في صورته الحالية دين ابتدعه الفرس، ليضاهئوا به دين الإسلام، ويضربوه به، وينخروه من الداخل. فالبدعة أساسه وبناءه، وإطاره ومضمونه، وروحه وجسده. عقائده بدع وشعائره كذلك! فالعصمة والإمامة وتقديس المراجع، والتقية وتحريف القرآن وتكفير الصحابة، وعاشوراء والنياحة واللطم والتطبير ومواكب العزاء، والمراقد والقباب والزيارات والسدانة والنذور، والحج والصيام والأذان والأدعية والصلوات – على الطريقة الشيعية – والتربة، والأعياد والنيران والخمس والحقوق، والصور والأعلام والطبول... وقائمة لا تنتهي من هذه البدع والخزعبلات. ومع ذلك ترى الشيعة يتمسكون بها أشد التمسك.

[1] أيضاً ، ص٢٦٣،٢٦٤.

يكشف لنا التحليل التالي السر وراء انتشار البدع عند الشيعة،وتحول الدين عنـــدهم إلى مجموعة من الطقوس والتقاليد المتوارثة (فلكلور شعبي) ، يتمسك بها العوام تمسكاً لا فكاك لهم عنه:

(التمسك بالتقاليد يحمي الإنسان المقهور من مشاعر الخزي الذاتي، المرتبط بالمهانة التي تتصف بها مكانته الاجتماعية. التمسك بالتقاليد يحمي الإنسان المقهور من مجابهة ذاته، تلك المجابهة التي تقلقه كثيراً، من خلال أوالية الهروب نحو الخـــارج، الـــذوبان التقليدي والشائع، والانضواء تحت قانون العرف.

وتصل الوظيفة الدفاعية للتمسك بالتقاليد أوج فعاليتها بما تتضـــمنه مـــن اســـتلاب عقائدي يتعرض له الإنسان المقهور. فالتمسك بالتقاليد واحتـــرام الأعـــراف ومراعـــاة العادات، يعاش كمصدر للاعتبار الذاتي، نظراً لما يتضمنه من قبـــول اجتمـــاعي. إن الإنسان المقهور الذي لا شرف له يتخذ من تمثل التقاليد والأعراف مصـــدراً للشـــرف والاعتبار، يتخذ من قدرته على مراعاة المعايير السائدة مصدراً للكبرياء والرضا عـــن الذات...

إن أكثر العناصر استلاباً وقهراً في المجتمع المتخلف هي أشدها عدوانيـــة وعنفـــاً على من حاول التمرد على التقاليد، وتحدي المعايير وخرقها. فهنـــاك فـــي المجتمـــع المتخلف تعبئة نفسية ضد كل من يخرج على التقليد، إنها الفضـــيحة تلاحقـــه، وهـــو يستباح في سمعته ورزقه وحياته. ويأخذ العدوان عليه طابع التشفي والبطش والتشهير، يتحالف الكل للنيل منه. وفي كل ذلك تصريف واضح لما تراكم عند كل فرد من أفراد الجماعة، خصوصاً المقهورين منهم، من حقد وعدوانية نابعين من الإحبـــاط والمهانـــة اللذين يتضمنهما الغبن المفروض عليهم. في هذا الحقد المتشفي الـــذي يصـــب علـــى العنصر الخارج على العرف (خصوصاً إذا كان امرأة) إحساس بشيء مـــن الاعتبـــار الذاتي من خلال توكيد الانتماء للجماعة والتمسك بمعاييرها. وفيه بالإضافة إلى ذلـــك نوع من الشعور بالكبرياء والتعالي، من خلال صب العار على الضحية التي لحقت بها فضيحة المساس بشرف التمسك بالمعايير والأعراف. وفيه أيضاً إسقاط لمشاعر الذنب الذاتية التي لا بد أن تصاحب الإحساس بالفشل والمهانة عند الإنسان المقهور، والتـــي تظل عادة مكبوتة، على العنصر المتمرد: هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب. وعنـــد هذه النقطة لا يعرف التشفي حدوداً، وهو متناسب عادة مع درجة القهر الـــذي يـــرزح تحتها الإنسان. والحقيقة أن هذا التشفي يتضمن في بعض أوجهه دفاعاً ضد الإغـــراء

بالتمرد على غرار العنصر المارق، الذي تجرأ على خرق مقدسات الجماعة. فهذا التمرد الكامن موجود دائماً عند الإنسان المقهور. ولكنه يقمع في الحالات العادية خوفاً من الأخطار التي يتضمنها على شكل ردة فعل اجتماعية قمعية. وبمقدار ما يزداد الإغراء بالتمرد ويشتد الخوف من الإقدام عليه تستشري عند الإنسان المقهور ردود فعل التشفي في حالة من الهروب عن مجابهة الذات من خلال الذوبان في الجماعة، والتعصب لمعاييرها وتقاليدها)[1].

تجد الأمثلة كثيرة في المجتمع الشيعي ، على هذا التحليل العلمي لأصحاب النفسية الاضطهادية – ذكرنا بعضها آنفاً – والعداء السافر لكل من خرج عليها، ومحاربته في سمعته ومكانته، ومضايقته في رزقه ووظيفته. وأشد الناس تعصباً في ذلك هم أشدهم تخلفاً وشعوراً بالاضطهاد (إن أكثر العناصر استلاباً وقهراً في المجتمع المتخلف هي أشدها عدوانية وعنفاً على من حاول التمرد على التقاليد، وتحدي المعايير وخرقها) : فالذي قام باغتيال السيد محمد اسكندر الياسري رحمه الله تعالى نائب ضابط هارب من الخدمة العسكرية، مبتور الذراع. والسيد محمد اسكندر من خيرة العلماء العاملين، الذين خرجوا على تقاليد الطائفة البالية، وتحدى معاييرها الزائفة، وحاولوا إصلاحها من الداخل.

١٩. تجميد التاريخ

وقبل أن تقرأ التحليل التالي استحضر في مخيلتك كيف يستغرق الشيعي في أحداث معينة من الماضي، ويجمد حيالها حتى كأن عجلة التاريخ قد توقفت حركتها عند أعتابها، وتوقف الزمن فلا حاضر إلا ذلك الماضي بأحداثه تلك: (باب خيبر، الخندق وأسطورة ابن ود العامري، غدير خم، خرافة كسر ضلع الزهراء، معركة الجمل، صفين، الطف)، وما يرافق ذلك وغيره من الأحداث من الطعن في تاريخ الأمة وتشويهه ليتطابق مع الرغبة المنحرفة للنفسية الفارسية في ما تتمنى هذه النفسية أن يكون عليه تاريخنا، لا ما هو عليه في الواقع. والعكس يفعله فيما يرغب أن يكون عليه مثله الأعلى، وهو الإمام، لا ما هو عليه في الحقيقة. يجتر الشيعي من خلال تلك الحوادث – التي رسم صورتها كما تشتهي نفسيته المريضة، وجمدها على تلك

---

[1] أيضاً ، ص١٠٩-١١٠.

الصورة – شعوره بالغبن والاضطهاد، ويسترجع لحظات من النشوة حين ترتسم في ذهنه صورة إمامه الأسطورية في الفروسية وقتال الأعداء، أو الصبر على تحمل المعاناة، أو المثالية في التعبير عن قيم الرجولة والشهامة والمروءة ، أو القدرة الفائقة على حل المشاكل وتحقيق الخلاص السحري من المآزق (المهدي المنتظر):

يقول د. مصطفى حجازي: (يتنكر الإنسان المقهور لهذا الحاضر الذي يشكل مرآة تعكس له مأساته، أو هو يجتر هذا البؤس. ولكن الغالب هو التذبذب ما بين التنكر والاجترار. وهو يدافع عن نفسه إزاء كل ذلك بالهروب في الماضي المجيد ذاتياً وقومياً. فالماضي حصن من لا حاضر له، ولا مستقبل له... ويحدث نوع مما يسمى بالتماهي الإسقاطي (تمثل صورة البطل ليس كما هو حقيقة ، بل كما نرغبه أن يكون كاملاً فائقاً ذا جبروت) في علاقة الإنسان المقهور بأبطال القصص الشعبي.

البطل في القصص الشعبي أسطوري. فهو من الناحية الجسدية القوة المطلقة، التي تأتي بالخوارق وتجابه كل التحديات. وهو في السلاح قمة الخبرة والفروسية. يصور على درجة كبيرة من الضخامة، فرسه نادرة وسلاحه لا يتكمن سواه من حمله والقتال به. وشجاعته تصمد أمام كل امتحان، وهو يخرج دائماً منتصراً من أقسى امتحان. ويتحلى بطل القصص الشعبي بكل الفضائل النفسية والخلقي، ويتمتع بكل قيم الرجولة والشهامة والكرم. وهو إلى ذلك البطل القوي العادل الذي يتصدى لكل معتد، وكل ظالم، وكل عدو داخلي أو أجنبي، مدافعاً عن جماعته وأهله المعرضين من دونه لأشد الأخطار الحياتية. إنه البطل المنقذ، مبعوث العناية الإلهية كي يرفع التهديد عن الإنسان الضعيف، إنه رمز العدل والأمن الوجودي .

استعراض حياة هذا البطل الأسطوري، كما يرويها رواة القصص الشعبي، هي دائماً سلسلة من الأزمات وحلقات متصلة من الخطوب. لا يخرج من أزمة حتى يقع في التي تليها، ولا ينتصر على خطب حتى يقع في مأساة جديدة. حياته ملحمة دائمة من الثبات أمام أقسى اختبارات الحياة، والخروج منتصراً منها. وهي إلى ذلك حلقة متصلة من التفاني من أجل الآخرين.

بطل القصص الشعبي بكل أسطوريته، هو مجرد إسقاط لأمل الإنسان المقهور في الخلاص، لرغبته الدفينة في امتلاك القدرة على مجابهة قدره. حياته مجرد مرآة للاختبارات المتلاحقة التي يتعرض لها الإنسان المقهور ويعجز عن اجتيازها، بينما ينجح البطل في ذلك. من هنا ندرك سبب إقبال الجماهير على حلقات رواية هذه

القصص، وندرك سبب الاندماج في الاستماع إلى الراوي. إنها لحظة عـزاء وسـلوى عن آلام الواقع الراهن ، إنها لحظة عز وكبرياء وأمل وشعور بالاعتبار الـذاتي مـن خلال التماهي ببطولات الفارس صانع الخوارق. ويزداد انتشـار حلقـات القصـص الشعبي بمقدار الغبن المفروض على الإنسان، ومقدار خلو الحاضـر مـن الأمجـاد. قصص البطولات الشعبية من الأمجاد. قصص البطولات الشعبية من الناحية النفسـية، عرض لمأساة الجماهير، من ناحية، وأملها في الخلاص، في تغيير المصير من ضعف إلى قوة ، ومن مهانة إلى عز، من ناحية ثانية)[1].

والعبارات الأخيرة تفسر غرام الشيعي بسماع قراءة (المقتل)، وحرصه على القيـام بطقوس العزاء والنياحة.

٢٠. الشعوبية والتآمر على الوطن

كل الشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام تحب العرب وتجلهم وتكن لهم الاحترام والتقدير على ما جلبوه لهم من خير تمثل في الدين الذي حملوه إليهم وتكبدوا المشـاق والدماء في سبيل إيصاله إلى تلك الشعوب. إلا الفـرس..! فـإنهم يبغضـون العـرب ويزدرونهم حتى إنهم إذا أرادوا الإشارة إلى أحد باحتقار نبزوه بقولهم: (عرب) بترقيق الراء على طريقتهم بالنطق!

عقدة اللؤم: وبغض الفرس للعرب ناشئ من (عقـدة اللـؤم) أو نكـران الجميـل. فالسبب الذي حمل بقية الشعوب على حب العرب هو نفسه الذي حمل الفـرس علـى بغضهم. وهي عقدة متفرعة عن عقدة قديمة يشعرون بها تجاه العـرب هـي (عقـدة النقص). فقد مر بنا قول البروفسور عماد عبد السلام : إن التحدي الحقيقي الذي كـان يواجه الفرس على مدى التاريخ هو ذلك التحدي القادم من غرب إيران أي من الـوطن العربي. بيد أنه – على قوته – لم يكن عسكريا بقدر ما كان حضارياً. ولما لم يكن هذا الغرب يمثل إلا مصدر إشعاع للحضارة، لا خطرا ماديا حقيقيا فإن العقليـة الفارسـية تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلـك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه لأنهـا تمثـل خطـراً يهـدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها، فلقد اعتنق الفـرس الإسـلام كسـائر

---

[1] التخلف الاجتماعي ، ص١١٢-١١٣.

شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحرف العربية لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها. وكان إحساس الفرس بتخلفهم تجاه الفعل الحضاري الآتي من الغرب يتخذ وضعا حادا انعكس على شكل رد فعل غير حضاري نحوه استهدف تدمير الحضارة فيه، أو مكافأة تأثيره على الأقل، ولكن بالفعل العسكري وحده.

لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل انه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه. وظف الحكام الفرس هذه العقدة النفسية في صالح هيمنتهم على القوميات المحيطة بهم بأن أشعروها على الدوام بأن تصديهم لهذه المؤثرات رهين باستمرار الهيمنة المركزية عليها. وهذا ما توحي به إيران إلى الشيعة في العراق وغيره من الدول المجاورة. وتطرح نفسها على أنها المنقذ للشيعة، والمدافع عن حقوقهم، لا منقذ لهم ولا مدافع عنهم غيرها، وأن الآخرين المحيطين بهم يريدون أن يبتلعوهم، ويُلغوهم من الوجود؛ فلا منجا لهم إلا إيران، ولا ملجأ إلا إليها.

وهي السياسة القديمة نفسها التي مارسها الفرس مع مواطنيهم من القويات الأخرى في عزلهم عن أقوامهم الأصلية ، عن طريق تخويفهم منهم ، وإظهارهم بمظهر الخطر العظيم على وجودهم بغية ضمان اصطفافهم إلى جانبهم وضمهم تحت جناح سيطرتهم وحكمهم. وهذا ما يتخيله جمهور الشيعة في العراق، وهو السر الذي لأجله يصرحون بعدم رغبتهم في تدخل العرب في شؤونهم، وترك العراق للعراقيين، واتهام العرب بأنهم لم يقفوا في محنتهم إلى جانبهم. إن عامة الشيعة اليوم يجدون في إيران الرئة التي يتنفسون بها؛ فهم يشعرون بالاختناق حين يولون وجوههم شطر العرب، ولا يستشعرون الراحة والطمأنينة إلى في كنف إيران، العدو الأول للعراق وللعرب عموماً.

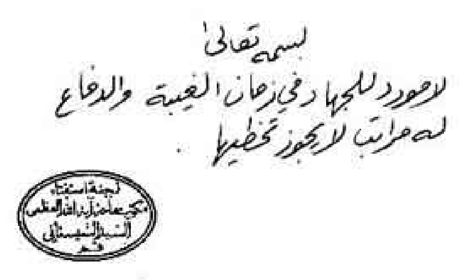
وهو السبب الذي يدفعهم إلى الوقوع في شرك المخططات الشعوبية، ومنها الانخلاع من الوطنية الصادقة، والرضا بالمحتل واستقدامه ومعاونته للدخول إلى وطنهم والتشبث به خشية أن يقعوا تحت حكم الآخر الذي يصوره دهاقنتهم وحشاً مرعباً يريد أن ينقض عليهم ويقتلعهم من الوجود. قبل أيام من موعد الانتخابات الأخيرة (٢٠٠٥/١٢/١٥) اجتمع القادة الدينيون للمحافظات التسع الشيعية في النجف،

وخطب فيهم الشعوبي المخذول الإيراني عبد العزيز الحكيم داعياً إياهم للتصويت لقائمتهم سيئة الصيت وإلا فإن (الأمويين) – حسب تعبيره – والتكفيريين قادمون، إشارة واضحة منه إلى العرب السنة. وهدد بانفصال ما أسموه بـ(إقليم الجنوب) إذا زورت نتائج الانتخابات ولم تأت طبقاً لما يريدون.

WWW.SISTANI.ORG

From:
Sent: الاحد، ٢٥ صفر، ١٤٢٧ ٠٨:٢٧ ص
To: info@sistani.org
Subject: حول أحقية الجهاد ضد المحتل

الاسم : أحمد الحاج حنطة
الموضوع : حول أحقية الجهاد ضد المحتل
البريد الالكتروني :
السؤال :
هل الجهاد في سبيل الله ضد المحتل الأمريكي واجب علينا حاليا. حاولت العثور على فتاوى الجهاد في رسالتكم الكريمة فلم أجدها، أفيدونا أثابكم الله


بسمه تعالى
لا وجود للجهاد في زمان الغيبة والدفاع
له مراتب لا يجوز تخطيها

فتوى السيستاني في تحريم الجهاد وعدم جواز قتال المحتل الأمريكي

وطن الشيعي طائفته: وبهذه الطريقة التلويحية تمكن الفرس – كعبد العزيز هذا وأسياده – من سلخ المتشيع بتشيعهم من الانتماء إلى وطنه، أو الشعور بعلاقة المواطنة مع الآخر. وتعويضه بالانتماء إلى المرجع والطائفة فحسب. فوطن الشيعي طائفته أينما كانت، ليس له وطن غيرها؛ وأمه وأبوه (مرجعه) ولو كان شيطاناً مريداً ! ولذلك تجده يتعصب لإيران، وينتمي إليها، ويخدم أهدافها، متخذاً منها ملاذاً يطمئن إليه. وتمثل (الحوزة) الرمز الأقرب للانتماء، وما (الحوزة) إلا وكر أو مؤسسة من مؤسسات إيران الاستخبارية. ومن هنا صار الشيعي – وإن كان عربي الأصل – شعوبياً يتعلق بإيران، وينفر من العرب، سريع المبادرة إلى معاونة كل من يتآمر على وطنه طمعاً بالخلاص من الوهم. يعزز ذلك شعوره بالاضطهاد والخوف من الآخرين، حكاماً ومحكومين. إنهم يهددون كيانه، ويمحون وجوده. هكذا يشعر.

النظرة إلى الحاكم: يتكلم د. حجازي عن نظرة الإنسان الاضطهادي إلى المتسلط أو الحاكم، ليربط بينها وبين ضعف الشعور الوطني، وكيف يتحول إلى إنسان غوغائي مخرب مدمر متى ما ضعف أثر السلطة (صفحة الغدر والخيانة سنة ١٩٩١ مثلاً) فيقول: (أما صورة المتسلط فهي بدورها عامل تفجير للعدوانية. إنها لا تمثل الأب الحاني العطوف، بل تثير صورة الأب المهدد القاسي. تعاش كسلطة مهددة لا يتمكن المرء من التماهي الإيجابي بها، الذي يتم عادة مع صورة الأب الطيبة، والذي يفتح السبيل أمام نشأة العلاقات الإنسانية الإيجابية... وطالما استحال التماهي مع صورة إيجابية متعاطفة وحامية للحاكم، فإن ذلك يزعزع روابط الانتماء إلى الجماعة والإخاء في المواطنية. ففقدان روابط الانتماء الاجتماعي يقود مباشرة إلى فقدان الالتزام تجاه الآخرين، وفقدان الاحترام لما هو عام ومشترك، مما يفتح السبيل أمام بروز الأنوية المفرطة. تنهار قيمة الآخر، في هذه الحالة، لأن العلاقة معه لا تؤمن للمرء قيمته الذاتية، لا تمده بالاعتراف بذاته من خلال اعتراف الآخرين به. وهكذا تسود الأنانية على حساب المصلحة العامة. **تبرز هذه الأنانية التي لا تعرف حدوداً ولا ترعى للآخرين حرمة حين تضعف السلطة القامعة أو تغيب عن المسرح لأمر ما.** عندما يتحول المجتمع إلى غابة ذئاب. انعدام الشعور بالانتماء، مع ما يستتبعه من انعدام للشعور بالعدالة والعدل في نيل الحظوظ ، يولد عند الإنسان قلق الوحدة، وقلق التهديد يأتيه من الآخرين، مما يفجر عدوانيته دون حدود. تتخذ العدوانية هنا تحديداً طابع تغليب المصلحة الذاتية بشكل مطلق، وقد تتخذ طابع السلب واستباحة الآخرين في حالات خاصة)[1].

عقيدة الإمامة: إن (عقدة الاضطهاد) تجعل الشيعي يعيش شعوراً متصلاً بالغبن والمظلومية، و(عقدة النقص) تجعله يتطلع إلى مخلص خارجي. وعقيدة (الإمامة) الناشئة من (عقدة النقص) و(عقدة السيد) والتي يكفر على أساسها الآخر تبرر له هذا التطلع، واستعداء الكافر الأجنبي عليه أملاً بالتخلص منه؛ فكلا الفريقين في اعتقاده كفار. وعلى فرض أن الآخر مسلم – وهو ليس أكثر من مسلم في الظاهر كافر في

---

[1] التخلف الاجتماعي ، ص٢٠٥-٢٠٦.

الباطن كما عليه إجماع علمائهم – فإن الكافر العادل خير من المسلم الجائر كما يشيع دعاة التشيع الفارسي في الزمن القديم والحديث.

ليسوا سواء

هذه هي أهم العقائد والشعائر والممارسات العملية في التشيع، المنقلبة عن العقد النفسية الفارسية. على أننا لا نجنح إلى تعميمها على كل الشيعة. ففي كل الأحوال تبقى أقلية تخالف التيار، تبتغي الحق، وتعبر عن الخصائص الأصيلة للنفسية العربية السليمة. وهي وإن كانت في غالبها مستغفلة، وفي النهاية غير قادرة على إحداث التأثير المطلوب في سير التيار العام، لكن الواجب الشرعي يحتم علينا أن ننوه بها، ونبحث عنها. كما نسعى كذلك لتشجيعها، والأخذ بيدها إلى شاطئ السلامة وبر الأمان؛ أملاً بالوصول إلى جعلها فاعلة في وسطها بالاتجاه المؤثر الصحيح. والله تعالى يقول: (**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**) (آل عمران:١١٣).

الفصل السادس

الصلة النفسية بين الشيعة واليهود

بين الفرس والشيعة وبين اليهود صفات مشتركة، و.. صلات.

وهو ما يفسر لنا سر العلاقة التاريخية الجامعة بينهما. فـ(عندما جاء قمبيز إلى مصر قدم اليهود فروض الولاء لهذا الملك الفارسي الذي أظهر عطفه على اليهود، ولم يمس معبدهم بسوء. في حين أن كثيراً من معابد المصريين تعرضت للتدمير والتخريب. وساهم اليهود في إخماد ثورة المصريين ضد الفرس)[1].

وقمبيز هذا هو ابن الملك الفارسي كورش الذي تآمر مع أخواله اليهود فاحتل العراق ودمر بابل، وأعاد اليهود إلى فلسطين وبنى لهم هيكلهم؛ فاعتبروه مخلصاً ربانياً لهم، ووصفوه بأنه المسيح المنتظر. وقد مجدوه بذلك في توراتهم فقالوا: (هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش، الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحل أحزمة ملوك، لأفتح أمامه المصراعين، فلا تغلق الأبواب. إنني أمشي أمامك، وأمهد الهضاب، وأحطم مصراعيّ النحاس، وأكسر مزاليج الحديد، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابئ، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك، إله إسرائيل، لأجل يعقوب عبدي، وإسرائيل الذي اصطفيته دعوتك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفني) (أشعيا ٤٥: ١-٤)[2].

وقديماً عبد اليهود العجل رمز القوة عند قدماء المصريين. ولو كانت نفوسهم سوية أبية لكفروا به وحطموه؛ لأنه معبود أعدائهم الذين أذلوهم واضطهدوهم. لكنها نفوس خربة منحرفة لا تستجيب إلا لمنطق القوة التي تقدسها وتحترمها إلى حد العبادة. ولا تنقاد إلا لمن يذلها ويقهرها. ولأمرٍ ما كانت معجزتهم (العصا) – عَلامةَ الانصياع والإذلال. وقد أخذ الله تعالى عليهم الميثاق تحت الطور الذي رفعه فوقهم كالظلة. وكانت مواعظ النبي محمد ﷺ ومحاولاته السلمية تذهب دائما أدراج الرياح: فكان ﷺ في كل مرة يلتجئ إلى القوة كحل أخير أو نهائي وحيد، لدفع ضرهم، إن لم يفلح في

---

[1] الجيتو اليهودي ، ص٥٦ ، الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

[2] الشخصية الإسرائيلية ، ص٦٧ ، دكتور حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م.

كسب نفعهم. حتى قال الرب جل وعلا: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:٧٥،٧٦). وهي أخلاق المصابين بعقدة (الفارسية) يحرفون كلام الله، وتسعة أعشار دينهم التقية والكذب!

تشابهت قلوبهم فتشابهت عقائدهم

يقول تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (البقرة:١١٨). فأرجع الله تعالى السبب في تشابه العقائد إلى تشابه القلوب. وهو كما قال تعالى في موضع آخر: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) (الذريات:٥٢،٥٣).

فإذا كان الزعم بأن اليهود كالشيعة يعانون من أمراض وعقد نفسية، وأن هذه العقد هي التي كونت عقائدهم، وأن الفريقين متشابهون في أصول أمراضهم وعقدهم؛ فلا بد أن ينعكس هذا التشابه في العقد تشابهاً في العقائد. وهذا ما سنثبته في هذا الفصل إن شاء الله. والذي أريد أن أصل إليه هو أن تشابه العقائد راجع إلى تشابه القلوب والعقد. فتكون النتيجة – ضرورةً – تشابه العلاج الذي ينبغي أن يوصف للطرفين. وإذا كان اليهود علاجهم قد وضعه الله تعالى بين ثنايا كتابه، وطبقه رسوله ﷺ في سنته وسيرته، فما علينا إذن غير تعيين عناصر هذا العلاج، ونقله إلى دائرة الشيعة.

علماً أن التشابه بين الطرفين لاحظه المختصون منذ زمن مبكر. منهم شيخ الإسلام في (منهاج السنة). وكتبت فيه مؤلفات. ولهذا لم يكلفني هذا الموضوع سوى الجمع والتأليف، مع زيادات مهمة ليست كثيرة. فجزى الله خيراً من سبق وكتب فيه، ووفر علينا عناء البحث من أول الطريق. ولا ننسى أن المؤسس الأول للتشيع – عبد الله بن سبأ – كان فارسياً يهودياً؛ فاللقاء بين اليهود والفرس والشيعة كان من البداية.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول في تشابه الفريقين في العقائد.

المبحث الثاني في تشابههما في العقد والأمراض النفسية من خلال البحـــث فـــي المعالم النفسية لدى الشخصية اليهودية.

المبحث الثالث في عناصر العلاج الرئيسة، من خلال النظر في المنهج القرآنـــي في التعامل مع اليهود.

المبحث الأول

تشابه عقائد الشيعة مع اليهود

الدفعة الأولى: خمس عقائد مشتركة

مما يلفت الانتباه عند النظر في حديث القرآن الكريم عن اليهود جملة آيات في موضع واحد منه تطرقت إلى ذكر خمس عقائد من عقائدهم، وقد تصدرت بالتيئيس من إيمانهم بسبب وجودها عندهم. هذه العقائد الخمسة موجودة بنصها عند الشيعة!

يقول تعالى:

١. (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) (البقرة:٧٥). وفي الآية الحديث عن عقيدة التحريف المشتركة بين اليهود والشيعة.

٢. (**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**) (البقرة:٧٦). وفيها عقيدة (التقية) المحرفة عند الطرفين. (**أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**) (البقرة:٧٧).

٣. (**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ**) (البقرة:٧٨). وغالب الشيعة – وفي مقدمتهم علماؤهم – جهلة بما في الكتاب، لا يعلمون عنه (إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ). وحوزاتهم ليس فيها درس للقرآن! ولا من منهاجهم حفظ جزء واحد منه! ويبقى الطالب يدرس أكثر من عشر سنين لا يمسك بيده في حجرة الدرس المصحف يوماً من الأيام! ونادراً ما سمعت معمماً شيعياً يتلو آيات من القرآن إلا ويخطئ فيها! وقد حرفوا معانيه وطوعوها لأمانيهم وظنونهم؛ فهم أولى العالمين بقوله تعالى: (**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ**).

٤. (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**) (البقرة:٧٩). وهذا ما يفعله علماء الشيعة بلا استثناء.

٥. (**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**) (البقرة:٨٠). بل إن الشيعة سبقوا اليهود في هذه! فاليهود سلموا بأن النار ستمسهم أياماً معدودة. أما الشيعة فيعتقدون أن النار لن تمسهم قط مهما عملوا من ذنوب، وارتكبوا من فواحش واجترحوا من معاصي!!! والمعروف أن عقائد الشيعة وطقوسهم تتطور مع الزمن، فلا يأتي عليهم زمان إلا والذي بعده شر منه. فلعلهم طوروا هذه العقيدة بعد أن أخذوها عن اليهود.

سلسلة من العقائد والطقوس المتشابهة

وهذه بعض العقائد والطقوس المشتركة بين اليهود والشيعة:

اليهود	الشيعة
١. تعطيل العقل والتسليم للحاخام أوجبت اليهود تصديق الحاخام حتى لو قال بأن يدك اليسرى هي اليمنى! جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء وزيادة... فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمني هي اليسرى وبالعكس فصدق ولا تجادله). الكنز المرصود في تعاليم التلمود، يوسف نصر الله ، ص ٤٦.	**١. تعطيل العقل والتسليم للفقيه أو الإمام** وكذلك قالت الشيعة بوجوب تصديق الإمام حتى لو قال بأن الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار! فقد ادعوا أن جعفر بن محمد سئل: يا ابن رسول الله إن الرجل يُعرف بالكذب يأتينا بالحديث عنكم أنرده؟ قال: يقول لكم: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار؟ قالوا: ما يبلغ هذا الحد. فقال: إن قال لك: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار فلا تكذبه؛ فإنك أن كذبته إنما كذبت جعفر بن محمد. بصائر الدرجات ، ص ١٥٤.
٢. الحاخامات يعلمون الملائكة الدين يزعم اليهود أن الحاخامات (الربانيين) يعلمون أهل السماء. جاء في التلمود: (أن الربانيين يعلمون أهل السماء). همجية التعاليم الصهيونية ص ٢٥. بل قالت اليهود بأن الله يستشير الحاخامات في حلول أي مشكلة معضلة. جاء في التلمود: (إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في	**٢. الأئمة يعلمون الملائكة الدين** ويزعم الشيعة أن أئمتهم هم الذين علموا الملائكة التوحيد. جاء في رواية طويلة فيما افتروه على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي: (... ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واستعظموا أمورنا فسبحنا لتلعم الملائكة أنا مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا... فبنا اهتدوا

السماء). الكنز المرصود ، ص ٤٦.	إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده). علل الشرائع ، ص٥.
٣. الشريعة كلام الحاخامات يتمسك اليهود في جميع أنحاء العالم بتعاليم التلمود، ويعتبرونه كتاباً منزلاً. إذ يرون أن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام التوراة على طور سيناء مدونة. ولكنه أعطاه التلمود مشافهة. ولا يكتفي اليهود بهذا، بل يضعون التلمود في منزلة أسمى من التوراة والتلمود من ستة الاف صفحة. جاء في التلمود: (يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة أي التوراة). الكنز المرصود ، ص ٤٥. بل جاء فيه: (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة. ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى).	**٣. الشريعة كلام الأئمة أو المراجع** يقول الخميني دجال الشيعة: (إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة). الحكومة الإسلامية ، ١١٢. قارن هذا القول بما ينسبه الكليني كذباً إلى جعفر الصادق أنه قال: (ما جاء به علي (ع) آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه... المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله). أصول الكافي: ١٩٦/١.
٤. الرد على الحاخام كالرد على الله يعتقد اليهود بأن من جادل حاخامه كمن جادل الله. جاء في التلمود: (من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ؛ وكأنه جادل العزة الإلهية)/ الكنز المرصود ، ٤٦.	**٤. الرد على الإمام أو الفقيه كالردعلى الله** ويتعقد الشيعة العقيدة نفسها في الإمام بأن الراد على أئمتهم كالراد على الله. يقول محمد رضا المظفر: (أن أمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته و.. ولا يجوز الرد عليهم والراد عليه كالراد على رسول الله

	والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى) عقائد الإمامية ، ص ١٠٦. وكذلك الأمر بالنسبة للفقهاء (الحاخامات) يقول محمد رضا المظفر وغيره: (عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله) عقائد الشيعة لمحمد رضا المظفر ص٩ .
٥. اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله قال تعالى عن اليهود والنصارى: (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) (التوبة:٣١). وذلك بأن أنزلوا كلامهم منزلة كلام الله أو أشد. أحلوا لهم وحرموا عليه فأطاعوهم حتى لو كان في خلاف طاعة الله.	**٥. اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله** وكذلك يفعل الشيعة بعلماءهم حذو القذة بالقذة. وما أسلفناه في الفقرة السابقة أوضح شاهد.
٦. الحاخامات أعلى مرتبة من الأنبياء يدعي اليهود أن حاخاماتهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام. جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء لأن أقوالهم هي قول الله الحي) الكنز المرصود ، ص ٤٦.	**٦. الأئمة أعلى مرتبة من الأنبياء** ويدعي الشيعة أن أئمتهم أفضل من الأنبياء والرسل والملائكة المقربين عليهم السلام. يقول الحر العاملي: (الأئمة الاثني عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة

	وغيرهم). الفصول المهمة ص ١٥٢. ويقول حاخام إيران الأكبر الخميني: (إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل... ووردَ عنهم عليهم السلام: إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل). الحكومة الإسلامية ، ص ٥٢.
٧. عصمة الحاخام يعتقد اليهود بعصمة حاخاماتهم. يقول الحاخام روسكي أحد كتبة التلمود – معلقاً على خلاف وقع بين حاخامين: (إن الحاخامين المذكورين قالا الحق؛ لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ) الكنز المرصود ، ص ٤٧.	**٧. عصمة (الإمام)** ويعتقد الشيعة بعصمة أئمتهم. وهذا أمر أطبقوا عليه جميعاً، ولا يحتاج إلى شواهد. يقول محمد رضا الظفر: (ونعتقد أن الأمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً) عقائد الإمامية ص ١٠٤.
٨. عقيدة الرجعة وقد ذكرها ابن سبأ اليهودي الفارسي يوم قال للذي نعى علياً رضي الله عنه : (كذبت! لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا انه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض).	**٨. عقيدة الرجعة** وهذه العقيدة موجودة عند الشيعة بنصها. وقد ألفوا فيها مؤلفات مستقلة. ومن رواياتهم فيها: عن أمير المؤمنين (ع) قال: أنا قسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلها الداخل إلا على حد قسمي... وإني لصاحب الكرات ودولة الدول. الكافي ، ١٩٨/١. قال في الحاشية: أي الرجعات إلى الدنيا.
٩. عقيدة البداء جاء في التوراة أن الله قد بدا له أنّ شعبه	**٩. عقيدة البداء** والعقيدة نفسها يرددها الشيعة. ورووا في

المختار شرد في الأرض فحزن كثيراً وأخذ يبكي وينوح.	فضلها الكثير، منه: عن أبي عبد الله: قال: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه. الكافي ، ١٤٨/١.
١٠. شتم عيسى عليه السلام زعم اليهود بأن عيسى عليه السلام يعذب أشد العذاب في لجات الجحيم جاء في التلمود (أن يسوع الناصري موجود بين القار والنار) الكنز المرصود، ص ١٠١.	**١٠. شتم الصحابة رضي الله عنهم** وزعم الشيعة أن الخلفاء الراشدين يعذبون بتابوت في نار جهنم يتعوذ أهل النار من حره: يروي القمي في تفسير (قل أعوذ برب الفلق) قال: الفلق جب في نار جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره . فسأل الله من شدة حرة أن يتنفس فإذن له فتنفس فأحرق جهنم. قال: وفي ذلك الجب صندوق من نار جهنم يتعوذ أهل الجب من حر ذلك التابوت الصندوق. وهو التابوت وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين. فأما الستة التي من الأولين فأبن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى. وأما الستة التي من الآخرين فهم الأول والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم لعنهم الله) تفسير القمي ، ٤٩٩/٢.
١١. رمي السيدة مريم بالفاحشة رمى اليهود لعنهم الله مريم رضي الله عنها بالفاحشة مع تبرئة الله لها. جاء في	**١١. رمي السيدة عائشة بالفاحشة** ورمى الشيعة لعنهم الله عائشة رضي الله عنها بالفاحشة مع تبرئة الله لها. فبلغ

التلمود: (إن يسوع الناصري موجود بين القار والنار. وقد أتت به أمه من العسكري (باندار) عن طريق الخطيئة). المصدر السابق.	الحقد في نفوس هؤلاء اليهود أن يتهموا عائشة في عرضها. فهذا الكليني صاحب تلمودهم الكافي يصمها في عرضها ودينها وعفتها لعنه الله. يدّعي هذا اللعين أن الحسن قال لأخيه الحسين: (واعلم أن سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله). وأن الحسين بن علي قال لها: (قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قربه). وأنه قال: (وقد أدخلت أنت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال بغير أذنه) الكافي ، ٢/٢٤٠-٢٤١. ورمي عائشة رضي الله عنها بالبهتان الذي يهتز له عرش الرحمن، شائع في كتب الشيعة.
١٢. شعب الله المختار يدعي اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم خاصة الله من بين كل الشعوب. وهي قضية معروفة مسلّمة.	**١٢. شعب الله المختار** ويدعي الرافضة أنهم شيعة الله وخاصة الله وصفوته من خلقه: فعن جعفر بن محمد أنه قال: (نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه) أمالي الطوسي ص٧٦. ويسمون أهل السنة (عامة)، وهم الخاصة.
١٣. اليهود مخلوقون من ذات الله يزعم اليهود أن أرواحهم – دون باقي الأرواح – مخلوقة من الله تعالى. فقد جاء في التلمود: (تتميز أرواح اليهود عن باقي	**١٣. الشيعة مخلوقون من ذات الله** ويدّعي الشيعة أن أرواحهم مخلوقة من نور الله تعالى، ولم يجعل الله ذلك لأحد

الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود.	غيرهم إلا للأنبياء: يروي الكليني في تلمودهم الكافي عن أبي عبد الله أنه قال : (إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنا خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا. وخلق شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل ذلك الطينة، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء. ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همج للنار وإلى النار) الكافي ٣٨٩/١. ورووا عن الصادق أنه قال: (خلقنا الله من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منا) الاختصاص ، ص٢١٦.
١٤. اليهود أفضل من الملائكة يعتقد اليهود أنهم أفضل من الملائكة. جاء في التلمود: (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. فإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنة ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت) إسرائيل والتلمود ، ٨٠.	**١٤. الشيعة أفضل من الملائكة** ويعتقد الشيعة أيضاً أنهم أفضل من الملائكة. رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (أنتم للجنة والجنة لكم أسماءكم الصالحون والمصلحون وأنتم أهل الرضا عن الله برضاه عنكم والملائكة إخوانكم في الخير إذا اجتهدوا) صفات الشيعة وفضائل الشيعة ، ص ٥٣.
١٥. اليهود هم الناس وغيرهم حيوانات يدعي اليهود أنهم هم الناس، أما غيرهم فليسوا ناساً من الناس، وإنما خلقهم الله على هذه الصورة لخدمة اليهود. جاء في	**١٥. الشيعة هم الناس وغيرهم حيوانات** ويعتقد الشيعة كذلك أنهم والأئمة هم الناس. أما ما عداهم فليسوا ناساً من الناس. بل أنجس من الكلب. وهذا ما

التلمود: (خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم) إسرائيل والتلمود ، ص٦٩. وجاء في التلمود: (الأمم الخارجة عن اليهود ليست فقط كلابا بل حمير أيضا) الكنز المرصود ، ص٦٨. وجاء في تفضيلهم الحيوانات على باقي الأمم: (إن الكلب أفضل من الأجانب؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم) المصدر السابق ، ص٦٨.	نصت عليه رواياتهم وعلماؤهم. ففي رواية عن أبي عبد الله أنه قال : (الشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ماهم؟) تفسير العياشي ، ص٤٠. وعن أبي بصير قال: (حججت مع أبي عبد الله فلما كنا في الطواف قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال يا أبا بصير: إن أكثر من ترى قردة وخنازير، قال: قلت له: أرنيهم؟ قال: فتكلم بكلمات ثم أمرَّ يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير، فهالني ذلك. ثم أمرَّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرة الأولى). بصائر الدرجات للصفار ، ص ٢٦٠. ويروي الطوسي عن محمد بن الحنفية أنه كان يحدث عن أبيه أنه قال: (ما خلق الله عز وجل شيئا أشر من الكلب. والناصب أشر منه) أمالي الطوسي ، ٢٧٩ ، وبحار الأنوار ، ٢٢١/٢٧.
١٦. الجنة لليهود فقط وما عدا ففي النار يدعي اليهود أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود وغيرهم ليس لهم غير النار. قال تعالى: (**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**) (البقرة:١١١). وجاء في التلمود: (هذه الجنة اللذيذة لا يدخلها إلا	**١٦. الجنة للشيعة فقط وما عدا ففي النار** ويدعي الشيعة كذلك أنهم وحدهم سيدخلون الجنة، أما أعداؤهم فيدخلون النار. فعن علي أنه قال: (سيؤتى بالرجل من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن جاز الولاية والتقية... الخ ويوقف بإزاءه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة من النواصب فيقال: هؤلاء فداؤك من النار.

اليهود أما الباقون فيزجـون فـي النـار) همجية التعاليم الصهيونية ص ٥٥. وفـي نص آخر: (النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فمـأوى الكفار من المسـيحيين والمسـلمين فـلا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيـه مـن الظلام والعفونة والطين) الكنز المرصـود ، ص ٦٢.	فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنـة وأولئـك النواصب النار) تفسير فرات، ١١٣. وفي رواية عن أبي عبد الله جاء في آخرهـا: (والله لا يدخل النار منكم اثنـان، لا والله ولا واحد) الكافي ، ٧٨/٨. وعنه أنه قال: (أن الله خلق المؤمن مـن طينة الجنة وخلق الناصب من طينة النار) بصائر الدرجات ، ص ٣٦.
١٧. اليهود في الجنة مهما فعلوا يدعي اليهود أنهم لا يـدخلون النـار وإن كانوا مذنبين. جاء في التلمود: (إن النـار لا سلطان لها على مذنبي بني إسـرائيل، ولا سلطان لها على تلامـذة الحكمـاء) ظفر الإسلام خـان ، التلمـود تاريخـه وتعاليمه ، ص٧٩.	**١٥. الشيعة في الجنة مهما فعلوا** ويدعي الشيعة أيضاً الدعوى نفسها أن لا يدخل النار منهم أحد. روى البحرانـي أن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال لعلـي: (جئت أبشرك. اعلم أن في هذه السـاعة نزل علي جبريل وقـال: الحـق يقرئـك السلام يقول: بشر عليا أن شيعته الطـائع والعاصي من أهل ألجنـة). الكشـكول ، ١٥٣/١. والروايات فيه كثيرة. منها: عن أبـي عبـد الله (ع) قـال: ... وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالهـا ظالمـة مسـيئة. أصول الكافي ، ٣٧٦/١.
١٨. نجاسة غير اليهود يعتقد اليهود بنجاسة مخالفيهم مطلقاً، وأن النجاسة لازمة لأصل خلقهم. يقول أحـد كتبة التلمود: (لماذا الغويم – غير اليهـود	**١٨. نجاسة غير الشيعة** ويعتقد اللشيعة بنجاسة مخالفيهم مطلقاً، لا سيما أهل السنة، ويغسلون الإنـاء الـذي يأكلون فيـه، أو يتلفونـه. وأن النجاسـة

– نجسون؟ لأنهم يأكلون أطعمة رديئة وحيوانات تزحف على بطنها). فضائح التلمود ، ص٩٠. وفيه أيضاً: (محرمة الأشياء التالية الخاصة بالغويم: الحليب الذي يستدره الغويم من البقرة في غياب اليهودي ومحرم أيضا خبزهم) المصدر السابق ، ص١١٤.	لازمة لأصل خلقهم. فعن خالد القلانسي قال: قلت لأبي عبد الله: ألاقي الذمي فيصافحني قال أمسحها بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصب قال: اغسلها) الأصول من الكافي ، ٢/٦٥٠. ويقول الخميني حاخام الشيعة الأكبر: (وأما النواصب والخوارج لعنهم الله فهما نجسان من غير توقف) تحرير الوسيلة ، ١/ ١٠٧
١٩. لولا اليهود لانعدمت البركة من الأرض يعتقد اليهود أنه لولا اليهود لم يخلق الله هذا الكون، ولولاهم لانعدمت البركة من الأرض. جاء في التلمود: (لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس)/ إبراهيم خليل ، إسرائيل والتلمود ، ص٦٩.	**١٩. لولا الشيعة لانعدمت البركة من الأرض** ويعتقد الشيعة أنه لولاهم لم يخلق الله هذا الكون ولولاهم ما أنعم الله على أهل الأرض. فعن أبي عبد الله أنه قال: (لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً. والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم على أهل خلافكم، ولا أصابوا الطيبات)/ الكافي ، ٢١٢/٨.
٢٠. كل ما في الأرض لليهود يزعم اليهود أن كل ما في هذه الأرض هو ملك لهم. ولا يحق لغير اليهود أن يمتلك شيئاً منه. وأنه يجوز لليهودي أن يسترد الأملاك بأي وسيلة إذا أمتلكها غير اليهودي. ففي التلمود: (الحقيقة المقررة عند الربانيين أنه يمكن لليهودي أن يأخذ أي شئ يخص المسيحيين أياً كان السبب حتى بالاحتيال ولا يمكن أن يعتبر هذا العمل لصوصية؛ لأنه (أي اليهودي) لم يأخذ سوى مايخصه هو). فضح التلمود ،	**٢٠. كل ما في الأرض للشيعة** ويزعم الشيعة أن كل ما في هذه الأرض هو ملك للأئمة، وقد منحوه لهم. وإن امتلك أحد من غير الشيعة شيئاً فإنه حرام عليه. وإذا قام القائم فسوف يسترده منه. ونسبوا ذلك للأئمة. فقد رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (إن الأرض كلها لنا وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون.. وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا فيأخذ الأرض من أيديهم

ص١٣١. وفيه أيضا: (جميع ما يخص الغويم هو كالصحراء يستطيع أن يدعي أنها ملكه أول من يسرع متولياً عليها). المصدر السابق. ويقول أحد أحبارهم: (إن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار. وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكها الأصيل). همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٧٧.	ويخرجهم صغرة). الكافي ، ١/٤٠٨. وعن أبي عبد الله (ع) قال: ما كان لنا فهو لشيعتنا، وليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه وإن ولينا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه، يعني ما بين السماء والأرض. أصول الكافي ، ١/٥٤٤.
٢١. استحلال مال غير اليهودي وبناء على ما سبق استحلوا سرقة أو أخذ مال الغير. وهذا ما قاله الله عنهم في كتابه حين قال: (**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) (آل عمران:٧٥).	**٢١. استحلال مال غير الشيعي** وكذلك الشيعة، وللسبب نفسه يستحلون أخذ مال الأخر بأي وسيلة كانت. (خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس) تهذيب الأحكام للطوسي، ٣٨٤/١ ووسائل الشيعة للحر العاملي ، ٣٤٠/٦. وشيعة اليوم على هذه العقيدة. يقول الخميني عند حديثه عن (الخمس) في كتابه تحرير الوسيلة: (والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس. بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج الخمس) تحرير الوسيلة ، ٢١٨/١. والخوئي منهاج الصالحين ، ٣٢٥/١.
٢٢. استحلال دم غير اليهود جاء في التلمود: (اقتل الصالح من غير	**٢٢. استحلال دم غير الشيعة** أما موقف الشيعة من دماء المسلمين فهم

اليهود. ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل عليه أن يسدها بحجر) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود ص٧٢.

يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم خاصة أهل السنة (النواصب، بتعبيرهم)[1]. بل قد جاءت الروايات في كتبهم بالحث على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم أينما وجدوا. وهذه واحدة من كبائرهم:

عن ابن فرقد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم ولكن أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في البحر فافعل. قال: ماتقول في ماله؟ قال: خذ ما قدرت عليه) بحار الأنوار

---

[1] قال نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية ، ٣٠٧/٢ ، ط تبريز): (ويؤيد هذا المعنى أنَّ الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أنه لم يكن ممن نصب العداوة لآل البيت). وقال حسين بن الشيخ محمد آل عصفور البحراني في (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ص١٥٧ ، ط بيروت): (على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على عليٍّ عليه السلام). وقبلها قال (في ص١٤٧ من كتابه): (بل أخبارهم تُنادي بأنَّ الناصب هو ما يُقال له عندهم سنياً). ويقول في الموضع نفسه: (ولا كلام في أنَّ المراد بالناصبة هم أهل التسنّن).

وقال حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي في كتابه (هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار ص١٠٦ ، ط١): (كالشبهة التي أوجبت للكفار إنكار نبوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، والنواصب إنكار خلافة الوصي). وهناك نصوص أخرى كثيرة تثبت ما قلناه. فالناصب عند الشيعة هم مجمل أهل السُّنّة والجماعة (أو العامة بتعبير آخر). لكنهم يستعملون هذه الألفاظ المتشابهة ليلوذوا بها عند الإحراج، وخوف الفضيحة. ويوضح ذلك التطبيق العملي لفتاوى علمائهم في قتل (النواصب). فإن عوام الشيعة اليوم في العراق كشراذم جيش الدجال (المهدي) وغيرها يقتلون عامة أهل السنة طبقاً لتلك الفتاوى. وللاستزادة راجع: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، ص٩٩ ، الشيخ يوسف البحراني ، طبعة قم ، ١٤١٩هـ . علماً أن الكتاب ألفه صاحبه – وهو في مجلدين كبيرين – من أجل إثبات أن الناصب هو السني، وتعريفه: من قدم أبا بكر وعمر على علي، وإن كان لا يبغضه، بل يحبه ويجله. فقط لا غير.

	للمجلسي، ٢٧/٢٣١.
٢٣. التعامل بالربا يقول الحق تبارك وتعالى: (**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**) (النساء:١٦٠-١٦١). وفي التلمود: (أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي وأن لا نقرضه شيئا إلا تحت هذا الشرط وبدون ذلك نكون ساعدناه) الكنز المرصود في تعاليم التلمود ، ص ٨٠. وفي التلمود أيضا: (غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا). المرجع السابق ، ٨٠.	**٢٣. التعامل بالربا** والأمر نفسه جاء في المصادر المعتمدة عند الشيعة. ففيما نسبوه زورا وبهتانا إلى جعفر الصادق أنه قال: (ليس بين المسلم وبين الذمي ربا ولا بين المرأة وبين زوجها ربا) من لا يحضره الفقيه ، ٣/١٨٠. ويقول حاخام إيران: (وأما ما اغتنم منهم بالسرقة والغيلة وكذا بالربا والدعوى الباطلة فالأحوط إخراج الخمس فيها من حيث كونها غنيمة) تحرير الوسيلة ، ١/٢٥١. (مسألة ١) – لا يجوز الاقتراض من البنك بشرط الفائض والزيادة لأنه ربا محرم. وللتخلص من ذلك الطريق الآتي وهو: أن يشتري المقترض من صاحب البنك أو وكيله المفوض بضاعة بأكثر من قيمتها ١٠% او ٢٠% على أن يقرضه مبلغا معينا من النقد. أو يبيعه متاعا بأقل من قيمته السوقية ويشترط عليه في ضمن المعاملة أن يقرضه مبلغا معينا لمدة معلومة يتفقان عليها. وعندئذ يجوز الاقتراض ولا ربا فيه. منهاج الصالحين للخوئي ، ١/٤٠٦. وقد أوردت وكالة رويترز في ٢٠٠٥/٥/٨ ما يلي: حددت إيران أمس

	أسعار الفائدة التي تتقاضاها كل البنوك الحكومية على قروضها عند ١٦% مقارنه مع الحد الأقصى السابق البالغ نحو ٢٥% في خطوة قال محللون: إنها ستلحق ضرراً كبيراً بالقطاع المصرفي، بحسب صحف إيرانية".

٢٤. ضربت عليهم الذلة والمسكنة	**٢٤. ضربت عليهم الذلة والمسكنة**
قال الله تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:٦١). ويقول جل في علاه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١١٢). ولذلك يستعمل اليهود مع خصومهم تقية الشيعة كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:٧٦).	مما يثبت انتماء الشيعة لليهود هو ضرب الله عز وجل عليهم الذلة والمسكنة؛ وهذه هي العلة التي من أجلها تجد الشيعة يستخدمون النفاق باسم التقية. وهي خلق اليهود كما أخبر الله عنهم في أكثر من مناسبة في كتابه. وهكذا تجدهم على مر العصور والأزمان يتقلبون في الذلة والمسكنة والهوان. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الشيعة: (وليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة). مجموع الفتاوى ، ٢/٤٨٠. ويؤيده قول محمد رضا المظفر: (ومن المعلوم أن الأمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلقه أية طائفة أو أمة أخرى). عقائد الأمامية ، ص ١٢٣؛ فلهذا كانت الذلة والمسكنة التي ضربها الله على اليهود سببا رئيساً ودافعا قويا لاتباعهم أسلوب النفاق والتقية مع

	مخالفيهم واللف والدوران والتذلل والخضوع لهم. وهذا عقاب من الله عز وجل في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.
٢٥. التقية وهذه من جنس سابقتها. جاء في التلمود: (مصرح لليهودي أن يجامل الأجنبي ظاهرا ليتقي شره على أن يضمر له الشر والأذى) عبد الله التل ، جذور البلاء ص ٨٠. وفي نص آخر: (إن النفاق جائز وإن الإنسان – أي اليهودي – يمكنه أن يكون مؤدبا مع الكافرين ويدعي محبتهم كاذبا) الكنز المرصود ، ص ٧٠.	**٢٥. التقية** وهذه هي عقيدة الشيعة. رووا كاذبين عن أبي عبد الله أنه قال: (خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية) الكافي ، ٢/١٧٥. وعن أبي عبد الله (ع) قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية.. ولا دين لمن لا تقية له. الكافي ، ٢/٢١٧.
٢٦. التلاعب بالعبارات والألفاظ قال تعالى عن اليهود: (**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً**) (النساء:٤٦) وجاء في التلمود: (إن أحد حاخاماتهم كان يسلم على غير اليهودي بقوله: السلام معك. وإنما كان يوجه نيته إلى أستاذه وليس إلى غير اليهودي) الكنز المرصود في تعاليم التلمود ، ص ١٧. وكانوا يسلمون على المسلمين بقولهم: السام	**٢٦. التلاعب بالعبارات والألفاظ** ومن أساليب الشيعة تلاعبهم بالعبارات والألفاظ في النفاق وتحريف الكلم عن مواضعه. روي النباطي في الصراط المستقيم يقول: (سلم اليأس المعدل على قوم فلم يردوا فقال: لعلكم تظنون فيّ ما قيل من الرفض. إن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا من أبغض واحداً منهم فهو كافر. فردوا بذلك ودعوا له) وعنى بالواحد عليا. الصراط المستقيم لمستحقي التقديم ، ص ٧٣/٣. ويقول: (لقي الطاقي خارجيا فقال: لا أفارقك أو تتبرأ من علي. فقال: أنا من علي ومن عثمان برئ). ويعني بذلك أنه من أصحاب علي.

عليكم.	ومن عثمان بريء) المصدر السابق.
٢٧. استخدام الرموز للطعن يستعمل اليهود الرموز في كتبهم لمن أرادوا الطعن فيه حتى لا يفتضح أمرهم. فيرمز اليهود لعيسى عله السلام بعدة رموز منها (جيشو). ويرمزون إليه بـ(ذلك الرجل) و(النجار) و(ابن الحطاب). فضح التلمود ، ص٥٦.	**٢٧. استخدام الرموز للطعن** ويرمز الشيعة في كتبهم للخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين برموز تشبها برموز اليهود: فيرمزون لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (بالجبت والطاغوت) و(صنمي قريش) و(زريق وحبتر) و (فرعون وهامان) و(العجل والسامري) و (الأول والثاني) و(فلان وفلان) وغيرها من الرموز. ويرمزون لعثمان رضي الله عنه بـ(نعثل) و(الثالث). ويرمزون لعائشة رضي الله عنها (بأم الشرور) و (صاحبة الجمل) و (عسكر بن هوسر). ويرمزون لمعاوية رضي الله عنه بـ(الرابع)... وهكذا.
٢٨. تحريف الكتاب قال تعالى عن اليهود: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة:٧٩).	**٢٨. تحريف الكتاب** وهو صنعة الشيعة أيضاً. فبالإضافة إلى دعواهم الكاذبة التي أجمع عليها علماؤهم في تحريف القرآن الكريم، تجرأوا فحرفوا بعض آيات الكتاب! فعن أبي عبد الله (ع) قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل (ع) إلى محمد (ص) سبعة عشر ألف آية. الكافي ، ٦٣٤/١. وعن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

	الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء: ٥٩) قال: إيانا عنى خاصة: أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا: (فإن خفتم تنازعاً في أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم) كذا نزلت. فكيف يأمر الله عز وجل بطاعة ولاة الأمر ويرخص في منازعتهم؟ إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). الكافي ، ٢٧٦/١. وكتب المخذول حسين الطبرسي صاحب أحد الكتب الثمانية المعتمدة في المذهب كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)!!!
٢٩. استحلال محاش النساء اليهود يجيزون نكاح المرأة من دبرها. جاء في التلمود أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت له أن زوجها يأتيها على خلاف العادة فأجابها: (لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتي لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك). الكنز المرصود ، ص٩٧. وذكر أيضا: (أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك بزوجته). المصدر السابق ، ص ٩٧.	**٢٩. استحلال محاش النساء** وكذلك الشيعة يجوزون نكاح المرأة من دبرها. فعن عبد الله بن يعفور قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس إذا رضيت. الاستبصار ، ٣٤٣/٣. وفتاوى علمائهم في ذلك معروفة مشهورة. جاء في (رسائل الشريف المرتضى ، المجموعة الأولى ص٣٠٠): مسألة سادسة وخمسون (حلية الوطء دبراً وقبلا): مباح للزوج أن يطأ زوجته في

	كل واحد من مخرجيها. وليس في ذلك شيء من الحظر والكراهة.
٣٠. إيقاد الحروب بين الأمم ذكر الله تعالى في كتابه أن ديدن اليهود إثارة الفتن وإيقاد الحروب بين الأمم والشعوب. كما قال سبحانه: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) (المائدة:٦٤).	**٣٠. إيقاد الحروب بين الأمم** وهذا هو شأن الشيعة على الدوام. وكما فعل اليهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، حين كانوا يحرضون الكفار على غزو المسلمين، كذلك كان الشيعة – وإيران من وراءهم – يفعلون على مر التاريخ. ومن أشهر شنائعهم تحريض المغول على غزو بغداد قديماً. وتحريض أمريكا وحلف الصليب على غزو بغداد حديثاً. وهذا شأن كل ضعيف وسط مجموع لا يحس بالانتماء إليه؛ لعله يحصل على فرصة وسط الفتنة والخراب، أو ينتقم من مواطنيه الذين يحقد عليهم. كما قيل: (الهر يفرح بعزا "مأتم" أهله).
٣١. خيانة الأوطان من المعروف عن اليهود أنهم يشعرون بالضياع وعدم الانتماء إلى أي وطن يسكنونه؛ فهم دائماً يتآمرون على أوطانهم. وهذا أحد أسباب نكباتهم المستمرة على أيدي الشعوب.	**٣١. خيانة الأوطان** وكذلك الشيعة. ليس لهم من ولاء لأوطانهم؛ لأنهم لا يشعرون بالانتماء إليها. إنما ولاءهم وشعورهم معلق بإيران. ولذلك هم دائمو التواطؤ مع الأجنبي ضد أوطانهم. إنهم الخطر الأكبر على أي بلد يكونون فيه. والعراق اليوم خير شاهد ومثال. ولكن الأمر كما قيل: ما أكثر العبر وأقل المعتبرين!

٣٢. التركيز على الفتن في عرض تاريخنا	**٣٢. التركيز على الفتن في عرض تاريخنا**
ويتشابه اليهود والشيعة حتى في طرحهم لمواد التاريخ الإسلامي! ففي كتاب "التعليم في (إسرائيل)" للدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف: أمّا دراسة الإمبراطورية الفارسية فيجري التركيز على "كورش" وتصريحه لليهود بالعودة إلى (إسرائيل) ثم بناء الهيكل الثاني. وفي منهاج التاريخ للصف السادس يكّون التاريخ الإسلامي ٥٦% من مقرّر التاريخ، لكن يتمّ التركيز في هذا المنهاج على الخلافات في التاريخ الإسلامي بين علي ومعاوية، والخلافات بين الفرق الدينية والصراع بين الأمويين والعباسيين. كما يفرد المنهاج فصلاً لما يسّميه بالجهود اليهودية في الحضارة الإسلامية، مثل التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية، ولا سيّما في الأندلس وفي مصر الفاطمية، والأمويين.	والمنهج نفسه يسير عليه الشيعة في تناولهم لموضوعات التاريخ! فهم متشبهون حتى في هذه. لا يذكرون إلا أحداث الخلافات والفتن – مع التزوير والحذف والإضافة – التي وقعت بين علي ومعاوية وغيره من الصحابة، معركة الجمل، صفين، الطف، مقتل الحسين، موسى الكاظم، اجترار ما أسموه زوراً بـ(اضطهاد الأئمة). الصراع الأموي – العباسي...إلخ. وكأن تاريخ الأمة الزاهر ليس سوى صراع ودسائس وظلم واضطهاد واقتتال! أين الحديث عن حضارة العرب وعدل المسلمين؟ أين الجهاد الإسلامي المشرف، ووقعات المسلمين العظيمة نشراً للرسالة، ودفعاً للغزاة ودفاعاً عن حياض الأمة؟ أين بدر والقادسية واليرموك ونهاوند وحطين وعين جالوت؟ أين شواهد عظمة الإسلام في حضارة الأندلس التي ينعم العالم اليوم بإنجازات الحضارة الحديثة التي هي امتداد لحضارة الأمويين وإنجازاتها في الأندلس؟ أين...؟ أين...؟!!! لا شيء!!!
٣٣. دعوى المظلومية (معاداة السامية)	**٣٣. دعوى المظلومية(معاداة أهل البيت)**
استند اليهود في ترويج فكرتهم على مبدأ المظلومية اليهود بسبب تعرضهم	والشيعة يستندون إلى الأساس نفسه، فيروجون فكرتهم بطرح مبدأ المظلومية

للاضطهاد في أوروبا، وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ(معاداة السامية). وهكذا بنى اليهود كيانهم في فلسطين تحت ذريعة المظلومية.	في العراق وغيره، وتعرضهم للظلم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام في بلاد العرب. وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ(معاداة أهل البيت). وهكذا جلب الشيعة الغزاة الأمريكان إلى العراق، واستعطفوا العالم تحت ذريعة المظلومية وأسطورة الأغلبية المضطهدة؟!
٣٤. الاعتماد على العصابات والمليشيات اعتمد اليهود في تنفيذ مشروعهم على العصابات الصهيونية الممثلة بالأحزاب والحركات الصهيونية الهاغانا والاشتيرن وغيرها التي ارتكبت المجازر الرهيبة بحق الشعب العربي الفلسطيني لإخضاعهم وتهجيرهم من أرضهم ليقطنوا الخيام.	**٣٤. الاعتماد على العصابات والمليشيات** والشيعة تمارس في العراق اليوم النهج والأسلوب الصهيوني نفسه. وذلك من خلال مليشيات جيش الدجال بقيادة مقتدى، والمجلس المسمى بـ(الأعلى) وعصابته قوات غدر، وحزب الدعوة، والجلبي، وتكوين فرق القتل والموت والخطف والاغتيال والتصفيات والتطهير المذهبي في كافة مناطق العراق. وتدعم قوات الاحتلال الأمريكي بتدمير مدن سنية كاملة وتهجيرهم منها، واللجوء إلى الخيام.
٣٥. اعتماد الدعاية والإعلام اليهود يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنياحة والبكاء. وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.	**٣٥. اعتماد الدعاية والإعلام** والشيعة كذلك يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنياحة والبكاء. وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.

مقارنات سريعة

وهذه مقارنات سريعة تلقي مزيداً من الضوء على موضوع التشابه الشديد بين اليهود وإخوانهم الشيعة، ملخصة بتصرف عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة):

اليهود	الشيعة
٣٦. **قالت اليهود:** لا يصلح الملك إلا في آل داود.	٣٦. **وقالت الشيعة:** لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.
٣٧. **قالت اليهود:** لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح أو ملك السلام و ينزل السيف.	٣٧. **وقالت الشيعة:** لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.
٣٨. **واليهود** يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.	٣٨. **والشيعة** يؤخرون صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم.
٣٩. **اليهود** يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون: هذا من عند الله.	٣٩. **والشيعة** يكتبون الكذب ويقولون: هذا من كلام الله تعالى ويفترون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضي الله عنهم. ومن المعروف عند علماء الحديث أن الشيعة وضعوا النصيب الأكبر من الأحاديث الموضوعة.
٤٠. **اليهود** لا يرون المسح على الخفين.	٤٠. **والشيعة** لا يرون المسح على الخفين.
٤١. **اليهود** يحرمون الجِرِّي (نوع من السمك) والأرنب والطحال	٤١. **والشيعة** يحرمون الجري والأرنب والطحال
٤٢. **اليهود** لا يصلون إلا فرادى.	٤٢. **والشيعة أدركناهم** لا يصلون في معابدهم إلا فرادى. يقولون: لا جماعة

	حتى يأتي المهدي. ولم نر مجموعة من الشيعة في سفر يصلون جماعة.
٤٣. اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين. كما أخبر الله تعالى فقال: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)** (المائدة:٨٢).	٤٣. **والشيعة** تجدهم لشركهم أشد الناس عداوة لأهل السنة والجماعة. وإليهم الإشارة بقوله سبحانه: **(وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)** ومن خالطهم أو سمع عرف.
٤٤. **اليهود** تخلفوا عن نصرة موسى ومن تلاه من الأنبياء والرسل عليهم السلام. وقد سجل الله لنا قولهم لموسى: **(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)** (المائدة:٢٤).	٤٤. **والشيعة** تخلفوا عن نصر أئمتهم كما خذلوا علياً وحسيناً وزيداً وغيرهم. قبحهم الله ما أعظم دعواهم في حب أهل البيت وأجبنهم عن نصرهم!
٤٥. **اليهود** لا يعدلون في حبهم ولا بغضهم. فبينا ترى اليهود يغلون في بعض الأنبياء والأحبار ويتخذونهم آلهة أرباباً، ويذلون لهم أعظم الذل، كما قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)** (التوبة:٣٠)، إذا بهم يقدحون في فريق آخر من الأنبياء ويرمونهم بالخبث وبما هو فوق الخبث كذباً وزوراً .	٤٥. **كذلك الشيعة**، فبينا تراهم يغلون في علي وبعض ذريته ويؤلهونهم ويزعمون أن الله حلّ في ذواتهم لشرفهم وقداستهم، إذا بهم يقدحون في الفريق الآخر من الصحابة والمسلمين أشد القدح، ويرمونهم بالكفر والنفاق كذباً وزوراً.

وتفوقت الشيعة على اليهود والنصارى بثلاث خصال:

١. سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الشيعة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد. فهؤلاء الشيعة ينطبق عليهم قول الله تعالى عن اتليهود في سورة

النساء: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) (النساء:٥١،٥٢).

٢. قالت اليهود والنصارى: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) (البقرة:٨٠). وقالت الشيعة: لن تمسنا النار أبداً !

٣. ولم نسمع عن اليهود أو النصارى أنهم مزقوا كتبهم (التوراة والإنجيل) التي يقدسونها، وهي محرفة. وفعلها الشيعة بالقرآن الكريم، كلمة الله المحفوظة بحفظه، يوم هجموا على مساجد المسلمين في ٢٠٠٦/٢/٢٢ وما بعدها! ولقد رأى العالم على شاشات القنوات الفضائية المصاحف المحرقة بالنار، والمخرقة بالرصاص. وبعضها مزق تمزيقاً باليد! وقد مزق جدهم كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التعاون اليهودي - الإيراني أو (اليهودي – الشيعي)

يأتي التعاون اليهودي – الإيراني (أو الشيعي) انعكاساً للتشابه والتداخل العقائدي والنفسي بين الطرفين. وقديماً قالت العرب: على أشكالها تقع الطيور) وقالت: (شبيه الشيء منجذب إليه). على أن هذا لا يمنع أن تتقاطع المصالح؛ فيحصل الخلاف، ويقع

الصراع عرضاً. على العكس من الصراع العربـــي – الإســـرائيلي، أو الإســـلامي – اليهودي ، فإنه صراع مبدئي استراتيجي، والعداوة بينهما لا يمكن أن تنتهي إلا بـــزوال أحدهما.

ولسنا نقول: إن أهل الباطل لا يختلفون ولا يقتتلون. فحتى الإخوة يقتتلـــون أحيانـــاً. ولقد تقاتل الصحابة فيما بينهم. وقد كنت أقول – ومنـــذ بدايـــة الاحـــتلال الأمريكـــي الإيراني للعراق – : لا بد أن يصطرعوا ويقتتلوا. هذا هو منطق الاجتماع والتـــاريخ والواقع. إنما قتال هؤلاء فيما بينهم يعرض في وسط الطريق ، لمصـــالح متعارضـــة، ولا يمنع عودتهم إلى الخط الأول من جديد، ولا يمنع من تلاقي مصالحهم ضد الأمـــة. بل التاريخ شاهد على أن الشيعة واليهود والصليبيين يتحالفون على الدوام ضـــد أمـــة الإسلام.

والشيعة قوم طائفيون، تستثيرهم الأخطار التي تتجه نحو الطائفة. فإذا قاتلوا فإنمـــا يقاتلون دفاعاً عن الطائفة، وليس عن الوطن. وهذا هو السر الذي يجعلهـــم يتواطـــأون مع المحتل الأمريكي والبريطاني في العراق؛ لأنهم يرون أنه لا يستهدفهم كطائفة، بـــل يستهدف أهل السنة. وهذا ما يريدونه، ولو على حساب الوطن! حتى إذا وجدوا الخطر يستهدف طائفتهم، أو – بمعنى مساوٍ آخر – يصل إلى إيران، أو (حزب الله) في لبنان تحركوا ضده، متلبسين بالشعارات الوطنية والدينية. وهناك الكثير ممن يجهلون الحقيقة – وعلى رأسهم العلماء – يصدقون بدعاواهم في ذلك، فيحصل التضليل. كما حصـــل لمناوشات مقتدى مع الأمريكان، و(حزب الله) مع إسرائيل. إن حزب الله قاتـــل دفاعـــاً عن نفسه ومصالحه، وتنفيذا لمخطط إيران، بعد أن اشتد الحصـــار السياســـي حولهـــا بسبب مشروعها النووي. وها هم شيعة العراق في الجنوب، تـــزامن بدايـــة تحرشـــهم بالأمريكان والبريطانيين، وقتالهم لهم مع أزمة إيران، ورغبتها في إرسال رسالة عملية لأمريكا وحلفائها أنها قادرة على فعل شيء كبير يضر بمصالحهم في العراق، بل قـــد ينهي مشروعهم؛ عسى أن يتركوها وشأنها. وسيّر الشيعة في العراق مظاهرات عارمة تطالب بإرسالهم للقتال في لبنان، مع أن العراق محتل، فهلا قاتلوا دفاعـــاً عنـــه أولاً! ويتسترون بالقول: إنهم يختارون تحريره بالطرق السلمية، رافضين الحل العســـكري، بل هم يقاتلون أهل السنة الذين يدافعون عن بلدهم، يسمونهم بـــ(الإرهابيين)، وعملـــوا – ولا زالوا إلى هذه اللحظة – المجازر تلو المجازر بهم. وهذا ما يبـــين، ويثبـــت أن

الشيعة – إذا قاتلوا – إنما يقاتلون دفاعاً عن الطائفة، ونصرة لإيران، وليس دفاعاً عن الوطن.

كما أن لك أن تعلم (أن أمين عام "حزب الله" حسن نصر الله من المؤيدين للاحتلال الأمريكي للعراق معتبراً إياه تحريراً للعراق من أهل السنة. وقد هاجم المجاهدين من أهل السنة في أكثر من خطاب واصفاً إياهم بالخونة والعملاء والتكفيريين والصداميين؛ بحجة أنهم يقتلون أفراد الشرطة العراقية والجيش العراقي اللذين صنعتهما أمريكا ليكونا لها مخالب قط وأداة لذبح المجاهدين من أهل السنة والجماعة. وهذا الحزب يقوم بتدريب الميليشيات الشيعية في العراق التي صنعتها إيران لتكون عوناً للأمريكان في فرض سيطرته على العراق، وفي مقدمتها ميليشيا ما يُسمى بـ(بجيش المهدي وميليشيا بدر وحزب الدعوة) التي تذبح عُلماء السنة، وتهدم مساجدهم وتخطف أبناء الشعب الفلسطيني اللاجئين في العراق منذ عام ١٩٤٨ وتعذبهم عذاباً قبل أن تقتلهم بأبشع الأساليب، وتعتدي على شرفهم وأعراضهم وتُهددهم كل يوم بالقتل والذبح إذا لم يرحلوا من العراق)[١].

ورغم أن الشيعة يتظاهرون بمعاداة اليهود. حتى إن رئيس إيران صرح أخيراً بضرورة محو (إسرائيل) من الوجود، أو تهجير كيانه إلى أوربا. وكان الإيرانيون يصرون على التظاهر في مكة ضد أمريكا و إسرائيل. لكن الحقيقة – تاريخاً وواقعاً – تشير إلى عكس ذلك. فالفرس هم الذين أطلقوا اليهود من أسر بابل، وأعادوهم إلى فلسطين، على يد كورش الإخميني ابن اليهودية الذي تآمر مع أخواله اليهود فدمر بابل وحرر اليهود وأعادهم إلى أورشليم بعد أن أزال كيان الدولة العراقية من الوجود، وذلك في سنة ٥٣٩ ق. م. ليعيد التاريخ نفسه في ٢٠٠٣/٤/٩ ب. م. ويتمكن الحلف اليهودي الفارسي نفسه مرة أخرى من تدمير بغداد، وإزالة كيان الدولة العراقية في العصر الحديث. وكانت دولة إيران من أوائل الدول التي اعترفت بالكيان اليهودي سنة ١٩٤٨م.

---

[١] من مقالة للفلسطيني محمد أسعد بيوض التميمي على موقع (دنيا الوطن).

لا أريد الاسترسال في هذا الموضوع؛ فإنه طويل عريض شائك، وقد نخـــرج عـــن سياق الكتاب. لكنني لا أرى إنهاء الموضوع دون الإشارة السريعة إلى تعاون إيـــران الخميني الذي يدّعي الدين والإسلام مع كيان إسرائيل ضد العراق.

لقد خاضت إيران الفارسية الشيعية الحرب ضد العراق ثماني سنين، وقاتلت أبناءه بأسلحة اليهود، ودكوا بغداد بصواريخ إسرائيلية. في الوقت الذي كان الخميني الـــدجال (لع) يتمظهر ويتبجح بمعاداته لإسرائيل وأمريكا، ويسميها (الشيطان الأكبر)! ثم شـــاء الله تعالى أن يعريه ويفضحه، حين تكشف للعالم أجمع أن سيلاً من الأسلحة و قطـــع الغيار كانت تشحن من أمريكا عبر إسرائيل إلى طهران. مع أن أخبارا متقطعة كانـــت تبرز من حينٍ لآخر عن حقيقة هذا التعاون بين إيران وإسرائيل منـــذ بدايـــة الحـــرب العراقية الإيرانية. ثم تبين أن **الشيخ صادق طبطبائي** كان حلقة الوســـط بـــين إيـــران وإسرائيل، من خلال علاقته المتميزة مع **يوسف عازر** الذي كانت له علاقـــة بـــأجهزة المخابرات الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي. وقد زار إسرائيل معه في ٦ كـــانون الأول ١٩٨٠، وانكشف ختم دخوله إلى إسرائيل على جوازه عندما ضبطه البوليس الألمـــاني على المطار وفي حوزته مائة ونصف كيلو من المخدرات مادة الهيروين وذلـــك فـــي كانون الثاني ١٩٨٣. وقد عرض ختم دخوله إلى إسرائيل على ملايـــين النـــاس فـــي التلفزيون الألماني.

وكان من جملة الوسطاء في تصدير السلاح الإسرائيلي إلى إيران أندريه فريـــدل وزوجته، وهما يهوديان إسرائيليان يعيشان في لندن. وقّع خمس صفقات كبيـــرة مـــع أكبر شركات تصدير السلاح في إسرائيل اسمها شركة TAT . الصفقة الأولى بتـــاريخ ٢٨-٣-١٩٨١، والثانية بتاريخ ٦-١- ١٩٨٣. وتوجد صورة لكل وثيقة مـــن هـــذه الصفقات.

فضيحة إيران غيت

و في ١٨تموز ١٩٨١ انكشف التصدير الإسرائيلي إلى إيران بما سمي بـــ(فضيحة إيران غيت)، عندما أسقطت وسائل الدفاع السوفيتية طائرة أرجنتينيـــة تابعـــة لشـــركة اروريو بلنتس، وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل محملة بأنواع السلاح قطع الغيار. كانت الطائرة قـــد ضـــلت طريقهـــا، ودخلـــت الأجـــواء السوفيتية. على أن صحيفة التايمز اللندنية نشرت تفاصيل دقيقة عن هذا الجسر الجوي

المتكتم. وكان سمسار العملية آنذاك **التاجر البريطاني إستويب ألــن**، حيــث اســتلمت إيران ثلاث شحنات: الأولى استلمتها في ١٠-٧-١٩٨١، والثانية في ١٢-٧-١٩٨١، والثالثة في ١٧-٧-١٩٨١. وفي طريق العودة ضلت طريقها ثم أســقطت. وفــي ٢٨ آب ١٩٨١ أعلن ناطق رسمي باسم الحكومــة القبرصــية فــي نقوســيا أن الطــائرة الأرجنتينية من طراز (كنادير سي إل ٤٤) رقم رحلتها (٢٢٤ آى آر) قد هبطت في ١١ تموز ١٩٨١ في مطار لارنكا قادمة من تل أبيب، وغادرته في اليوم نفســه إلــى طهران، حاملة ٥٠ صندوق وزنها ٦٧٥٠ كيلوغرام . وفي ١٢ تموز حطت الطــائرة نفسها في مطار لارنكا قادمة من طهران و غادرته في اليوم نفسه إلى إسرائيل يقودها الكابتن (كرديرو). وفي ١٣ من الشهر نفسه حطت الطائرة نفسها قادمة من تل أبيــب وغادرته إلى طهران في اليوم نفسه يقوده الكابتن نفسه.



الوثيقة رقم ٧

خريطة تحرك الطائرة الأرجنتينية من إسرائيل إلى إيران، كما نشرتها صحيفة الـ «صنداي تايمز» البريطانية في عددها المؤرخ ١٩٨١/٧/٢٦م.

خريطة مسار الطائرة من إسرائيل إلى إيران

الرئيس الإيراني يعترف

في مقابلة مع جريدة (الهيرلد تريديون) الأمريكية في ٢٤-٨-١٩٨١ اعترف الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر أنه أحيط علماً بوجود هذه العلاقة بين إيران وإسرائيل، وأنه لم يكن يستطيع أن يواجه التيار الديني هناك، والذي كان متورطاً في التنسيق والتعاون الإيراني الإسرائيلي.

وفي لقاء على (قناة الجزيرة) في ٢٠٠٠/١/١٧ دار الحوار التالي مع بني صدر:

س: تحدثنا عن موضوع الحرب الإيرانية العراقية ومررت إلى إسرائيل، هل كنت على علم بوجود علاقات معينة مع إسرائيل لأجل الحصول على السلاح؟

ج- في المجلس العسكري أعلمنا وزير الدفاع أننا بصدد شراء سلاح من إسرائيل، عجبنا كيف يفعل ذلك؟! قلت: من سمح لك بذلك؟ قال: الإمام الخميني. قلت هذا مستحيل! قال: أنا لا أجرؤ على عمل ذلك لوحدي. سارعت للقاء الخميني وسألته: هل سمحت بذلك ؟ قال: نعم إن الإسلام يسمح بذلك، وإن الحرب هي الحرب. صعقت لذلك! صحيح أن الحرب هي الحرب، ولكنني أعتقد أن حربنا نظيفة، والجهاد هو أن نقنع الآخرين بوقف الحرب والتوق إلى السلام. نعم هذا الذي يجب عمله، وليس الذهاب إلى إسرائيل وشراء السلاح منها لحرب العرب، لا.. لن أرضى بذلك أبداً. حينها قال لي: إنك ضد الحرب، وكان عليك أن تقودها؛ لأنك في موقع الرئاسة.

رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإسرائيليان يعترفان

وفي ٣ حزيران ١٩٨٢ اعترف مناحيم بيجن بأن إسرائيل كانت تمد إيران بالسلاح. وعلل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي أسباب ذلك المد العسكري الإسرائيلي إلى إيران بأن من شأن ذلك إضعاف العراق.

وقد أفادت مجلة ميدل إيست البريطانية في عددها تشرين الثاني ١٩٨٢ أن مباحثات تجري بين إيران وإسرائيل بشأن عقد صفقة تبيع فيها إيران النفط إلى إسرائيل في مقابل إعطاء إسرائيل أسلحة إلى إيران بمبلغ ١٠٠ مليون دولار كانت قد صادرتها من الفلسطينيين في جنوب لبنان. وذكرت مجلة أكتوبر المصرية في عددها آب ١٩٨٢ أن المعلومات المتوفرة تفيد بأن إيران قد عقدت صفقة مع إسرائيل اشترت

بموجبها جميع السلاح الذي صادرته من جنوب لبنان. وتبلغ قيمة العقد ١٠٠ مليون دولار. وذكرت المجلة السويدية TT في ١٨ آذار ١٩٨٤، ومجلة الأوبزيرفر في عددها بتاريخ ٧-٤-١٩٨٤ عقد صفقة أسلحة إسرائيلية إلى إيران. قالت المجلة الأخيرة: إنها بلغت ٤ مليارات دولار. فهل كانت إسرائيل لترضى بشحن السلاح إلى إيران لو كانت إيران تشكل أدنى خطر على الوجود والكيان اليهودي؟! وهل كانت أمريكا لتعطي السلاح إلى إيران لو أن إيران تشكل الخطر الإسلامي الحقيقي الذي تهابه أمريكا وروسيا و غيرهما؟!

تصريحات ووثائق صحفية

١. (إن إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام: إن إيران هي العدو). وزير الخارجية اليهودي في حكومة في نتنياهو (ديفيد ليفي)/ جريدة هاآرتس اليهودية في ١٩٩٧./٦/١

٢. (إن إيران دولة إقليمية، ولنا الكثير من المصالح الاستراتيجية معها. فإيران تؤثر على مجريات الأحداث، وبالتأكيد على ما سيجري في المستقبل. إن التهديد الجاثم على إيران لا يأتيها من ناحيتنا، بل من الدول العربية المجاورة! فإسرائيل لم تكن ابداً – ولن تكون – عدوا لإيران). الصحفي اليهودي (أوري شمحوني)/ صحيفة معاريف اليهودية في ٢٣ /١٩٩٧/٩.

٣. أصدرت حكومة النتنياهو أمراً يقضي بمنع النشر عن أي تعاون عسكري او تجاري او زراعي بين اسرائيل وايران. وجاء هذا المنع تغطية لفضيحة رجل الأعمال اليهودي (ناحوم منبار) المتورط بتصدير مواد كيماوية الى ايران، وتعد هذه الفضيحة خطراً يلحق بإسرائيل وعلاقاتها الخارجية. وقد أدانت محكمة تل ابيب رجل الاعمال اليهودي بالتورط في تزويد ايران بـ ٥٠ طنا من المواد الكيماوية لصنع غاز الخردل السام. وقد تقدم المحامي اليهودي (امنون زخروني) بطلب بالتحقيق مع جهات عسكرية واستخباراتية اخرى زودت ايران بكميات كبيرة من الاسلحة ايام حرب الخليج الأولى . الشرق الأوسط / العدد (٧٣٥٩).

٤. قامت شركة كبرى تابعه (لموشيه ريجف) الذي يعمل خبيــر تســليح لــدى الجيش الاسرائيلي ما بين (١٩٩٢-١٩٩٤) ببيع مواد ومعدات وخبرات فنية الى ايران. وقد كشف عن هذا التعاون الاستخبارات الامريكية بصور وثائق تجمــع بين موشيه والدكتور ماجد عباس رئيس الصواريخ والاسلحة البايولوجية بوزارة الدفاع الإيرانية. صحيفة هاآرتس اليهودية، نقلا عــن الشــرق الاوســط عــدد (٧١٧٠).

٥. ونقلت جريد الحياة بعددها (١٣٠٧٠) نقلاً عن كتاب الموساد للعميل الســابق في جهاز الاستخبارات البريطانية (ريتشارد توملينسون): وثــائق تــدين جهــاز الموساد لتزويده ايران بمواد كيماوية.

٦. (في كل الأحوال فإن من غير المحتمل أن تقــوم إســرائيل بهجــوم علــى المفاعلات الإيرانية. وقد أكد عدد كبير من الخبراء تشــكيكهم بــان ايــران – بالرغم من حملاتها الكلامية – تعتبر اسرائيل عدوا لهــا. وإن الشــيء الأكثــر احتمالاً هو أن الرؤوس النووية الايرانية هي موجهة للعرب). الصحفي اليهودي (يوسي مليمان)، نقلا عن لوس انجلس تايمز/ جريدة الأنباء العدد (٧٩٣١).

٧. (لقد ساعدتنا إسرائيل على اقتلاع الإرهــاب الفلســطيني (الوهــابي) مــن الجنوب). لقاء صحفي مع (حيدر الدايخ) أحد كبار الزعماء الشيعة مــن حــزب امل أجرته مجلة الأسبوع العربي ١٩٨٣/١٠/٢٤. وذكرت وكالة رويتــر فــي ١٩٨٢/٧/١ أن القوات الصهيونية لما دخلت بلدة النبطية لم تســمح إلا لحــزب أمل بالاحتفاظ بمواقعه وكامل أسلحته.

٨. (إن العلاقة بين اسرائيل والسكان اللبنانيين الشيعة غير مشــروطة بوجــود المنطقة الأمنية، ولذلك قامت إسرائيل برعاية العناصر الشيعية، وخلقــت معهــم نوعاً من التفاهم للقضاء على التواجد الفلسطيني، الذي هو امتداد للدعم الــداخلي لحركتي حماس والجهاد). ضابط إسرائيلي من المخابرات " صــحيفة معــاريف اليهودية ١٩٩٧/٩/٨.

هذا غيض من فيض هذه العلاقة المشبوهة بين اليهود والشيعة، وإسرائيل وفارس. وقبل أن أنهي هذا الحديث أذكر بآيات كريمة من القرآن العظيم، تفضح العلاقة الآثمة بين أعداء الصحابة وإخوانهم واليهود. تبين هذه الآيات أن هناك أُخوَّتين: أخوة الصحابة، فمن رفضها كان أخاً لليهود والنصارى، يواليهم ويتحالف معهم ضد أمة الإسلام. وحاشا لمن يكره الصحابة ويكفرهم أن يكون مخلصاً أو صادقاً في ولاءه ومحبته للأمة. بل لا بد لزوماً أن يكون عدواً لها، وهذا ما يصرح به كبار علماء الشيعة، وقد ذكرته في أكثر من موضع وكتاب[1]. يقول تعالى بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار، وهم مجموع الصحابة حين نزول الآية:

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر:١٠). هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، الذين أحبوا الصحابة ﭫ واتبعوهم، وساروا على طريقهم.

ثم قال:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الحشر:١١). وهؤلاء هم الشيعة، أصحاب عقيدة (تقية – النفاق)، الذين تركوا أُخوة الصحابة ﭫ، فجازاهم الله سبحانه بأن عوضهم عنها بأخوة الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)! يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير! هداهم الله فاستحبوا العمى على الهدى؛ والله لا يهدي القوم الظالمين.

المبحث الثاني

[1] انظر مثلاً : (مصباح الفقاهة)، ١/٣٢٣-٣٢٤، للخوئي ، ط٣ – ١٣٧١، مطبعة الغدير. و(الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب)، ص ٢٥٧ ، الشيخ يوسف البحراني.

المعالم النفسية لدى الشخصية اليهودية

مهما درست الشخصية (الفارسية) – وسليلتها الشيعية – من الناحية النفسـية، فـإن شخصية مشابهة تقفز إلى الذهن، وتراود صفحة الأفق. تلك هي الشخصية اليهوديـة. فحين تبحث عن عناصر الشخصية (الفارسية)، تجد في كل خطوة تخطوها مـا يشـير إلى التشابه بين الشخصيتين: الفارسية واليهودية، حتى تنتهـي إلـى أن الشخصـيتين تتشابهان تماماً، بحيث يمكن القول: إن كل سمة أو عقدة أو مرض نفسـي فـي هـذه، موجود في تلك. وهذا ما نجده واضحاً حين نقارن بين ما تحدث عنه القرآن الكريم من صفات اليهود وأخلاقهم وسماتهم النفسية، وبين ما نجده واقعاً من ذلك لـدى جمهـور المتشيعين بتشيع الفرس. وهذا يشير حتماً إلـى أن العـلاج يتشـابه بقـدر مـا بـين الشخصيتين من تشابه وتقارب نفسي. وعندها ربما لا نحتاج لغير ما ورد في القـرآن الكريم من وسائل وأساليب طبقها الرسول العظيم ﷺ في تعامله مع اليهود، ومواجهتـه لخطرهم.

قادتني هذه الملاحظة – بعد أن انتهيت من كتابة مسودة الكتاب بعدة أشهر – إلـى أن أبحث عما كتب من دراسات نفسية عن اليهود، فوجدت الأمر كما توقعت تمامـاً ! حتى كأن ما كتب عن اليهود هو نفسه الذي كتبته عن الفرس أو الشيعة المتأثرين بهم.

ولا عجب!

فإن التحليل النفسي يوصلنا إلى أن الأساس واحد في الحالتين؛ إذ تبدأ العقد النفسية في الشخصية اليهودية من المبدأ نفسه الذي انطلقت منه العقد النفسية الفارسية: شـعور القلة العددية بالضعف والخوف ضمن الكثرة المهددة المحيطة بها. ومن هذا الشـعور نتجت (عقدة النقص) و(عقدة الاضطهاد)، وتسلسلت باقي العقد بالطريقة نفسـها التـي ذكرناها عن الفرس.

وإذا كان هذا التشابه قد ثبت من خلال النظر في الواقع – تجريبياً ونظرياً – فإن هذا يستلزم أن ما حكاه القرآن العظيم عن اليهود – تشخيصاً وعلاجاً – يمكن إنزالـه على أولئك الذين دانوا بتشيع الفرس، وهم عامة الشيعة اليوم.

وهذا يدعوني إلى أن أقسم هذا المبحث إلى قسمين:

القسم الأول: عن الشخصية اليهودية من خلال الدراسات النفسية الحديثة.

القسم الثاني: عن الشخصية اليهودية في القرآن.

القسم الأول

الشخصية اليهودية

من خلال الدراسات النفسية الحديثة

اتخذ اليهود تجمعات سكانية انعزلوا بها عن المجتمعات غير اليهودية التي تحيط بهم، شعوراً منهم بالخوف وطلباً للأمن والحماية من المحيط المهدد لهم. مثل (حارة اليهود) في مصر، (وقاعة اليهود) في اليمن[1]. و(القاهال) في شرق أوروبا وهي كلمة عبرية تعني جمهورا أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد[2]. و(الجيتو) وهو عبارة عن حي أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود. و(الشتتل) ومعناه (المدينة الصغيرة) وجاء في وصفه أنه حي قذر، شوارعه ملتوية كمناقشات التلمود، تخرج منها حوارٍ وأزقة وزرائب خلفية. وأغنى اليهود فيها يمكن أن يكون في إحدى صور أربع: غني أو فقير، بائع متجول أو صانع)[3].

وهذا يذكرني بـ(حي الثورة) الشيعي القذر – والذي صار بعد الاحتلال يسمى بـ(مدينة الصدر) – وسائر التجمعات الشيعية في بغداد. لقد تأسست هذا الحي في عهد الرئيس عبد الكريم قاسم في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، عندما جلب له أعداداً غفيرة من مدينة (العمارة) في الجنوب، وأسكنهم فيه، وفي مناطق أخرى من بغداد كالشعلة والشاكرية. وظلت (الثورة) تعاني من القذارة والإهمال والعشوائية في البناء، حتى أعاد بناءها وتفصيلها تفصيلاً حديثاً الرئيس صدام حسين في بداية الثمانينيات، وسماها باسمه (مدينة صدام). لكنها سرعان ما عادت إلى سابق (عزها) كأقذر تجمع سكاني في بغداد! ومثالاً يتباكى به الشيعة دليلاً على (الظلم والاضطهاد ومظلمة أتباع أهل البيت).

دراسة الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين في كتابها (الجيتو اليهودي)

---

[1] دائرة المعارف العبرية ، الجزء العاشر عمود ٦٠١ –٦٠٢ . نقلاً عن شبكة المعلومات.

[2] ايفن شوشان . أفراهام ، القاموس المركز ، ص ٦١٨ . نقلاً عن شبكة المعلومات.

[3] ساخار . هوارد مورلي ، مسار التاريخ اليهودي الحديث ، ص ١٩١ . نقلاً عن شبكة المعلومات.

تحدثت الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين في كتابها (الجيتو اليهـــودي) عـــن الآثار النفسية الناتجة عن حياة اليهود في الجيتو، ولخصتها في جملة خصائص تجـــدها تتشابه تماماً مع تلك الخصائص النفسية لنموذج الشخصية الشيعية، التـــي استخلصـــتها من خلال الدراسة والتتبع الميداني! وأنا أنقل ما جاء من هـــذه الخصـــائص كمـــا ورد بنصه:

أولاً- الشعور بالاضطهاد والخنوع والإذلال

لقد أثرت حيات الجيتو والتشتت والعزلة، وأحداث الاضطهاد التي عـــانى منهـــا اليهود على سيكولوجيتهم، فأصبح مركب الخوف هو المركب النفســـي الســـيكولوجي الموروث عن تجارب الاضطهاد لدى اليهود.

وكان اليهودي يستجيب لهذا الاضطهاد الذي استمر قروناً طويلة، إما بموقف الذليل الخانع الذي يتسم بالمازوخية، أو يستجيب بالرحيل والهجرة إلى مكان آخـــر يتصـــوره أقل ظلماً وأرحب صدراً[١].

وهذه هي عقدة الاضطهاد وعقدة النقص أو الدونية، والســـلوك الماسوشـــي لـــدى الشيعة.

ثانياً- تحقير الذات

هذا وقد تطور الشعور بالاضطهاد والخنوع والإذلال إلى شعور بكراهيـــة الـــنفس والخزي والعار وتحقير للذات اليهودية. والنظريات المعاصـــرة فـــي الطـــب النفســـي والخاصة بالظواهر النفسية النفسية الداخلية تقر أن المشاعر الإنسانية تتطـــور، فكـــل شعور يؤدي إلى شعور آخر، وهذا ما حدث لليهود إذ تطور الشعور بالاضطهاد آلـــي شعور بكراهية الذات اليهودية واحتقارها[٢].

والشعور بالخزي وكراهية النفس وتحقير الذات ، التي ميزت يهود الجيتو ، تسمى

---

[١] الجيتو اليهودي ، ص٣٥٨ ، د. سناء عبد اللطيف حسين. مصدر سابق.

[٢] أيضاً ، ص.٣٦٠

بالتعبير السيكولوجي العلمي (الشعور بالدونية). ويرجع ذلك إلى الإحساس بالاضطهاد كعنصر مميز للتكوين السيكولوجي الإسرائيلي[1].

وهذه هي عقدة النقص أو الدونية أوعند الشيعي.

ثالثاً- الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين

أيضا من الآثار السيئة التي تكونت في نفسية يهود الجيتو، الحقد وكراهية الآخرين. فحياة اليهود داخل الجيتو قروناً طويلة جعلتهم لا يشاركون المجتمع، بل انكبوا على دراسة ماضيهم دون النظر إلى المشاركة في التطور الذي يسير فيه العالم – كما سبق أن ذكرنا – وكان نتيجة ذلك تخلف اليهود؛ لذلك أخذوا ينظرون إلى هذا التقدم في البلاد التي يعيشون فيها نظرة حقد وكراهية.

وهكذا تأصلت هذه الخاصية في كيان يهود الجيتو حتى أصبحت ضمن مكونات شخصياتهم، فامتلأت نفسياتهم بالحقد على الغير، حتى بين اليهود بعضهم وبعض: حقد على الغني من الفقير، وعلى القوي من الضعيف، وعلى السعيد من الحزين[2].

وهذه هي عقدة الحقد عند الشيعة.

رابعاً – العدوانية والعنف

من ناحية أخرى أدت العزلة النفسية التي عاش فيها اليهود عبر قرون طويلة إلى اتصاف اليهود بعقلية قاسية تميل إلى الشر والهدم وسفك الدماء. وأصبحت الشخصية اليهودية التي عاشت في الجيتو شخصية عدوانية. فقد كان لحارات الجيتو الفضل في الحفاظ على العنصر اليهودي في شكلها المرضي الذي أصبح داء عضالا، حتى انقلب إلى موقف رفض للاندماج، ثم إلى عداء للإنسانية؛ فانقلب يهود الجيتو المضطهد الذليل إلى وحش كاسر عندما أتاحت له ظروف الاستعمار أن يقيم دعائم الصهيونية، فمارس كل ما عرفه من صنوف الإذلال والتعذيب على مدى قرون داخل الجيتو على المستضعفين من عرب فلسطين.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام : كيف استطاع اليهودي الجبان ، الذليل ، الخانع ،

---

[1] أيضاً ، ص.٣٦١

[2] ص٣٦٢-٣٦٣.

المنطوي ، المنعزل ، الذي عاش على هامش المجتمع أن يتحول إلى سفاح طـــاغي ، يتفجر نشاطاً عدوانياً؟

للإجابة على السؤال السابق نستطيع أن نقول:إنه لا بد أن هناك أحداثاً كانـــت لهـــا صلة بحدوث تغير عميق في البناء النفسي ليهود الجيتو، نتج عنها هذا التحول. ويبـــدو أن أحداث فتك النازيين ببضعة ملايين من اليهود – في المعسكرات النازيـــة – كانـــت بمثابة نقطة تحول في السلوك اليهودي، حيث أن تفسير أي سلوك إنما يرتد إلى نمـــط علاقة الفرد بالآخرين. أي نمط بناء الشخصية. وهذا يرتد في نهاية الأمر إلى ما يطلق عليه (هوية الذات) أو (هوية الأنا).

ومن الثابت أن (هوية الذات) إنما هي نتاج عملية (التوحد) بالآخرين، تلك العمليات التي تعتبر المحور الأساسي في مدان علم النفس. وهذا المحور هو محور (الأنا– أنت). فبناء الأنا النفساني توضع لبناته الأولى على غرار مكونات الأنا لدى من قـــام علـــى شؤون الصغير أي الأم والأب. وبناء على ما سبق نستطيع أن نفســـر كيـــف تحـــول اليهودي من الاستكانة إلى العنف والعدوان، إذ أن ذلك تم عن طريق عمليـــة التوحـــد الجديدة فيما يختص بهوية اليهود في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الثانية. وهـــو مـــا يطلق علية عملية (التوحد بالمعتدي). والتوحد بالمعتدي هي حيلة لا شعورية تُصـــطنع للتغلب على الخوف من المعتدي، بمعنى أن الصبية اليهود ومن كان مـــنهم فـــي أول شبابهم، من الذين قبض عليهم وعلى آبائهم في أوربا، أودعوا في معسكرات الاعتقـــال النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أفرج عمن بقي منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازيين. مما لا شك فيه أنهم توحدوا بجلاديهم النازيين.

وفي دراسة قام بها الطبيب النفساني اليهودي (منكوفكس) في كتابه بعنوان (مبحث في علم النفس المرضي) ص٢٨٥ يتحدث عن الأطفال اليهود في معتقـــل (بوخنفالـــد)، يقول: (إن التخدير الوجداني – أي انعدام الاستجابة العاطفية لدى مرضـــى العقـــل – ليس إلا علامة من علامات التدهور النفسي، خاصة بين الشباب اليهود بعد بقائهم فترة طويلة في معسكرات الاعتقال وهم في سن اللعب. فأطفال معسكر بوخنفالد نشأ عندهم مرض البارانويا – توهم الاضطهاد لدى مرضى العقل –).

والتوحد بالمعتدي ليس أمرا قاصرا على أطفال (بوخنفالد) وغيرهم من المعـــتقلات النازية الأخرى ، بل قد يتم التوحد بالمعتدين طريق التعاطف اللاشعـــوري ، بمعنـــى التحليل النفسي.

وعلى هذا يمكن القول أن يهود أحياء الجيتو قد توحدوا بالمعتدي، وبالتالي فإن أفراد الشعب اليهودي في فلسطين من غير خريجي المعتقلات ،قد توحدوا بالمتوحدين بالمعتدي من شباب المعتقلات. بمعنى أنهم توحدوا بهم عن طريق العدوى أو التعاطف اللاشعوري لاتصالهم المباشر بهم. وقد نتج عن مركب الخوف وتوهم الاضطهاد والتوحد بالمعتدي – السابق ذكره – أن قام اليهود بأعمال العنف ضد العرب من قتل وذبح وطرد ومصادرة أراضي واغتصاب منازل؛ لأنهم يعتقدون في أنفسهم أنهم إذا لم يقوموا هم بالاعتداء على العرب فإنهم سوف يكونوا في وضع المعتدى عليهم مثل الماضي، ومن ثم تولد عند اليهود شعور بأن كل من حولهم أعداء لهم[1].

وهذه هي العدوانية أو عقدة الاعتداء عند الشيعة، التي تحدثنا عنها وعن جذورها، وتفجرها بعد الاحتلال الصليبي للعراق. وعلاقة حيلة (التوحد أو التماهي بالمعتدي) النفسية، والبحث عن الذات وعقدة الاضطهاد وعقدة التوجس أو الخوف من الآخر بالموضوع. وهي أمراض وعقد نفسية متشابهة لدى الفريقين حذو القذة بالقذة.

خامساً – التشاؤم واليأس وفقدان الأمل والتشكك

يعتبر التشاؤم واليأس من الخصائص المميزة لشخصية يهودي الجيتو. وقد أثبتت نتائج البحوث التي أجريت في مجال الصحة النفسية الإسرائيلية أن التشاؤم واليأس وفقدان الأمل في المستقبل، والتشكك حيال الآخرين وحيال بعضهم البعض من الخصائص المميزة لشخصية يهودي الجيتو خاصة الأشكنازيم[2] منهم. حتى إنهم أخذوا يفقدون الأمل في الخلاص وأصبحوا يتشككون في مقدرة الرب لنصرتهم. وفي ذلك يقول (ماكس نوردو) :

(إن اليهود يئنون تحت ظروفهم البائسة في أوربا الغربية ويبحثون عن الخلاص، ولكنهم فقدوا ذلك الإيمان الذي كان يساعدهم في تحمل العذاب واعتباره مجرد قصاص من إله يحبهم. كما فقدوا الأمل في مجيء المسيح المنتظر الذي سيخلصهم)[3].

وهذا هو الشعور بالإحباط عند الشيعة، والنفسية التشاؤمية المتشككة الحزينة لديهم.

---

[1] ص٣٦٤-.٣٦٦

[2] الأشكنازيم مصطلح يطلق على اليهود القادمين من أوربا.

[3] ص.٣٦٩

واليأس من الخلاص الذاتي النابع من عقدة النقص، واستبطاء تحقق خرافة مجيء المهدي المنتظر؛ الذي يدفعهم على الدوام إلى التعلق بالخلاص على يد الغازي أو المحتل الأجنبي، ومناصرته والتمسك به، إلى أن يفقدوا الأمل به ثانية وتتقاطع مصالحهم فيسلط الله بعضهم على بعض، ويذيق بعضهم بأس بعض، مأزورين غير مأجورين. ومن الأمثلة التاريخية على خيانة اليهود ونقضهم العهود ما فعله يهود بني قريضة من التحالف مع المشركين وجلبهم لغزو وطنهم (المدينة المنورة) نكايةً بمواطنيهم المسلمين. وهو ما فعله ويفعله الشيعة على الدوام.

سادساً – الشعور بالتمايز

كان الشعور بالتمايز هو الخاصية النفسية الأخرى التي لها جانب كبير في التكوين السيكولوجي ليهود الجيتو خاصة في أوربا. والشعور بالتمايز مصطلح يشير في العلوم الاجتماعية إلى العملية التي يحدث عن طريقها الانفصال والتفرقة والتفاضل بين الأفراد والجماعات على أساس محكّات موضوعية مثل العنصر أو الدين أو السلالة أو مستوى الذكاء أو التعليم ... الخ. ويصاحب هذه العملية تمايز اجتماعي من ناحية المرتبة الاجتماعية والفروق الثقافية والوظيفة والاقتصاد... إلخ.

وقد أخذت هذه الخاصية – من قبلُ – صورة النقاء العنصري وشعب الله المختار، ولكن الآن في دولة (إسرائيل) قد آخذت هذه الخاصية شكلاً آخر، حيث أصبح الشعور بالتمايز يأخذ صورة التفوق العقلي والذهني لليهود الغربيين. ونظراً لاختلاف العناصر الأساسية للتنشئة الاجتماعية لليهود القاطنين في حارات الجيتو في مختلف بلدان العالم، لذلك نجد أن الجيتو في كل بلد قد ترك بصماته على حياة اليهود في إسرائيل.

ولتوضيح ما سبق، يكفينا أن ندلل على وجود فوارق اجتماعية كبيرة بين الطوائف اليهودية في إسرائيل، حيث اكتسب اليهود القاطنين في حاران الجيتو في أوربا شعوراً بالتفوق والامتياز. وكان هذا الشعور ضمن العناصر الأساسية التي تضمنتها تنشئتهم الاجتماعية، وبالتالي أصبح ضمن مكونات تركيبهم السيكولوجي. فاليهودي الغربي (الأشكنازي) يعتبر نفسه أكثر حضارة ومدنية وثقافة من اليهودي الشرقي (السفاردي)[١].

(إن الرواسب الذهنية للتفرقة والخلافات القديمة كان لها دورها الفعال في الشعور

---

[١] ص٣٧٨.

بالتمايز. والتحليل النفسي لهذا التمايز الناتج عن الرواسب الذهنية القديمة تحمل في طياتها الشعور بالبغض والجفاء من جانب اليهود الأشكنازيم تجاه اليهود السفارديم الذين كانوا يترفعون عليهم في الماضي بما لديهم من ثقافة وعلم نتيجة اتصالهم بالحضارة العربية الغنية بألوان الثقافة والمعرفة والأدب والفلسفة والشعر، في الوقت الذي كان يعيش فيه يهود أوربا في ظلمات الجهل والشعوذة في الجيتو المغلق. وهذه الرواسب القديمة تركت أثرها السيكولوجي على نفسية اليهود الأشكنازيم الذين سنحت لهم الفرصة لكي يعوضوا ما مر بهم من بؤس بالانتقام من اليهود السفارديم. وهذا هو الشعور الذي يتعرض له الإنسان المضطهد عامة حين تتاح له الفرصة فينفس عن شعوره باضطهاد الأقل منه قوة. ومن ناحية أخرى، فقد جاء في نشرة مجلس الطائفة السفاردية في القدس:

(إن ما يكرهه يهود أوربا الشرقية في إخوانهم اليهود الذين يأتون من الشرق، هو حقيقة أن هؤلاء اليهود يذكرونهم بأحوالهم الاجتماعية والثقافية التي كانوا يعيشونها منذ بضعة عقود في حارات الجيتو في روسيا و بولندا. وأن رغبتهم في نسيان هذا الماضي هو الذي جعلهم يرفضون السفارديم الشرقيين)[١].

وهذه هي عقدة السيد النابعة من عقدة النقص لدى الشيعة. تأمل كيف يسمون أهل السنة (أبناء العامة)؟! فهم الخاصة إذن. على طريقة (شعب الله المختار).

سابعاً – التعصب

كان من أثر الجيتو أن تولدت في نفوس اليهود مرارة دفينة، وغلبهم خوف متواصل جعلهم يتمسكون بكيانهم ويتعصبون لدينهم، وأصبحوا لا يميلون إلى التعامل مع الأجانب. ويوماً بعد يوم كان هذا التعصب ينمو و يزداد. والتعصب في الحقيقة تعريف سيكولوجي يهدف إلى عزل الأفراد والجماعات المتعرضة بعضها عن بعض وإقامة الحدود الفاصلة بينها. والتعصب أيضا يعتبر مظهراً من مظاهر الجنوح في تأكيد الذات واحترامها. والمغالاة في هذا الجنوح يصل بالفرد إلى أن يعشق ذاته ويحرص على تضييق عالمه الخاص به . وهذا ما فعله اليهود فعلاً ، ولا سيما من خلال فكرة شعب الله المختار والبقاء العنصري .

---

[١] ص٣٧٩-٣٨٠.

ويقرر (إمبري) أن التعصب يعتبر نوعاً من أنواع النرجسية **Narcisisme** وعشق الذات . والمغالاة في عشق الذات تجنح بالأفراد إلى ضروب مختلفة من كره ومقت الأفراد الآخرين الذين يختلفون عنهم.

وهذا الشعور بلغ أقصاه عند اليهود. فحبهم لأنفسهم وعشقهم لذاتهم جعلهم يكرهــون جيرانهم، بل ويعتبرون كل من هو غير يهودي: أجنبياً وغريباً عنهم .

ومن المعروف أن الطفل في سنواته الأولى يتعلم كيف يميــز بــين الأشــخاص والأشياء، ويصبح من هذه اللحظة قادراً على ممارسة العلاقات الاجتماعيــة. ويــتعلم كيف يحدد لنفسه المسافة الاجتماعية بينه وبين غيره. وتنشئة الطفــل اليهــودي فــي الجيتو ركز على تعليمه الأنماط السلوكية التي تتسم بالتعصب. كما ركزت أيضا على تشكيل شخصيته بطريقة عملت على اتساع هوة البعد الاجتماعي بينه وبين غيرهم.

ويظهر التعصب أيضا عندما ينظر الفرد أو الجماعة إلى ثقافته أنها الثقافة الراقيــة بالفطرة. ويتضمن هذا الاتجاه حكماً بالدونية على الثقافات الأخرى. وهذه في الواقــع نظرة اليهود إلى ثقافات الشعوب الأخرى .

ونجد في قصيدة (أغنية المهد) التي كتبها (شاؤول تشرنيخوفسكي) للتعبيــر عــن تعصب اليهود لجنسهم حين يقول :

يهودي أنت يا بني

في هذا سعادتك وأيضاً مصيبتك

فصيلة من سلالة شعب عريق

تفوق عظمتك الشعوب[1]

وهذه هي عقدة التعصب لدى الشيعة، بكل حيثياتها التي تحدثنا عنها سلفاً. حتى في تربيتهم لأطفالهم، وكيف يغذونهم الحقد على غيرهم، ويغرسون فيهم الشعور بالخوف منهم، والعزلة النفسية عنهم. وهذا من أهم أسباب الشعور بالاغتراب.

ثامناً- الشعور بالاغتراب

كما سبق أن ذكرنا أنّ اليهود كانوا يعيشون في الجيتو بقلوبهم وعقولهم في نطــاق حدود تراث مرتبط بالدراسات الدينية والرقعة المادية المحدودة للجيتو؛ مما جعلهم دائماً

---

[1] ص٣٨٢-٣٨٣.

وأبداً مختلفين ومتغايرين عمن حولهم. وكانوا دائما عنصراً أجنبياً وغريباً في أي مجتمع. بالإضافة إلى ذلك فإن الشعور بالاضطهاد وعدم الاستقرار، كل ذلك جعل اليهود يعيشون في حالة اغتراب ونفي دائمة.

والنظريات المعاصرة في الطب النفسي، والخاصة بالظواهر النفسية الداخلية تؤكد على أن نقص الضمان الاجتماعي يؤدي إلى حالة من الانحسار الروحي، والانكماش النفسي والقلق والشك واليأس، ثم تتفاعل هذه المشاعر ويتولد عنها حالة الاغتراب.

والظروف التي مر بها اليهود من عزلة داخل أحياء الجيتو، وانفصالهم عن العالم الخارجي، وتعرضهم للاضطهاد أحياناً، كل ذلك جعل اليهود يصابون بتلك الظواهر النفسية التي نتج عنها إصابة اليهود بحالة الاغتراب[١].

الشعور بالخوف من المحيط – بعنصريه: الطبيعة والإنسان – مغروس عميقاً في النفسية الشيعية. ومن هنا نشأ عنده الشعور بالاغتراب، وما يتبعه من الشعور بالاضطهاد. وهو أساس الشعور بعدم الانتماء إلى المحيط أو الولاء للوطن. الذي استتبع قابلية الاستعمار أو الاستدبار عند جمهور الشيعة.

تاسعاً – الشعور بعدم الانتماء للجماعة والولاء للوطن

نتج عن عزلة اليهود رفض الانتماء، وعدم التفاعل الحقيقي مع المجتمع، وتقليص عناصر الولاء القومي. وهناك بعض العقائد التي تميزت بها طبيعة الحياة الفكرية والمعيشية في الجيتو، زادت من شعور اليهود بعدم الانتماء للجماعة، وساعدت على انفصالهم عن جيرانهم. منها عقيدة المسيح المنتظر الذي سيقود اليهود إلى صهيون. وحيث أن هذه العقيدة كانت تسيطر على كيان اليهود وفكرهم فقد فتر الإحساس بالارتباط بالمكان الذي يعيش فيه اليهود في شتاتهم؛ لأنهم ينتظرون المسيح الذي قد يظهر في أي وقت فيضطرون إلى ترك هذا المكان الذي يعيشون فيه، ويتبعون المسيح المخلص إلى وطنهم الحقيقي، إلى الأرض المقدسة؛ من هنا فقد اليهود في شتاتهم الشعور بالانتماء للجماعة، أو الولاء للوطن الذي يعيشون فيه[٢].

---

[١] ص٣٨٣-٣٨٤.

[٢] ص٣٨٥-٣٨٦.

عاشراً – حب المال والبخل

من ناحية أخرى فقد ولدت حياة الجيتو صفة البخل عند اليهود، حتى أصبح حب المال والبخل ضمن مكونات الشخصية اليهودية التي عاشت في حارات الجيتو. فقد سبق أن أشرنا إلى أن اليهود اشتهروا من قديم الأزل بحب المال والحرص على جمعه. وقد ساعدت ظروف الاضطهاد التي أحاطت باليهود أحيانا في بعض حارات الجيتو – بالإضافة إلى شعورهم بأنهم يشكلون فئة منبوذة ومنعزلة – إلى جعل اليهود قلقين في أعماقهم، ولا يطمئنون على استمرار ملكيتهم لأي شيء.

ومن هنا أصبح المال يمثل شيئاً جوهرياً في حياتهم، ونمت عندهم صفة حب المال والحرص علية وعبادة لدرجة البخل الشديد عند الكثير منهم، حيث أدت الصفة المادية للشخصية اليهودي إلى صفة أخرى هي الشخصية البخيلة، حتى أنها أصبحت اصلاً من الأصول المكونة لنفسية اليهودي[1].

وهذا يشبه ما عليه علماء الشيعة ومراجعهم وسادتهم من حب المال، والحرص على جمعه، والبخل بإنفاقه على مستحقيه. ولحبهم المال وتعلق نفوسهم الشديد به اخترعوا خمس المكاسب وثلث الأموات (وهو أن يوصي الميت من باب الاستحباب يعطوا ثلث أمواله إلى المرجع الديني!) والحقوق الشرعية وحق الجد، ورد المظالم (وهو أن يدفع من كانت عليه مظلمة أو تقصير في حق شرعي، أو ترك واجباً مبلغا من المال إلى المرجع لتغفر له مظلمته). وغيرها من المسميات الباطلة. واستحوذوا على الصدقات والكفارات والذبائح والنذور، واحتجنوها لأنفسهم. وأجازوا الربا[2]، واستحلوا سرقة أموال (الآخر)، وأخذ ونهب أموال الدول التي يعيشون فيها. وغيرها وغيرها. حتى روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ما من شيء أحب إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام. وإن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل أُحد. وفي رواية : درهم يوصل به الإمام أفضل من ألف ألف درهم فيما سواه من وجوه البر[3].

---

[1] ص٣٨٧-.٣٨٨

[2] نقلت بعض الفتاوى عن تحليل بعض المعاملات الربوية الواضحة في الفصل السابق: التشابه بين الشيعة واليهود.

[3] أصول الكافي ، ٥٣٧/١ ، ٥٣٨ على التوالي.

حادي عشر – الخوف والشعور بعدم الأمن والأمان خارج حدود الجيتو

من ناحية أخرى أثرت حياة الجيتو على اليهود الذين عاشوا بين جدرانه، حيث أصبح الخوف الناتج من توقع العدوان ضمن مكونات الشخصية اليهودية. لذلك نجد أنه على الرغم من المستوى الحضاري المتدني والفكر المتخلف الذي ساد الحياة في الجيتو، إلا أن اليهود كانوا يعيشون بالأمان داخل حدوده، وكانوا ينظرون إلى العالم الخارجي بعين الشك والريبة، وأنه عالم مليء بالأخطار لدرجة أنه عندما حاولت اليهودية الإصلاحية أن تهدم أسوار الجيتو، وأن تستجيب لنداء الاندماج بعد أن انطلقت شعارات الحرية في العصر الحديث، رفض الصهيونيون هذا الأمر، وعملوا على إقامة دولة إسرائيل لتكون جيتو كبيراً يعيش في ثناياه يهود العالم حتى يشعروا بالأمان.

وامتد هذا الفكر الجيتوي الذي ساد بين اليهود طيلة قرون عديدة ليجعل قادة الصهيونية يقررون إقامة الأسلاك الشائكة، وبناء الأسوار حول مكان إقامتهم حتى بعد ما تجمعوا في أرض الميعاد في دولة إسرائيل[١].

ويصف (فرديناند زفايج) – الباحث اليهودي – شخصية الشباب الإسرائيلي الأشكنازي فيقول : (إنه يشعر كما لو كان محاطاً بتهديد مستمر بالإفناء)[٢].

وهذا الخوف وعدم الشعور بالأمان من المحيط الخارجي، هو الدافع وراء التعصب الطائفي الشديد عند الشيعة، والتعلق الطفلي بالمرجعية، فلا يشعرون بالطمأنينة إلا داخل هذه الأسوار الوهمية.

دراسات أخرى

وقد أجمعت على هذا الدراسات الأخرى التي اطلعت عليها. واتفقت على وجود وتسجيل جميع العقد والأمراض والسمات النفسية والسلوكية التي توصلتُ إلى تشخيص وجودها في الشخصية (الفارسية) وسليلتها الشيعية مثل: عقدة النقص أو الدونية، الاستخذاء، عقدة السيد، عقدة الاضطهاد، عقدة الحقد، العدوانية أو عقدة الاعتداء، عقدة الانتقام، الهُجاس، التعصب، الغدر، الخداع، عدم الاعتراف بالآخر، استحلال ما عند

---

[١] ص٣٩١-٣٩٢.

[٢] ص٣٩٣.

الغير، السادو– ماسوشية، التوحد بالمعتدي، التعلق بالمال، العقلية الخرافية، خيانة الوطن، البارانويا (هذاء الاضطهاد)[1]. وتكرار المذابح اليهودية.

القسم الثاني

[1] من هذا الهذاء اختراعهم لفكرة (اللاسامية)، وهي (ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوروبية (أنتيسبمتيزم) التي تعني حرفيا (المذهب المعادي للسامية). والمقصود بها عملياً هو (معاداة اليهود) لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في المجتمع الأوروبي، على حسب الدعوى العنصرية التي أشاعوها عن أنفسهم، حيث يعتقدون أن كل ما حل بهم إنما يرجع لكونهم يهوداً، وأن من يسعون لإيذائهم مصابون بداء (اللاسامية). والمنطق الطبيعي يقول عكس ما يدعيه اليهود؛ لأن العداء للسامية سلاح إرهاب مسلط على كل من يدفعه ضميره أو تفكيره إلى معارضة مخططات الصهيونية من رجال السياسة والفكر.

وقد ترتب على هذا أن تمكن الصهيونيون من احتواء الفكر الغربي فاندفع مفكرو الغرب أو غالبيتهم العظمى إلى مناصرة الصهيونية دون تحفظ تحت وهم أنهم يناصرون قضية عادلة يدفعون بها عن البشرية وزر العنصرية، بما يعكس أضخم عملية (غسيل مخ) عرفتها البشرية). ولك أن تلاحظ –مقارناً مع الاقتباس السابق من إحدى الدراسات النفسية عن الشخصية اليهودية – أن الشيعة – بسبب هذاء البارانويا – يشبهون اليهود حين يرجعون كل ما يصيبهم من نكبات بسبب عقدهم النفسية – وتصرفاتهم العدائية الناتجة عنها تجاه الآخرين – إلى شيء واحد فقط هو كونهم شيعة. وقد ترتب على هذا الوهم المريض – ما ترتب على دعوى اللاسامية اليهودية – أن تمكن الشيعة من احتواء الفكر السني، لا سيما البعيد عن الجغرافيا الشيعية، وكذلك الفكر العالمي، بما يعكس أضخم عملية (غسيل مخ) عرفتها البشرية. وهذا هو الأساس الذي بنى عليه الأمريكان غزوهم للعراق من أجل تخليص ما سمي بـ(الأغلبية الشيعة المضطهدة) من (الأقلية السنية الحاكمة)، متخذين من ذريعة هلوكوست (المقابر الجماعية) المزيفة وسيلة إلى ذلك. ولك أن تلاحظ أيضاً الشبه العجيب للعملية الإجرامية التي ارتكبها الشيعة في حق العراق، بالعملية التي تم بها احتلال اليهود لأرض فلسطين، متخذين من ذريعة الاضطهاد والهلوكوست اليهودي على أيدي النازية الألمانية وسيلة إليه! إن الشيعة المستعجمين اليوم يتخذون الذريعة نفسها على أمل اختطاف العراق واحتلاله، وتفريغه من أهله.

الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم

ورثة آدم وورثة إبليس

في أول قصة للخليقة وردت في القرآن جاءت قصة أبينا آدم عليه السلام مع إبليس (لع). بعدها مباشرة جاء الحديث عن بني إسرائيل (اليهود). ثم بعدها جاء الحديث عن أبينا إبراهيم عليه السلام، وورثته أمة الإسلام. ليظهر في النهاية أن أولئك (اليهود) هم ورثة إبليس اللعين، وأن هؤلاء (أمة الإسلام) هم ورثة آدم عليه السلام الحقيقيين.

١. عقدة النقص

تظهر عقدة النقص عند اليهود في القرآن من خلال النظر والتأمل في عدة آيات. منها قوله تعالى: **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)** (البقرة:٩٦). لقد جاء التعبير لكلمة (حياة) بالتنكير ليقول لك: إنهم حريصون على أية حياة، ولو كانت حياة مذلة ومهانة وعبودية، أو حياة الكلاب والقردة والخنازير والحمير!.

ومنها قوله تعالى: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)** (البقرة:٦١). نفوس ذليلة مستكينة، دونية تطلب الدون من الأشياء بدلاً مما هو خير.

وقوله: **(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** (آل عمران:١١٢).

ومنها قوله تعالى: **(يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** (البقرة:٤٧). إذ حولوا هذه الأفضلية من أفضلية عمل إلى أفضلية جنس أو عنصر. وهذه سمة المصابين بـ(عقدة النقص)، يتعوضون

عن نقصهم وسوء أعمالهم بالدعاوى الكبيرة الفارغة؛ ليغطوا بها نقصـــهم وخـــواءهم. وانظر إلى تجبرهم حين قالوا: (**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**) (آل عمران:١٨١)! وهـــذه لا يرتكبها إلا مريض بـــ(عقدة النقص).

واليهود جمعوا بين سوء العمل، وكبر الدعوى. يقول تعالى عنهم: (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) (الجمعة:٥).

وفي الآية تظهر حيلة (الإسقاط) النفسية. فاليهود وصـــفوا غيـــرهم بـــــ(الحميـــر) والبهائم (الغوييم)، بينما هذا الوصف لا ينطبق إلا عليهم ومن شابههم، بشهادة أصـــدق القائلين جل وعلا. فاليهود إنما (يُسقطون) على الآخرين رذائلهم وصفاتهم. بل بلغـــت بهم الصفاقة أن (أسقطوا) بخلهم على الله سبحانه! فقالوا: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**) (المائدة:٦٤).

وهذه الشخصية لا تفهم إلا لغة القوة: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (البقرة:٦٣). فأخذ الميثاق كان تحت التهديد بسقوط الجبل فوق رؤوسهم. لكن ما إن ذهب الخوف، وارتفع الطور إلى مكانه عـــنهم حتـــى رجعوا إلى ما كانوا عليه من تفلت وعصيان: (**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (البقرة:٦٤). ولأمر ما كانت معجزة موسى عليه السلام في بني إسرائيل هي العصا.

وتتجلى عقدة النقص أو الضعف عند اليهود من خلال بنائهم الحصون واحتمـــائهم بها لا يقاتلون إلا من وراء جدرها . قال تعـــالى: (**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**) (الحشر:٢). وقال: (**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ**) (الحشر:١٤).

ومن ذلك تعلقهم بالتحالفات والقوى الخارجية، وتعويلهم التـــام عليهـــا، لا علـــى أنفسهم مستقلين عن غيرهم، ما يدل على تأصل الضعف فيهم، وأنه ضعف ذاتـــي، لا

ينجبر إلا بالغير. كما قال تعالى: **(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ)** (آل عمران:١١٢).

ومنها تذللهم لعلمائهم حتى عاملوهم معاملة الأرباب، وأنزلوهم منازل الآلهة: **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** (التوبة:٣١).

ولولا عقدة النقص ما اتخذوا العجل معبود عدوهم إلهاً لهم! **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)** (الأعراف:١٥٢). فهي ذلة متأصلة في نفوسهم عقوبة القدر جزاء ذنوبهم ومعاصيهم.

ومنها عقيدة (المخلص) الخارجي الذي سينقذهم من واقعهم بطريقة سحرية خرافية دون تدخل منهم. وما ذاك إلا لعقدة النقص التي تجعلهم يطلبون الخلاص لا من داخل أنفسهم، وإنما يتطلعون دوماً إلى المنقذ الخارجي. قال تعالى: **(وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)** (البقرة:٨٩). لقد كانوا يبشرون أنفسهم بالنبي الموعود الذي سيتم الفتح على يده، ويقتلون به أعداءهم؛ فهم يستفتحون به عليهم. وجاء المنقذ، وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. لكن لما كانوا يتخيلون – كما يتخيل الشيعة عن مهديهم – أن الإنقاذ سيكون على يديه بطريقة سحرية دون تدخل منهم – إضافة إلى كونهم يريدونه من بني إسرائيل – وجاء الواقع على غير ما يتخيلون. فالإنقاذ لا بد له من عمل مناسب يقومون به. فلما وقع الأمر على غير أوهامهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين. وعادوا يعتقدون بالوهم، يتعللون به، يسمونه ملك السلام. وما هو إلا المسيح الدجال مهدي الشيعة.

وبسبب هذه العقيدة (المخلص الخارجي) مع الضعف الذاتي تجد الخيانة حاضرة لدى اليهود والشيعة؛ إذ تنعكس هذه العقيدة في الواقع العملي تعلقاً بكل قوة خارجية، واستعانة بها على أوطانهم. فاليهودي والشيعي – إلا من رحم – لا يشعر بالانتماء إلى وطنه. مطبوع على العمالة للأجنبي.

وتجد عقدة النقص حاضرة في قولهم كما جاء في الآية الكريمة: (**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**) (البقرة:٨٨)، وقوله تعالى: (**وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً**) (النساء:١٥٥). وهذه تسمى في علم النفس بـــ(عقدة الخصاء الذهني)، وهي أحد مظاهر (عقدة النقص).

٢. الخوف والجبن

وهذه السمة فرع عن عقدة النقص . في (سورة البقرة) قصتان : أحداهما (قصة البقرة) عبرت عن بخل اليهود بالمال، والأُخرى (قصة طالوت وجالوت الآيات:٢٤٦-٢٥١) عن جبن اليهود وبخلهم بالنفس في سبيل الله. ورد في مواضع عديدة الحـــديث عن خوف اليهود وجبنهم، منها قوله تعالى: (**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) (البقرة:٩٦). وهذا هو أصل الخوف والجبن: حب الدنيا والحرص الشديد على الحياة.

وفي المحاورة التي دارت بين موسى عليه السلام وقومه وهو يحرضـــهم علـــى دخول الأرض المقدسة صورة بشعة للجبن الذي كانوا عليه. قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ*يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ*قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ*قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ*قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**) (المائدة:٢٠-٢٤).

(**لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ*لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**)

(الحشر:١٣-١٤). وهذا وإن جاء في سياق الحديث عن المنافقين، إلا أن الواقع يفسره باليهود؛ إذ هم الذين يومها قاتلوا المسلمين ﴿فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾. وكما قال تعالى عن بني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢). وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ (الأحزاب:٢٦). والصياصي هي الحصون.

ومن علامات الخوف تعاملهم مع مواطنيهم بـ(التقية)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:٧٦).

٣. عقدة الاضطهاد

تولدت (عقدة الاضطهاد) من طول القهر والمعاناة التي تعرض لها اليهود في تاريخهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:٤٩). وقوله: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٢٩).

وتتجلى هذه العقدة من خلال وجود سمتين متناقضتين في الشخصية اليهودية: التجبر في الأرض عند التمكن إلى حد تجرؤهم على قتل الأنبياء عليهم السلام، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى التذلل والمسكنة عند الضعف إلى حد الحرص على الحياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ أي حياة مهما كانت ذليلة مهينة! وهذا من أبرز سمات (الشخصية الاضطهادية).

وفي ذلك يقول تعالى: **(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)** (البقرة:٨٧). ويقول: **(سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)** (آل عمران:١٨١). وانظر إلى تكبرهم عن الحق حين يشعرون بـــالقوة: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)** (البقرة:٥٥)! لكنهم في الوقت نفسه كما قال سبحانه عنهم: **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** (البقرة:٦١). تأمل كيف جمعوا بين الذلة والمسكنة (الماسوشية)، وبـــين قتل الأنبياء والكفر والعصيان (السادية).

وبينما تجدهم في حال أذلاء يتمسكنون، تجدهم في حال أخرى عتاة قساة إلـــى حـــد التحجر: **(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)** (البقرة:٧٤). ومن هنا نشأت لديهم (عقدة الانتقام)، والتلذذ بتعذيب الضحية (السادية).

٤. العدوانية والعنف

تتمثل هذه العقدة بقسوة قلوبهم البالغة كما تشهد به الآية السابقة ، وكذلك قولـــه تعالى : **(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)** (المائدة:١٣) ،وكثرة إقدامهم على جريمة كبيرة مغلظة هي قتل الأنبياء عليهم السلام. بل تفاخرهم بها كما أخبـــر عـــنهم ربنا تعالى فقال: **(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ)** (النساء:١٥٧)!

وليس هذا لأنهم لا يعتقدون بصدقهم. بل الأمر على العكس كما قال تعالى: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (البقرة:١٤٦). وقال: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)** (الصف:٥). فهم يؤذون رسولهم عن علم.

إن السبب الحقيقي هو مجيء الأنبياء بما يخالف رغباتهم وأهواءهم، كما قال تعـــالى: **(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)** (البقرة:٨٧).

وقال: **(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ)** (المائدة:٧٠)! كما حاولوا قتل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة.

ولنفوسهم المطبوعة على العدوانية والعنف تراهم يحاولون إثارة الحروب بين الأمم. قال تعالى: **(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)** (المائدة:٦٤).

٥. البخل وحب المال والخضوع لسلطانه

تحدث القرآن عن بخل اليهود وحبهم الجارف للمال في عدة مواضع منه . أولها حين قص علينا قصتهم مع البقرة (الآيات: ٦٧-٧٣). وفيها يظهر تعنتهم البالغ في مدافعة الأمر الإلهي بشتى الحجج الواهية حرصاً على عدم ذبح بقرة.. أي بقرة! ولبخلهم الذي بلغ حد العقدة، التي يُسقطونها على الغير، حتى لو كان هو الله سبحانه!!! وصموا الرب جل جلاله بالفقير الذي يستجدي أموالهم حين نزل قوله تعالى: **(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** (البقرة:٢٤٥) فقالوا: **(إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)** (آل عمران:١٨١)!

وفيهم وفي أمثالهم نزل قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** (التوبة:٣٤). وما ذلك إلا لحبهم الشديد للمال. وهذا ما دعاهم لأن يتطلبون المال من أي وجه كان، بالحق وبالباطل، ويأكلون السحت الحرام. قال تعالى: **(وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)** (النساء:١٦١). وقال: **(وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (المائدة:٦٢). وقال: **(لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأِثْمَ وَأَكْلِهِمُ**

السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:٦٣). وقد صور القرآن شدة بخلهم حين قال: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً) (النساء:٥٣)!.

بل وصل الحال بهم إلى أن عبدوا الذهب في صورة العجل! قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) (الأعراف:١٤٨). وقال: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (البقرة:٩٢). لقد كان العجل رمز القوة عند الفراعنة الذين كانوا يضطهدون اليهود؛ فكان المفترض فيهم أن يكفروا بكل صورة للعجل، لا أن يحبوه إلى حد العبادة.. حباً وصفه الله تعالى أبلغ تعبير حين قال: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة:٩٣)!. ولكن الشخصية الاضطهادية تفرض على المصاب بها أن يقع فيما يسمى في علم النفس بـــ(التوحد بالمعتدي). فـــ(يجتاف) المضطهد صفات وشخصية من اضطهده، ويصبح صورة مشوهة عنه.

ولعظمة المال في نفوسهم، وشدة خضوعهم لسلطانه، لم يتصوروا ملكاً أو قائداً إلا غنياً. أما الفقير فلا يصلح للقيادة. قال تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) (البقرة:٢٤٧).

٦. عقدة السيد أو الشعور بالتمايز

تبدو هذه العقدة واضحة من خلال الآيات التالية:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) (المائدة:١٨).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (النساء:٤٩).

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ) (آل عمران:٢٤).

(قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:٩٤).

٦. عقدة التعصب

يقول تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ) (البقرة:٩١). أي لا نتبع إلا ما أنزل علينا، وأما ما كان عند غيرنا فلن نتبعه حتى لو كان حقاً نازلاً من عند الله! فهم لم يقولوا: نؤمن بما أنزل من عند الله مطلقاً، وإنما قالوا: نؤمن من ذلك بما كان نازلاً علينا فقط! فأي تعصب أبلغ من هذا؟!!! ومن ذلك قولهم: (وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ) (آل عمران:٧٣). بعد تحايلهم في صرف المسلمين عن دينهم الذي جاء في قوله تعالى: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (آل عمران:٧٢).

ويتجلى التعصب عندما ينظر إلى (الآخر) على أنه شر كله. ليس فيه من خير قط! وإنكار ما عنده مطلقاً، دون تفريق بين حق وباطل. وذلك رغم ما يشهد بخلافه ما عندهم من كتاب: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (البقرة:١١٣). أين هذا من النظرة الموضوعية الإسلامية؟ والإنصاف الرباني الذي يعطي كل ذي حق حقه؟ كما في قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران:١١٣). وقوله: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٥). ولا يفوتنك النظر إلى تعصبهم المقيت في الآية حين أباحوا مال الغير مدعين كاذبين عن علم ويقين أنه (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ).

ومن تعصبهم ما جاء في قوله تعالى عنهم: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة:١٢٠).

ومنه قوله : (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ*وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا

أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران:٧٣).

٧. الخداع والمراوغة

يقول تعالى عن بني إسرائيل: **(وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** (البقرة:٤٢). لكنهم أبوا إلا أن ينساقوا مع انحرافهم النفسي، ويمارسوا دورهم في خداع الناس وتضليلهم! كما قال سبحانه: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** (آل عمران:٧١). وقال: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** (آل عمران:٩٩). وقال: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ)** (النساء:٤٤). وقال: **(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً)** (النساء:١٦٠).

ومن ذلك التلاعب بألسنتهم خداعاً وتضليلاً. قال تعالى: **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (آل عمران:٧٨).

ومن أساليبهم المخادعة تلاعبهم بالكلمات كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (البقرة:١٠٤).

وقال: **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً)** (النساء:٤٦).

وفي قصة (البقرة) شاهد واضح على تأصل طابع المراوغة في نفسية اليهود.

وكذلك تحايلهم في صيد السمك يوم السبت، وقد نهوا عنه. فنصبوا شباكهم ليلة السبت، واستخرجوها يوم الأحد.

٨. الكذب

رصد القرآن أكاذيب اليهود في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالى: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (آل عمران:٧٥).

وقوله: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً*انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً)** (النساء:٤٩-٥١)

وقوله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** (المائدة:٤١)

ومن أكاذيبهم قولهم: **(إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ)**. فرد الله عليهم كذبتهم هذه بقوله: **(قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** (آل عمران:١٨٣).

ومنها قولهم للمشركين: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً)** (النساء:٥٠).

٩. الحقد

تجد صفة الحقد عند اليهود بارزة في قوله تعالى: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ**

قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة:٨٢). هذا وقد ظهر من عداوة النصارى للمسلمين من الفظائع ما ظهر. ومع ذلك فاليهود أشد منهم عداوة. ولكن أولئك يقدرون فيظهرون، وهؤلاء في أكثر الحقب يعجزون فيضمرون. ويعوضون عجزهم ونقصهم بإثارة الحروب على البشرية عن طريق الآخرين. قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)** (المائدة:٦٤). وفي الآية تنصيص على العداوات والبغضاء فيما بينهم، فكيف فيما بينهم وبين غيرهم؟!

وحين تستقرئ الواقع – والعراق والأحواز شاهد – تجد أن الشيعة أشد عداوة للذين آمنوا من اليهود. وإليهم الإشارة في قوله: (وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا). فقد بلغوا من الشرك وخبث العقائد ما فاقوا بها المشركين من قبل.

١٠. اللؤم أو نكران الجميل

انظر كيف أحسن الله إليهم برغد العيش والأمن كما أخبر فقال: **(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)** (البقرة:٥٨)! ثم انظر كيف كان ردهم على هذا الجميل: **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)** (البقرة:٥٩)!

وقد تفضل الله عليهم بأنواع لإحسان والنعم، لكنهم قابلوا ذلك بالجحود والنكران. ومن ذلك ما قصه الله تعالى عنهم بقوله الشريف: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** (الأعراف:١٦٠).

وقد أشار الله جل وعلا إلى لؤمهم وعدم وفاءهم بقوله: **(يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)** (البقرة:٤٠،٤١). مع هــذا الإحسان، وبدلاً من أن يكونوا أول الأوفيــاء الشــاكرين، أبــوا إلا أن يكونــوا أول الكافرين!!! وأجد في الآية إشارة وجدانية في غاية التأثير، في قوله: **(وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ)**. فكأنه يقول: إذا كان ولا بد فكونوا آخر الكافرين، لا أولهم!

ومن لؤمهم كثرة نقضهم للعهود والمواثيق. كما قال تعــالى: **(أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)** (البقرة:١٠٠).

وفي قصة الإسرائيلي مع النبي موسى ﷺ ، التي وردت في سورة (القصص)، حين استنصره على عدوه الذي كان يقتتل معه في السوق، مثال واضــح علــى اللــؤم وعدم الوفاء عند يهود. لقد كان جزاء موسى على إحسانه أن أفشى ذلك اليهودي السر في اليوم التالي، وتقمص جبة الواعظ وهو يقول لموسى ﷺ : **(يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ)** (القصص:١٩)! ودفع موسى الثمن تشرداً راعياً للغنم في الصحراء بعيداً عــن أهلــه ووطنه. بعد أن كان ينعم برغد العيش في قصور فرعون!

١١. البارانويا وأوهام الاضطهاد

يحس اليهود بالغبن ويشعرون بالاضطهاد من الآخرين، ولو لم يكــن حقيقيــاً، أو كانوا هم السبب فيما يحصل لهم من أذى على سبيل العقوبة والقصاص. وتهدف هــذه العملية النفسية لا شعورياً (إلى تبرير أو شرعنة العدوان على الغير من خلال تأثيمــه وتحميله مسؤولية ما يوجد من شر أو مأزق أو خراب، مع تبخيسه والحط مــن قــدره وتحويله إلى عقبة وجودية في طريق السعادة والوصول إلى تحقيق الذات أو الهــدف. يترافق ذلك مع رد فعل يتلخص ببراءة الذات التي تصور كضحية لذلك الغير. وبهــذا ينفتح السبيل أمام إطلاق العنان للعدوانية الذاتية في رد فعل تهجمي تدميري ضد الآخر

المسؤول تحت شعار الدفاع المشروع عن النفس. وعماد شرعنة العدوان على الغير هو الإحساس بالغبن، وبروز الاتجاه الانتصافي أو الثأر للذات)[1]. تجد هذا الانحراف النفسي واضحاً في عداوتهم لجبريل عليه السلام! فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن عصابة من يهود حضرت النبي ﷺ فسألته عن أشياء فصدقوه بها جميعاً، حتى قالوا له: (وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك؟ قال: فإن وليي جبريل عليه السلام ، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك. لو كان وليك سواه – وفي رواية: لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر – لتابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا – وفي رواية: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب – فعند ذلك قال الله عز وجل: (من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) إلى قوله: (كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون). فعند ذاك (باءوا بغضب على غضب). وأصل الحديث في عداوتهم لجبريل عليه السلام في صحيح البخاري.

ولهذا السبب شرعنوا وأجازوا لأنفسهم كل ما يفعلونه بالغير من شر وأذى متذرعين بقولهم: **(لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)** (آل عمران:٧٥). وفيه يبرز (تشييء الآخر)، و(الاتجاه الانتصافي) في التعامل معه.

١٢. الصفاقة والوقاحة

الصفاقة: قلة الحياء ومثلها الوقاحة. ولم أر كاليهود – ومثلهم الفرس – في صفاقتهم وبرودة وجوههم!

انظر إلى صفاقتهم في افتخارهم **(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ)** (النساء:١٥٧)!

وإلى جرأتهم وقلة حياءهم مع الله رب العالمين حين قالوا: **(يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ)** (المائدة:٦٤)!

وإلى تعنتهم في الاستجابة لدواعي الإيمان حتى قالوا لنبيهم الذي كتب الله تعالى على يده الخلاص لهم من فرعون وظلمه: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً)

---

[1] انظر فصل المصطلحات العلمية في آخر الكتاب.

(البقرة:٥٥)! بل وصل أذاهم له إلى أن اتهموه في عرضه! وإلى ذلك الإشـارة بقولـه تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً)** (الأحزاب:٦٩). وتأمل هذه الشكوى الأليمة من إنسان لم يبدر منه إلا الإحسان إليـهم، ثم هم لا يترددون من وصمه بما وصموه به. حتى لكأني أحس بصدر النبـي الكـريم موسى عليه السلام يئز وهو يقول لهـم: **(يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)** (الصف:٥)!!! وكان النبي محمد ﷺ إذا أوذي تذكر موسى عليه السلام فيقـول: (رحـم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) رواه البخاري.

١٣. الخرافية والسحر

أما السحر فهم أهله وأمه وأبوه! نبذوا كتاب الله وراء ظهـورهم، وتركـوه إلـى السحر والشعوذة! كما قال سبحانه: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)** (البقرة:١٠١،١٠٢).

وقد أشربت عقولهم وقلوبهم الخرافة . فهم يستجيبون إليها لأضعف داع . فهـاهم اللحظة نجوا من فرعون ، وعبروا البحر بأعجوبة معجزة **(فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)** (الأعراف:١٣٨) فتصور!

وما إن تركهم موسى عليه السلام ليناجي ربه، حتى انفرد بهـم السـامري، واسـتهوى أفئدتهم بشعوذات خرافية (قبضة تراب ودعوى كاذبة)[1] ليحولهم – وببساطة مذهلـة – من التوحيد إلى الشرك! **(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي)** (طـه:٩٥،٩٦)!.

أما توراتهم المحرفة فتعج الخرافات والأكاذيب الخارجة عن مقتضى العقل. ولست

---

[1] تأمل التوافق بين تربة اليهود هذه وتربة الشيعة!

في مقام البحث والتقصي؛ فلا أراني في حاجة إلى الاستشهاد بشيء منها. وأكتفي بهذه الإشارة.

١٤. الحسد

الحسد تعبير عن نفسية طفولية نكوصية، لا يليق بإنسان ناضج، فضلاً عن أمة يفترض أن تكون حاملة لرسالة عالمية. وأرى منشأه من عقدة النقص. فإن المرء المصاب بعقدة النقص إذا وجد نفسه عاجزاً عن مجاراة الآخرين تمنى زوال نعمتهم؛ ليتساووا أجمعين. يقول سيدنا عثمان ذو النورين ﵁: (ودت الزانية لو زنت النساء كلهن).

ومما جاء في حسد اليهود من آيات:

(**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**) (البقرة:٩٠).

(**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**) (النساء:٥٤).

(**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**) (البقرة:١٠٩).

١٥. الغدر

اشتهر اليهود بالغدر ونقض العهود. ومن ذلك ما فعل بنو النضير من محاولتهم قتل رسول الله ﷺ غدراً بإلقاء صخرة عليه من فوق بناء كان يستظل به عندهم، وقد كان بينه وبينهم عهد وموثق، وجاءهم يستعينهم على دية رجلين قتلهما أحد أصحابه (عمرو بن أُمية الضمري) خطأً. وكان ذلك هو السبب في إجلاءهم. وفيهم نزل قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**) (الحشر:٢). وقد بوّب البخاري في

صحيحه: (باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ). واستشهد عليه بالآية السابقة. وفي سنن أبي داود عن أحد الصحابة قال: (أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ...).

المبحث الثالث

المنهج القرآني في التعامل مع اليهود

قبل أن نبدأ البحث في منهج القرآن في التعامل مع اليهود، لا بد أن نبين أن اليهود لم ينتفعوا من دعوة الإسلام بشيء، وظلوا على كفرهم ودينهم إلا القليل منهم. وهذا يعني عدة أمور، منها:

١. ليس من شرط العلاج أن يصل بالمريض إلى الشفاء؛ فلربما يكون المرض قد بلغ مرحلة اليأس. **(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)** (الرعد: ٣١). فلا يصح أن نترك العلاج الرباني لعدم انتفاع المدعو به، ونظل نجرب علاجات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، متعللين بما يسمى بـ(الحكمة). التي دخل تحت مسماها كل شيء إلا حكمة الشرع! لقد كان رسول الله ﷺ بالغ الحكمة، ومع ذلك لم يستطع هداية قوم

استحبوا العمى على الهدى. يقول تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:٩٩).

٢. إذا كان سبب الضلال مرض القلوب وزيغها، وتشربها بالكفر والبدع والمعاصي، فهيهات هيهات أن تهتدي. إلا وفق شروط صعبة جداً! يقول تعالى:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الصف:٥).

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة:١٠).

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة:١٢٥).

ولهذا لم يهتد اليهود، وما كان لهم أن يهتدوا؛ فتعامل القرآن الكريم معهم على هذا الأساس: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة:٧٥).

ولما كان ضلال الشيعة سببه مرض القلوب وزيغها ؛ فيبعد أن يهتدوا كذلك؛ فينبغي التعامل معهم على هذا الأساس. ولما كانت أمراض الفريقين متشابهة؛ فالعلاج أو التعامل مع كلتا الطائفتين ينبغي أن يكون واحداً أو متشابهاً. فلننظر إلى طريقة القرآن – التي طبقها الرسول ﷺ – في التعامل مع اليهود، ثم نعديها إلى الشيعة. إن هذا هو أقرب شيء إلى الصواب في مواجهة الشيعة ومحاولة علاجهم من مرض التشيع.

مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود فارق، ربما يكون له تأثير في تنويع العلاج شيئاً ما، هو العامل العرقي والاجتماعي. فإن هناك نسبة من الشيعة يمكن أن نقدرها بحدود ١٠% تتحسس انتماءها العربي، ولها تقاليدها العشائرية التي ربما تجعلنا نفكر في اتباع وسائل وأساليب محورة بعض الشيء عن الوسائل والأساليب المطلوب اتباعها مع يهود، ومع هذه النسبة (١٠%) حصراً. مع ملاحظة أمرين مهمين:

١. أن هذه النسبة لا أثر لها في توجيه الأحداث، وتخفيف حدة التيار الشيعي الشعوبي العام. فلا ينبغي التعويل عليها بشيء. إنما ينظر إليها عند البحث في المعادلة الدعوية.

٢. لا ينبغي أن يؤثر الطمع في تغيير هذه النسبة في الخط العام لأسلوب المواجهة والتغيير، الذي نرى وجوب مشابهته التامة لأسلوب القرآن الكريم مع اليهود.

المعالم الرئيسة للمنهج

في بداية الفصل الأول من كتاب (لا بد من لعن الظلام) كان الحديث عن المنهج القرآني في خطاب اليهود والتعامل معهم، وذلك من خلال (سورة البقرة).

١. الدعوة المجملة إلى الحق

وقد تبين لنا أن القرآن العظيم اكتفى بدعوة اليهود دعوة مجملة مقتضبة إلى الإيمان بالدين الحق وتقوى الله تعالى، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وتطبيق ما في التوراة عموماً، وفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم مع الله عز وجل: (**يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**).

ويلاحظ على أسلوب الدعوة أنه كان شديداً من البداية، ونبرته تزداد حدة جملة بعد جملة: (**وَآمِنوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**) (البقرة:٤٠-٤٤).

وظلت النبرة في علوها المتصاعد آية آية، حتى دمغتهم بمخازي أجدادهم الذين خالفوا الأوامر وارتكبوا ما نهوا عنه فغضب الله فعاقبهم عقوبة يندى لها الجبين. ولم يتردد القرآن في التذكير بها مداراة لهم، أو تقرباً منهم ، بل صرح قائلاً: (**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**) (البقرة:٦٥).

ولم يكتف القرآن ببيان الحق البعيد عن الإثارة – كما هو ديدن الترضويين المهزومين – بل أمرهم بالحق المعطل الذي ينفرون منه ومن ذكره، فضلاً عن الأمر به. ويلاحظ أنه حتى الدعوة إلى أفراد الحق المتروك كالحكم بما في التوراة، جاءت في أسلوب الإنكار والتقريع على تركهم إياها! اقرأ قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) (المائدة:٦٦).

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (المائدة:٦٨).

٢. التنديد المفصل بالباطل

ومع الدعوة إلى الحق، تجد التنديد بأباطيلهم وانحرافاتهم متشابكا متداخلا. فليس هناك من تورية ولا مجاملة بل وضوح وصراحة كاملة، في ذكر حقائق مرة عن دينهم المبدل وما هم عليه من أخلاق وتلبيس وكتم للحق عن علم، وازدواجية لا تتناسب مع حملة كتاب وأمة رسالة.

ويلاحظ أن ذكر الباطل جاء مفصلاً تفصيلاً، على عكس الدعوة إلى الحق.

٣. الفضح المعلن للمخازي والسوءات الماضية والحاضرة

وزادت آيات الكتاب فذكرت اليهود بمخازيهم ، وكشفت عن سوءاتهم الماضية منها والحاضرة. في سلسلة طويلة من المخازي وسوء الأفعال والأخلاق. ويلاحظ أن غالب المخازي التاريخية جاء ذكره في صيغة الخطاب المباشر، فكأن الذين ارتكبوا تلك المخازي والآثام ليسوا جيلاً أو أجيالا مضت وانقضت، وإنما هو هذا الجيل الحاضر المخاطب.

٤. لا قيمة لنفرة النافرين أو رضاهم

ويلاحظ على المنهج انه لا يعير أدنى اهتمام لمسألة نفرة أصحاب الباطل من هذا الأسلوب، وانزعاجهم من مواجهتهم بأباطيلهم. بل إن إنكار منكرهم وإبطال باطلهم هو أول ركن من أركان هذا المنهج القرآني العظيم. ألا تجده حين ذكر إعراضهم عن الحق فقال: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) (المدثر:٤٩) أتبعه بما يزيدهم إعراضاً ونفرة فقال: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) (المدثر:٥٠،٥١)؟!

٥. تجريدهم من دعوى الانتساب إلى الأنبياء عليهم السلام

كما جردتهم الآيات الربانية من الانتساب الحقيقي لركب الأنبياء عليهم السلام: إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب والأسباط. في الوقت الذي أعلنت أن هؤلاء (مسلمون) ليسوا يهودا – ولا نصارى ولا مشركين – وأن الوريث الوحيد لهم الذي يستحق تلك النسبة هم (المسلمون) حملة المنهج الحق الذي كان يحمله أولئك الأنبياء الكرام عليهم السلام، الذي تنصل عن حمله اليهود فكان مثلهم كمثل الحمير تحمل أسفارا!

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (البقرة:١٣٥).

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (البقرة:٦٧).

(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (آل عمران:٦٨).

وجملة القول أن القرآن الكريم حين يذكر المتبوع لا يكتفي بمدحه دون أن يقرنه بالدعوة إلى الغاية العليا منه، إلا وهي الالتزام بمنهجه. مع التصريح بأن الأتباع هؤلاء كاذبون في دعواهم التبعية، بالدليل القائم على ذكر تفاصيل ما يكذب دعواهم من انحرافاتهم المخالفة لمنهجه ودينه ودعوته.

٦. الإعلان عن فشل المنهج التقريبي أو الترضوي

وتعلن آيات الكتاب عن حقيقة في غاية الأهمية ألا وهي: فشل المنهج التقريبي المبني على محاولة إرضاء أمثال هؤلاء، مبينة أن تقريبهم وإرضاءهم غاية لا تدرك إلا بشيء واحد هو اتباع ملتهم وتلبية رغباتهم وأهواءهم فتكون مثلهم : **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)** (البقرة:١٢٠).

والبديل هو دعوتهم إلى الحق الأبلج:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:١٣٦،١٣٧).

ولا يفوتنك أن تستشعر هذه العزة الإيمانية التي افتقدناها من زمان في ظل المناهج الترضوية الهوائية. إن هذه الآيات تضع أهلها أمام خيارين لا ثالث لهما: فإما أن نحترم أنفسنا ونكف عن المداهنات الباطلة، والمحاولات الآيسة الفاشلة، طمعاً في إرضاء خصوم لا يرضون. وإما أن نقطع الشوط إلى نهايته ؛ فنكون مثلهم ، ونرتاح من هذا العناء (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ).

٧. نبرة الاستعلاء والعزة الإيمانية

وتأمل نبرة الاستعلاء في هذه الآيات! تلك التي تغرس الثقة في نفوس المؤمنين، وتجعلهم في منأى عن التردي في حمأة الشعور بالنقص، المؤدي بهم إلى الجنوح إلى محاولات الترضية المخجلة المتمثلة في كيل المدائح المجردة للرموز المتبعة كذباً؛ عسى أن يلين أولئك (المتبعون)؛ فيصدقوا أننا نحب رموزهم ونتبعهم حقاً؛ فيرضوا عنا، ونكون منهم ويكونوا منا.

كلا. بل القرآن لا يعترف بانتسابهم هذا من الأساس. إنه يسحب البساط من تحتهم ويجعله تحت المنتسبين الحقيقيين؛ فعلى اليهود وأمثالهم أن يثبتوا لهم صدق دعواهم ويأتوا إليهم ليرضوهم ويفوزوا بمنحهم صك التوثيق والاعتراف. وذلك بالإيمان بمثل ما آمن به المؤمنون المتبعون حقيقة لمنهج الأنبياء عليهم السلام:(**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**) فالإيمان الحق إيمانكم وهو المقياس، وهو النموذج الذي يقاس عليه ويحتذى حذوه. فأنتم الأصل، وأنتم المرجع. وعلى اليهود أن يأتوا إليكم صاغرين تابعين، وإلا فـ(**إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**). الكافي هو الله؛ فارجع إليه واتبع منهجه تفز بنصره ورضاه، وتكن على يقين من أنك على هداه. وأما من خالف وأبى منهم، فلا تأبه لهم، ولا تنشغل برضاهم أو سخطهم؛ فإن الله سيكفيك ويغنيك ويحميك.

الفصل السابع

المنهج الأمثل في مواجهة خطر التشيع

مشكلة خطيرة فما هو الحل ؟

طلعت الشمس، وظهر تحتها كل شيء، وتبين لنا – بما لا يقبل الشك – أن التشيع مشكلة خطيرة، هي من كبريات المشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية. بل هي المشكلة المحورية، و(القضية المركزية) في بلد مثل (العراق).

لا يقتصر خطر التشيع على الدين فحسب. إنه يجتاح الدين والأخلاق والسياسة والاقتصاد، ووحدة الوطن والشعور بالانتماء إليه، وإلى الأمة الأكبر وكيانها ومفاهيمها وقيمها وثوابتها. فمواجهته، والتصدي له ضرورة حتمية من أجل إنقاذ هذه القيم جميعاً.

لا بد من المواجهة فماذا أعددنا لها ؟

إن هذا الخطر المتعدد الجوانب يحتم على الجميع مواجهته، ووضع الخطط والبرامج لحل مشكلته، ومعالجة خطره.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن من الضروري لمن تصدى لهذه المهمة الصعبة أن يضع نصب عينيه ذلك الخليط المتشابك من الأمراض والعقد النفسية، وأن يكون جاداً كل الجد، ومقدراً موقعه فيدرك المسؤولية الدينية والوطنية والقومية، والمسؤولية التاريخية التي ينبغي أن يتحملها كل من وضع نفسه هذا الموضع.

لكننا لم نجد في ساحة الدعوة منهجاً واقعياً حكيماً: ينظر إلى الواقع بعين فيحدد المشكلة الكبرى، ويدرس أبعادها الفكرية والنفسية والتاريخية والاجتماعية، وإلى الكتاب والسنة بالعين الأخرى؛ كي يضع العلاج المناسب في ضوء ذلك الهدى الرباني الحكيم. كل الذي وجدنا: رقاعات من هنا وهناك يمكن تلخيصها بكلمة واحدة هي: البحث عن وسائل قربى تجمع بين أهل الحق وأهل الباطل، ولو على حساب الحق. وهو ما نطلق عليه اسم (المنهج الترضوي). إنه منهج يبحث عن وسائل التعايش والتوائم، ولو على حساب الثوابت والحقوق، ولا يبحث عن سبل للحل، ويتطير من

ذكره إن كان يسبب أزمة، أو يثير مشكلة، أو يستلزم أي نوع من المواجهة.

وهو منهج فاشل جملة وتفصيلاً، وواقعاً وتأصيلاً. لم يستطع إثبات صلاحيته للمواجهة أمام الهجمة الشعوبية الشاملة الشرسة. لا في علاج الحالة ولا في إيقاف زحفها وانتشارها. وقد شرحت ذلك مطولاً في كتاب (لا بد من لعن الظلام)[1].

صورة مجملة للمنهج

حين تطرقنا في الفصل الماضي إلى الخطوط الرئيسة التي رسمها القرآن الكريم للمنهج الأمثل في مواجهة اليهود ودعوتهم، كان ذلك من باب النظر في صلاحية تطبيق المنهج نفسه على الشيعة لمواجهة خطرهم الذي استشرى، ودعوتهم إلى الحق طبقاً لأنجح السبل، وأنجع الأساليب والوسائل؛ فليس ثمة منهج أفضل من المنهج الإلهي الذي أودعه الرب في كتابه العظيم. **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)** (الإسراء:٩). والرابط بين الطائفتين (اليهود والشيعة) هو تشابههم في منطلقاتهم النفسية، والفكرية. وعلى هذا الأساس يمكن أن نعطي صورة مجملة، ونرسم خطوطاً عامة للقاعدة الفكرية التي ينبغي أن يستند عليها المنهج الواجب اتباعه في مواجهة خطر التشيع، ودعوة الشيعة إلى الدين الصحيح بما يلي:

١. الصدع بالحق ودعوة الشيعة علناً من خلال جميع المنابر الدينية والإعلامية المتاحة إلى دين الإسلام في وضعه الإلهي الأول قبل وجود الفرق. والإعلان بأن الدين الذي هم عليه اليوم، ليس له من الإسلام إلا الاسم.
٢. الإعلان بفضح أباطيلهم وخزعبلاتهم بتفاصيلها (تحريف القرآن، تكفير الصحابة، الطعن بأمهات المؤمنين، شركهم بالقبور ودعاء أهل البيت وتقديسهم، رد الأحاديث النبوية، العصمة، الإمامة، التقية، المتعة، التقليد،

---

[1] في منتصف القرن الماضي لم تكن نسبة الشيعة إلى السنة في بغداد تتجاوز (١٦٪). وقد سمعنا من شيوخ متقدمين في السن أن شاه إيران قبل أقل من قرن من الزمان أرسل إلى البصرة وفداً يبحثون له فيها عن مكان مناسب ليشيد عليه حسينية، فرجع الوفد خائباً بعد أن وجدوا عامة أهل البصرة من أهل السنة؛ فلم يحصلوا ما بينهم على ما يريدون. والآن تحولت البصرة إلى أكبر موطئ قدم لانطلاق الإيرانين إلى العراق. هذا إن لم تكن مخابراتهم هي التي تحكمها بعد أن تشيع غالبية أهلها في غفلة أهل السنة، وسيرهم الساذج على ذلك المنهج الترضوي الخائب.

التبعية لإيران وتنفيذ مخططاتها، العمالة للأجنبي، فضح كتب مروياتهم، فضح مخازي علمائهم، إباحتهم دم المخالف وماله وعرضه خصوصاً أهـل السـنة، مساجد ضرارهم (الحسينيات)، الأذان البدعي، أوقات الصـلوات، الوضـوء، النياحة واللطميات، التطبير...إلخ).

٣. عرض مخازيهم التاريخية على مر العهود والعصور، وفضح تزويرهم للتاريخ. لقد آن لنا أن ننهي المعادلة التاريخية الظالمة: أهل السنة يصنعون الأحـداث، والشيعة يكتبون تاريخها. (مثال ذلك أبو مخنف الشعوبي واعتماد الطبري عليه في تسجيل أحرج فترة مرت بها في صدر دولـة الإسـلام، وتـاريخ الدولـة الأموية).

٤. تجريدهم من حق الانتساب إلى (أهل البيـت العلـوي أو النبـوي). والبيـان الواضح أن هذه مجرد دعوى وستار كاذب. وإيقاف جميع التهريجات السـنية الرامية إلى التقرب إليهم من باب محاولة إثبات حب (أهل البيت) الفاشلة رغـم تكرارها منذ مئات السنين!

٥. اتباع أسلوب الهجوم المنظم، والخطاب القوي، المبني علـى الشـعور بـالعزة الإيمانية، وأننا أهل الحق، وهم أهل الباطل. والبعد عن اتبـاع مبـدأ الـدفاع، والأساليب التقريبية الترضوية الضعيفة.

المقاصد الكبرى للمنهج

يتبين من تاريخ الدعوة الإسلامية أن المنهج الإلهي المنزل، والذي طبقه الرسـول ﷺ مع اليهود لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة من هدايتهم، ولم يتغير منهم سـوى أفـراد قلائل. لكن المتأمل يجد هذا المنهج قد أفصح عن ثمرتين ونتيجتين عظيمتين هما:

١. سحب المشروعية الدينية من اليهود، ونقلها إلى المسلمين. وكان هـذا الأمـر صريحاً قطعياً، بلا أدنى أثر للشك أو الضبابية أو المجاملة، أو اللف والدوران تحت أي ذريعة، أو تقدير أي مصلحة من المصالح. وهذا ساهم مساهمة كبيرة في تقليص حجمهم، وخطر تغلغلهم واندساسهم وقبول الناس لهم، واحتـرامهم؛ على أساس أنهم أصحاب دين سماوي مقبول عند الله.

٢. تحصين الصف الداخلي منهم، وتفجير طاقات الجماعة المسلمة ضدهم.

وتأسيساً على ما سبق نقول: إن أول خطوة نخطوها في طريـق مواجهـة الشـيعة والتشيع، هو سحب بساط المشروعية الدينية من تحتهم. إن على الناس – وأولهم أهـل

السنة في العراق، وكل مكان مشابه – أن يعرفوا: أن التشيع دين آخر مبتدع لا علاقة له بالإسلام قط. بل أنشئ هذا الدين أصلاً لمحاربة الإسلام وأهله. إن علماء الشيعة لا يؤمنون بهذا الدين الذي جاء به الصحابة ﭫ إلى أجدادهم المجوس؛ فهم يكفّرون الصحابة – إلا بضعة نفر منهم – على هذا الأساس. فالصحابة – حسب ادعاء الشيعة – لم يكونوا على دين الإسلام الذي تركهم النبي ﷺ عليه، وإلا لم يكفروهم. إذن الدين الذي كان عليه الصحابة لا يؤمن به هؤلاء العلماء، بل يَكفُرون به، ويُكفِّرون غيرهم عليه. فماذا بقي لهم من دين الإسلام؟ وعلى أي إسلام هم ؟!!!

هذا وقد أجمعوا على تكفيرنا. لكنهم عند (التقية) يسموننا مسلمين، بمعنى الإسلام الظاهر دون الإيمان الباطن الذي ينجي صاحبه من الكفر والخلود في النار؛ فهو كإسلام المنافقين، الذين يطلق عليهم اسم الإسلام دون الإيمان. ولك أن تلاحظ عليهم أنهم حين يشيرون إلى شيعتهم يسمونهم بـ(المؤمنين). وهو اسم لا يطلقونه على غيرهم؛ للسبب الذي ذكرناه.

وهذه الخطوة هي أول عناصر أساس العلاج أو المواجهة، ألا وهو تحصين الصف الداخلي لأهل السنة والجماعة، وحمايتهم من اختراق الشيعة لهم.

وليس مقصودي الأول بعلاج التشيع هو تحويل الشيعة إلى دائرة أهل السنة والجماعة. وإن كان هذا أعظم في ذاته، ونرمي إليه لأسباب، منها أنه يحل الإشكال من الأساس. إنما أقصد – أول ما أقصد – رسم الخطط، ووضع البرامج الكفيلة باتقاء خطرهم، وتخليص مجتمعنا من شرهم ، بتحصين أهل السنة أولاً، ودفع الصائل الفكري والعسكري ثانياً. ثم – من بعد – يكون الاختراق. وأوله محاولة رفع جمهور الشيعة إلى المستوى الحضاري في التعامل الإنساني، كأن يرتفعوا مثلاً إلى مستوى المسيحيين عندنا في العراق في تعايشهم السلمي معنا! ولو كان الشيعة كذلك لما أعطيناهم هذا الاهتمام من جهدنا ووقتنا. على أن أكثر ركاب قطار الدعوة يسلكون الطريق الأسهل لاتقاء شرهم، حين تكون النفس هي المقدمة بالحفظ قبل المجتمع، فيجنحون إلى أسلوب المجاملات والمداهنات، المؤطر بدعوى الحكمة، والمقنن بالنصوص الانتقائية؛ ولذلك فغاية ما يهتمون به دعوة الأفراد بعيداً عن الجمهور. بينما المطلوب في سبيل وقاية المجتمع – وكذلك هدايته – أسلوب جماعي غايته تغيير المجتمع ككل. وذلك لا يتم إلا بتحصين أهل السنة أولاً، ثم التحرك على الشيعة ثانياً

من أجل رفعهم إلى ذلك المستوى الحضاري، وصولاً إلى تغييرهم النهائي، كهدف أبعد ومرحلة أخيرة في طريق التغيير.

التخبط المنهجي عند النخبة السنية

التقيت في بداية هذا العام (٢٠٠٦) شيخاً فاضلاً يحمل شهادة الدكتوراة في العقيدة. قال الشيخ: ينبغي أن يكون مشروعنا مع الشيعة مشروعاً سياسياً يستند على التحالف مع الوطنيين منهم ضد العملاء والخونة أصحاب المشروعي الصفوي الأمريكي. وهذا سيساهم مساهمة أكيدة في تفكيكهم. ولا ينبغي أن يكون مشروعاً دينياً يستند على كونهم يتبعون مذهباً بعيداً عن الإسلام. وهذا ما أدعو إليه، وأيدني عليه كثير من العلماء. فقلت له: عليك أولاً أن تبين حجتك الشرعية في ما تذهب إليه. وليس الحجج العقلية تحت مسمى (المصلحة) غير المضبطة بالشرع. وإلا لماذا نحن (إسلاميون)، وغيرنا (علمانيون)؟ فما هي حجتك أو دليلك الشرعي؟ فلم يحر جواباً!

فقلت له: لسنا ضد المشروع السياسي أو الوطني. بيد أن أدلة الشرع تقضي بأن المشروع السياسي يأتي من وراء المشروع الديني، وليس قبله أو بديلاً عنه. فالرسول ﷺ تحالف مع اليهود سياسياً، ولكن.. بعد أن حسم الموضوع دينياً. لقد بين لهم أنهم ليسوا على شيء من الدين، وأنهم كفار لا نصيب لهم في الآخرة إلا النار. لكنه يعيش وإياهم على أرض مشتركة؛ فلينظموا بينهم وثيقة تضبط هذه العلاقة، ومن بنودها الدفاع المشترك عن هذه الأرض أو الوطن. وهذه سياسة. ولم يكن من شرطها التغطية على حقائق الدين، أو المشروع الديني. إن الصراحة الدينية لا تمنع العلاقة السياسية. ولكن بشرط هو وجود القوة التي تُجبر خصمك على التعامل معك. وهذا الشرط إذا فقد فلا قيمة لكل المجاملات السياسية، والعهود والمواثيق والتحالفات الوطنية. كن قوياً وقل ما شئت، فلن يتأثر مشروعك السياسي. وكن ضعيفاً وجامل ما شئت فستخسر الدنيا والآخرة: لا دين، ولا سياسة. كن صريحاً في موقفك من الشيعة، اسحب بساط المشروعية الدينية من تحتهم؛ وسترى!

أما إذا نظرنا إلى الأمر من الزاوية السياسية، فالخسارة واضحة لمن أراد أن يرى. وهنا أسأل: على من تعتمد في مشروعك الوطني الذي تريد أن تفكك به أحلاف الشيعة، وتشق صفوفهم؟ قال: في الجنوب عشائر عربية، تكره الفرس، ووطنيون يمكن التعامل معهم. قلت: كم نسبتهم؟ قال: كم تقدر أنت نسبتهم؟ قلت: إذا زدنا فهم لا

يتجاوزون الـ ١٠%. قال: هذه نتيجة مرعبة. قلت: فماذا تظن؟! ثم ما تأثير هؤلاء على التيار الجارف الذي يأخذ بهم إلى الجهة الأخرى؟ ناهيك عن النفسية الجمعية التي تسيّرهم في نهاية المطاف. نعم يبدو هؤلاء كما تظن، حين يجلس أحدهم أو بعضهم معك. لكن حين ينصرفون إلى قومهم، ويتصرفون طبقاً للعقلية والنفسية الجمعية للجمهور الشيعي فلن يختاروا في النهاية إلا الاصطفاف مع ذلك الجمهور. كما أن غريزة الحياة، والنفسية النكوصية التي لا تجد الأمان ولا تحس بالاطمئنان إلا ضمن الجماعة المغلقة، وتحت ظل المرجع- الوالد (دام ظله)، وغيرها وغيرها من العوامل المرئية وغير المرئية ستدفعهم دفعاً إلى هذا الاختيار. أما إذا نزلنا من عالم الخيال والأماني إلى أرض الواقع فلنا أن نسأل: هل حصل شيء من هذا الذي تقولونه عن تحييد بعض الشيعة، وتفكيك صفهم؟ وعندنا (مقتدى الصدر) مثال واضح يدحض هذه النظرية: لقد اندفع معه الكثيرون من أهل السنة ونخبهم. حتى تكلموا بما قد يخالف الحق والحقيقة! اتقاء الفتنة، ودرءاً للتصادم وحلول الكارثة. لكن ماذا كانت النتيجة؟ ها هو الآن يصطف مع قتلة أهل السنة: الحكيم والجعفري وصولاغ و..و.. وينفخ الروح في قائمة (الائتلاف الشيعي) في الانتخابات الأخيرة! فأي صف استطعتم شقه؟ وكم حلفاً للشيطان تمكنتم من تمزيقه؟ فعن أي سياسة، وأي مشروع سياسي تتحدث؟!

كان هذا اللقاء في كانون الثاني، أي قبل أحداث سامراء وظهور مقتدى وعصابته على حقيقتهم. ولك أن تلاحظ أن أصحابنا يتكلمون عن نظريات وأحلام، لعلهم لم يكلفوا أنفسهم التحرك قيد أنملة باتجاه محاولة تطبيقها، على الأقل من أجل فحصها؛ ولهذا السبب تبقى أفكارهم جامدة بعيدة عن الواقع مهما تقادم الزمن، وجرت الأحداث بغير ما يقولون. اللهم إلا إذا حدثت فضائح ضدها من عيار فضائح مقتدى الأخيرة وعصابته المسعورة. وهنا لا يغيرون القاعدة، ولا يتنازلون عنها! وإنما يحولونها إلى آخر وآخر كالبغدادي والخالصي والحسني وبقية الثعالب. وهذه مصيبتنا.. ما لم نخرج على القطيع. ومن الأدلة على هذا أن الشيخ المعني يطرح أفكاراً ويقعد نظريات ويرسم مشروعاً، لا يعرف هو عن أولياته البسيطة شيئاً. فهو لا يعرف كم نسبة أولئك الذين يتحدث عن عروبتهم ووطنيتهم، ليبني عليهم مشروعه الخيالي؟! ولا يملك معرفة عن الأسس النفسية لحركة المجتمع! هذا وهو ممثل لهيئة تدعو إلى هذا المشروع منذ حوالي ثلاث سنين من التاريخ أعلاه. فوا عجبي!!!

التحصين ثم.. التحصين

علينا أن ننشغل بتحصين صف أهل السنة، وتنمية مناعتهم ضد التشيع، وتحـــذيرهم من الشيعة. واستغلال الظرف الحالي قبل فوات الأوان في ترسيخ الحقيقة التي تبين أن الشيعة أصحاب دين يمنعهم من التعايش مع غيرهم من المذاهب. دين يحثهم على قتـــل السني وأخذ ماله وانتهاك عرضه، وإزاحته من أرضه، وإخراجه من وطنه. فضلاً عن تكفيره. وهذا هو الذي يفجر كل الطاقات – الدعوية وغيرها – باتجاه الشيعة.

إن تحصين أهل السنة هو حجر الزاوية، والأساس الذي يعتمد عليـــه المـــنهج. ولا يجوز المساس به، والتقصير بشأنه مهما كلف الأمر. وإلا كنا كمن يسير في فراغ، أو يبني بلا أساس.

التشابه بين الشيعة والمنافقين

بين الشيعة والمنافقين من التشابه ما يمكن اعتبارهم صورة من صورهم، ونموذجـــاً من نماذجهم. كذلك اليهود. وأبرز جامع بينهم هو النفاق نفسه؛ فإنه لدى اليهود والشيعة دين يدينون الله به!

يقول تعالى عن المنافقين: **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** (البقرة:١٤).

والشيء نفسه قاله تعالى عن اليهود: **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ)** (البقرة:٧٦).

والشيء نفسه يقال عن الشيعة من خلال مبدأ (التقية) اليهودي، الذي بلغت منزلتـــه عندهم حداً أن جعلوه تسعة أعشار الدين! وهذا يقودنا إلى أهمية كـــون الخطـــاب مـــع الطرفين (الشيعة والمنافقين) واحداً أو متشابهاً.

وعندما نبحث في منهج القرآن في خطابه للمنافقين نجده يكاد يتلخص في الفضـــح والإنكار فقط. كما نجد أن القرآن العظيم يعطي للمنافقين من الاهتمام أكبر من اهتمامه بالكفار الصرحاء من اليهود والنصارى والمشركين! فالتركيز على أباطيلهم وصـــفاتهم وكشف سوءاتهم وأساليبهم أشد مما هو عليه مع الكفار! وكذلك لهجة الخطاب نجـــدها أعنف وأغلظ! أما دعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق فلا نجـــد لهـــا أثـــرا ســـوى إشارات خفيفة قليلة هي إلى اليأس من توبتهم أقرب منها إلى الطمع فيها. والسبب فـــي

هذا – والله أعلم – (أن المنافقين ومرضى النفوس لا يتيسر علاج أدوائهم من داخل أنفسهم– في غالب الأحيان – لفقدان الوازع وغياب الضمير. ولما كانت عللهم متعدية في الضرر إلى غيرهم، لزم توجيه علاجهم من خارج ذواتهم لا طلباً لبرئهم هم، بقدر ما هو لأجل حفظ الناس من شرور أمراضهم)[1].

المعالم الرئيسة للمنهج القرآني في خطاب المنافقين

ذكرت في كتاب (لا بد من لعن الظلام) أن المعالم الرئيسة للمنهج القرآني في خطاب المنافقين تتلخص في أربعة فقرات هي:

١. التركيز الشديد على ذكر فضائحهم وأباطيلهم ولعن ظلامهم، حتى يكاد أن يكون هو العنصر الوحيد من عناصر المنهج!

٢. الغلظة الشديدة في الخطاب، ومواجهة القوم بأباطيلهم أكثر مما هي عليه مع الكفار الصرحاء.

٣. عدم إعطائهم الفرصة للقيام بما يمكن أن يؤدي مستقبلاً إلى استقلاليتهم وانحيازهم ليظهروا كطرف له كيانه الخاص ومعالمه الدالة عليه. بل ضرب بيد من حديد أول بادرة لذلك متمثلة بمسجد (ضرار). بل إن رسول الله ﷺ وسع الأمر الإلهي إلى أبعد حدوده، فقام بهدم المسجد وحرقه وإزالة معالمه مع أن ظاهر الأمر ليس فيه أكثر من النهي عن الصلاة فيه: **(لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً)** (التوبة:١٠٨).

٤. كبت المنافقين وجعلهم يعيشون حالة من الخوف والشعور بالنقص **(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)**(المنافقون: ٤)، تعبر عن نفسها بمحاولاتهم ترضية المؤمنين، وادعاء أنهم منهم، والقسم بالله على صدق ما يدعون، والمجيء إلى الصلاة ولو كسالى، والإنفاق ولو كارهين. وفي الوقت نفسه واجه القرآن كل تلك المحاولات بالرفض الواضح، والاستنكاف من قبولهم أو اعتبارهم من المؤمنين أو الالتقاء معهم في وسط الطريق. إ.هـ.

وإذا كان التشابه واقعاً – وهو كذلك – فإن هذا يستلزم أن تكون لهجتنا في خطاب الشيعة أغلظ وأعنف منها مع اليهود.

---

[1] جهاد المنافقين ، ص١٣ ، عبد العزيز كامل. راجع كتابنا: (لا بد من لعن الظلام).

قانونان : أحدهما لتغيير الفرد ، والآخر لتغيير المجتمع

من خلال المعاناة المستمرة، والتفكير الدائم في كيفية الوقوف في وجه الزحف الشعوبي المتواصل، وإيقاف تقهقر أهل الحق المتزايد مع الزمن. هذا مع سعي الكثيرين من المخلصين ومحاولاتهم الدعوية الدائبة توصلنا إلى أن الخلل الأكبر يكمن في المنهج الدعوي الذي سارت عليه الأجيال من قبل، ونحن من ورائهم عليه نسير. إن المنهج الحالي فاشل، ودليل فشله – بصرف النظر عن كل شيء – هذا الواقع الذي يصرخ مدللاً على ذلك الفشل!

المنهج المختل – وهو الذي نطلق عليه اسم المنهج الترضوي – لا يصلح لتغيير المجتمع، وإن نجح في تغيير بعض الأفراد قلوا أم كثروا. لقد اكتشفنا ونحن في وسط المعمعة أن هناك قانونين للتغيير: أحدهما يصلح للفرد، والآخر للمجتمع، وأن إصلاح الفرد – مهما كثر عدده – لا يعني ضرورةً إصلاح أو تغيير المجتمع. وأصحاب المنهج الترضوي لا يدركون الفرق بين القانون أو الأسلوب اللازم لتغيير الفرد أو عدد من الأفراد، وبين القانون أو الأسلوب اللازم لتغيير المجموع أو المجتمع. وهذا خلل كبير وخطير في المنهج يجعله مشلولاً وعاجزاً عن إحداث التغيير الاجتماعي. نعم قد ينجح في استمالة بعض الأفراد، ولكن على حساب خسارة المجتمع، والتفريط به ككل.

وما إن أدركت ذلك حتى أخذت أبينه وأشرحه من خلال خطبة الجمعة، والمحاضرات الأسبوعية، والدروس واللقاءات الخاصة وغيرها. وكتبت رأيي في هذا في كتاب (لا بد من لعن الظلام) الذي استغرق مني حوالي سنة كاملة، وانتهيت منه في آذار ٢٠٠٢م. وبنيت ذلك على أن للمجموع – أو المجتمع أو الجمهور – الذي نخاطبه تركيبة (نفسية وعقلية) جمعية تختلف عن نفسية وعقلية الأفراد المكونين له كلاً على حدة. وإذن لا بد – تبعاً لذلك – أن يكون هناك أسلوبان أو قانونان للتغيير، وليس أسلوباً واحداً. واشتققت من ذلك عدة قوانين فرعية أهمها أن تغيير فكر المجموع لا يتم إلا بأسلوب (الطرق المستمر) الذي يقوم على التركيز على فكرة مبسطة يتكرر طرحها بقوة وتأكيد جازم، دون النظر – في البداية – إلى قبولها من المجتمع أو رفضها. حتى إذا أخذت استحقاقها الزمني رسخت في ذهن المجتمع وصارت من المسلمات، بغض النظر عن خطئها من صوابها. ولا يتغير المجتمع بالأسلوب العقلاني المنطقي وحده دون المؤثرات النفسية مع الطرق المستمر.

وقد استفدت ذلك من خلال الرصد والنظر والتحليل، ومعاناة الفشل والنجاح،

والبحث في الأسباب المؤدية إلى كل منهما. ومن ذلك الملاحظة الشخصية للتجربة الدعوية التي مررنا بها في دائرة الأسرة والأقارب والعشيرة والمجتمع المحيط بها. كم كان شاقاً على أحدنا أن يقول لأهله، أو يصرح في محيطه قبل ثلاثين عاماً بأن دعاء (الأئمة) والنذر لهم والقسم بهم شرك لا يجوز! ولم تكن حججنا العلمية والمنطقية تنفع إلا مع القلة القليلة منهم. أذكر أنه كان من أوائل المهتدين للعقيدة السليمة من هذه القلة ابن خالة لي بتأثير من أخي الكبير رحمه الله. هل تعلم أن هذا الشاب قد صار أضحوكة لأهله وأقاربه حتى أطلقوا عليه لقب (أبو الشرك)؛ فلا يدعونه في كثير من الأحيان إلا به! فإذا سأل أحدهم عنه قال: أين راح (أبو الشرك)؟ وإلى أين ذهب (أبو الشرك)؟ ومتى جاء (أبو الشرك)؟ لكثرة نهيه لهم عن الشرك! كان ذلك عام ١٩٧٣م. وتمر الأعوام تلو الأعوام فيتغير أولئك الناس حتى صاروا دعاة للتوحيد، ومن طراز (أبو الشرك) هذا! وكم تذكروا أيامهم الخوالي وهم يتندرون بها، ويضحكون من عقولهم كيف كانت تستسيغ تلك الخرافات؟ ولا تريد الفكاك عن تلك الخزعبلات؟! لقد تغيروا – وكان التغير جماعياً كأنه قد حصل مرة أو جملة واحدة – لا لأنهم قد اقتنعوا في لحظة ما بما كانوا يسمعون من حجج، وإنما بسبب (الطرق المستمر) القوي والمؤكد على آذانهم بالموضوع الذي كانت فقراته تتغلغل شيئاً فشيئاً دون أن يشعروا إلى داخل عقولهم وقلوبهم.

وحين رجعت إلى القرآن والسنة وسيرة الرسول والأنبياء جميعاً والمصلحين عموماً على مر التاريخ ومختلف الأماكن تعززت عندي هذه الملاحظة، وتحولت إلى قناعة راسخة بعد أن تأكد لدي أن الجميع كانوا يتوجهون بالخطاب إلى المجتمع أولاً قبل الفرد. وأن تغيير الفرد سيقع كتحصيل حاصل في النهاية. على أنه ليس من تفريط بأسلوب مخاطبة الفرد حين يكون القصد بالتغيير متوجهاً إليه في أي ظرف من الظروف.

ولكون اطلاعي على كتب علم النفس لم يكن يومها بتلك السعة؛ فقد تصورت أن المهتمين بهذا العلم لم ينتبهوا إلى (علم نفس المجموع) حين اقتصروا في دراساتهم على علم نفس الفرد وأمراضه النفسية. وأفضيت بهذا التصور إلى البعض من خاصتي. وقد وجدت بعد أكثر من سنتين على تأليف الكتاب السابق إشارة بسيطة ضمنتها إياه حين طبعته ونشرته في العام الماضي / ٢٠٠٥م ، وذلك في ثنايا كلام

علي عزت بيجوفتش في كتابه القيم (الإسلام بين الشرق والغرب) هذا نصها: (لقد أثبت علم نفس الجماهير، كما أكدت الخبرة، أنه من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع)[1]. وقد اعتبرت هذا النص في حينه اكتشافاً ثميناً من شخصية معتبرة يؤيد كلامي عن أسلوب (التكرار والطرق المستمر)، ولم أنتبه أبداً يومها إلى مدلول عبارة (علم نفس الجماهير) التي وردت في بدايته كما انتبهت إليها اليوم وأنا أعيد قراءتها. وقد كنت أسمع بين حين وآخر عن (العقل الجمعي)، لكنني ظللت على ذلك الوهم حتى وقعت في أيلول الماضي/ ٢٠٠٥م على كتاب (سيكولوجية الجماهير) للعالم الفرنسي غوستاف لوبون المنشور عام ١٨٩٥م، وكنت يومها في معرض للكتب في دمشق، أبحث علّني أجد كتاباً للأمراض النفسية الجمعية، فلم أعثر من ذلك على شيء، وشد انتباهي عنوان الكتاب فاقتنيته. وحين أخذت أطالعه فوجئت بمطابقة كثير من آرائه للآراء التي توصلت إليها وقمت بنشرها من قبل، دون أن أدري يومها – ولا أحد من حولي كان يدري – أنني كنت أكشف النقاب عن أعظم قوانين التغيير الاجتماعي. وتبين لي أن العلماء قد خاضوا في علم نفس المجموع منذ أكثر من مائة عام، وعلى رأسهم غوستاف لوبون الذي يعتبر مؤسس (علم نفس الجماهير) ورائده الأول كما جاء في مقدمة الكتاب. وستجد بعض الاقتباسات من هذا الكتاب القيم خلال الصفحات القادمة. فاطمأننت إلى أن ما أبديته من ملاحظات، وثبّتّه من قواعد في التغيير الجماعي (الجماهيري) لم تكن نتاج عقل قادته المعاناة إلى ما قادته إليه، ربما كان لردود الأفعال غير المحسوبة بدقة أثرها وطابعها عليه. بل هي قواعد مدروسة طبقاً للمنهج العلمي التجريبي. وأنني كنت أقيد ردود أفعالي تقييداً علمياً صحيحاً. إن هذه القواعد قد أثبتها وأرساها من قبلي علماء كبار، ثم قاموا بإعلانها على الملأ، حتى صارت علماً مستقلاً يدرس ويطبق؛ فحمدت الله تعالى، وذكرت هذا من أجل تعزيز القناعة بها لدى طلاب الحق وحملة القضية.

أساليب عامة وأساليب خاصة

الشيعة كمجموع – ننظر إليه كأي مجموع آخر – يسري عليه القانون العام في التغيير الجماعي كما يسري على غيره. أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار خصوصياته

---

[1] الإسلام بين الشرق والغرب، ص١٠٨ ، علي عزت بيجوفتش.

النفسية والعقلية التي يفترق بها عن غيره فلا بد أن يؤثر ذلك في المعادلة؛ فنحتاج إلى تعديلات أو إضافات تتناسب وتلك الخصوصيات. وبناءً على هذا سنقسم الكـــلام إلـــى قسمين:

القسم الأول: يبحث في الأساليب والمبادئ العامة للتغيير

القسم الثاني: يبحث في الأساليب والمبادئ الخاصة بالشيعة

القسم الأول

الأساليب والمبادئ العامة

١. تبني (القضية)

وجدت أغلب الناس – بما فيهم كثير من المفكرين والمنظرين – ينظر إلى المسائل التي تشغله: دنيوية كانت أم دينية نظرة جزئية تفكيكية. بمعنى أنه ينشغل بمسألة ما فيجعلها محط نظره ومحور اهتمامه وحركته ليهمل بقية المسائل. أو يعالج كل مسألة على حدة، دون أن يسلكها بخيط واحد، ويرجع بعضها إلى بعض. وهكذا يفعل كل فريق. وفي النهاية ينقسم المسلمون في البلد الواحد أقساماً غير متجانسة، تتنافر فيما بينها وتختلف تبعاً لاختلاف المسائل التي تبناها كل فريق على حدة دون اتفاق أو تنسيق. وهذا ما نهى الله عنه وذمه بقوله: **(فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)** (المؤمنون:٣٥). إن هذا يقطع المقتسمين أنفسهم ويحيلهم شيعاً وأحزاباً متنافرة كما قال تعالى: **(فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** (المائدة:١٤). فأخذ بعض الدين ونسيان بعضه يؤدي إلى هذه النتيجة المأساوية.

وللخروج من هذا المأزق لا بد من اللجوء إلى نظرية (القضية). فبها وحدها نتمكن من حل جميع الإشكالات، ونعطي جميع المسائل الممكنة ما يناسبها من اهتمام.

إن نظرية (القضية) تعلمنا – نحن كإسلاميين – أن للدعوة محوراً هو المشكلة، أو المسألة الكبرى في الواقع المعين تدور حوله (القضية) استناداً إلى قاعدة التوحيد.

إن محورية الدعوة لا تعني أبدا إهمال المسائل الأخرى غير المحورية، وهي تقترب أو تبتعد عن المركز الذي تستقر فيه المسألة الكبرى وتتحرك لتكون هي محور الاهتمام أو (القضية). بل الأمر على العكس تماماً. فإن وضع اليد على المحور، وتشخيص (القضية) يعطي لبقية المسائل أهميتها وحيويتها كلاً بحسبها، ويحركها ليجعلها تدور في فلكها الخاص بها وهي تنشدُّ إلى المحور بدل أن تظل جامدة ميتة، أو مغلفة لا حراك فيها.

إن (القضية) هي النظام أو السلك الذي يشد حبات العقد ليصنع منها تركيباً جميلاً مترابطاً. وبفقدان ذلك النظام أو انقطاع السلك تنفرط الحبات أو الخرز فلا يبقى هناك

عقد. إن لكل دعوة قضية تتبع من واقعها تشد المسائل المطروحة كما يشد النظام حبات العقد فإذا انفقدت (القضية) انفرط عقد هذه المسائل وفقدت حيويتها وصارت بلا هدف يمكن تحقيقه من ورائها.

وبهذا يتبخر الاعتراض القائل بأن الدعوة لا يصح أن تحصر في قضية مواجهة التشيع أو المشروع الإيراني، وتهمل بقية القضايا. حيث قد أصبح واضحاً أن تبني هذه القضية لا يلغي أياً من القضايا المطلوبة، بل يمنحها الحيوية والحياة، ويجعلها تتحرك وتدور حول محور يمور بالفاعلية والحركة والنشاط :

فمن جعل التوحيد وتصحيح العقيدة غايته نقول له: إن هذا المطلب أول خطوة في طريق (القضية).

ومن جعل التقوى والتزكية القلبية شاغله نقول له: إن هذا هو لب التوحيد وعماد العقيدة.

ومن جعل العبادة هدفه ووجهته نقول له: إن (قضيتنا) لا يصلح لحملها إلا جيل عابد.

ومن جعل الجهاد طريقه ووسيلته قلنا له: لا (قضية) بلا جهاد، ولا جهاد بلا (قضية). وجهادنا أعظم الجهاد في الواقع الذي نعيشه لأنه يجاهد المنكر الأكبر والأصعب فيه.

ومن أراد حشد الناس وتأليفهم، وتنظيمهم في جماعة معينة، قلنا له: إن الحشد والجمع لا بد أن يكون من أجل (قضية)؛ فالقضية الحقيقية أعظم وسيلة لتحقيق هذه الغاية. فتبني هذه القضية تحل مشاكل العراق دينياً واجتماعيا وسياسياً.

ثم.. إن (قضيتنا) لا تنجح دون وعي بالسياسة والواقع وما يدور في العالم.

وتحتاج إلى معرفة عميقة بالنفس البشرية وصيغ التعامل معها والسنن الكونية في التغيير.

والى معرفة بالكتاب والسنة والسيرة والتاريخ والجغرافية كذلك. واللغة والعقائد والفرق.

وإلى التعرف على الدسائس والمؤامرات وعلاقات الفرس باليهودية والصليبية.

ولا يحملها إلا وطني صادق وعروبي غيور.

... وهكذا ما من مسألة ولا علم مهم أو ضروري إلا وتجد القضية في حاجة إليه،

وتعطيه من الاهتمام ما يناسبه. فرق جوهري هو أن هذه المسائل والعلوم تكون حيـــة متوهجة متحركة حين تكون في خدمة (القضية)، وميتة خامدة جامـــدة حـــين تتعـــزل منفردة على قارعة الطريق.

ولعل سائلاً يسأل: ما هي قضيتنا نحن أهل العراق، وبقيـــة المنـــاطق أو الأقطـــار المشابهة؟ فأقول: إننا في العراق نواجه – ومنذ فجر التـــاريخ – خطـــراً هـــو أكبـــر الأخطار بل هو مجمع الشر وأم الخبائث من الشرك والنفاق واستباحة الدماء والأموال والأعراض والطائفية والفرقة والتآمر والكيد والدس والاغتيـــال الفكـــري والجســـدي والولاء للأجنبي والطعن في الكتاب والسنة والتاريخ والرموز...الخ. وقد اســـتطاع أن يجند لصالحه الملايين.

هذا الخطر هو الشعوبية أو المجوسية المقنعة. إنه التشيع الفارسي أو الصفوي. إنه الغزو الشرقي قبل الغربي. فالوقوف بوجه هذا الخطر هو (قضـــيتنا) الأولـــى. وهـــي القضية التي نستطيع توجيه كل الجهود نظريا وعملياً علماء وعامـــة قـــادة وجمـــاهير باتجاهها، وحشدها لحلها وعلاجها.

٢. التكرار والطرق المستمر

قد يتغير الفرد بالحوار الشخصي، والأساليب العقلانية في دوائر النقـــاش، وتبـــادل الآراء في اللقاءات الخاصة، والاجتماعات المحدودة. ولكن المجتمع سيظل في عزلـــة عن هذا التغيير. ولا يتأثر به إلى الحد الذي يمكن اعتباره كبيراً وشاملاً، ما لم يحصل الصدع بالفكرة مع الطرق والتأكيد المستمر العلني بها، ويستغرق ذلك زمناً قد يطـــول جيلاً أو جيلين تبعاً لتوفر العوامل والظروف المطلوبة. على أن يكـــون قويـــاً مؤكـــداً وجازماً.

إن (العقل الجمعي) للمجتمع لا يتغير قط إلا بهذا الأسلوب، الوحيـــد الـــذي يمتلـــك الفاعلية على جعله يتأثر ويستجيب – بلا وعي، وشيئاً فشيئاً – لدواعي الفكـــرة، التـــي ستتغلغل فقراتها على مدى الزمن المطلوب، حتى يأتي يوم يكون فيه مهيـــأً للضـــربة الأخيرة فيسقط الجدار. وقد يكون سقوطه فجأة؛ لطول ما تفاعلت فيه عوامل التغييـــر. مثله كمثل بحيرة ماء تضرب أمواجها جداراً من طين، أو تحفر في ذراته شيئاً فشـــيئاً. إنه يتصدع – ولو ببطء – حتى يأتي يوم فينهار. وبهذا الأسلوب تمكن أهل الباطل من نشر باطلهم.

يقول د. علي الوردي: إن عيب البرهان المنطقي أنه لا يستطيع أن ينمي في النفس عقيدة. فالعقيدة بنت الإيحاء والتكرار. ولهذا السبب نجد وعاظنا ومفكرينا لا ينجحـــون

في تبديل أخلاق الناس، أو تغيير عقائدهم إلا نادراً. فهم يحاولون دائماً أن يقنعوا الناس عن طريق الجدل، وإقامة الدليل، وما أشبه. هذا بينما الناس يسيرون في أمورهم الفكرية والاجتماعية على أساس ما انطبع في عقولهم الباطنة من أفكار وعادات وقيم. فهتلر لم يبعث في الأمة الألمانية تلك الحماسة، وذلك التعصب العجيب لآرائه بواسطة الإقناع المنطقي. إنما هو قد فعل ذلك بالإيحاء والتلقين والتكرار، وبواسطة الاحتفالات والاجتماعات والاستعراضات: حيث كانت الموسيقى تعزف، والأعوان تهتف، والرايات تخفق، والطيارات تملأ بهديرها الفضاء.

إن كلمةً تكرِّر قولها على نفسك مرة بعد مرة لقادرة أن تطبع في عقلك الباطن شيئاً من الإيمان بها قليلاً أو كثيراً. والإيمان يزلزل الجبال كما يقولون.

ينتقد بعض الكتّاب القرآن لأنه يكرر القصص وآيات الوعظ مرةً بعد مرة، ويذكر الله وآثاره في الكون في كل صفحة من صفحاته. وما درى هؤلاء المغفلون بأن هذا التكرار الذي ينتقدونه هو الذي طبع في نفوس العرب ذلك الإيمان العميق بالله، وجعلهم يحطمون إيوان كسرى وعرش قيصر في سنوات معدودة[1].

٣. الصدع بالحق

الإسلام دين جماعي. أي جاء لتغيير الجماعة قبل الفرد. والإسلام ليس علاقة قاصرة بين الفرد وربه، مجردة عن المجتمع ، أو بعيدة عنه. نعم هو علاقة بين العبد أو الفرد وربه، ولكن من خلال المجتمع.

إذن جاء الإسلام لتغيير المجتمع، وتصدى لمخاطبته ككل، وليس لخطاب فرد أو مجموعة من الأفراد. لهذا اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى المجتمع، ولم يقتصر بها على الأفراد. فكان يصعد على جبل الصفا ويصيح في جموع قريش، ويغشاهم في نواديهم وأسواقهم، ومواسمهم. وهكذا فعل أصحابه رضي الله عنهم. ولم تشغله دعوته الفردية عن هذه المهمة الاجتماعية. بل سخر الأولى لخدمة الثانية.

إن منهج الإسلام التغييري الجماعي يقوم أول ما يقوم على الإعلان الواضح بالدعوة، والصدع المستمر – وبلا انقطاع – بالحق، وإنكار ما عليه المجتمع من باطل جهراً، دون الاكتفاء بطرح الأفكار في الزوايا الضيقة.

وكان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقاً أميناً لما جاء في ذلك من توجيهات الوحي الإلهي النازل عليه. كما قال تعالى: **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)** (الحجر:٩٤). وقال: **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)** (الكافرون:١،٢). وقال: **(وَلَقَدْ**

---

[1] خوارق اللاشعور ، ص١٢٨ ، د. علي الوردي.

كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام:٣٤).

بهذا الأسلوب توصل نبينا إلى تغيير المجتمع. وبه تمكن أهل الباطل من نشر باطلهم. مشكلتنا أن عامة دعاة أهل السنة عندنا يجنحون عند خطاب الشيعة إلى الاقتصار على الحوارات الخاصة المعزولة. أما الجهر بالحق، والإعلان الصريح به من خلال الوسائل التي تصل بصوتهم إلى المجتمع كمنابر الجمعة والإذاعة والتلفاز، والصحف وغيرها من الوسائل، فيتحاشونه كما يتحاشى المجذوم، أو أشد! وهذا أحد العلل الكبرى في مسيرة الدعوة والتغيير.

إن السكوت وعدم الإعلان بالحقيقة الصريحة في وسط المجتمع خشية أن نفقد عدة أشخاص تربطنا معهم علاقة من أي نوع، أو جاءوا إلى المسجد القريب مثلاً يؤدي إلى أن يظل المجتمع سادراً في غيه، جاهلاً بحاله، مستمراً في ضلاله. لأنه لم يجد أو يسمع من يعرفه بالحق من الباطل.

إن مجاملة المجتمع علناً، والاقتصار ببيان الحق من الباطل على الأفراد في المجالس الخاصة والأماكن المغلقة، لا يمكن – في يوم من الأيام ولم يحصل في التاريخ – أن يؤدي إلى التغيير الاجتماعي المطلوب الذي هو مهمة الإسلام الأولى، وينبغي أن يكون مهمة كل مسلم داع إلى الإسلام بحق.

إن الصدع بالحق يحرك السواكن ويثير العقول ويدفع النفوس باتجاه النقاش والجدل والحوار، الذي ينبغي أن نستثمره ونجعله – كما أوصى ربنا – بالحسنى وحسب الضوابط الشرعية. ويؤدي كذلك – وبقوة – إلى مراجعة الأفكار وإثارة الحوارات الذاتية والمثنوية مما يعطي للأفراد فرصة اكبر للوصول إلى الحقيقة مستقبلاً وتنشيط الدعوة الفردية كذلك.

لا بد إذن من التفريق بوضوح بين أسلوب الإعلان بالدعوة خطاباً للمجتمع، وبين الحوار الفردي في الزوايا الضيقة أو اللقاءات الخاصة أو عن طريق العلاقات الاجتماعية الفردية، الذي لن يؤدي – في أحسن أحوال – إلى أكثر من تغيير أفراد معدودين، مهما كثروا لن يحدثوا تأثيراً له وزنه في تغيير معادلة المجتمع المختلة، بالاتجاه الصحيح، نحو الهدف المطلوب.

٤. التكامل

إن هذا التأثير – حتى يتم – يحتاج إلى تكامل دعوي يقترن فيه الصدع بالحق من قبل ما يكفي من الدعاة والكتاب والخطباء والمفكرين والمحاضرين، الذين يتقدمون الصفوف، بالحركة أمام الجمهور الواعي المساند، الحامل لـ(القضية)، بعد أن يكون

قد أدرك أبعادها مسبقاً بواسطة أولئك المتقدمين. فالصدع بالحق لا بد أن يقترن بالحركة من قبل ذلك الجمهور نحو الآخر، متمثلة بالحوار الشخصي، وتقديم الوسائل البيانية من مثل الكتاب الهادف، والمطوية، والمنشور، والصحيفة والشريط المناسب: مسموعاً كان أم مرئياً، وغير ذلك من الوسائل. إن هذا كله ينشط التغيير الفردي ويكسب باستمرار مزيداً من الأنصار الحقيقيين، وليسوا أرقاما فارغة لا قيمة لها. وفي الوقت نفسه نكون قد قمنا بواجبنا تجاه المجتمع الذي نأمل أن يتغير باتجاه الهدف متى ما تكاملت فيه عناصر التغيير ضمن مدى معين من الزمن. فلا بد من مرور فترة زمنية يأخذ فيها التغيير مستحقه من النضج والتأثير.

ما أسهل أن يجلس أحدهم على أريكته الوثيرة، يعدد أخطاء العاملين، ويقول: ماذا فعل فلان؟ وماذا عمل فلان؟ إن (فشل) فلان وفلان – إن كان – بسببك أيها (الحكيم)!.. بسبب قعودك واختيارك الراحة على العمل المفروض أن تقوم به. إن أجزاء العمل الدعوي كأجزاء العربة: المحرك، والإطارات، والجسم، والمِقود وبقية الأجزاء. وما لم تكتمل وتتكامل هذه كلها مع بعضها، لن تتحرك السيارة مهما كانت الأجزاء الأخرى متقنة وصالحة للعمل. وقد قام فلان وفلان بأداء ما عليهم من نصيب، لكن العجلة لم تسر؛ لأن جزءاً مهماً كان مفقوداً، وفراغاً ظل شاغراً ينتظر وصولك الكريم.

٥. فضح الباطل وبيانه بالتفصيل

من أسباب انتشار التشيع قلة المتصدين لفضحه وتعريته بتفاصيله التي هو عليها. على العكس! فلقد قعّد الدعاة في المنع من ذلك قواعد أشهرها: "بدل أن تلعن الظلام أشعل شمعة" ، و "بيان الحق كفيل بزوال الباطل" . وأسقطوا قاعدة الرفق على هذا الموضوع؛ فصار عندهم كل من تطرق إلى باطل الشيعة وخزعبلاتهم من المتشددين المتعنتين. وما دروا – أو دروا لا أدري – أن دين الله تعالى مبني على تقديم مبدأ إنكار الباطل على بيان الحق. وأن فضح الباطل جاء فيه مفصلاً، بينما بيان الحق جاء مجملاً. حتى إذا دخل المرء في الإسلام جاء دور بيان الحق له بالتفصيل. وهذا المبدأ مذكور من أول كلمة يطالب بها الإنسان للدخول في رحاب الإسلام : "لا إله إلا الله". والله تعالى يقول: **(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** (البقرة:٢٥٦). ويقول: **(وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)** (الأنعام:٥٥). ويقول: **(لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**

فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (الأنفال:٣٧). فبيان الباطل، وفضح أهله مقصود إلهي مستقل بذاته، وهو شرط لبيان الحق لا يتم إلا به.

٦. التأكيد على وجود عدو محدد

الحب لا يكفي: صحيح أن الحب أساس الدين، ولكن هذا لا يكفي وحده لاستثارة النفوس وتفجير الطاقات، بل لا بد لذلك من تهييج عاطفة الخوف من جهة معينة محددة؛ فإن غريزة حب البقاء أقوى الغرائز كلها في إثارة قوى الإنسان وتوظيفها في الهدف المطلوب. ومن أول سورة نزلت من القرآن العظيم كانت هذه القضية حاضرة فيه: **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى*عَبْداً إِذَا صَلَّى)** (العلق:٩،١٠). وما إن أهبط أبونا آدم عليه السلام إلى الأرض حتى أنزل الله معه عدوه وخصمه إبليس، كما أخبر سبحانه فقال: **(وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)** (البقرة:٣٦). وشد القرآن أنظار المؤمنين إلى أعدائهم من الكافرين والمنافقين، وحذرهم منهم، وأمرهم بمجاهدتهم.

وجود العدو سنة كونية: وهذا يعني أن وجود العدو سنة من سنن الكون. وفي ذلك يقول تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً)** (الفرقان:٣١)، ويقول: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)** (الأنعام:١١٢).

والسر في ذلك – والله أعلم – أن الإنسان إذا أمن خمد، وقل نشاطه واندفاعه. فإذا تعرض أمنه إلى الخطر تحرك وانطلق، وتفجرت طاقاته من مكامنها، وبحث عمن يعينه ويعزز أمنه وحياته؛ فتزداد القوة، ويحصل التماسك بين المجموع. وهذا هو الأساس الواقعي الذي يبنى عليه التجمع والتوحد، الذي هو الشق الآخر للدين بعد التوحيد. بل إن المجموع الذي لا يحس بوجود عدو معين يرتد عدوانه إلى داخله فيتمزق المجموع. يقول جي. إي. براون: من الملاحظ أن الجماعة توجه العدوان إلى داخلها حينما تتوقف الأعمال الحربية. ويقول: إن الناس في حال الضيق يحتاجون إلى الكراهية؛ لأن الكراهية إذا أصبحت منتشرة هي أنجع العواطف توحيداً للناس[1].

---

[1] أساليب الإقناع ، ص٦٣،٥٤ ، مصدر سابق.

وليست هاتان الحقيقتان بعيدتين عن دعوة الإسلام وتوجيه القرآن : فنظرية الإسلام في القتال تقوم على توجيه القوى متوازية إلى الخارج، وهذا هو الجهاد. وتحرم توجيه القوى متقاطعة إلى الداخل، وهذه هي الفتنة. والقرآن يقول: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) (الممتحنة:٤).

ولأن إبراز وجود الخصم، والتلويح به دوماً أمام أعين المؤمنين ضرورة من ضرورات العمل الصائب لهذا الدين، أكد القرآن على أهمية تحديد الخصم، ووضوح صورته في ذاكرتهم فقال: (**إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً**) (النساء:١٠١) وقال: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً**) (الإسراء:٥٣) وقال: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**) (فاطر:٦). كما أنه قال: (**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**) (الأنعام:٥٥). وما أجمل ما قاله الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى في ظلال هذه الآية: (إن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحادده ويحاربه إنما هو على الباطل، وأنه يسلك سبيل المجرمين، الذين يذكر الله في آية أخرى أنه جعل لكل نبي عدواً منهم: ((وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين)) ليستقر في نفس النبي ونفوس المؤمنين أن الذين يعادونهم إنما هم المجرمون عن ثقة، وفي وضوح، وعن يقين. إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح. واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات؛ ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم. فهما صفحتان متقابلتان وطريقان مفترقان، ولا بد من وضوح الألوان والخطوط .

ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلاماتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلاماتهم بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين).

وقد أجاد المجرمون دورهم في خدمة هذه المسألة العظيمة، والتلويح لشعوبهم وأتباعهم بخطر الأعداء والخصوم، من أجل تنفيذ مآربهم، وتحقيق أهدافهم، كما تفعل أمريكا اليوم. والحال لا يحتاج إلى شرح. كما أجاد أساطين الشيعة الدور في التلويح

لشيعتهم بأن الخطر كل الخطر يأتي من ناحية العرب عموماً وأهل السنة خصوصاً. ولغتهم الخاصة غنية بالمصطلحات التي تعبر عن مقاصدهم مثل: نواصب، وهابيين، إرهابيين، تكفيريين، أُمويين...إلخ. هذا إن لم يذكروا أهل السنة باسمهم صراحة. بينما فشل أهل السنة – في العراق خصوصاً – فشلاً تاريخياً ذريعاً في تجلية الخصم أو العدو الحقيقي الذي يهدد وجودهم، ويريد ابتلاعهم وتدمير هويتهم الدينية والقومية، بل والوطنية ! ألا وهو الشعوبيون ، والمستعجمون ، وإيران وذيولها . أو – باختصار – أصحاب التشيع الفارسي الذين يمثلهم عموم الشيعة في عراقنا إلا من رحم ربك. وهذا الفشل الغبي هو الذي خدر أهل السنة خاصتهم وعامتهم، وساعد في تشتيت صفهم، وترسيخ تفككه، وضعف تماسكه؛ لأن قادتهم من الدعاة والمشايخ والعلماء والمفكرين والسياسيين – إلا أقل القليل – دس رأسه في الرمل عن رؤية الخصم الحقيقي، ونصيحة أهله في تشخيصه، وتحذيرهم منه. وظلوا يخادعون أنفسهم بالعبارات التقريبية الزائفة حتى وقعت الواقعة، فلم يبق بيت من بيوت أهل السنة إلا ودخلته الفتنة على يد عصابات الخيانة والغدر الشعوبي: بدءاً باستقدام الكافر المحتل، ومروراً بخدمته، وتقديم جميع أنواع العون والمساعدة له. وبعد (خراب البصرة) – كما يقولون عندنا في العراق – صاروا يتحدثون على استحياء ابنة شعيب إلى (الإخوة) الأعداء. فمن يتحمل المسؤولية؟!! وإذا كان الله جل وعلا قد حذر المؤمنين حتى من الزوجة والولد ووصفهم بالعدو في حالات معينة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) (التغابن:١٤) فكيف بمن يغطي الحقيقة الصارخة ولا يحذر أبناء جلدته من العدو الحقيقي الذي انتشر كالسرطان في جميع مفاصل المجتمع؟!

السياسة اللادينية تسلك أسلوب ترهيب الجماهير من العدو المحدد، والسياسة الدينية أو الشرعية تسلك السبيل نفسه. الفرق بينهما في المصداقية والهدف النبيل، وليس في المبدأ نفسه. وبهذا يتبين أن أصحابنا لم يسلكوا لا سبيل الدين، ولا سبيل السياسة. وهذا هو المؤشر على عامة الحركات الدينية في زماننا التي دخلت معترك السياسة. إن أساليبها قديمة، أو لا يحسنون تنزيلها على مواردها، إلا من رحم.

إن العدو الأول لنا في العراق هو الشعوبية وأهلها من عموم الشيعة الموالين لإيران، والسائرين في ركب ذيولها عندنا من أمثال السيستاني وآل الخوئي وآل الحكيم وآل الصدر ومن لف لفهم، وسار في ركبهم. هؤلاء هم أعداؤنا، لا يختلف أحدهم عن الآخر إلا بالدور المكلف به في خدمة المسرحية الجامعة. فالمسرحية واحدة، والهدف

واحد وإن تنوعت – أو توزعت – الأدوار بين أعضاء الجوقة. وإذا كنا نعذر أحداً من خارج العراق – لسبب أو آخر – في عدم الاهتداء إلى هذا التشخيص، فلا يمكن الاعتذار لأحد من أهل العراق إذا أخطأ فيه، خصوصاً بعد كارثة الاحتلال، وبروز العمالة الشيعية سافرة فيه إلى البلعوم. يقول د. ماجد العرسان: (الغرب هو التحدي الأكبر لدار الإسلام. وهو تحد عنيد مستمر كلما هلك جيل من الغرب خلَفه جيل آخر ذوي صبر على متطلبات المواجهة وتكاليفها... أما الخطر الشرقي الذي كانت تمثله فارس فقد انهار بعد نطحة أو نطحتين: مواجهة في القادسية وأخرى في نهاوند ثم لا فارس بعد، وإنما تحولت إلى منعطف جديد استمر في أيامنا الحاضرة)[1]. وأنا وإن كنت لا أهون من شأن الخطر الغربي، لكنني لا أرى التهوين من شأن الخطر الشرقي يقوم على أسس علمية: لا واقعية ولا تاريخية. وأصحاب هذا التنظير إنما يحملهم عليه عدم اكتوائهم بنار المؤامرات الفارسية المستمرة على العراق وأهله. وذلك لبعدهم عنها، ما يؤدي إلى سهولة انخداعهم بمعسول كلام الفرس ودعاواهم الكاذبة. وهذا هو الذي يجعلهم في غير ما حاجة إلى قراءة تاريخ العراق القديم والحديث، وإذا قرأوه لا يركزون على المفاصل الحرجة الخاصة به؛ لأنهم ليسوا من أهله. وهذا شيء طبيعي، ولو كنتُ أنا من غير العراقيين لربما حذوت في ذلك حذوهم. فأنا لا أنتقد الشخص نفسه، وإنما أنتقد تقريره، وأعتذر له. كما أقول له ولغيره: إن التاريخ يشهد أن جميع الحضارات التي قامت في العراق منذ فجر التاريخ وإلى يوم الأربعاء الأسود (٢٠٠٣/٤/٩) كانت نهايتها على يد الفرس: إما مباشرة أو بالواسطة. أما الواقع فما عاد في حاجة إلى بيان! وأما (النطحة والنطحتان) الواردة في الحديث الشريف فلا تشير إلى أكثر من زوال دولة الفرس الرسمي، على غير ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى الروم. وقد تحولت فارس بعدها إلى أكبر مستودع وأخطر حاضنة للنفاق والحركات النفاقية على وجه الأرض. وقد قامت بأخطر الأدوار في التاريخ في الكيد لدولة العرب والمسلمين. وكثيراً ما تحالف الفرس مع الصليبيين لمحاربة دولة الإسلام، وهم الذين تآمروا معهم على عهد الصفويين فأوقفوا الفتح الإسلامي داخل أوربا.

وجود العدو ضرورة لتوحيد الجمهور: وأخيراً أقول لكل العاملين من أهل السنة وخصوصاً السياسيين: إن توحيد الجمهور وتجميعه لا يمكن أن يتم من دون أن تثار

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ص٤٠٨-٤٠٩ ، الدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

لديه غريزة الحياة وحب البقاء من خلال شعوره بخطر يتهدده من قبل عدو يتربص به. ومن أوضح الأدلة على ذلك موقف أهل السنة من الدستور وزحفهم بالملايين للتصويت ضده، يوم شعروا بالخطر الداهم الذي يستهدف وجودهم، ويغتال هويتهم. وكذلك موقفهم من الانتخابات التي تلته، واندفاعهم لها دفعاً للخطر الداهم. فالحب وحده والتسامح الأبله بضاعة الضعفاء الحالمين، وديننا دين القوة والواقع. وليس من خطر أكبر من خطر الشعوبية، التاريخ والواقع يثبت ذلك. ولسنا في حاجة ولن نرضى بمن لم يقرأ تاريخنا، ولا يعيش واقعنا.

فنصيحتي لكم إذا أردتم النجاح في الوصول إلى أهدافكم أن تجمِّعوا الناس في العراق حول هذه القضية الكبرى. وإلا فإن أخوف ما أخافه - إذا خرج المحتل - أن ترجع إليكم لوثتكم الترضوية القديمة، وعندها سينفض الناس عنكم كل إلى (حال سبيله)؛ فما عاد من خطر يجمعهم. في الوقت الذي يكون فيه جمهور الشيعة متحفزين تمام التحفز للإجهاز على البقية الباقية من جمهوركم. **(أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)** (النجم: ٥٩-٦١).

كل عظماء العراق حاربوا الفرس: كما أعظكم بواحدة، وأذكِّركم بحقيقة عظيمة هي أن كل من برز من قادة العراق ورجاله في كل أدوار التاريخ إنما انبنت عظمته وشهرته على موقفه من المد الفارسي. واذكروا إن شئتم أوتوحيكال وسرجون وحمورابي ونبوخذ نصر وآشور بانيبال وسميراميس، والنعمان والمثنى وزياد والحجاج والمنصور والرشيد، وصلاح الدين. حتى الإمام أحمد فإنه لم يكن مجرد عالم قاده التطلع العلمي والواجب الديني المجرد إلى ما قاده إليه. إنما كان صاحب قضية لا تختلف عن قضيتنا اليوم، تصدى من خلالها للمد الشعوبي متمثلاً بهجمته على العروبة، والقرآن، والحديث النبوي، والعقيدة الإسلامية؛ فدافع عن فضل العرب، ونافح ضد الزمرة الشعوبية والبطانة الفارسية متمثلة بابن دؤاد وزمرته القائلين بخلق القرآن، ووقف ضد محاولات الزنادقة العجم واختلاقهم للأحاديث الباطلة ونشرها بين الناس ودسها في كتب الحديث. وكان في ذلك كأنه الشخص الذي تجمعت فيه أصالة العراقيين، وتاريخ بني شيبان فظهر - وما كان للعراق إلا أن يظهر فيه مثله - ليمثل كرم الأصالة، وعنفوان التاريخ. وقد كان صدام حسين قارئاً جيداً للتاريخ حين ابتدأ ولايته بالتصدي للهجمة الفارسية السوداء. ولولا بعض العوارض ومنها ما ارتكبه من أخطاء بعد ذلك، وما هو معلوم من سيرته لكان من أعظم القادة في تاريخ العراق.

على أنني أقول: إن الشوط ما زال بعيداً ليقول التاريخ فيه قولته، ويحكم عليه بحكمه، ومن عاش فينا سيسمع عمن تصدى للريح الشرقية الصفراء وأذل خشم نافخ كيرها (لع)، وجرعه كأس السم، وحرر المحمرة والأحواز غير ما يسمعه اليوم. وهكذا فكل من أراد أن يقود العراق لا يمكن أن يقوده ما لم يتقدم بموقف كبير يتصدى به لإيران وذيولها من الشعوبيين والشيعة المتفرسين. والمستقبل بيننا حكم، إن لم ينفع المنطق والشرع والتاريخ. **(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)** (غافر:٤٤).

٧. العلاج بالصدمة

مما تعلمناه على عهد الدراسة الطبية أن بعض الأمراض النفسية لا يعالجها شيء مثل تعريض المريض إلى صدمة علاجية، أو رجة كهربائية. فالمريض الذي يعاني من رهاب بخصوص بعض الحشرات كالصراصر مثلاً يعالج بإدخاله إلى موضع يعج بالصراصر ويقفل عليه الباب وهو معها، وبعد أن يصرخ ويصرخ تتفرغ شحنته العُقدوية ويشفى مما به من مرض. والعلاج بالكهرباء معروف لكل الناس، سواء بالنسبة إلى الأمراض النفسية أو الجسدية، فالسكتة القلبية مثلاً لا ينقذ المصاب منها كما ينقذ بالرجة الكهربائية. وأعتقد أننا نحتاج لمثل هذا العلاج مع الشيعة، ومع السنة أيضاً. أن نصدمهم بالحقيقة المرة، ونصكهم بها في آذانهم، ودعك من صراخهم؛ فقد وصل المرض إلى حد الغيبوبة.

٨. الهجوم

"الهجوم خير وسيلة للدفاع" حكمة معروفة في أوساط الناس، وإن كانت في الأصل قاعدة من قواعد العلم العسكري. كما أنه من المعروف عسكرياً أن الدفاع لا يحقق النصر، إنما النصر يكمن في التعرض للعدو والهجوم عليه. وغاية الدفاع هو رد الخصم دون دحره، ما لم يتبع ذلك بمطاردته، أي الهجوم عليه. وكذلك الشأن في المعارك العقائدية والثقافية. المهاجم يشغل خصمه بالدفاع عن نفسه، وبذل الجهد في تبرير مواطن الضعف التي وجهت إليها سهام النقد، ومحاولة سد الثغرات التي تنفذ منها تلك السهام. وكثيراً ما يركن إلى الموادعة والسكوت طمعاً في سكوت المقابل، واستجداءً لعطفه وموادعته. وهكذا يبدأ الانهيار الثقافي، وتغزى الأمم في ثقافاتها

ومرتكزاتها الفكرية والعقيدية، تمهيداً لغزوها عسكرياً وهزيمتها ودحرها فـــي ميـــدان القتال. وهذا هو شاهد حالنا اليوم في العراق.

والناظر في دعوات الأنبياء عليهم السلام، وكل الدعوات التغييرية الأخرى – الإصلاحية منها والإفسادية – يجد أنها لم تقف من مجتمعها أبداً موقف الدفاع، وإنما بدأت بتحديـــد مواطن النقد أو الخلل، ثم راحت تهاجمها علناً وعلى رؤوس الملأ. والقـــرآن الكـــريم وسيرة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام تشهد بوضوح على ذلـــك. وأكتفـــي بموضع واحد من القرآن هو قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤). وتأمل ما في هذا الأسلوب من نتائج تغييرية جماعية بشرط أن تأخذ استحقاقها الزمني، وتتوفر لهـــا الأرضـــية الصـــالحة للتحرك، وذلك ما لم يحصل لسيدنا إبراهيم عليه السلام: الإعلان القوي بـــالبراءة وإظهـــار العداوة وإبداء البغضاء والكراهة يؤدي إلى هيجان المجتمع، وزلزلته فتنتشـــر الـــدعوة وتصل إلى كل زاوية فيه، وتثور المناقشات والمجادلات، ويحصل تبادل فـــي الأفكـــار والآراء. كل ذلك بسرعة لا تقارن بها سرعة حدوث هذه التفاعلات في حالة الأساليب الترضوية، فيكثر المؤمنون من طلاب الحقيقة، وتهتز قناعات الآخرين. يحـــدث هـــذا على مستوى المجتمع كله، وليس على مستوى أفراد معدودين. وعندها يمكن اســـتغلال النتائج الحاصلة واستثمارها لإكمال الشوط إلى نهايته كما فعل الرسول ﷺ.

من هذه النقطة، من البراءة والعداوة تبدأ الخطوات المباركة نحو التغيير الجمـــاعي كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في سياق الآيات السابقة: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنـــة:٧) لا كمـــا هـــو ديـــدن الترضويين الذين يتطيرون من كل ما يمكن أن يثير إزعاج الآخـــر، أو يعكـــر صـــفو مزاجه الرائق، وذوقه الرفيع.

أما المدافع فيمثل الكفة الأضعف في المعادلة، ولولا ضعفه لما غزي في عقر داره؛

فإنما يغزى الضعاف. ولولا ضعفه لكان هو الذي يبدأ ويغزو ويهاجم.

حين رجعت من الحلة إلى بلدتي (المحمودية) أواخر عام ١٩٩٧ كانت الأسئلة تنهال عليّ من قبل الشباب السني: هل صحيح أن الرسول ﷺ أخذ البيعة لعلي رضي الله عنه عند غدير خم؟ ما معنى آية الولاية؟ وهل أن علياً تصدق في صلاته بخاتم فنزلت الآية بسبب ذلك؟ وما علاقتها بالإمامة؟ ما تقول في معركة الجمل؟ ولماذا (خرجت) عائشة على علي؟ هل صحيح أن عمر رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ : إنه يهجر؟ وأن ذلك في صحيح البخاري؟ ما دليل الأوقات الخمسة في الصلاة والله يقول: (**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**) (الإسراء:٧٨)؟ وكانوا يأتونني بأحاديث عديدة مشكلة في البخاري ومسلم يحتج بها الشيعة عليهم فلا يستطيعون الإجابة الشافية عنها. وغيرها وغيرها من الأسئلة والإشكالات التي صارت تشغل عقول أبناء السنة، ويتلفتون حولهم، ويذهبون إلى المساجد فلا يسمعون ما يُروي غليلهم ولا يشفي عليلهم، سوى كلمات (التقريب) وعبارات من مثل: لا فرق بين الشيعة والسنة، الدين واحد والرب واحد إلخ... ونحن نحب أهل البيت، وأهل البيت كذا.. وكذا. وما شابه ذلك من العبارات الانهزامية التي جرأت على حمانا صعاليك الأرض، وشذاذ الآفاق.

ومن خلال ذلك توصلت – بما يشبه القناعة – إلى أن الحال إذا استمرت على ما هي عليه فإن العراق سيتحول إلى شيعة خلال خمسين سنة! إن التقهقر إلى الدفاع أول الخطوات في طريق الهزيمة.

وكنت أوجه السائل – بعد أن أجيبه على سؤاله وأوضح له حقيقة الأمر – إلى أن يهاجم لا أن يدافع، وأن يورد هو الإشكالات على الآخر ولا يكتفي بتلقيها منه. وأزوده بمجموعة منها. وكنت أقول للسائل وغيره: بدلاً من أن يشغلوكم بعشرين حديثاً مشكلة في البخاري أشغلوهم بألوف من الروايات الساقطة في كتاب الكليني. وبدلَ أن يشغلوكم بعدة آيات مشكلة من القرآن قولوا لهم: (إن هذه الآيات كلها متشابهة، فأتونا بآية واحدة محكمة شاهداً على أعظم أصولكم ((الإمامة)) فما دون؛ ونحن نسلم لكم بما تقولون). خذوا زمام المبادرة واهجموا ولا تدافعوا. قولوا لهم: (إن أصولكم باطلة لا أساس لها من محكم القرآن، وإن رواياتكم موضوعة وصلتكم عن طريق الزنادقة

والكذابين). لا تشغلوا أنفسكم بذكر حبكم لأهل البيت فإن هذا لن ينفع معهم، وألقوا في أحضانهم بفضيحة كراهة الصحابة وسبهم والطعن بأشرف النساء وأطهرهن أمهات المؤمنين. وبدل أن تدندنوا حول كونكم من محبي أهل البيت وأتباعهم قولوا لهم: (أنتم مخالفون لأهل البيت ولا علاقة لكم بهم ما دمتم تخالفون منهجهم ودينهم. إن أهل البيت بريئون ممن يغلو فيهم ويرفعهم إلى مصاف الأنبياء أو مرتبة الإله. إن هذه العقائد التي أنتم عليها فارسية مجوسية لا ينفع معها التستر ولا الترقيع). هاجموا إيران وكل من انتسب إليها من الشعوبيين والمستعجمين. دعوهم يشعرون بالنقص تجاه عقائدهم وعمالتهم وحبهم لإيران، وسترون النتيجة!

وتلقف الصادقون المخلصون الفكرة وساروا بها، فما مرت سنتان حتى انعكس الأمر وتغيرت الحال إلى الضد تماماً، إلى درجة أن أحدنا صار لا يكاد يجد شيعياً يقبل الوقوف معه للنقاش! بل إنه يهرب عند أول إشارة لتحول الحديث إلى الموضوعات الخلافية، ويطلب التوقف أو الانصراف متحججاً بأن مراجعه أمروه بعدم الخوض في مثل هذه المسائل. فكنت أضحك وأقول: لقد قطعنا شوطاً كبيراً باتجاه الهدف. هذا هو الطريق، فيا ليت قومي يعلمون!.

يقول أحد علماء الاختصاص الغربيين وهو جي. إي. براون: أكبر غلطة ارتكبتها الدعاية الألمانية (في الحرب العالمية الأولى) أنها كانت دفاعية باستمرار، باذلةً جهودها في التأكيد على أن الدعاية الموجهة من قبل الحلفاء كانت غير صحيحة وغير منصفة. وفي هذا انتهاك لواحدة من أُولى قواعد الدعاية وهي أن رسالة صاحب الدعاية ينبغي أن تكون إيجابية باستمرار. إن محاولة تصحيح أخبار الدعاية ((غير المنصفة)) تؤدي إلى شيء واحد وهو إحياء العبارات التي استعملتها الدعاية المعادية في أذهان من تلقوها، ونشرها بين الذين لم يكونوا ليسمعوها لولا تلك الطريقة[1].

لقد اعتمد الشيعة على مبدأ الهجوم والدعاية في نشر أباطيلهم . أما نحن فغاية ما فعلناه هو الدفاع والدفاع الضعيف وباستمرار خصوصاً في منابرنا العلنية التي هي المصدر الأهم في تثقيف المجتمع وتعرفه على الحقيقة[2].

---

[1] أساليب الإقناع ص٥٢ ، جي. إي. براون، ترجمة د. عبد اللطيف الخياط.

[2] تأمل ضعف أسلوب الدفاع، وفاعلية أسلوب الهجوم في هذا الخبر عن سيدنا ابن الزبير ﷺ في معارك إفريقيا حين أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يستطلع أخبار المسلمين: رأى عبد الله

٩. النفرة

صحيح أن هذه الأساليب تتسبب في نفرة المجتمع في بداية الأمر ، وإثارة المشاكل كما حصل لرسول الله ﷺ . ولكن ذلك ليس دليلاً على عدم جدواها. بل العكس هو الصحيح. وليس العلاج بالترك والنكوص. ومن قال بذلك فإنه لا يعرف مراحل العلاج أو محطات السير.

لقد واجه الرسول ﷺ هذه المشكلة مشكلة نفرة الناس عنه، لكنه لم يسعَ إلى تجنبها بكل وسيلة، حتى ولو كانت هي المجاملة أو التخلي عن الصدع بالحق والجهر بإنكار ما عليه النافرون من باطل طمعاً في تقريبهم كما هو حالنا اليوم. بل واجههم بما يزيدهم نفوراً حين شبههم بالحمير! فقال تعالى: **(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)** (المدثر:٤٩-٥١). وحمّل نفوسهم المريضة بالكبر، وعدم الخوف من الآخرة مسؤولية الإعراض عن الحق فقال: **(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً * كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ)** (المدثر:٥٢،٥٣). ولعل في صيغة (استفعل) في كلمة (مستنفرة) ما يشير إلى أن النفرة عن الحق مركوزة في نفوسهم؛ فهي مطلوبهم ومبتغاهم، فالأمر كما قال سبحانه عن ثمود: **(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** (فصلت:١٧) فجاء التعبير في كلمة (استحبوا) بصيغة (استفعل)، أي هم أرادوا واختاروا وطلبوا العمى وحملوا أنفسهم عليه!

ثم بيَّن من موقع الفوقية والعلو والعزة أن من شاء الهداية فليفعل، ومن لم يشأ فالأمر متروك له. على أن الهداية شيء عزيز لا يوفق الله إليه إلا من يستحقه. وقد لا يكون هؤلاء مستحقين لذلك، فقال جل شأنه: **(كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ**

بن الزبير قتال المسلمين كلّ يوم من بكرة إلى الظُّهر فإذا أُذّن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم ير ابن سعد معهم فسأل عنه فقيل: إنه سمع منادى جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد، فله مائة ألف دينار، وأزوِّجه ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده، وقال له: تأمر مناديًا ينادي: من أتاني، برأس جرجير، نفّلته مائة ألف، وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشدَّ من عبد الله/ خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، علي محمد الصلابي ، ص٢٥.

إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) (المدثر: ٥٤-٥٦).

فمن قال: إن نفرة النافرين حجة على صحة الدعوة، ومقياس لخطئها من صوابها، فليس ممن يفقه سنة التغيير، ولا ممن قرأوا التاريخ جيداً، أو وقف يوماً يتمعن الآيات السابقة، وما في معناها من كتاب الله.

بل أستطيع أن أقول (وهذا ما ذكرته في كتابي السالف الذكر): إن التغيير الجماعي يبدأ من هنا؟! من الإثارة والنفرة وتحريك السواكن الجامدة والعقول الخامدة. وإنه ما من دعوة من الدعوات نجحت إلا وبدأت هذه البداية.

نعم! سينفر المجتمع أولاً. وهذا لا ينبغي أن يجرك إلى أن تغير خطتك أو تتحرف عن خطك. بل استمر في سيرك ودعوتك وأعلِ من نبرتك وهذا سيؤدي إلى.. نفور أكثر! فاستمر على ما أنت عليه وسترى!

سيأتي يوم فيه يصمتون. عندها أعلم أنهم أصيبوا بالذهول، وأن الصدمة قد بدأ مفعولها وأنهم بعد حين تتحرك خلايا أدمغتهم الجامدة المتحجرة وتتشكل من جديد لتبدأ بالانتباه بشيء من الجدية إلى ما تدعو إليه، والتفكر فيه. سيقولون في أنفسهم: لولا أن ما يدعو إليه هذا الداعي حق لما تمسك به هذا التمسك، فهل نحن حقا على باطل؟! وهذا أول علامات الوهن والانهيار في جدار الباطل. إنه الصمت والتأمل.

وهنا يتحول أهل الباطل من حالة الهجوم وإلقاء الشبهات والضجيج والمطالبة بعقد حلقات الجدل والنقاش إلى حالة أخرى تتمثل بالهروب وعدم المواجهة، والاكتفاء بحالة الدفاع عند الاضطرار. فاعلم أنك قد قطعت شوطا كبيرا في سيرك بالاتجاه الصحيح.

لقد انتهت مرحلة وبدأت مرحلة أخرى. انتهت مرحلة الهجوم، وبدأت مرحلة الدفاع. عليك هنا أن تستثمر الحالة وتحول دفاعك إلى هجوم لتقضي على آخر سواتر المقاومة لخصم قد انهزم نفسيا وفقد الحماس في الدعوة إلى أفكاره المنحرفة التي بدأت تتزعزع ثقته بها حتى مع أبنائه وعائلته. أي أن الجيل القادم سيكون ضعيف التعلق بباطله ويكون – هو والجيل الذي بعده – من حصة أهل الحق إن شاء الله.

إن الجيل الأول عموماً لا بد أن نقبل خسارته ونفرته – هذا على أسوأ الاحتمالات – ثمناً لربح الأجيال القادمة بشرط أنْ تتضافر الجهود للدعوة بهذا الأسلوب وأن لا يقف الترضويون حاجزاً أمامها يصدون ويوعدون مع أملنا بالمخلصين منهم أن يلتحقوا بالركب السائر في طريق الأنبياء.

على أن هذا لا يلزم منه أن لا تظل عصـابة – لا سـيما الـرؤوس والمنتفعـون والمغرضون – تثير الفتن وتحاول الكيد بشتى الوسائل والأساليب.

وهكذا فعل رسول الله ﷺ. وبغض النظر عن تفاصيل المراحل التي مـرت بهـا دعوته – إذ لكل مرحلة ظرفها الذي يصنعها مما يؤدي إلى اختلاف أو تشابه المراحل بين الدعوات وقد تختلف في تفاصيلها تبعا لتشابه الظروف وتسلسلها – فإنه ﷺ صدع بالحق وجهر بالدعوة وسفه آراء المجتمع وضلل آباءهم وشـتم كبـراءهم وفضـحهم وفضح أباطيلهم.

ولولا هذه الشدة وهذا الهجوم العنيف لما رضخ المشركون وجاءوا إليه صـاغرين يتوسلون – للوصول إليه – بالملك والمال والنساء، مقابل شيء واحد هـو أن يـدعهم وشأنهم. بل كانوا يطلبون إليه أحيانا أن يسكت مجرد سكوت عن تضليل آبائهم وتسفيه آرائهم، ولكنه يصر – في مقابل ذلك كله – على ما هو عليه! فماذا كانت النتيجة؟

تقربوا إليه أكثر فعرضوا عليه حلاً وسطاً أن يعبدوا إلهه وحده فترة ويعبد آلهـتهم مثلها. لكنه يجيبهم بصراحة وغلظة ويرمي بها في وجوههم:﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.

هذا هو المنهج. فمن وجد في نفسه القوة وعلو الهمة، فليمض على نـوره وهـداه، وإلا فليدع الخلق وشأنهم.

١٠. لا بد من المشكلة

قال لي أحد (ركاب المنابر) في مدينتنا منتقداً ومعنفاً: أنتم تعملون مشاكل، وتفقدون منابركم. لقد مر بي في مسجدي عشر سنين لم أعمل مشكلة. فأجبته: لأن أبقـى فـي مسجد سنتين أقول فيهما (كلمتي) وأمضي، خير لي من أن أظـل أدور فـي مكـاني عشرين سنة وكلمتي في حلقومي، كلما أردت قولها غصصت بها حذر المشاكل. أمـا إنك لو بقيت مائة سنة ما قلت شيئاً، ولا فعلت. ما الفائدة من صعودكم المنابر، إذا كان اليوم الذي تغادرونها فيه كأنه هو اليوم نفسه الذي طرقتم فيه خشـبتها أول مـرة، لـم

يتغير من حالكم ولا حال الناس شيء؟!!

والحقيقة أن مكلمي هذا كثيراً ما حصلت له مشاكل، ومع المصلين، لا غيرهم! ولكن غالبها شخصية، وليست من أجل الدين أو (القضية).

ومن فوق منبر جامع (أم القرى) قال "الصميدعي" في خطبة جمعة في ربيع سنة (٢٠٠٦) متحدثاً عن المجازر التي يتعرض لها أهل السنة: "سنطالب الحكومة بوقف نزيف الدم، وإلا.. (وإلا ماذا أيها السميذع؟) وإلا سنرفع شكوى إلى المنظمات العالمية من أجل التدخل لعلاج الكارثة". وعلى طريقة (شر البلية ما يضحك) أقول: يذكرني هذا بطرفة تروى عن جحا. قيل: إنه ذهب يوماً إلى قرية بعيدة لا يعرفه أحد من أهلها، فسرق حذاؤه. فما كان منه إلا أن قال مهدداً: ائتوني به، وإلا فعلت بكم ما فعل أبي من قبل. ونظر القوم إلى عمامته وهيئته فهابوه، وحسبوه أميراً من الأمراء. فأجهدوا أنفسهم حتى وجدوا حذاءه، وجاءوه به. ولما لبسه وتحرك لينصرف قالوا له: هلا أخبرتنا عن أبيك ماذا فعل من قبل؟ وبكل بساطة أجابهم: لقد سرق حذاؤه، ولما لم يجده له أحد ذهب إلى بيته حافياً!

انظر إلى هذا. ثم انظر إلى قوله تعالى: (**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ**) (الأنعام:٣٤).

قلت في ضوء هذه الآية وما في معناها من قبل: كل دعوة نجحت على مر التاريخ شكلت في زمانها مشكلة اجتماعية كبيرة في مجتمعها في أول مرحلة من مراحلها!

خذ الثورة العلمية الأوربية مثلاً: كم عانى العلماء من الاضطهاد والتشريد والقتل والتحريق على يد الكنيسة! لو لم يشكل أولئك العلماء الأفذاذ المناضلون مشكلة كبيرة هددت الوجود الباطل لدى (رجال الدين) هل كان يحدث هذا؟ ولو لم تمر تلك الدعوة أو الثورة بهذه المرحلة أو المشكلة أكان بالإمكان أن يكتب لها النجاح؟

تصور! لو أن كل عالم أسر بما عنده لمن يثق به فقط ، واقتصر بدعوته على مجالسه الخاصة. أما في العلن والمحافل والمنتديات فيجري تمجيد الخرافة على حساب العقل، ومجاملة الجهل على حساب العلم، ومداهنة الكنيسة تجنباً للمشاكل – هل كان قد حصل التغيير المطلوب؟! بل ستذهب دعواتهم هواءً في شبك، وصيحة في واد.

والأحناف الموحدون كانوا موجودين في المجتمع العربي. ولقــد كــانوا يتمنــون الإصلاح ويقومون ببعض ما عليهم من بيان للتوحيد وإنكار للشرك ولكن.. بــ(هدوء) ودون إثارة، وبالقدر الذي لا يسبب (مشكلة). فهل استطاعوا إصلاح المجتمع وإحــداث التغيير المطلوب؟ كلا.. هل تعلم لماذا؟ لأن الطبخة لم تنضج على نار (المشاكل) التي لا بد منها ليكون الطعام سائغ المذاق. لقد كانوا يدركون حجم ما يسببه لهــم التغييــر والإصلاح من مشاكل ما كان عندهم الاستعداد لمواجهتها وتحملها، فكانوا يتحاشــونها لأنها كانت تمثل لديهم – كما لدينا اليوم – إشارة الخطر الحمراء التي لا بد عندها من تخفيف الضغط حتى ينزل السهم أو الإشارة دونها.

هذا ورقة بن نوفل رضي الله عنه – كما جاء في رواية البخاري – يقول لرســول الله صلى الله عليه وسلم من أول يوم حين أتاه يستعلمه حقيقة ما رآه من أمر الــوحي، ويخبره قبل أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بهذه الحقيقــة الخطيــرة والســنة التغييرية الاجتماعية أو العقبة التي لا بد من اقتحامها: (يا ليتني فيها جذعا إذ يخرجــك قومك فأنصرك نصرا مؤزرا) فيسأله مستغربا: (أوَمخرجيَّ هم؟!) فيجيبه: (مــا جــاء أحد قومه بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ وأوذي).

المشكلة أن الكثيرين لا يريدون أن يتسببوا في مشكلة، ولا يتحملوا الآثار الجانبيــة للعلاج. ويجعلون من أي حالة عارضة غير مرغوبة دليلاً على الفشل. وهذه عقبة مــا لم نقتحمها ونتجاوزها لنذوق حلاوة عاقبتها فلن نصل إلى الهدف أبدا.

إن كثيراً من المشايخ اليوم والدعاة والمفكرين والمسؤولين يمثلون دور ورقــة بــن نوفل، ونحن بأمس الحاجة إلى دور محمد بن عبد الله. ولعل بعضهم لا يريد أن يكون في واجهة المواجهة، فإذا تقدم الصفوف غيره كان من ورائه ينصره ويؤازره.

افترض أن الأحناف قد كثروا في تلك المجتمعات حتى صاروا يعــدون بالمئــات، وظلوا عشرات السنين بل مئاتها يهمسون بدعوتهم هنا وهناك دون أن يرتقوا بها إلــى مستوى (القضية)، ويبلغوا بها سطح الأحداث لتكون هي الأولى وهي (المشكلة)، هــل كانوا يحققون هدفهم وأمنيتهم من التغيير المطلوب على مستوى المجتمع كله مــا لــم يخرج من بينهم (محمد)؟

ونحن..؟ لن نفلح ما دمنا نمجد محمداً بأقوالنا، ونصنع ما صنع ورقة بأفعالنا!

١١. تغيير المجتمع مقدم على زيادة العدد

قد تؤدي المجاملة على حساب الحقائق المزعجة إلى كسب سريع لعدد من الأشخاص قلوا أم كثروا. هذا صحيح وواقع. وقد يغري هذا العدد البعض من (الدعاة) ويجعلهم يتوهمون النجاح دون أن ينتبهوا إلى أن الثمن المدفوع مقدما مقابل هذا النجاح الموهوم باهض جدا لا تعوضه كل الأرباح المتوهمة؛ لأنه هو المجتمع نفسه! فنكون قد ضيعنا الكل مقابل جزء لا قيمة له: لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية.

أما الكمية: فما قيمة عشرة أشخاص أو مائة أو حتى ألف في هذا المجتمع المتلاطم؟ ومن باب الطرفة غير البعيدة عن الواقع نقول: إن هذا العدد يمكن الحصول عليه بوسائل أخرى أكثر (هدوءاً)، وأبعد عن حصول المشاكل. مثل تشجيع الزواج المبكر، وتعدد الزوجات، دونما داع لهذه الجهود المضنية المزعجة.

وأما من حيث النوعية فإن أغلب هؤلاء الأفراد عادة ما يكون تغيرهم دون المستوى المطلوب. فيظلون يعانون من رواسبهم القديمة التي يعجز المنهج الترضوي عن إزالتها. فهم معرضون للاهتزاز والارتكاس بمجرد أن يسمعوا كلمة الحق والحقيقة المزعجة. أفنظل نكتم عنهم هذه الكلمة؟! فما قيمة الاجتماع على الباطل؟! ليس هذا فحسب، وإنما سيمارس هؤلاء دورهم بلا وعي في نقل أمراضهم ورواسبهم إلى المحيط السني.

إن أنصاف المتغيرين هؤلاء يشكلون خطراً على الصف الداخلي، وذلك من عدة نواح: أخطرها أن هؤلاء الأنصاف – إذا لم تتوفر لهم فرصة التغيير المطلوب – سيحسبون مستقبلا على أهل السنة، وسيكون منهم الخطيب والأستاذ والمحاضر والكاتب والمتدين العادي. ولا شك أن ما سوف يطرحونه من عقائد وسلوك وشعائر وطقوس سيكون مخلوطا وليس صافياً. وعندها – وبعد اكتسابهم الهوية بتأثير الزمن – سيستقبل الوسط السني هذا الخليط على أنه هو الدين الحق، لتبدأ مرحلة يمارس فيها هذا (الصنف – النصف) دوره – بقصد أو بغير قصد– في تنصيف أهل السنة إلى أن يتغير وجه السنة الحقيقي، ويصير غريبا حتى على أهله. وهي مرحلة متقدمة باتجاه التشيع. إن هذا (الصنف – النصف) – ما لم نقطع معه الشوط إلى نهايته طبقا إلى المنهج القرآني لنغيره التغيير المطلوب – يشكل علينا خطراً مستقبلياً لا يقل عن خطر الفرس حين دخلوا في الإسلام جملة واحدة، واكتسبوا الهوية على عجرهم وبجرهم، فقاموا بأخطر الأدوار في هدم دولة الإسلام. ناهيك عن تسلل المدسوسين فيما بيننا – إذ يوفر لهم المنهج الترضوي جميع أسباب الحماية ومظلات التستر والاختفاء –

ليعملوا عملهم في تخريب الصف وكسب ما يستطيعون كسبه إلى جانبهم عن الطريق العلاقات الشخصية وإثارة الشكوك وإلقاء الشبهات في أوساط أهل السنة والتأثير عليهم بشتى الوسائل والحيل.

١٢. الرد بالمثل

يقول تعالى: **(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** (البقرة:١٩٤). فالاعتداء يقابل باعتداء مثله. وإلا حصل التمادي؛ فكان الاعوجاج. وذلك بسبب الاعتدال والاستقامة التي لم توضع موضعها. والذين يحاكمون الأمور محاكمة ذهنية مجردة لا يعرفون متطلبات الواقع. ولا يفهمون الإسلام حق فهمه.

وهذه سطور اقتبستها من كتاب (تجديد الفكر الديني) للدكتور حسن الترابي، يتحدث فيها عن سنة من سنن التغيير الاجتماعي. يقول تحت عنوان: الاعتدال أم الإقدام:

أن يكون الاتزان بين الثبات والتطور حكمة مطلوبة، فإن مخاطبة المجتمع المسلم الحاضر بمعاني المحافظة والحذر من التغيير بقدر مساوٍ لمخاطبته بدواعي النهضة والحركة، إنما هو في مثل ظروفنا وضع للأمور في غير مواضعها، وسبب لإضرار بالغ بالمجتمع ودينه. والخطاب المناسب لمجتمع نائم خامد قرونا طويلة أن نبادره بالمنبهات ودواعي الحركة الحرة. وأن نصيح له أن تيقظ! جاهد! اجتهد! حتى إذا جاد بالحركة وتباركت نهضته لدرجة نخشى عليه فيها الجنوح والفوضى عندئذ يجوز أن ندعوه لما هو الأسلم والأحوط... وهذه الروح في تربيتنا الدينية لا بد من أن نتجاوزها الآن ولا نتواصى اليوم بالمحافظة بل لا ينبغي إطلاق الدعوة إلى الاعتدال **لأننا لو اعتدلنا نكون قد ظلمنا ولو اقتصدنا نكون قد فرطنا**.

أما وقع التجديد الديني من حيث اللطف أو العنف فإنه يأتي تبعاً لظروف التحول الاجتماعي. فحين تكون عهود الفترة قد تطاولت وآثار الجمود تراكمت لا يولد العهد التجديدي إلا بعسر شديد، ولا يتم إلا بمجاهدات عظيمة. ويمكن أن يسمى الأمر عندئذ بعثاً أو ثورة لعظم النقلة بين الموات القديم إلى الحياة المنبعثة وفور الحركة الطارئة على السكون القديم.

ولما كانت حدة المفارقة وشدة وقعها تستفز القديم المستقر وتزلزل قواعده الجامدة

فإن التجديد يغلب أن يستصحب شيئاً من الحدة والشدة فتأتي لغته لاذعة صافعة وتـــأتي تدابير تنفيذه كثيفة عنيفة. وتؤدي المدافعة الجهادية إلى مجابهة بينـــة تنصــــب القـــديم وحلفاءه في وجه القائمين بالجديد.

والأولى بالمسلمين بالطبع أن يرفقوا في الجدال فلا يقولوا إلا التي هي أحسن، وأن يتجنبوا الفتنة والقتال **إلا إذا استحكم البغي وصار الجهر بالسوء والانتصـــار بـــالقوة ضرورة يقتضيها الواجب من الدين**.

إن الجمود والثورة كليهما سبب فتنة في الدين. بل يغري أيهما بـــالآخر. ذلـــك أن الجمود يؤدي إلى أن يخلد الإنسان في مقامه بينما يقتضي الدين مقاماً جديـــداً فتـــزداد الشقة والغربة بينه وبين دينه، ويزداد بانسلابه من الدين تصلباً في أوهامـــه وأهوائـــه حتى لا يترك رجاء للإنابة الرفيقة، **ويصبح الإصلاح العنيـــف لزامـــا ليكســـر حـــدة المقاومة ويستدرك كل القصور المتراكم ، وتنبعث الثورة التي تقع عندئذ بقوة اندفاع هائل لتحقيق الإصلاح الشامل**[1].

ومن شواهد ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ (البقرة:١٧٧) مع أن التوجه إلى الكعبة ركن من أركان الصلاة لا تتم إلا به، فكيـــف لا يكون من البر لولا أن الاعتدال **والوسطية في وسط الجنوح والتطرف اعوجاج**. ومن عرف ملابسات نزول الآية عرف ذلك بوضوح.

إن هذا يكشف لنا كشفاً واضحاً أن صيحات الوسطية لا تجدي مع الرافضة كثيـــراً. وأن علينا إعادة الحساب من جديد في كل ما قيل وطرح من أفكار أثبت الواقع فشلها.

١٣. تكوين جماعة تتقدم الصفوف

إن هذه القواعد الذهبية والتقريرات المنهجية التي استخلصناها من رحم المعاناة ، وعصارة الفكر، وطول النظر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وسيرته وسيرة الأنبياء عليهم السلام والمصلحين، ستظل هائمة دون إحداث الأثر المطلوب، ما لم يـــتم تبنيهـــا من قبل جماعة معينة ذات منهج فكري واضح وبرنامج عملـــي واقعـــي. أو تتأســـس جماعة بناءاً على ذلك المنهج والبرنامج. لقد علمتنا الخبرة أن قوة الكلمة لا تنبع مـــن ذاتها عند أكثر العالمين، ولا يشذ عن هذا المتدينون أو (الإسلاميون)، إنما تستمد قوتها

---

[1] تجديد الفكر الديني ، ص٩٤-٩٦، ١٦٦،١٦٧ ، الدكتور حسن الترابي.

من وزن قائلها، وكم وراءه من رجال وأتباع. إن صعلوكاً أحمق كمقتدى لا يزن في ميزان الله جل وعلا جناح بعوضة يذهب إليه علماء ودعاة (كبار) من أهل السنة يمتدحونه ويتزلفون إليه! ويكذبون في ذلك وهم يعلمون أنهم يكذبون! ويسمون ذلك سياسة!! هل يقترفون أمثال هذه السوءات لو كان مقتدى فرداً عادياً يقول كلمته ويمضي؟

علينا أن نفهم السنن، ونعمل ما استطعنا على الاستفادة منها. **كما علينا أن نعلم أن المهزوم نفسياً لا يحترم أمثاله، ولا أتباعه**، ولا يسمع لنصح ناصح إلا إذا شعر بنِدِّيَّته وعدم تبعيته له. على أن يكون التزام هذه الجماعة بأخلاقيات العمل قوياً، فلا تتعرض للعاملين الصادقين بالتشهير أو التجريح، ولا تختلق لها أعداءاً ليسوا هم في الحقيقة لها بأعداء. وإنما تسير في طريقها تزجي النصح، وتجهر بالحقيقة، وتصدع بالحق، وتستمر في تنفيذ برنامجها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا. مع العمل على إزاحة المتقدمين في مسيرة الهزيمة، وإرجاعهم إلى أماكنهم اللائقة في الصفوف الخلفية.

واعلم أن كل جماعة – في العراق والدول الشبيهة – لم تقم على هذه الأسس العامة، والأسس الخاصة التي سيأتي بيانها – هي جماعة وهمية لن تصل بنا إلى المراد من حفظ بيضة أهل السنة، وقمع خطر الشيعة؛ فالبقاء فيها – دون البحث عن البديل المطلوب – مضيعة للجهد والعمر. ومقولة "التغيير من الداخل" في مثل هذه الجماعات أسطورة، لا يرتجى من ورائها نفع. ولربما هي كلمة حق أريد بها غيره. هي ليست أكثر من حقنة مخدر، يعرقل الساعين في التغيير، ويمنعهم من بناء نموذج يعتبره الآخرون منافساً لهم في الميدان. وقد جربنا – وبكل الوسائل والأساليب – فما عدنا بشيء. والله تعالى نسأل أن يوفق الجميع إلى خير ما يعلمه لهم. ولكن الأمر كما قال سبحانه: **(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ)** (النساء:١٢٣).

١٤. صنع النموذج القدوة

كل دعوة نجحت تمكنت من صنع نموذج لها في مكان ما. ثم تتابعت بقية المناطق تحذو حذوها، وتستنسخ تجربتها. ولا بد أن يكون هذا المكان بحيث يكون محطاً للأنظار، وتسليط الأضواء، وقريباً من ملتقى الناس، وفي مجمع الطرق. وله قدرة مناسبة على التعشق ببقية المناطق. ويمتلك جاذبية خاصة في حياتها: اقتصادية أو دينية أو سياسية أو غير ذلك؛ حتى تتهيأ للناس فرصة التأثر المستمر بما يحصل فيه

من تغير جديد.

لهذا ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف – واختارها من بين القرى أو المدن المجاورة في المنطقة – في محاولة منه لأن يجعل منها مركز انطلاق لدعوته الناشئة يضاهي به مكة، وينافسها على مركز القيادة. فهي القرية التي تأتي في المرتبة الثانية في سلم الأهمية في تأثيرها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وحتى الديني بعد مكة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مقترناً بمكة، إشارةً إلى مدى اهتمام الناس بها، ورفعة منزلتها لديهم في قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** (الزخرف:٣١). ولبسط هذا المعنى موضع آخر. وللسبب نفسه اختار يثرب مكاناً بديلاً عوضاً عن بقية المناطق والأمكنة. بل لو تأملت الاختيار الإلهي لجزيرة العرب منطلقاً للرسالة الخاتمة، وقد أرادها أن تكون رسالة عالمية تصل للعالم أجمع، لتبين لك المقصود الإلهي في هذا الاختيار، بما يسلط الضوء على كلامنا في شروط وصفات التجربة النموذج، واختيار الموقع المناسب لها.

والناظر في أسباب نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، يجد ما ذكرناه أحد هذه الأسباب. فلم يكتف الشيخ – كغيره من العلماء – بأن يلقي ما عنده من علم على طلبة العلوم الشرعية، ويمضي. بل كان اهتمامه منصباً على أن يكسب إلى صفه أميراً من الأُمراء في مدينة مهمة، تصلح أن تكون نموذجاً ومنطلقاً لدعوته. وهكذا اتجه إلى أمير (العيينة). ولما تنصل عنه هذا بعد مدة، اتجه إلى أمير آخر، في مدينة أخرى مهمة، فكانت (الدرعية) هي المنطلق، وهي النموذج. ولك أن تلاحظ أن دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، لم يكتب لها هذا الانتشار والذيوع في العالم كله إلا بعد قيام هذا النموذج الماثل للعيان لها في جزيرة العرب.

وإذا كان الحديث من وحي التجربة الشخصية مفيداً أقول: إن لنا في ناحية (جبلة) تجربة دعوية ناجحة بكل المقاييس، إلا مقياس النموذج. فإن موقعها البعيد عن مراكز التأثير حال دون أن تكون نموذجاً مناسباً لانطلاق دعوة تريد أن تكون رائدة في العراق، أو المنطقة كلها. ولذلك اتجهت بنظري إلى قضاء المحمودية؛ واجهة بغداد ومدخلها الجنوبي، وتمثل ملتقى الطرق المؤدية شمالاً إلى بغداد، وجنوباً إلى عامة المنطقة الجنوبية للعراق. فهي أمام أنظار الجميع. وهناك أسباب أخرى مساعدة لا مجال لذكرها. إذن المحمودية تمتلك مواصفات المكان، وتصلح أن تكون منطلقاً للتجربة النموذج. في خطوة مهيئة للخطوة التالية، وهي العاصمة بغداد نفسها. التي

كانت أنظارنا تتطلع إليها، وقد وضعناها في حساب الأيام القادمة. وقد صدقت الأيـــام ظننا، فقد تحققت – رغم قصر مدة العمل – أشياء كثيرة كان يمكن لها أن تؤدي إلـــى الهدف المطلوب. ولكن لم تأخذ التجربة مستحقها من الوقت. فقد بدأنا فيها أواخر عــام ١٩٩٧ وخرجنا منها أواخر عام ٢٠٠٢. وكانت سنوات خمســاً مليئــة بــالمؤامرات وعوامل الإجهاض من الجميع، حتى وقعت كارثة الاحتلال. ولنا أمل في جولة أخــرى في قابل الأيام. فإن لم يسعف العمر، نستودع الأمانة جيلنا القادم بإذن الله.

وقفة مع غوستاف لوبون مؤسس علم نفس الجماهير

يمكن تلخيص أهم الأفكار التي لفتت نظري في كتاب (سيكولوجية الجماهير) لغوستاف لوبون بما يلي كما جاء في المقدمة التي كتبها مترجم الكتاب هاشم صالح:

• الميزة الأساسية للجمهور هي انصهار أفراده في روح واحدة وعاطفة مشتركة تقضي على التمايزات الشخصية، وتخفض من مستوى الملكات العقلية. وهو يشبه ذلك بالمركب الكيمياوي الناتج من صهر عدة عناصر مختلفة. فهي تذوب وتفقد عناصرها الأولى نتيجة التفاعل ومن أجل تركيب المركب الجديد. إن المتغيرات التي تطرأ على الفرد المنخرط في الجمهور مشابهة تماماً لتلك التي يتعرض لها الإنسان أثناء التنويم المغناطيسي.

• الفرد يتحرك بشكل واعٍ ومقصود، أما الجمهور فيتحرك بشكل لا واع؛ ذلك أن الوعي فردي تحديداً، أما اللاوعي فهو جماعي.

• إن الجماهير أياً تكن ثقافتها أو عقيدتها أو مكانتها بحاجة لأن تخضع إلى قيادة محرك. وهو لا يقنعها بالمحاجات العقلانية والمنطقية، وإنما يفرض نفسه عليها بواسطة القوة. كما أنه يجذبها ويسحرها بواسطة هيبته الشخصية تماماً كما يفعل الطبيب الذي ينوم المريض مغناطيسياً.

• إن الإشاعة أقوى من الحقيقة. وإن الدعاية ذات أساس لا عقلاني. يتمثل بالعقائد الإيمانية الجماعية. ولها أداة للعمل تتمثل بالتحريض من قريب أو بعيد. أما التفكير النقدي وانعدام المشاعر اللاهبة فيشكلان عقبتين في وجه الانخراط والممارسة. ويمكن تجاوزها عن طريق التحريض والدعاية. ولهذا السبب ينبغي أن تستخدم الدعاية لغة الصور الموحية والمجازية، أو لغة الشعارات البسيطة والقاطعة التي تفرض نفسها فرضاً دون مناقشة.

• إن هناك نمطين من الفكر: الأول يستخدم الفكرة المفهومية، فيعتمد على قوانين العقل والبرهان والمحاجة المنطقية. أما الثاني فيستخدم الفكرة المجازية أو الصورية، ويعتمد على قوانين الذاكرة والخيال والتحريض. وأكبر خطأ يرتكبه السياسي هو أن يحاول إقناع الجماهير بالوسائل العقلانية الموجهة إلى أذهان الأفراد المعزولين.

فالجماهير لا تقتنع إلا بالصور الإيحائية، والشعارات الحماسية والأوامر المفروضة من فوق.

وإذا تجاوزنا المقدمة إلى الكتاب نفسه فإن مؤسس علم نفس الجماهير يقول:

- **الروح الجماعية للجمهور**

إن ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد يشكل الخصيصة الأولى للجمهور[1]... والظاهرة التي تدهشنا أكثر في الجمهور النفسي هي التالية: أياً تكن نوعية الأفراد الذي يشكلونه، وأياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً، وكذلك اهتمامهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإن مجرد تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً... إنهم يشبهون بالضبط خلايا الجسد الحي التي تشكل عن طريق تجمعها وتوحدها كائناً جديداً يتحلى بخصائص جديدة مختلفة جداً عن الخصائص التي تمتلكها كل خلية.

وعلى عكس الرأي الشائع الذي يدهشنا أن يتبناه فيلسوف في حجم وألمعية هيربيرت سبنسر فإنه لا يوجد في التجمع الذي يشكله جمهور ما حاصل ومتوسط العناصر، وإنما يوجد فقط تركيب وخلق للخاصيات. وهذا يشبه ما يحصل في مجال الكيمياء. فبعض العناصر المستخدمة في التركيب كالقواعد والحوامض مثلاً تتداخل في بعضها البعض وتتركب من أجل تشكيل مادة جديدة مزودة بخصائص مختلفة عن تلك الخصائص التي كانت تتحلى بها العناصر المفردة قبل تركيبها.

هكذا نلاحظ بسهولة إلى أي مدى يكون الفرد المنخرط في الجمهور مختلفاً عن الفرد المعزول[2].

- **الحياة اللاواعية للروح الجماعية للجمهور**

إن الظواهر اللاواعية تلعب دوراً حاسماً ليس فقط في الحياة العضوية أو الفزيولوجية،

---

[1] سيكولوجية الجماهير، ص٥٤ ، غوستاف لوبون.

[2] أيضاً ، ص٥٦.

وإنما أيضاً في طريقة اشتغال الذهن أو آلية العقل. والحياة الواعية للروح البشرية لا تشكل إلا جزأً ضعيفاً جداً بالقياس إلى حياتها اللاواعية... فأفعالنا الواعية متفرعة عن جوهر لا واعٍ مشكَّل من التأثيرات الوراثية بشكل خاص. وهذا الجوهر ينطوي على البقايا اللانهائية الموروثة عن الأسلاف، وهي التي تشكل روح عرق بشري ما. ذلك أنه وراء الأسباب الظاهرية لأعمالنا تربض أسباب سرية مجهولة من قبلنا. ومعظم أعمالنا اليومية ناتجة عن دوافع مخبوءة تتجاوزنا.

إن أفراد عرق ما يتشابهون خصوصاً بواسطة العناصر اللاواعية التي تشكل روح هذا العرق. وهم يختلفون عن بعضهم البعض بواسطة العناصر الواعية الناتجة عن التربية، ثم بشكل أخص عن الوراثة الاستثنائية. والبشر الأكثر اختلافاً وتمايزاً من حيث الذكاء لهم غرائز وانفعالات وعواطف متماثلة أحياناً. والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة: من دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض، إلخ... فمثلاً يمكن أن توجد هوة سحيقة بين عالم رياضيات شهير وصانع أحذيته على المستوى الفكري، ولكن من وجهة نظر المزاج والعقائد الإيمانية فإن الاختلاف معدوم غالباً، أو قل: إنه ضعيف جداً.

وهذه الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتية تمَّحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية[1].

- **ضعف جدوى المحاججات العقلانية مع الجمهور**

إن الجماهير غير ميالة كثيراً للتأمل، وغير مؤهلة للمحاكمة العقلية. ولكنها مؤهلة جداً للانخراط في الممارسة والعمل. والتنظيم يجعل قوتها ضخمة جدا[2]. إن الجمهور هو دائماً أدنى مرتبة من الإنسان المفرد فيما يخص الناحية العقلية والفكرية[3].

---

[1] أيضاً ، ص٥٦-٥٧.

[2] أيضاً ، ص ٤٥.

[3] أيضاً ، ص٦١.

إنه بمجرد أن ينضوي الفرد داخل صفوف الجمهور فإنه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة. فهو عندما يكون فرداً معزولاً ربما يكون إنساناً مثقفاً متعقلاً ، ولكنه ما إن ينضم إلى الجمهور حتى يصبح مقوداً بغريزتـــه وبالتالي همجياً[1].

لا ينبغي علينا أن نعتقد أن مجرد البرهنة على صحة فكرة ما يعني أنها سوف تفعل مفعولها حتى لدى الناس المثقفين فعلاً. ويمكننا أن نتحقق من ذلـــك عنـــدما نـــرى أن البرهنة الأكثر وضوحاً ليس لها تأثير على معظم البشر. صحيح أنه يمكـــن للحقيقـــة الساطعة أن تلقى أذناً صاغية لدى السامع المثقف، ولكنه سيعيدها فـــوراً بواســـطة لا وعيه إلى تصوراته البدائية. حاولوا أن تروه بعد بضعة أيام فسوف ترونه يستخدم من جديد محاجاته القديمة وبنفس الألفاظ تماماً. وذلك لسبب بسيط هو أنه واقع تحت تأثير الأفكار السابقة التي تحولت إلى عواطف وترسخت. وهذه الأفكار هي وحـــدها التـــي تؤثر علينا وتحرك بواعثنا القديمة التي تربض خلف أعمالنا وكلامنا[2].

لا يمكننا القول بشكل مطلق أنه لا يمكن التأثير على الجمـــاهير بواســـطة المحاجـــات العقلية. ولكن الحجج التي تستخدمها وتلك التي تؤثر عليها تبدو مـــن وجهـــة النظـــر المنطقية جداً متدنية إلى حد أنه لا يمكننا وصفها بالعقلانية إلا عـــن طريـــق القيـــاس والتشبيه... وأما سلسلة المحاجات العقلانية الصارمة فلا يمكن أن تفهم إطلاقاً من قبل الجماهير. ولهذا السبب يمكن القول بأنها لا تفكر أو تفكر بشكل خـــاطئ، ولا يمكـــن التأثير عليها عن طريق التفكير العقلاني[3]. لنذكّر هنا فقط بمـــدى عنـــاد واســـتمرارية الخرافات الدينية طيلة قرون وقرون على الرغم من تناقضها مع أبسط حدود المنطـــق. فخلال ألفي سنة تقريباً اضطرت أعظم العبقريات للانحناء أما قوانينها[4].

● **ضرورة تكرار الفكرة وتأكيدها**

عندما نريد أن ندخل الأفكار والعقائد ببطء إلى روح الجماهير فإننا نجد أن أساليب القادة تختلف. فهم يلجأون بشكل أساسي إلى الأساليب الثلاثة: أسلوب التأكيد، وأسلوب

---

[1] أيضاً ، ص.٦٠

[2] أيضاً ، ص.٨٤

[3] أيضاً ، ص٨٥-.٨٦

[4] أيضاً ، ص١٢٤-.١٢٥

التكرار، وأسلوب العدوى. لا ريب في أن تأثيرها بطيء، ولكنه دائم.

إن التأكيد المجرد والعاري من كل محاجة عقلانية أو برهانية يشكل الوسيلة الموثوقة لإدخال فكرة ما في روح الجماهير. وكلما كان التأكيد قاطعاً وخالياً من كل برهان فرض نفسه بهيبة أكبر... ولكن الإعلان لا يكتسب تأثيراً فعلياً إلا بشرط تكراره باستمرار، وبنفس الكلمات والصياغات ما أمكن ذلك. **كان نابليون يقول بأنه لا يوجد إلا شكل واحد جاد من أشكال البلاغة هو: التكرار**. فالشيء المؤكد يتوصل عن طريق التكرار إلى الرسوخ في النفوس إلى درجة أنه يقبل كحقيقة برهانية... فعندما نكرر الشيء مراراً وتكراراً ينتهي به الأمر إلى الانغراس في تلك الزوايا العميقة للاوعي حيث تصنع دوافعنا كل أعمالنا. فبعد أن تمر فترة من الزمن ننسى من هو مؤلف القول المكرر وينتهي بنا الأمر إلى حد الإيمان به. وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نفهم القوة الهائلة للإعلان... وعندما يتاح لتوكيد ما أن يكرر بما فيه الكفاية، وأن يكرر بالإجماع... فإنه يتشكل عندئذ ما ندعوه بتيار الرأي العام. وعندئذ تتدخل الآلية الجبارة للعدوى وتفعل فعلها. وفي الجماهير نجد أن الأفكار والعواطف والانفعالات والعقائد الإيمانية تمتلك سلطة عدوى بنفس قوة وكثافة سلطة الجراثيم. ويمكننا أن نلاحظ هذه الظاهرة لدى الحيوانات نفسها، وذلك عندما تتجمع على هيئة جمهور. فصهال حصان في إسطبل ما سرعان ما يعقبه صهال الأحصنة الأخرى في نفس الإصطبل. وأي خوف أو حركة مضطربة ما تصيب بعض الخراف سرعان ما تنتقل إلى بقية القطيع...[1] والتقليد الذي تعزى إليه تأثيرات كثيرة في الظواهر الاجتماعية ليس في الواقع إلا مجرد أثر من آثار العدوى... إن الإنسان يشبه الحيوان فيما يخص ظاهرة التقليد. فالتقليد يشكل حاجة بالنسبة له بشرط أن يكون هذا التقليد سهلاً بالطبع.. ومن هذه الحاجة بالذات يتولد تأثير الموضة (أو الأزياء الدارجة). وسواء أكان الأمر يتعلق بالآراء أم بالأفكار أم بالتظاهرات الأدبية أم بالأزياء بكل بساطة فكم هو عدد

---

[1] من أطرف ما سمعته من تشبيه لنفسية الجمهور الشيعي وسرعة تأثرها بما تسمع دون تروٍّ أو تمحيص قول حكيم من حكماء الدعوة عاش طويلاً في كربلاء هو الاستاذ الحاج جمعة نافع الراوي: إن عوام الشيعة كقطيع الواوية (بنات آوى) ما إن يصيح أحدها: (ويو) حتى يضج القطيع عن آخره: (ويو ويو)!.

الذين يستطيعون التخلص من تأثيره؟ فنحن نستطيع قيادة الجماهير بواسطة النماذج والموديلات وليس بواسطة المحاجات العقلانية[1].

- **الزمن**

إن الزمن بالنسبة للمشاكل الاجتماعية كما بالنسبة للمشاكل البيولوجية أحد العوامل الأكثر تأثيراً ونشاطاً. فهو يمثل المولد الحقيقي والمدمر الكبير... وهو الذي يجعل كل العقائد تتطور وتموت فبه تمتلك قوتها وجبروتها، وبه تفقدها... إن الزمن هو الذي يطبخ آراء وعقائد الجماهير على ناره البطيئة، بمعنى أنه يهيء الأرضية التي ستنشأ عليها وتتبرعم. نستنتج من ذلك أن بعض الأفكار التي يمكن تحقيقها في فترة ما تبدو مستحيلة في فترة أخرى. فالزمن يراكم البقايا العديدة جداً للعقائد والأفكار، وعلى أساسها تولد أفكار عصر ما. فهذه الأفكار لا تنبت بالصدفة أو عن طريق المغامرة. وإنما نجد جذورها تضرب عميقاً في ماض طويل[2].

هذه بعض أهم الأفكار التي قررها لوبون في كتابه (سيكولوجية الجماهير)، وهي في عمومها توافق وتعمق ما قررناه سابقاً من قواعد في أصول وعوامل تغيير المجموع التي تختلف عنه فيما يخص الفرد.

والآن ننتقل للحديث عن الأساليب الجماعية الخاصة بتغيير الشيعة.

---

[1] المصدر السابق ، ص١٣٢ - ١٣٥.

[2] أيضاً ، ص١٠٢-١٠٣.

القسم الثاني

الأساليب والمبادئ الخاصة

بناءً على التركيبة النفسية التي يختلف بها الشيعة عن غيرهم، مع الأخذ بنظر الاعتبار تلك العقد النفسية التي أثبتناها سابقاً نقول: لا بد أن هذا الاختلاف وتلك العقد لها آثارها على الأساليب التي يراد لها أن تؤثر في جمهور الشيعة فتنقلهم خطوة أو خطوات إلى الأمام. وأنا في هذا القسم من الفصل أحاول الكشف عن هذه الأساليب الخاصة دون أن أدّعي أنني بلغت القول الفصل في كل ما أقرره من ذلك. لكنني قبل ذلك أتقدم بتمهيد مهم جداً بين يدي الموضوع. فأقول ومن الله العون والتسديد:

أ. تمهيد

الشيعة أكثر إدراكاً واستخداماً للأساليب الجماعية من أهل السنة

إن سر النجاح المطرد للشيعة على حساب تقهقر أهل السنة هو اعتماد الشيعة في نشر مذهبهم على الأساليب الجماعية في التغيير، دون أن يهملوا التعامل مع الأفراد. من هذه الأساليب المعتمدة:

- أسلوب الدعاية والإشاعة، وعلى طريقة غوبلز مدير دعاية هتلر: (اكذب.. اكذب حتى يصدقك الناس) الذي لا يعدو أن يكون قزماً قميئاً أمام عمالقة الكذب والدعاية الفارسية.
- أسلوب الإيحاء باستعمال مثيرات العاطفة والخيال كالصور والتمثيل وما يسمى بـ(الشعائر الحسينية) من النواح واللطم الجماعي وما يسمى بـ(التشابيه) وهي قصص المآسي الممثلة. واستعمال (الملايات) اللواتي يدرن على البيوت حيث تجتمع النساء فتقوم (الملاية) بقراءة أسطورة المقتل على مسامعهن بصوت حزين مع الدق على الصدور الذي يتطور إلى نواح ولطم وعويل.
- الاستعراض عن طريق تظاهرات المشي على الأقدام إلى المراقد في مناسبات خاصة تتكرر على مدار الأشهر خصوصاً في موسم محرم وصفر.
- قبب المراقد المبهرجة المذهبة، وما لها من تأثير نفسي كبير على عقول العامة.

- أسلوب الإعلان بدعوتهم بما فيها من أفكار شاذة وتهجم على الآخرين وتكفيرهم، مع أن أصل دعوتهم باطنية تعتمد على مبدأ (التقية)!

- أسلوب الهجوم المكشوف (ومنه السب والتشهير) أكثر من الدفاع.

- أسلوب التهجير والتطهير العرقي ومضايقة المخالفين من أهل السنة. وهذا قد حصل في إيران ولبنان والعراق وغيرها.

- أسلوب التخويف وإرهاب المخالف وتشكيل عصابات القتل والغدر والاغتيال على مر التاريخ. وبهذا أسكتوا الخصوم، وتسببوا في إصابتهم بعقدة (الرُّهاب **Phobia**) التي لم يسلم منها أشجع الرجال. وهي السبب في المجاملات والمداهنات السنية للشيعة. وهذا هو الذي أضاع الحق على عامة الناس، الذين لم يعودوا يدركون حقيقة الخطر ما داموا يسمعون من علمائهم عبارات التقريب الرنانة التي من أشهرها: (لا فرق بين شيعي وسني) وهي عبارة مجملة موهمة قد تسوغ في المزايدات السياسية، وليس في دائرة الدين القائمة على الوضوح والحق المبين. فسكت من سكت، وهاجر من هاجر ومن بقي ذاب إلا من رحم، خصوصاً مع التضييق عليهم في أرزاقهم وأشغالهم. ومن أبرز الأمثلة الناجحة على هذا الأسلوب في تاريخ الشيعة ما فعله الصفويون في إيران، وقتلهم الذريع لأهل السنة وإرعابهم وتشريدهم حتى تحولت إيران بفعل هذا الأسلوب من دولة سنية إلى أخرى شيعية. ولم يشغلوا أنفسهم بأي نقاش علمي، أو مناظرة كلامية أو غيرها من الأساليب العقلانية التي لا نحسن غيرها، هذا والماء – كما يقال – يجري من تحتنا.

أود التنبيه هنا على أن علماء الشيعة حين يقول أحدهم: (لا فرق بين شيعي وسني) وأمثالها من العبارات، فإن هذا ليس له تأثير في الوسط الشيعي لسببين:

١. الأول هو مبدأ (التقية) الذي به يعرف الشيعي أن مرجعه لا يعني ما يقول، وأن هذا الكلام التقريبي خرج مخرج (التقية) لا أكثر.

٢. والثاني هو التعبئة النفسية لدى الشيعي، التي تقف حاجزاً بين هذه العبارات وبين حصول أثرها في نفسه.

وعلى هذا الأساس فإن النتيجة الوحيدة الحاصلة هي انخداع السني بكلام علماء الشيعة حين يسمعهم يطلقون هذه الكلمات، إضافة إلى صدورها في الوقت نفسه عن علماء السنة؛ فيثبت لديه الأمر على أنه حقيقة؛ فيزيده ذلك وهناً على وهن.

● أسلوب الهجرة والغزو السكاني الجماعي للمناطق السنية. فقضاء الزبير في البصرة لم تتغير صبغته السنية الصافية بسبب تحول أهله إلى شيعة، وإنما صار أهل الناصرية والعمارة وغيرهم يتحولون فيسكنون فيه بالجملة. وهكذا فبعد أن كان قضاء الزبير قبل أربعين سنة منطقة سنية مغلقة صار اليوم ما يقارب الأربعين بالمائة (٤٠٪) من أهله شيعة. فهذا أسلوب تغييري جماعي ناجح غفلنا عنه وانشغلنا متفاخرين – بسذاجة نحسد عليها – بنتائج التغيير الفردي!

ونجح الشيعة في أسلوبهم هذا أيما نجاح خصوصاً في العاصمة بغداد قلب العراق وشريان العروبة النابض. فقبل خمسين عاماً لم تكن نسبة الشيعة في بغداد تتجاوز السدس (١/٦) ارتفعت النسبة اليوم إلى ما يقارب الأربعين بالمائة (٤٠٪) أو أكثر ، وذلك بعد أن قام الرئيس عبد الكريم قاسم بنقل مئات الآلاف من الشيعة من جنوب العراق وإسكانهم في بغداد في مدينة الثورة والشعلة وغيرهما. ويقال: إن لقاسم ميولاً شيعية بسبب والدته الشيعية. وأنا أرجح أحد أمرين فيما فعل: إما أنه استدرج من قبل الشيعة عن طريق أخواله. وإما أنه فعل ذلك لأسباب سياسية غير محسوبة. وأيّاً كانت الدوافع فإن هذا هو الذي حصل. كذلك فعل الشيعي صالح جبر حين تولى رئاسة الوزراء في العهد الملكي من قبل. وهكذا تغيرت بغداد لا بالدعوة وتشييع أهل السنة، وإنما بهذا الأسلوب الواقعي الذكي!

وبالأسلوب النفساني لا العقلاني تغير قضاء تلعفر في الموصل من أغلبية سنية كاسحة (أكثر من٩٥٪) في منتصف القرن الماضي إلى أغلبية ضعيفة اليوم (٦٠٪) وقد بدأ تشييعها في عام ١٩٤٧م عندما استلم رئاسة الوزارة في العراق (رجل الدين) الشيعي (محمد الصدر) والذي تسلم من بعد (عام ١٩٤٩) رئاسة مجلس الأعيان .

ذهب وفد من (تلعفر) حينها لتهنئته بمناسبة تسلمه منصب رئاسة الوزراء، وكان الوفد برئاسة شيخ عشيرة (السادة الموسوية) محمد يونس عبد الله وهب آغا. وهي عشيرة سنية. أظهر (محمد الصدر) استغرابه من كون (السادة الموسوية) من أهل السنة. ولما رجع الوفد تأخر عنه رئيسه محمد يونس آغا لعدة أيام استطاع (محمد الصدر) فيها أن يقنعه بالعدول عن مذهب أهل السنة، والتحول إلى طائفة الإمامية الاثنى عشرية. واستعمل لذلك مؤثرات نفسية، منها وجود نزاع بين عشيرة محمد

يونس وعشيرة أخرى، كان يدور حول اراض زراعية فساومه (محمد الصدر) على حسم قضية الأراضي لصالحه مع عشرة آلاف (١٠٠٠٠) دينار، كانت في ذلك الزمان تمثل ثروة كبيرة جداً. ليرجع بعدها إلى (تلعفر) شيعياً يمارس دور نشر التشيع في تلك المدينة. ومن يومها بدأ العد التصاعدي للشيعة فيها.

انظر إلى هذه الأساليب تجدها جميعاً ليست فكرية عقلانية، وإنما نفسانية واقعية.

نفسية معقدة وقيادة مقنَّعة فهل من سبيل؟

كلما نظرت إلى جموع المتظاهرين وهي تحمل الرايات الخضر وترفع صور المراجع الفارسية والعمائم الشعوبية التي تقطر حقداً على العرب والبلد وأهله، وتهتف لها بالعظمة والعزة والبقاء، وجلت ببصري في تلك الجموع المسكينة فرأيت اللباس العربي: العقال واليشماغ والعباءة، واستحضرت تلك التركيبة المتشابكة من العقد التي غزت نفوسها قلت في نفسي: متى يعرف هؤلاء الحقيقة؟ ويدركون أنهم مخدوعون مغرر بهم؟ وأنّى لهم ذلك وهم يسيرون معصوبي الأعين وراء من لا يريد لهم خيراً، ولا يرقب فيهم إلاً، وإنما ينفذ بهم مخططاً فارسياً لا يعلم غوره إلا الله والراسخون في العلم؟!

كيف نتعامل مع هذه النفسية المعقدة؟ وكيف نفصل هذه الجموع عن هذه القيادة المخادعة المقنعة؟ هذه هي مهمتنا إذا كنا جادين في مواجهة التشيع، وهذا هو السبيل الصحيح بمعالمه الكبرى.

هل من أمل بالشفاء ؟

في تاريخ الإسلام تجارب ناجحة، وأخرى لم تبلغ الغاية المرجوة من التغيير. لقد نجح الرسول ﷺ مع العرب فتغيروا بكاملهم من الكفر والشرك إلى الإيمان ودين الإسلام. لكن اليهود لم يتغيروا رغم كل المحاولات التي بذلت من قِبَله ﷺ ! وحين تدرس الأسباب المانعة تجدها كامنة في النفسية المعقدة التي يعاني منها اليهود. والتي لخصها القرآن الكريم بكلمة واحدة هي (الأهواء) فقال: **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)** (البقرة:١٢٠) وقال: **(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا**

تبعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة:١٤٥). وهي السبب في الصرف الرباني لهم عن الحق والطبع على قلوبهم فلا يهتدون كما قال سبحانه: (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الروم:٢٩)، وقال: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) (الأعراف:١٤٦).
فالهداية هدية الرب من السماء لا يمنحها إلا لمن يستحقها، وليست هي سِقْطاً ملقى على قارعة الطريق يمر به العابرون فيتكرم عليه بالأخذ بعض ويعافه الآخرون!

وقد لفت نظري آيات من القرآن في سورة (البقرة)، وقفت عندها كثيراً متفكراً متحيراً ! وهي ما جاء من قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ*أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ*وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ*فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ*وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٧٥-٨٠).

إن هذه الآيات تقرر أنه لا أمل بإيمان قوم ارتكبوا المخالفات الخمس الآتية:

١. تحريف كلام الله
٢. التقية في إظهار الموافقة وإبطان المخالفة
٣. عدم تدبر كتاب الله
٤. اتخاذ الدين حرفة والتكسب بكتاب الله بالباطل
٥. ادعاء الضمان بعدم دخول النار إلا أياماً معدودة

وهذه المخالفات الخمس بنصها موجودة عند الشيعة، سوى أنهم زادوا فادعوا

الضمان بعدم دخول النار مطلقاً. وزادوا الطعن في أصحاب نبيهم وأزواجـــه، وزادوا تمزيق الكتاب وحرقه، وزادوا... وزادوا!

ثم إن بين النفسية الفارسية واليهودية – كما بينا سابقاً – تشابهاً كبيراً، ســـواء مـــن حيث اشتراكهم في (عقدة النقص) التي هي أصل العقد النفسية عنـــدهم، أو مـــا تفـــرع عنها من عقد أخرى. ولعل هذا الشعور المشترك هو الباعث علـــى التنـــاغم والميـــل النفسي لبعضهما البعض، والتعاون اليهودي الفارسي في الكيد لدولة العراق وإسقاطها، والذي تكرر في التأريخ أكثر من مرة منذ أن أسقط كورش الفارسي ابن اليهودية دولة بابل سنة ٥٥٩ ق.م وإلى إسقاطها أخيراً يوم الأربعاء الأســـود ٢٠٠٣/٤/٩ ، واتخـــاذ ذلك عيداً من قبل اللوبي الفارسي في مجلس الحكم العراقي الذي عينه بريمر. مـــروراً بسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م على أيدي التتر والمحاولة الفاشلة ســـنة ١٩٩١م بحركتهـــا الغوغائية الإيرانية الشعوبية الخائبة.

فإذا كان ما فهمته من الآيات السابقة – مع هذه الإطلالة النفسية التاريخية السريعة – على وجهه فإن هذا يدعونا إلى تساؤل كبير علينا أن نجيب عليه: هـــل مـــن أمـــل أو مطمع في إيمان الشيعة ورجوعهم إلى دين الحق وشرعة الإســـلام الصـــحيح؟ أم إن الحال معهم كحال الذين قال الله فيهم آنفاً: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ. . .**)؟

فإذا كان الاختيار واقعاً على الجواب الثاني فعلينا أن نعيد الحساب من جديد ونقلـــع عن كل الأساليب الانبطاحية الفاشلة، والمجاملات الزائدة، والمداهنات والتنازلات التي بذلناها، وماء الوجه الذي سكبناه على عتبة (التقريب) الزائفة؛ فإننا لن نجنـــي – ولـــم نجن – من ورائها شيئاً؛ فلا داعي لمزيد من الخسارة فـــي صـــفقة محكـــوم عليهـــا بالخسارة سلفاً. وعلينا أن نتوجه إلى صفنا السني الداخلي فنهـــتم بتقويتـــه واســـتعادة مناعته وعافيته قبل فوات الأوان.

وهنا أنبه على أن المقصود بالإيمان والتغيير هو المجمـــوع ولـــيس الفـــرد؛ فـــلا يعترضن أحد فيقول: كيف هذا ونحن نجد كثيراً من الشيعة في الســـنين الأخيـــرة قـــد تحولوا عن دينهم وصاروا من أهل السنة؟ نعم هذا حاصل ولسنا غافلين عنـــه. لكـــن وجهة البحث – كما قلت – إلى المجموع، وليست إلى الأفراد. ولقد أسلم أفـــراد مـــن اليهود لكن هذا لم يغير من حال مجموعهم شيئاً، وفي مثله قال القائل:

ما زادَ حنونُ في الإسلامِ خردلةً   ولا النصارى لهم شغلٌ بحنونِ

ولم يستعمل الرسول المداراة مع اليهود مجاملة لأولئك الأفـراد، أو خشـية مـن نفورهم وارتدادهم.

على أن هذا كله على افتراض اليأس من هداية الشيعة وتغيرهم. وهـو اختيـار لا أجزم به، إنما هو فكرة برزت لي من خلال الآيات التي أوردتها آنفاً، تـدعمها وجـود تلك المنظومة المتشابكة من العقد النفسية. كما أن هناك اختياراً آخر قائماً على الأمـل والطمع بهدايتهم وتغيرهم من حالهم التي هم عليها اليوم من الانحراف عن الدين الحق والحقد والتكفير والتعصب الطائفي إلى ما هو أفضل، بصرف النظر عن درجة التغير: جزئية كانت أم كلية. وفي هذه الحال نطرح التساؤل التالي: كيف السبيل إلى ذلك؟ وقد فشلت جميع المحاولات السابقة، ما عدا تجربة السلطان الناصر صلاح الدين الأيـوبي عليه رحمة الله . لكن هذه التجربة حصلت من موقع القوة والتمكين، ونحـن اليـوم لا نمتلك هذا الموقع؛ فالقياس عليها لا يصح إلا إذا كنا ننطلق من الموقع نفسـه؛ فنتـرك مناقشة التجربة إلى حين ذاك، وما هو على الله ببعيد، واضعين في الحسـبان جميـع العوامل الداخلة في معادلة التغيير، ومنها اختلاف طبائع الشعوب التي تجـري عليهـا التجربة. لكن قد يقول قائل: إن هذه التجربة تشير إلى أن التغيير لا يتم إلا من خـلال سلطة قوية راشدة ؛ فلا أمل بالتغيير ونحن على غير هذه الحال. فأقول: قد عدنا إلـى ما قررناه قبل قليل من وجوب إعادة الحساب إذا كان الرأي قد استقر على خيار اليأس من بلوغ الهدف. لكنني الآن بصدد الكلام عن الخيار أو الاحتمال الآخر، وهو الأمـل أو الطمع بهدايتهم، تدعمه تجربة دعوية أفلحت في إحداث تغيير ملحوظ إلـى درجـة يمكن أن نمنحه بها النجاح. تلك التجربة التي حصلت في ناحية (جُبلـة) أو مشـروع المسيب الكبير التابعة لقضاء المحاويل في محافظة بابل. وهي تجربـة تحتـاج إلـى دراسة خاصة نتعرف بها على الآلية التي تم بها التغيير، والظروف والعوامل الخاصة والعامة التي خدمت أو أعاقت ذلك التغيير، حتى نخرج بنتيجة تخدمنا في تقرير كونها إما حالة خاصة لا نستطيع تعميمها، أو أنها حالة قابلة للتعميم والتكرار في مكان آخر. وليس هذا الكتاب محلاً لهذه الدراسة، ولا أحتاجهـا هنـا ضـرورة ؛ لأنـي أنـاقش الموضوع بناءً على الاحتمالين. فأقول:

آثار العقد الفارسية على الأساليب الدعوية

إذا رجعنا إلى أول الكتاب واستحضرنا العقد النفسية التي تعاني منهـا مجتمعـات التشيع الفارسي فإن هذا يضع أصابعنا على جملة من المؤشرات أهمها:

إن عقدة النقص من خلال عقدة السيد أو الاستعلاء الناتجة عنها تجعل أي محاولـة للتقرب يبذلها الآخر ينظر إليها الشيعي على أنها تعبير عن الضعف؛ فلا المجـاملات ولا المداهنات تنفع معهم، بل إنها لا تزيدهم إلا اقتناعاً بما هم عليه من باطل، وبعـداً عما ندعوهم إليه من التقارب والتصالح والتفاهم. إنهم لا يلجأون إلى هذه الأسـاليب إلا في حالة الضعف، وهذا يجعلهم لا يفهمون صدور مثلها عن الآخر إلا إذا كـان فعلـه نابعاً عن هذا الهاجس. أما عقدة الشك والتوجس فتمنع إضفاء أية مصداقية علـى مـا يصدر من فعل إيجابي في حقه. وبـ(إسقاط) صفة الخداع مـع الكـذب لا يـرى أي تصرف حسن إلا على أنه مكر ومخادعة. كما أنه يقوم بـ(إسقاط) صفاته على الآخـر فينتج لديه – عن طريق التماهي الإسقاطي – ازدراء واحتقار ونفور ضد كـل مـن يقوم بمراسيم التقريب تجاهه. وتكمل المنظومة بدخول عقدة اللؤم وإنكار الجميل فـي المعادلة ليتبخر أثر الإحسان مادياً كان أم معنوياً، بل ليتحول إلى سـبب مـن أسـباب الكره والنفرة تجاه المحسن. نعم قد ينفع الإحسان المادي مع الأفراد، لكنه على مستوى المجموع لا أثر له. بل إنه يجلب المشاكل لسـبب أو آخـر، ومـن جـرب عـرف. والتجارب الكثيرة شاهد لا يكذب: لقد ذهبت آلاف رؤوس الأغنام لحومـاً للأضـاحي، ومئات أطنان الرز والطحين الأبيض والدهون والأطعمة والألبسة هباءاً منثـوراً فـي محافظات الجنوب، لقد كانوا يزدحمون أفواجاً أفواجاً على أبواب المساجد السنية مـن أجل استلام حصصهم من المساعدات، حتى إذا أخذوها صـاروا يتلمظـون قـائلين: (وهابية، نواصب كفرة، أوقافية، عملاء الدولة...). وبسبب الشـعور العميـق بـالغبن والمظلومية فإنهم لا ينظرون إلى أي إحسان يحصلون عليه إلا على أنـه حـق مـن حقوقهم الكثيرة المغتصبة استردوه من غاصبيه؛ فلا فضل لأحـد علـيهم فيـه. لقـد اغتصب الشيعة العشرات من مساجد أهل السنة، وحين فاتح وفد هيئة علماء المسـلمين بموضوعها أحد الذين تولوا كبر هذه الجريمة، وهو محمد سعيد الحكيم، كان جوابـه: كم هو عدد تلك المساجد؟ ثم قال مستهزئاً: فقط ؟! إن حقنا هو أن نناصـفكم المسـاجد التي بنيتموها في العراق جميعا !. وكذلك أجاب الصعلوك مقتدى.

لا فائدة من الأساليب الترضوية

وعليه فإن التغني الزائد بموضوع (النسب والمصاهرة) بين الصحابةوأهل البيت، والمديح الزائد لشخوص البيت العلوي، والطعن الساذج في البيت العباسي أو الأموي. وعبارات مثل: الإمام، وكرم الله وجهه، وعليه السلام، والآل أو أهل البيت الأطهار والصحب الأبرار، وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، وإخواننا الشيعة، وديننا واحد وعقيدتنا واحدة، وإيران الجارة والدولة المسلمة، والترحم على رؤوس الكفر والضلالة من مثل الخميني الدجال إلى آخر الجوقة الكهنوتية التي أقل ما تعتقده وتصرح به تكفير الصحابة وسبهم على رؤوس الملأ. الخ... كل هذا لا فائدة ترتجى من ورائه سوى ما قلته عن آثار المجاملة والإحسان المنعكسة عن النفسية المعقدة لدى الشيعي. مع مزيد من الوهن والانهزام في صفوف أهل السنة[1]. ألا ما أبعدنا عن الحقائق التي أجهد علماء النفس في اكتشافها وتثبيتها! هل تعلم أن سلوك المرء يتوقف دائماً على كيفية إدراكه: صواباً كان أم خطأً ؟ خذ هذه الملاحظة البسيطة: قد يستجيب المرء لابتسامة شخص بالغضب إن ظنها ابتسامة سخرية، بينما قد لا تكون في الواقع

---

(1) في برنامج "المشهد العراقي" ، على قناة الجزيرة ، في ٢٠٠٥/٣/٢٧ تطرق الأستاذ وميض عمر نظمي إلى ذكر الخائن محمد باقر الحكيم – وذلك بحضور ابن أخيه عمار – فترحم عليه قائلاً: (وأذكر عمار أنّا استنكرنا مقتل عمه رحمه الله). لكن هذا الصفيق لم يسمع من الكلام غير جانبه السيء؛ فرد عليه وبكل صفاقة: (أستغرب من الضيف يستكثر على الإمام محمد باقر أن يسميه بالشهيد، ويعبر عنه بمقتل)! هل فاته أنهم يطلقون على ما جرى لسيدنا الحسين رضي الله عنه عبارة (مقتل الحسين)؟ ويسمون قراءتهم الأسطورة بـ(المقتل)! وهي أكثر الكلمات تردداً على ألسنتهم!! لكنها الصفاقة الفارسية!!!

هذا.. وقد باع الأستاذ وميض مجاملات على عمار هذا إلى حد الإسفاف، ولكن دون جدوى! ولم يقابله هذا على كل هذا ولو بكلمة مجاملة واحدة. وآخر ما قاله الأستاذ وميض: (نحن نريد من **<u>الأخوة</u>** في المجلس الأعلى وحزب الدعوة أن يجروا حواراً بين الجميع. وأنا أقرأ للأخ عمار. وأنا واثق من **<u>عروبة</u>** آل الحكيم). تصور!!!

أذكر في هذا المقام كلمة للدكتور محسن عبد الحميد قالها في ابن العلقمي محمد باقر سالف الذكر، على إحدى الفضائيات – وأظنها الجزيرة – بعد مقتله. قال وهو يترحم عليه: (محمد باقر الحكيم، لقد وجدته حكيماً حقاً، وهو من عائلة وطنية، كانت تسعى في توحيد العراق، ولم شمل أهله)!!!

وسؤالي: هل هذا غفلة أم ماذا؟ ثم ماذا نفعت هذه المداهنات، ومثلها بالأطنان؟

كذلك[1]. وقِسْ.

ولقد قلنا هذا وأكثر! فماذا كانت النتيجة؟ إدخال المحتل إلى بلادنا، ومعاونته من أجل البقاء في أرضنا، وتقديم كل العون له من قتل ومطاردة أهل السنة والتعذيب الوحشي في السجون، وثقب الرؤوس بـ(الدريل، أو المثقاب الكهربائي) وقلع الأظافر والعيون، والحرق بالنار والتيزاب. ولم يسلم منهم حتى الترضويون المجاملون! بل كانوا أول ضحاياهم! ولو شئت لسميت، ولكن الستر هنا أولى.

إن أساليب عباس السيسي رحمه الله، وجميع الأساليب الدعوية المصرية الجميلة – وما تأثر بها فوضع على غرارها من أساليب – فشلت في علاج التشيع عندنا، لا لخلل فيها من حيث الموضوع، ولكن لكونها وضعت أصلاً في أجواء سنية سوية، فهي لا تصلح للتطبيق في سواها من الأجواء ما لم نُجر عليها التحويرات المناسبة لنفسية منحرفة معقدة.

الأسلوب الشمولي في الخطاب القرآني

لقد انشغلنا بهذه الأساليب التقليدية المستوردة، وما شابهها من النسخ التقليدية المجردة، الجامدة على لون واحد لا يرى أمامه من آيات الكتاب سوى قوله تعالى: **(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)** (طـه:٤٤). انشغلنا بهذا عن الأسلوب القرآني الشمولي والمنوع حسب الجهة المخاطبة، وحسب الحال التي يتم في إطارها الخطاب. انظر إليه كيف يخاطب الحبيب محمداً ﷺ فيقول له موجهاً ومصححاً: **(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)** (التوبة:٤٣). لكنه يشتد أحياناً فيقول له: **(لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** (الأنفال:٦٨). ويقول: **(وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلاَّ)** (عبس:٨-١١). فلم يجمد الخطاب الإلهي معه ﷺ على لهجة واحدة، وهو من هو في منزلته وقربه من الله !

وفرّق في أسلوب مخاطبة (الآخر) بين الملتزم بحدود الأدب وبين من ظلم منهم فتجاوز تلك الحدود، فقال تعالى: **(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا**

---

[2] أصول علم النفس ، ص١٧٥ ، د. أحمد عزت راجح.

مِنْهُمْ) (العنكبوت:٤٦). واشتد في مخاطبة اليهود أكثر من النصارى حتى قال: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ)** (المائدة:٨٢). المشكلة أن أهل السنة تمسكوا بأسلوب **(أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً)** وتركوا أسلوب **(أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً)**. أما المنافقون فقد اشتدت لهجة الخطاب معهم فلم تقِلَّ عنها مع اليهود حتى قال فيهم: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)** (النساء:١٤٥).

تأمل هذا التنوع القرآني الإلهي في أسلوب الخطاب ليونة وشدة، وقارن بينه وبين الأسلوب الانهزامي الترضوي الجامد على نسق واحد هو التلطف والتلين، متستراً على سوأته بإضفاء تسمية شرعية جذابة عليه هي (الحكمة)! ومع من؟ مع الشيعة أشباه المنافقين واليهود! بل الغريب أنه كلما اشتد الشيعة لان السنة، وزادوا من عروض تنازلاتهم!

الهزيمة النفسية لدى أهل السنة تجاه الشيعة

أرى أن أهل السنة يعانون من هزيمة نفسية تكتسح جمهورهم أمام الشيعة. تتمثل هذه الهزيمة في مظاهر كثيرة منها: اتخاذ موقف الدفاع وليس الهجوم تجاه المسائل الخلافية. فمثلاً حين يهجم الشيعي متهماً إياهم بكره (أهل البيت) تجدهم يتوقفون عند دفع التهمة مع التظاهر بالحب الطاغي لهم من خلال العبارات الترضوية الزائدة عن الحد في مدحهم والثناء عليهم. ولا يتجاوزون ذلك إلى الهجوم باتهام الشيعة بكره الصحابة وتكفيرهم، بل الإساءة إلى أهل البيت أنفسهم، وجعل هذا هو القضية، وليست كره أهل البيت الذي هو مجرد أسطورة لا أثارة من دليل أو شبهةٍ عليها. لقد نجح الشيعة في اختلاق قضية من العدم، بينما فشلنا في تثبيت قضية تشهد لها كل معطيات الواقع والتاريخ!

ومن مظاهر الهزيمة النفسية توقف المنابر – وحتى المؤلفات والنشرات والصحف – الذي يكاد يكون تاماً عن انتقاد عقائد الشيعة، وممارساتهم العملية، وفضحها على رؤوس الملأ، كالإمامة والعصمة والتحريف وتكفير الأمة وسب الصحابة والتقية والمتعة والزيارة الخ... ما جعلهم يتجرأون في طرحها ونشرها، ورسّخها أكثر في

أوساطهم، بل صارت تزحف إلى محيط أهل السنة الذين فقد جمهورهم الحساسية تجاهها.

ومن مظاهرها بحث الكثير من علماء أهل السنة وكتابهم والناطقين باسمهم عن صلات وعلاقات قربى بين العقائد والشعائر المختلفة عند الفريقين. فبينما تجد نعمة الله الجزائري يقول بكل ثقة وعنجهية ووقاحة فارسية: (إنا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك لأنهم يقولون أن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا)![١]. ولم يردها أو ينكرها عليه أحد من الشيعة. بل هو موضع تبجيل وتقديس لديهم. وتجد محمد حسين فضل الله الذي يتظاهر بالتسامح والدعوة إلى تقريب المذاهب، لا يجيز التعبد بمذاهب أهل السنة، ويجيب سائلاً يسأل: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة، وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟ فيقول: لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة)[٢] ! تجد الكثير من علمائنا يكيلون العبارات التقريبية جزافاً من مثل: ديننا واحد ونبينا واحد وعقيدتنا واحدة، حتى أجازوا التعبد بالفقه الشيعي الذي أسموه جهلاً أو تجاهلاً بالفقه أو المذهب الجعفري! ومنهم من قال: إننا متفقون في أكثر من ٩٥٪ من المسائل الفقهية والاعتقادية! ومن هذا الصنف شيخ عراقي مشهور سئل في فضائية دبي في برنامج (الكلمة وأخواتها): عن حكم سب الصحابة؟ فأجاب: من سب أهل البيت فهو كافر، ومن سب الصحابة فهو فاسق!! الشيخ هذا نفسه كان يصرخ من فوق منبر جامع أبي حنيفة في أول خطبة جمعة بعد الاحتلال في بغداد، وذلك في ٢٠٠٣/٤/١٨: (بيّض الله وجوه الشيعة) وقد كررها ثلاثاً! ولا أدري علام يبيض الله وجوه الشيعة: أعلى عمالتهم وممالأتهم للغزاة؟ أم على نهب البلد وتخريبه وإحراقه؟ أم على أي شيء ذلك يكون؟! أخبروني مأجورين؛ فأنا لا أدري! سوى أن هذا هو ديدن الترضويين في كل زمان ومكان.

---

[١] الأنوار النعمانية ، ٢٧٨/٢، نعمة الله الجزائري.

[٢] مسائل اعتقادية، ص١١٠ ، محمد حسين فضل الله.

وإن أنس لا أنس حين ذهبنا بعدها بأسبوع واحد لا غيـر، وذلـك يـوم الجمعـة ٢٠٠٣/٤/٢٥ إلى اجتماع كبير دعي إليه أئمة مساجد أهل السنة للاجتماع بأحد الوجوه السنية البارزة، ومقدم كبير في الحزب الإسلامي، والاستماع إلى توجيهاته القيمة مـن أجل رسم الخطوط البارزة للسياسة الحكيمة التي ينبغي أن ينتهجها الشيوخ والدعاة في تلك المرحلة الحرجة التي تجد الحليم فيها حيران لا يدري أين يضع قدمه! وكان ممـا قاله (علينا بتكوين مرجعية لأهل السنة). هل تستطيع أن تحزر أيهـا القـارئ لمـاذا؟ (مرجعية مؤهلة لأن تجلس أمام المرجعية الشيعية)!!! ثم أردف وهو يشير إلى القاعـة المكتظة بحشود الحاضرين قياماً وقعوداً وقد فاضت بهم فاضطر الكثيرون إلى التجمع خارجها: (من منا مؤهل لأن يجلس أمام المرجعية الشيعية؟ أهؤلاء الشباب؟!)!!! نعم! المهزوم لا يرى في أتباعه إلا صورة نفسه المهزومة المأزومة؛ فهو لا يثق بهـم، ولا يحترمهم. جموع حاشدة بالمئات لا يرى فيها أخونا واحداً يصلح للجلوس أمـام مـن؟ مرجعية خائبة، خانعة تافهة، لا تجيد غير التكبر الفـارغ علـى الآخـرين لا سـيما المهزومين! أي هزيمة تجتاح نفوس (قادتنا)! وهل ينتصر مجمـوع مهمـا بلـغ مـن الشجاعة والحكمة إذا كان يقوده أمثال هؤلاء المهزومين المأزومين؟!

لا تناقض بين الشجاعة الفردية والهزيمة النفسية الجمعية

رأيت الكثيرين – عندما تتحدث لهم عن هذا الوباء المتفشي في صفوفنا – يحاولون بكل الطرق نفي وجوده كما ينفي المجرم التهمة عن نفسه، لا سيما حين يصل الأمـر إلى تسمية بعض الأشخاص المعروفين ووصمهم بالهزيمة النفسية محتجين بشجاعتهم، ومستشهدين بمواقف تثبت هذه الشجاعة. وهذا يعبر عن قلة إحاطة بعلم النفس. لقد مر بنا في موضوع مصطلحات علم النفس أن العقدة (استعداد نفسي لا شـعوري مكبـوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشـعور والتفكيـر). والهزيمـة النفسية عبارة عن عقدة فهي مترسبة في (اللاوعي أو الخافية) تجعل صاحبها يتصرف بشكل لا شعوري تصرفات لا تتناسب وحجمه أو عمره أو شخصيته، ما لم يمنع مـن ذلك موانع قاهرة تؤدي به إلى مزيد من الاضطراب. فمثلاً تجد رجـلاً يخـاف مـن حشرة معينة أو زاحف من الزواحف كالأفعى أو سام أبرص (أبي بريص) ولا يحتمـل التقرب منه، بينما تجده لا يهاب الموت إذا استدعى الموقف. وتجد آخر لا يطيق النوم وحده في بيت خالٍ مظلم، ويخاف أن يخرج يده من تحت الغطاء. وثالثاً يخشى النظـر

من الأسطح العالية، أو ركوب الطائرة، أو (دولاب الهواء) في حدائق الألعاب. ولا علاقة لكل هذا بالشجاعة من عدمها. لقد ظل عمر بن الخطاب ﷺ يخطب في جموع العرب من الصحابة وغيرهم ثلاثة أيام من أجل التطوع لحرب الفرس، فما تقدم منهم أحد! حتى إذا كان اليوم الثالث غضب منهم غضباً شديداً وصار يعنفهم، فكان أولَ من حمي أنفه منهم أبو عبيد الثقفي الذي صاح من وسط الصفوف المحتشدة: (أنا لها أنا لها) فقال له عمر: (لقد وليتك). بينما كان هؤلاء أنفسهم يتدافعون إلى حرب الروم. أوَ يشك أحد في شجاعة أبي عبيد؟ أم في شجاعة أحد من الصحابة وعموم العرب؟ ولكنها العقدة النفسية المتراكمة تجاه الفرس من طول ما عانوا من أذاهم ومكرهم وغدرهم وفتكهم. وقد توارثنا نحن هذه العقدة، التي لم تزدها الأيام إلا رسوخاً.

وليكن معلوماً أننا أمام عقدة نفسية جماعية، وليست فردية. فإذا عرفنا أن الفرد عادة ما تذوب صفاته في وسط المجموع أو الجمهور، وتتشكل نفسيته حينما يواجه موقفاً جماعياً تشكلاً جديداً يتقمص أو يتماهى به مع نفسية المجموع، فيمسي تصرفه معبراً عن النفسية الجمعية أكثر مما يعبر عن أصل خصائصه النفسية الذاتية، التي تبرز في المواقف الفردية. أقول: إذا عرفنا هذا عرفنا أن لا تناقض بين شجاعة الفرد وبين كونه يعاني من عقدة خوف أو هزيمة نفسية تجاه أمر ما. فالشجاعة صفة فردية تعبر عن نفسها إما في المواقف الفردية، وإما في المواقف الجماعية تجاه تحدٍ لا يعاني المجموع إزاءه من الهزيمة: كالموقف من الغزو الغربي عموماً والاحتلال الأمريكي لبلادنا خصوصاً. أما التحديات التي يشعر المجموع إزاءها بالهزيمة فعادة ما يتصرف الفرد تجاهها طبقاً للنفسية الجمعية، يدفعه إلى ذلك ترسبات الهزيمة في خافيّته (= لا شعوره) الخاصة به. ولا يجد غضاضة في ذلك ما دام يتصرف ضمن المجموع. إن الجو الجمعي يتلاشى فيه وقع التصرفات المعيبة. فقد ينهزم الفرد مع المنهزمين في ميدان المعركة إذا كان جندياً من الجنود، لكنه ربما لا ينهزم لو كان في موقع القائد. وقد يبكي الشخص مع جموع الباكين، لكنه قد لا يبكي لو كان الموقف يحسب عليه وحده. والعكس صحيح: فإن الجبان في وسط الجمهور الزاحف يبدو وكأن صفته قد اختفت فصار يتصرف كما يتصرف الشجاع؛ لأنه يتصرف بالصفة الجمعية

---

[1] مر بنا سابقاً قول غوستاف لوبون: إن ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد يشكل الخصيصة الأولى للجمهور... والظاهرة التي تدهشنا أكثر في

ومعروف في أوساطنا الشعبية أن (ابن الأصول) – أو ابن الحَمولة كما في لهجتنا الدارجة – لا ينحرف كما ينحرف المنبتر عن أصله وعشيرته. والسبب استحضاره – في اللحظة والموقف المعين – للعناصر الجمعية للعشيرة أو العائلة المعروفة التي ينتمي إليها. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في كون عقوبة الجارية الزانية على النصف من عقوبة الحرة، كما قال تعالى: (**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**) (النساء:٢٥). وشبيه به ما جاء عن هند بنت عتبة رضي الله عنها أنها قالت : (أو تزني الحرة يا رسول الله؟).

أيها الشجعان! إنكم مصابون بعقدة (الرُّهاب) من الفرس وورثتهم أصحاب التشيع الفارسي. فبادروا إلى علاجها يرحمكم الله.

المهزوم لا يأتي بحل

في لمحة سريعة للدكتور نوري المرادي وهو يتكلم في برنامج (الاتجاه المعاكس) يوم ٢٠٠٤/١١/٢٤ عن مؤتمر (شرم الشيخ) الخاص بمحاولة رسم خطوط عامة لحل مشكلة العراق. في هذه اللمحة تظهر لنا حقيقة عظيمة ما أحرانا أن نقف عندها ! قال د. المرادي: (جميع الحكام مهزومون نفسياً. والمهزوم نفسياً لا يستطيع أن يأتي بحل. وإن أتى، فهو انعكاس لهزيمته النفسية).

إن هذا يقودنا إلى البحث عن علاج آخر مخالف تماماً للعلاجات المطروحة في الساحة؛ فهي جميعاً ليست أكثر من انعكاس للهزيمة النفسية التي يعاني منها أصحاب

الجمهور النفسي هي التالية: أياً تكن نوعية الأفراد الذين يشكلونه، وأياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً، وكذلك اهتمامهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإن مجرد تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً... هكذا نلاحظ بسهولة إلى أي مدى يكون الفرد المنخرط في الجمهور مختلفاً عن الفرد المعزول... وهذه الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتية تمَّحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية.

تلك الطروحات المهزومة. وعن علاج ناجع لهذه الهزيمة النفسية الشائعة كالوباء في أوساطنا.

دواء واحد فقط للعلاج

عندما تجمع في صفحة واحدة بين عقدة النقص عند مجموع الرافضة، والهزيمة النفسية عند مجموع أهل السنة تجد أن الوصفة الأفضل لعلاجهما دواء واحد يصلح لكليهما مرة واحدة، ولا حاجة لتعدد الأدوية وتشتيتها.

بعض المتحذلقين يحاول أن يتفلسف فيقول: لا بد من الاحتواء أولاً ثم الاختراق ثانياً. وما هذا إلا التفاف على العمل الجاد من أجل العلاج، ورجوع إلى نقطة الصفر، يعبر عن هزيمة مقنّعة لا تدع صاحبها يضع خطوة صحيحة على الطريق. وذلك تجنباً لمخاطره، وهرباً من تكاليفه. والحقيقة أنه لا يريد غير المضي في طريق الاحتواء، الذي لا يعني غير المجاملة أو المداهنة، والابتعاد عن طريق ذات الشوكة. إن العقل اللاواعي المهزوم يدرك أن العمر ينفد قبل الوصول إلى نقطة النهاية في طريق الاحتواء، وأن النقطة المؤدية إلى طريق الاختراق بعيدة وليست في حدود دائرة النظر. إنه المنهج الترضوي بثوب جديد! والإسلام لا يعرف هذه الفلسفة.

لا تستغرب من هذا أيها الأخ الباحث عن الحقيقة! فقد مر الصحابة بمثل هذه الحال، ورصدها القرآن فسجلها في قوله تعالى: (**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**) (الأنفال:٥-٨). لكن الصحابة سرعان ما أفاقوا ونهضوا ليتخلصوا من عوارض الوهن، ونحن لا زلنا في وهننا سادرين، لولا بوادر الوعي التي اجتاحت محيطنا أخيراً بسبب انكشاف الأمور على حقيقتها، حين اصطف عامة الشيعة – إلا القلة من الأصلاء منهم – مع المحتلين، وكشروا عن وجههم الطائفي البغيض، فصار يراه الناس أجمعين. لكننا نخشى **عند استقرار الأمور** أن ينسى الناس ما تكشف لهم من حقائق، ويعودوا إلى ما

كانوا عليه من الصمت والمجاملة ومراسيم التقرب والتقريب، لا سيما وكثير من الترضويين أو المتسيسين لا زالوا على أصنامهم الأولى عاكفين.

ب. الأساليب والمبادئ

١. الخطاب القوي هو الدواء

ذكرت قبل قليل أن عقدة النقص عند الشيعي تجعل أي محاولة للتقرب منه يبذلها الآخر ينظر إليها على أنها تعبير عن الضعف. كما أن عقدة السيد أو الاستعلاء الناتجة عنها تجعله لا يعير اهتماماً لأي خطاب لين، أو تبدو عليه أية علامة تفسر لديه على أنها إشارة ضعف. إن السيد لا يحترم إلا سيداً مثله، ولا يستجيب لخطاب العبد بما يليق بمقام السادة. فإذا كنت محترماً فعليك أن تعامله بما يُفهمه أنك سيد بكل معاني الكلمة. أما المتسيد – وهو صاحب عقدة النقص – فلا يحترم إلا من يذله، ولا يشفيه إلا **خطاب فوقي** يشعره أن الآخر يستحق ليس الاحترام فحسب، وإنما السيادة عليه، والمتبوعية في العلاقة المتبادلة. هكذا يتعامل سادة الشيعة وعلماؤهم مع جمهورهم وعامتهم. وبهذه الطريقة فرضوا عليهم احترامهم ومتبوعيتهم. إن الشيعي يتذلل لـ(رجل الدين) عندهم، ويخضع له خضوعاً عجيباً إلى حد أنه يجلس بين يديه بكل خشوع ليسلمه أمواله ثم يقبل يده وهو يسلمه تلك الأموال، وينفذ أوامره بلا نقاش. ويهدي إليه ابنته كنذر، ليتزوجها بلا مهر! الواقع أن سادة الشيعة وكبراءهم لا يحترمون أتباعهم، بل يستهينون بهم ويتعالون عليهم. وبهذا فرضوا احترامهم وطاعتهم العمياء لهم! وما مثلهم ومثل شيعتهم إلا كمثل فرعون وقومه الذين قال الله عز وجل فيهم: **(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ)** (الزخرف:٥٤)، ومثل اليهود والنصارى مع أحبارهم ورهبانهم الذين قال الله فيهم: **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)** (التوبة:٣١).

الخطاب الصريح القوي وحده هو الذي يمكن أن ينفذ إلى عقول هؤلاء، ويلفت انتباههم، ويحظى عندهم بالتقدير والاحترام. وما دونه لا يفسر إلا على أنه علامة ضعف، وكذب وزيف. على أن يستمر هذا الخطاب على قاعدة (الطرق المستمر)،

ويسير في اتجاهين:

١. أولهما: كشف ما عليه التشيع من باطل في العقائد والشرائع، والتاريخ والواقع، وأخلاق وأحوال المتسيدين والمتفقهين والمراجع. وفضح أصله الفارسي، وعلاقته بإيران بداية ووهدفاً وغاية. وهذا يقدم في الطرح على الاتجاه الثاني وهو:

٢. بيان الحق المقابل، ودعوتهم إليه. مع التأكيد بوضوع على أنهم ليسوا على شيء حتى يتركوا ما هم عليه، ويقيموا الحق والدين الصحيح.

هذا بالنسبة لجمهور الشيعة.

وأما جمهور السنة فإن الخطاب المجامل والضعيف للشيعة لا يزيد أهل السنة إلا انهزاماً ووهناً. إنهم بأمس الحاجة إلى خطاب قوي مدوٍّ ، وقيادات قوية تتقدم صفوفهم، وهي تكشف – بصراحة تامة، ودون تردد أو تلعثم – زيف التشيع، وخطورة المؤامرة الشعوبية، وتعرض الحق والبديل الصحيح بوضوح تام ولو كره المجرمون.

هذا هو السبيل الوحيد لعلاج الأزمة النفسية التي يعانون منها، وإعادة الثقة إلى نفوسهم، والطريقة الوحيدة التي بها تنطلق قواهم وتتفجر طاقاتهم. وهذا هو الذي قصدته بقولي: إن دواءاً واحداً نحتاجه لعلاج الحالتين، ولا داعي للتفلسف وتعدد الأدوية.

٢. فصل جمهور الشيعة عن مراجعهم

هذا من أهم الأساليب الجماعية في علاج التشيع الفارسي. وأظنه يمثل نصف المسافة في طريق العلاج. أو نصف جهد العمل كله.

لقد حصلت الانعطافة الكبرى في مسيرة التشيع بعد القرن الثالث الهجري عندما تمكن زنادقة الفرس – في غيبة الأئمة الكبار من رجال أهل البيت وغيرهم من علماء الأمة – من قيادته والإمساك بزمامه. ولبسوا لذلك العمامة الدينية، وتلبسوا بالزي الديني، وتظاهروا بحب أهل البيت والتباكي عليهم. لقد كان وجود رجل بزي عالم يروي رواية، أو ينشر فكرة، أو يبتدع بدعة ينسبها إلى محمد الباقر أو جعفر الصادق أو غيرهما من أئمة أهل البيت مجرد نسبة يكفي تماماً عند كثير من العوام لقبول ذلك كله مهما كان مخالفاً للمنقول أو مناقضاً للمعقول. وهكذا تمكنوا من تحويل التشيع من مساره إلى دين قائم بذاته أريد له أن يكون هو البديل عن الدين الذي جاء به النبي

محمد ﷺ . فكان ذلك إيذاناً بحدوث الانحراف الخطير في تاريخ التشيع: فقد تحول إلى دين قائم بذاته أصولاً وفروعاً، عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً[1].

العلاج يمكن أن يتم باتباع الطريقة نفسها، ولكن بمضمون صحيح. وذلك بأن يستلم زمام قيادة التشيع علماء صادقون، ودعاة جادون يلبسون الزي نفسه الذي به قاد المزورون جمهور الشيعة. ويقومون بإزاحة أولئك الدجاجلة المزورين شيئاً فشيئاً، وطردهم من مواقعهم في قيادة المسيرة. ولست ممن يستعجل النتائج، فقد صبر زنادقة الفرس بضعة قرون، أفلا يصبر دعاة الحق بضعة عقود ليحصدوا ثمار جهودهم؟

أما الشروط المطلوب توفرها في هؤلاء العلماء والدعاة فهي:

١. عقيدة سليمة
٢. إيمان صادق
٣. حب الصحابة
٤. حب الوطن والاستعداد التام للدفاع عنه
٥. حب العرب وتبني مبدأ العروبة
٦. معاداة الشعوبية والشعوبيين
٧. معرفة كافية بالعجم ودسائسهم
٨. تبني القرآن الكريم مصدراً لأمهات العقائد والشرائع
٩. الاحترام الكامل لبقية المسلمين
١٠. رفع السب واللعن عن جميع رموز الأمة من الصحابة فمن دونهم.
١١. إعادة النظر في كل التراث المنسوب إلى أهل البيت، وتنقيته على أسس علمية صحيحة.
١٢. أن لا تكون لهم تبعية للرموز الحوزوية. ولا يعتمدون عند الظهور في موثوقيتهم لدى الجمهور على تزكيتها، بل يُظهرون مخالفتها، ويعملون على تسقيطها، واستلام المبادرة لتكوين مرجعية عربية، تكون هي الأساس والمرجع في التوثيق والتجريح.
١٣. أن يكونوا ممن أثبتت الشواهد والاختبار والتجربة صدقهم وموثوقيتهم.

---

[1] لي محاضرة صوتية وأخرى مصورة، بعنوان: عندما قاد العجم مسيرة التشيع. تناولت فيهما هذا الموضوع .

قد يقول قائل: ما الفرق بين هؤلاء وبين أهل السنة؟ وأقول: ومن قال: إن هناك فرقاً مؤثراً بين التشيع الأصيل والتسنن؟ نحن نريد الرجوع بالتشيع إلى أصله، وهو حب أهل البيت الذي هو أحد مفردات السنة. ثم لا بأس أن يزيد عند البعض فيتميزوا به عن غيرهم – دون الوقوع في محظور الغلو – فنسميهم شيعة. هؤلاء هم إخواننا الذين نأمل أن يعودوا بالتشيع إلى أصله الصحيح، ويعيدوا له وجهه المشرق القديم بعد أن سوده أساطين التشيع الفارسي، والجهلة المخدوعون من جمهور المتشيعين.

يحتاج هذا إلى مهاجمة رؤوس باطل التشيع الفارسي، وتسقيطهم من خلال فضح عقائدهم وبدعهم، وسلوكهم وسوءات أخلاقهم، وهي كثيرة. وهذا منهج قرآني أعرضنا عنه فخسرنا كثيراً. انظر كيف هاجم القرآن المرجعية الباطلة كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة:٣٤) وقال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة:٣١). وقال: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة:٥).

ومن هذا الباب تنديده بأبي لهب مشخصاً إياه بالاسم فقال: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) إلى آخر سورة (المسد). وذكر مرجعيات للكفر أخرى لكنه اكتفى بذكر الأوصاف الدالة دون الاسم كما في قوله: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) (القلم:١٠-١٦). وقوله: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى) (العلق:٩-١٠). وقوله: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً) إلى قوله: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر:١١-٢٦)، وغيرها من الآيات كثير.

٣. فضح تعلق الشيعة المزيف بـــ(أهل البيت)

لا تجد جماعة مبطلة إلا وتتعلق برمز صالح من الأقدمين، تنتسب إليـــه، وتســـتمد مشروعيتها من هذا الانتساب المزور. إن فضح هذا الزيف ضرورة مـــن ضـــرورات إضعاف أهل الباطل؛ لأنه يسحب بساط المشروعية التي يعتاشون عليهـــا، ويســـتمدون بقاءهم واستمرارهم من خلالها. لذا يؤكد القرآن الكريم على قطع هذه الصلة بين أهـــل الباطل ورموزهم الصالحة التي يدّعون الانتساب إليها مـــن الأنبيـــاء وغيـــرهم مـــن الصالحين. كما قال تعالى: **(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** (آل عمران:٦٧). وقال: **(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)** (آل عمران:٦٨).

إن الشيعة والتشيع يعتمد في بقائه على ادعائه الانتساب إلى (أهل البيت)، ويســـتمد قوته وأسباب وجوده واستمراره من هذه الدعوى. فتجريده منها يسحب البســـاط مـــن تحته، ويظهر وجهه الكالح على حقيقته. أما الاقتصار على مدح علي ﷺ فهو اعتراف ضمني بصحة تلك النسبة المزيفة. إنه عبث آن الأوان لأن نضرب علـــى يـــد أولئـــك الحمقى المنهزمين كي ينتهوا عنه.

٤. بيان بطلان (خمس المكاسب)

لو أردت تلخيص التشيع بجملة واحدة لقلت: (دين فاســـد وخمـــس مكاســـب). وإذا شبهنا التشيع بالبناء فإن (الخمس) هو أساسه الذي لا يمكن بدونـــه أن يبنـــى وتســـتقر أركانه. إن هذا الدين الفاسد ما كان له أن يقوم لولا تلك الأموال الطائلة التي يســـتولي عليها كهنة التشيع باسم (الخمس) و(الحقوق الشرعية) وما شابه من المسميات الباطلة. إذن فضح ممارسات أولئك الكهنة في هذه القضية، وكشف زيفها وعدم اســـتنادها إلـــى أي أساس شرعي يشكل إحدى الفقرات المهمة في عمود التغيير الجماعي المنشود.

ومما يبشر بالنجاح في هذه المَهَمة أننا وجدنا إقناع العوام – بل حتى النخبة غيـــر المستفيدة – بعدم مشروعية (الخمس) ليس بالأمر الصعب أبداً لـــو وجـــد لـــه دعـــاة مثابرين؛ لكونه يرفع عن كاهلهم التزاماً مادياً مرهقاً ما كانوا يؤدونه لـــولا اعتقـــادهم الساذَج بمشروعيته ووجوبه. إن حب المال مركوز في فطرة الإنسان؛ فـــلا يمكـــن أن

يتخلى عما في يده إلا لدافع قوي كالوجوب الشرعي، فإذا انهار هذا الدافع تخلى عن الدفع. وقد أشار القرآن إلى أصل هذه الحقيقة بقوله تعالى: (**وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**) (محمد:٣٦،٣٧). وقد جربنا ذلك في الواقع فوجدنا سهولة واضحة في تخلي الشيعي عن قناعته بمشروعية (الخمس) أكثر بكثير من إقناعه ببطلان أصول عقيدتهم كـ(العصمة) و(الإمامة) وزيارة المراقد، بل وكثير من فرعيات بدعهم. وهذا يشكل لنا مدخلاً مناسباً لضرب الأسس الأخرى للتشيع الفارسي، فإن اهتزاز القناعة بأي مسألة يثير الشك – ولا بد – في بقية المسائل.

٤. اتباع كل الوسائل الجماعية الأخرى

ليكن معلوماً أن هذا الكتاب موضوع لرسم المنهج المطلوب بخطوطه أو مبادئه العامة. وليس هو موضوعاً للحديث عن العلاج بمسائله التفصيلية؛ فإن هذه جزئيات تتغير بتغير الواقع؛ ولا نحتاج لها إلا عندما نبدأ بالتحرك للتطبيق حسب الظرف أو الواقع المعين. وهنا يجتمع أهل الحل والعقد من غير الترضويين ليضعوا العلاج في ضوء تلك الخطوط والمبادئ العامة. وإذا كان هناك من شيء يضاف هنا فأقول: علينا باتباع كل وسيلة تغييرية جماعية حتى لو كانت هي الهجرة أو التهجير.

ولا أرى العراق يستقر على حال ما دامت بغداد منتشراً فيها سرطان الشيعة الذي كان السبب الأول في سقوطها بيد الغزاة الأمريكان، والسبب الأول في إطالة أمد بقائهم، من خلال الاستحواذ عليهم ومنعهم من المؤمنين. والحل الأمثل هو برجوع بغداد إلى حالها الأول، وإخراج الوافدين العملاء منها إلى جحورهم القديمة.

ولمن كبر عليه وقع هذا الكلام أقول: قد استعمل الرسول الأكرم ﷺ هذا الأسلوب فقد أجلى اليهود أكثر من مرة كلما نقضوا العهد، أو اصطفوا مع الغازي الخارجي ضد وطنهم. فأجلى بني قينقاع وبني النضير وغيرهم، وأباد بني قريظة عن آخرهم حين ارتكبوا الخيانة العظمى فتآمروا مع الغزاة، وجلبوهم ليحتلوا المدينة المنورة دولة الإسلام الأولى المصغرة، وفي ذلك يقول تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي**

الأَبصَارِ * وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٢-٤).

بل جاء الأمر الإلهي صريحاً في تهجير أهل الفتن، كما قال تعالى: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة:١٩١).

وقال فيمن يتعرض لأمهات المؤمنين بأذى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب:٦٠-٦٢).

هشاشة صف الخصم

يقول الاختصاصي النفساني عبد الله مصطفى ناقلاً عن البروفسور مصطفى زيور: (إن ما يجمع بين التجمعات اليهودية الإسرائيلية بالرغم من اختلافها في كل شيء، إنما يتلخص بهذا التوحد بالمعتدي الذي أتاح لليهود التحول من **المذلة إلى الطغيان، ومن الخنوع إلى السفاحية**. لذلك يستنتج المحلل الحاجة الإسرائيلية – النفسية لممارسة العدوان. فشخصية المتوحد بالمعتدي تفقد تماسكها إن هي توقفت عنه. لأن العدوان يطمئنها، مانعاً تفجر موجات القلق والرعب فيها. وكأن لسان حالها يقول: ما دمت أنا المعتدي فلا خوف علي من الارتداد إلى ما كنت عليه يهودياً تائهاً رعديداً يفتك به الناس في كل مكان.

من هنا يمكن استنتاج هشاشة الشخصية الإسرائيلية. وعدم قدرتها على تحمل أي إحباط. كون الإحباط يصيب هذه الشخصية بالتهاوي والتفكك مهدداً بزوال الهوية الزائفة. لذلك فان القادة الإسرائيليين مجبرين على تأمين أفضل مستويات الروح المعنوية ليهودهم. وبناء على هذه الهشاشة وعدم القدرة على تحمل الإحباطات تقوم إسرائيل باعتداءات دورية غير ذات هدف محدد، سوى دعم مشاعر القدرة على العدوان وإثباتها).

وأنا أطمئن أهل السنة فأقول:

إن الشخصية الشيعية شخصية اضطهادية. تعاني من النقص والخوف والشعور بالضعف والاغتراب والقلق. لا تعرف الوسطية؛ فهي إما ذليلة خانعة مستكينة – إن هي فقدت أسباب القوة – وإما طاغية متجبرة متوحشة، متى ما شعرت أنها تمتلك سبباً

من أسباب القوة. ولا تعرف التعايش مع الآخر. فإما أن تأكله، وإما أن يلجم فمها ليستمر. يجمع بينها وبين مثيلاتها – كالشخصية اليهودية – سمة (التوحد بالمعتدي). ما يعني أنها تفقد تماسكها إن هي توقفت عن العدوان، وعدم قدرتها على تحمل أي إحباط؛ لكون الإحباط يصيب هذه الشخصية بالتهاوي والتفكك والزوال؛ فما علينا إلا العمل على إيقاف ممارستها للعدوان، وعدم إعطائها الفرصة لممارسته في المستقبل.

إن هذه الشخصية غير قادرة على تحمل حالة النصر أو الهزيمة. فهي إن انتصرت اعتدت وخربت ودمرت. وإن انهزمت أحبطت وتهاوت وتفككت؛ لذا علينا أن نعمل على إلحاق الهزيمة بها، وإبقائها خائفة ضعيفة. واعلموا أنها ستتهاوى عند أول ضربة قوية؛ لأن ذلك يشعرها سريعاً بالإحباط، وهي غير قادرة على تحمل أي بادرة له. أما ما ترون من علامات القوة عندها، فالحقيقة غير ذلك. إنها انتفاشة وانتفاخ كاذب يعبر عن خواء ونقص وضعف، أكثر مما يعبر عما يتوهم المتوهمون.

وأنا أبشر نفسي وإخوتي والأمة جمعاء بقول الله تعالى فيهم وفي أمثالهم:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ * لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) (الحشر: ١١–١٧).

وصدق من قال: العقائد التي يبنيها الحقد يهدمها الانتقام.

والحمد لله رب العالمين.

السبت

٢٠٠٦/٩/١٦

مصطلحات مهمة
في علم النفس والأمراض النفسية

هذه مجموعة من المصطلحات العلمية المستعملة في علم النفس والأمراض النفسية التي وردت في هذا الكتاب. عمدت إلى طرحها بأسلوب مبسط قدر الإمكان، محاولاً أن لا يبعدني ذلك كثيراً عن التفسير العلمي الفني أو الأكاديمي للمصطلح، الذي يتميز عادة بتعقيده وانغلاقه؛ ما يجعله صعب الفهم بالنسبة إلى القارئ غير المتخصص؛ فيحتاج إلى تبسيط قد يؤدي – بطبيعة الحال – إلى الخروج شيئاً ما عن المعنى العلمي الدقيق للمصطلح. وقد اعتمدت في عرضها على كتاب (التخلف الاجتماعي) للدكتور مصطفى حجازي، وكتاب (أصول علم النفس) للدكتور أحمد عزت راجح.

العقدة
Complex

استعداد نفسي لا شعوري مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير. مركب من ذكريات وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية من الذعر أو الغضب أو الكراهية أو الاشمئزاز أو الغيرة أو الإحساس الخفي بالذنب. والعقدة استعداد لا شعوري أي لا يفطن الفرد إلى وجوده ولا يعرف أصله ومنشأه، وكل ما يشعر به هو آثار العقدة في سلوكه وشعوره وجسمه: كالقلق الذي يغشاه، أو الشكوك التي تساوره، أو اضطرابات في وظائف أعضاء الجسم كالمعدة أو القلب أو التنفس.

قد تنشأ العقدة من صدمة انفعالية واحدة، أو من خبرات مؤلمة متكررة، أو من

تربية في عهد الطفولة، تسرف في الكبح والتخويف أو التدليل أو التأثيم أي إشعار الطفل بأنه خاطئ مذنب من كل ما يفعل. مثل هذه التربية من شأنها أن تولد في نفسه مشاعر بغيضة بالنقص والذنب والقلق والغيرة، أو عواطف هدامة كالحقد والكراهية. وهي مشاعر وعواطف ثقيلة على النفس لا تلبث أن تكبت فتنشأ عنها عقدة أو عدة عقد. وقد تكون عناصر العقدة وملابساتها منسية نسياناً تاماً، أو جزئياً.

عقدة النقص

Inferiority complex

يشعر الفرد بالنقص حين يدرك أن بينه وبين غيره فرقاً في جسمه وقوته، أو ذكائه وعلمه، أو حالته الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها، حقيقياً كان هذا النقص أم متوهماً. إذ ليس من الضروري أن يكون بالفرد نقص حتى يتملكه هذا الشعور الذي يدركه إدراكاً مباشراً ويعترف به مع نفسه. وقد يدفع هذا الشعور صاحبه إلى التفوق والارتقاء بطريق مباشر كما يعمد ضعيف الجسم إلى تقوية بنيته، أو بطريق غير مباشر كما يفعل الطالب المتخلف في دراسته على التفوق في مجال النشاط الرياضي مثلاً.

أما عقدة النقص فتتولد حين يتعرض الفرد لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل وقلة الحيلة، مع فشله في التعويض الناجح؛ فيلجأ إلى كبت شعوره أي إلى إنكار وجوده، بل وإلى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية. ويلجأ كذلك إلى التعويض الوهمي، كأن يصاب بمرض نفسي كالهستريا يتخذه عذراً وجيهاً عن عجزه ونقصه؛ إذ لو لم يكن مريضاً لما عرف العجز إليه سبيلاً، بل لتفوق على غيره. وهكذا يعفوه المرض من لوم الناس، بل من لوم نفسه. أو يلجأ إلى الدعاوى الفارغة وأوهام العظمة.

والمصاب بعقدة النقص كل ما يذكره بالنقص يحمله على الفور وبطريقة تلقائية على الدفاع عن نفسه بأن يستجيب بعنف.

التعويض الزائد

Overcompensation

التعويض هو كل محاولة لإخفاء نقص أو التغلب عليه. وكثيراً ما يكون التعويض ستراً للنقص لا التماساً للقوة وإصلاح العيب. وقد يطلق التعويض على كل محاولة للتحرر من الشعور بالنقص؛ لذا فقد يعتبر التبرير والإسقاط وأحلام اليقظة والعدوان على الغير مثلاً صوراً من التعويض لكنه تعويض فاشل.

أما التعويض الزائد فهو مهاجمة النقص بعنف بما يؤدي إلى تضخم مظاهر التعويض، كالشخص الضعيف البنية الذي يمارس الألعاب الرياضية ولا يقنع أن يصير جسمه عادياً بل يجهد نفسه ليكون من الأقوياء. ويتخذ التعويض الزائد صوراً كثيرة منحرفة منها اصطناع ضروب من التصرف المتكلف السخيف طمعاً في جلب انتباه الآخرين. والتباهي بأعمال عظيمة، أو الخروج على الناس بأفكار مغربة، أو التمشدق في الحديث، أو اللباس غير المحتشم. بل قد يتخذ شكل عدوان وإجرام كي يثبت الفرد لنفسه وللناس أنه غير ضعيف، وأن لديه من القوة ما يتحدى به حتى القانون. ومن الأمثلة على التعويض الزائد العمامة الكبيرة الزائدة عن الحد التي يلبسها (رجل الدين) الإيراني عادة ومن لف لفه ، وتقيده بملابس ذات تصميم خاص ملفت للنظر لإخفاء الجهل الذي يعاني منه. وكتابة المؤلفات المستعصية على الفهم للسبب نفسه.

عقدة الذنب

Guilt complex

الشعور بالذنب أو وخز الضمير (**Sense of guilt**) هو الشعور الذي ينجم عن قيام الفرد بعمل لا يرضاه ضميره، وهو شعور سوي ذو قيمة في تهذيب الفرد. غير أن هناك شعوراً بالذنب يكون هائماً طليقاً غير واضح المصدر – مثله كمثل القلق العصابي – وكثيراً ما يقترن بالقلق واستصغار الذات أو الاشمئزاز منها. فترى المصاب لا يعرف لماذا هو يشعر بالذنب، يغشاه شعور غامض موصول بأنه مذنب آثم حتى إن لم يكن أذنب أو أتى شيئاً يستحق عليه العقاب، أو يلوم نفسه على أمور لا يلومه عليها أحد، ويرى في أخطائه ذنوباً لا تغتفر.

في هذه الحال يكون الفرد يعاني من ((عقدة الذنب)). كما أنه يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير – ولو بعقاب نفسه – التماساً للراحة، وتخففاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر. وتفسير ذلك التنشئة منذ الصغر على تهويل الذنوب مهما صغرت، ولوم الطفل وعقابه وتأنيبه وإشعاره بالذنب من كل ما يفعل، وأنها لا تكفر حتى يحل العقاب، فتراه لا يشعر بالراحة إلا إذاتعرض له. حتى إن فتاة منعها والداها من قراءة كتاب معين، غير أنها أخبرتهما ذا يومٍ – كذباً – أنها قرأته فأوقعا عليها العقاب، إذ ذاك شرعت تقرأ الكتاب وهي مطمئنة مرتاحة البال.

وهكذا ترى أن من يعاني عقدة ذنب يندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه

حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. سواء كان هـذا العقـاب ماديـاً أو معنوياً، فتراه يورط نفسه – عن غير قصد ظاهر منه – في متاعب ومشاكل ماليـة أو مهنية أو عائلية أو صحية لا يناله منها إلا التعب والمعاناة والمشقة والعذاب. بـل قـد يستفز عدوان الغير عليه، أو عدوان المجتمع بارتكاب جريمة. فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. والانتحار أقسى حالات عقاب الذات. ومـن هـؤلاء مـن يتقبل الإهانات دون دفاع عن نفسه، وهو يفتش عما يؤذيه ليجد الراحة بل اللذة في هذا الأذى أو العقاب. ويطلـق علـى هـذا الشـخص لقـب المـازوخي أو الماسوشـي **(Masochist)**. وتظهر عقدة الذنب واضحة لدى الشيعي وهو يجلد نفسه جلداً دونه جلد الزناة في شرع الإسلام، ويلطم صدره ويشدخ رأسه إلى حد فقدان الـوعي أو المـوت تحت ذريعة خيالية هي حب الحسين! وتجد الماسوشية جلية في تفشـي اللواطـة فـي المجتمع الإيراني خصوصاً في المراكز الدينية وما حولها. وقد انتقلت هذه الرذيلة إلى المراكز نفسها في النجف وغيرها والتجمعات التي تأثرت بها. وتقوم عملية ((الإسقاط)) بدورها في إلصاق هذا العمل الخسيس بخصومهم، حتـى إنهـم يتهمـون بـه خيـرة الصحابة! بل كل من تسمى بـ((أمير المؤمنين)) من خلفاء المسلمين في تاريخهم بـدءاً بعمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه !

اللاوعي
(= الخافيّة ، اللاشعور ، العقل الباطن)
Unconscious

يعتبر التحليل النفسي أن النفس الإنسانية تقسم إلى قسمين أساسيين: النفس الواعيـة وتسمى الوعي (الشعور)، وهي مركز العمليات الذهنية العاديـة مـن تفكيـر وإدراك وإحساس وإرادة وتخطيط وتفاعل مع العالم. والنفس اللاواعية (اللاشعور)، وهي تضم كل القوى النزوية وكل الميول الطفلية والبدائية ذات الطابع الحيواني التـي لا تعـرف المنطق ولا تراعي الزمان ولا المكان.

هذه القوى تظل بعيدة عن إدراكنا، ولكنها تؤثر فينا وتوجـه سـلوكنا وعلاقاتنـا واختياراتنا دون أن ندري حتى إنها قد تتقنع باعتبارات عقلانية منطقية.

واللاوعي يشكل الجانب الأكبر من الحياة النفسية، وتأثيره حاسم في بنية الشخصية وتوجهاتها الأساسية. تحتاج محتويات اللاوعي إلى إشباع عن طريق التنفـيس الـذي

يتخذ أشكالاً رمزية ومقنعة، وينبث في كل تصرفاتنا اليومية. فيظهر عادة بشكل مقنـــع في الأحلام والهفوات وفلتات اللسان. وبما أن هذه المحتويات إجمالاً من النـــوع غيـــر المقبول خلقياً أو اجتماعياً؛ ولذلك يتنكر لها صاحبها أشد التنكر ويقاومها الوعي بشـــدة؛ لأن الوعي بها يثير قلقاً شديداً يصعب على الشخص احتماله.

وفي رأيي أن النفس اللاواعية لا تضم الميول البدائية والشريرة التي يتنكـــر لهـــا الشخص في وعيه فحسب، بل تضم الميول والدوافع الخيـــرة أيضـــاً التـــي يختزنهـــا الشخص في لا وعيه، وتحكم تصرفاته بصورة تلقائية غير واعية إجمالاً. ويتم ذلـــك كلـــه عن طريق الكبت.

الإيحاء (= الاستهواء)
Suggestion

التأثير دون إقناع منطقي، ودون أمر أو قسر لقبول رأي معين أو احتضان اتجـــاه معين أو أداء فعل معين.

يقوم الإيحاء بدور كبير في تكـــوين اتجاهاتنـــا وعواطفنـــا إزاء الآراء والأفكـــار والمعتقدات والنظم الاجتماعية. تزداد قابلية الفرد للإيحاء أي لتقبله ما يوحى بـــه إليـــه دون مناقشة أو نقد أو تمحيص في حالة كونه طفلاً أو جاهلاً أو منفعلاً أو مريضـــاً أو في حشد من الناس، أو كان الإيحاء صادراً من شخصيات بارزة أو ذات نفـــوذ. علـــى هذا النحو يتشرب الطفل كثيراً من الآراء والاتجاهات والمعتقدات الشائعة في أســـرته دون قصد منه، ودون نقد أو تحليل لاتجاهات الأسرة نحو الـــدين والـــوطن والنظـــام الاجتماعي أو الاقتصادي، نحو المباح أو المحظور، نحو النظـــام أو الفوضـــى، نحـــو المسالمة أو العدوان، نحو حب جماعة أو كره أخرى. لذا فنحن نحمل معنا مـــن عهـــد الطفولة كثيراً من الانحيازات الضحلة والاتجاهات الحمقاء إزاء بعض الأشـــخاص أو الجماعات أو الآراء والمعتقدات. وليست الأسرة وحدها مصدر ما نكتسبه من اتجاهات عن طريق القابلية للإيحاء، فهناك المدرسة والصحافة والدعاية والمطالعـــات الخاصـــة وأفكار قادة الرأي، والأصدقاء. على هذا النحو تتكون الكثرة من اتجاهاتنا وعواطفنا، فنحن لم نكتسبها عن طريق التعقل والتفكير والتحليل، بل بطريقة لا شعورية غير مقصـــودة عن طريق التكرار والعدوى الاجتماعية. على أن هذا لا ينفي أننا نكتســـب اتجاهـــات

وعواطف نتيجة التفكير الذاتي والتحليل. لكن هذا له تأثير كما للآخر من تأثير.

وقد عرف أساطين التشيع الفارسي هذه الخاصية النفسية فاعتمدوا في نشر أفكارهم ومعتقداتهم وطقوسهم عن طريقها بالدرجة الأساس، مستغلين زمن الطفولة لغرسها، وجهل الناس بالكتاب والسنة وحقيقة الأمور. وكذلك اعتماد التهييج العاطفي عن طريق النياحة والقصائد المرنمة الشجية، والاستعراضات والحشود الجماهيرية وما يسمى بالمواكب الحسينية، والألقاب الضخمة للشخصيات التي تتقدم المسيرة والمرجعية مع العمامة الكبيرة والملابس الخاصة، وإخفاء المرجع في أكثر الأحيان لإضافة هالة من السرية والإبهام والفوقية على شخصيته، كل هذا من أجل أن يؤدي الإيحاء وظيفته لغرس ما يريدون في نفوس الناس قبل عقولهم. فيكون ترسيخ المعتقدات في العقول لا عن طريق الممر الطبيعي وهو مخاطبة العقل مباشرة، وإنما تسريبها إليه من النافذة الخلفية وهي النفس؛ لأنهم يعلمون أنها لو سلكت الطريق المعتاد وحاولت دخول العقل من بابه لربما صدت ولم تتمكن من الدخول. وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح ((التفكير النفسي)). هذا مع اعتماد وسيلة الدعاية والإعلام والتكرار المستمر دون كلل أو ملل للأفكار نفسها على أسماع الجماهير.

الكبت

Repression

عملية نفسية دفاعية أساسية يتمكن الأنا الواعي بواسطتها من طرد الرغبات والأفكار والانفعالات المصاحبة لها خارج حيز الوعي إلى حيز اللاوعي هرباً مما يسببه الوعي بها أو تنفيذها من قلق نظراً لتعارضها مع رغبات أخرى أو مع أوامر الأنا الأعلى (الضمير). فهو ينكر ويعمى عن عيوبه ونقائصه ودوافعه المستكرهة ومقاصده السيئة؛ ليحفظ له كبرياءه واحترامه لنفسه. فالكبت هو أحد العوامل الأساسية لتكوين اللاوعي، به نصرف انتباهنا عن فكرة أو شعور أو حادث بصورة متعمدة ومستمرة حتى نستبعد هذه الأشياء من الوعي في النهاية فلا نستطيع استرجاعها. لكن الرغبات المكبوتة لا تزول، بل تظل نشطة وهي كامنة في اللاشعور تمارس ضغطاً مستمراً كي تبرز إلى حيز الوعي والتحقيق من خلال السلوك والتصرف عندما يتعرض المرء إلى ما يستفزه من ظروف ويثيره من مواقف.

الإسقاط

Projection

عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها ويحوّل إلى غيره صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره التي لا يرغبها ويخجل من الوعي بكونها جزءاً من ذاتــه. فهو يتهرب لا شعورياً منها بطردها عن نفسه أولاً، ثم إلصاقها بالغير أو اتهامــه بهــا ثانياً كنوع من تبرئة الذات أو الدفاع السلبي عنها. إنه عبارة عن تخلص من كل ما هو سيء في الذات باتهام الآخرين به. فهي عملية أو حيلة نفسية دفاعية مزدوجة. وتتخــذ في الخارج مظهرين:

- أولهما أن ننسب عيوبنا ونقائصنا ورغباتنا المستكرهة المكبوتة إلى غيرنـــا مـــن الناس والأشياء أو الأقدار أو الحظ وسوء الطالع؛ وذلك تنزيهاً لأنفسنا، وتخففاً مما نشعر به من قلق أو خجل أو نقص أو ذنب. كل ذلك بطريقة لا شعورية. فالكاذب أو الجحود أو الأناني أو المتعصب الذي لا يفطن إلى وجود هذه الخصال في نفسه، ينسب الكــذب والجحود والأنانية والتعصب إلى غيره. ومن هذا الباب لا يصدق الكــذاب مــا يقولــه الناس؛ لأنه يرى فيهم نفسه المطبوعة على الكذب. ومن أمثلة ذلــك: الــزوج الــذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجته يميل إلى اتهامهــا بالخيانـــة. والأب الفاشل في عمله يميل إلى اتهام ابنه بالإهمال في دراسته. والمدرس الكسول لا يغفــر لتلاميذه الكسل؛ لأنهم يصورون له الناحية التي يكرهها من نفسه. كذلك نرى القاضـــي الذي تعتلج في نفسه ميول إجرامية يميل إلى الصرامة في أحكامه. ومتى رأينا عيوبنـــا في الناس ملنا إلى وعظهم واشتددنا في محاسبتهم على عيوب نتسم بهـــا ولا نـــدري. فيكون الوعظ في هذه الحالة مظهراً للإسقاط. من هنا نرى أن أحكامنـــا علـــى الغيـــر كثيراً ما تكون أحكاماً على أنفسنا، فهي اعترافات أكثر من أن تكون اتهامـــات. ولكـــن أكثر الناس لا يشعرون.

من ذلك ترى اتهام الشيعة لأهل الســـنة بـــالتكفير والإرهـــاب وأنهـــم يظلمـــونهم ويضطهدونهم ما هو إلا عملية إسقاط يزيحون بهـــا عيـــوبهم ونقائصـــهم ورغبـــاتهم المكبوتة إلى الآخرين، ليتخففوا من الشعور بإثمها وعارها أولاً، وليبيحوا لأنفسهم ظلم غيرهم واضطهادهم على اعتبار أنهم يفعلون ذلك من باب الانتصاف والـــرد بالمثـــل، والدفاع عن النفس. ومن ذلك وصف جورج بوش للمقاومة العراقية بالقتلة والمتوحشين والمجرمين. وإنما هي صفاتهم يسقطونها على غيرهم.

- أما المظهر الثاني للإسقاط فهو لوم الغير على ما نلقاه من صعوبات وفشل وما نقع فيه من أخطاء. فكثيراً ما نعزو الرسوب في الامتحان إلى صعوبته، والفشل في المشروعات إلى الحظ، وسوء سلوك الطفل إلى وراثته لا إلى سوء تربيتنا إياه.

من ذلك نرى أن الإسقاط يؤدي غرضاً مزدوجاً: ففيه نتخفف من مشاعرنا ودوافعنا البغيضة، وفيه نكون في حل من نقد الآخرين ولومهم وتوجيه الأذى إليهم قبل أن يوجهوه إلينا. والإسقاط يختلف عن التبرير في أن التبرير دفاع واعتذار، بينما الإسقاط اتهام وقذف واعتداء.

ولا يتم فهم معنى الإسقاط إلا بفهم عمليتين نفسيتين أخريين هما: الاجتياف والتماهي.

اجتياف
Introjection

الاجتياف هو العكس المكمل للإسقاط . إنه تلقي وتمثل أو تقمص كل ما هو مرغوب فيه، وتصوره جزءاً من الذات كما يتمثل الجسم الطعام. مأخوذ من إدخال الطعام إلى الجوف. وهو عملية نفسية دفاعية لا واعية إجمالاً. وقد يجتاف الشخص غير المرغوب فيه من الصفات.

التماهي (= التوحد ، التقمص)
Identification

عملية نفسية يتمثل أو يتقمص الشخص من خلالها جانباً أو خاصية أو صفة من الآخر، ليتحول كلياً أو جزئياً على غراره. والفرق بينه وبين الاجتياف في أن الاجتياف هو العملية التي يتحقق بها التماهي، وأنه أعم من التماهي الذي يقتصر على التعامل مع الشخص الآخر، بينما الاجتياف يتعامل مع الصفات عموماً ارتبطت مع ذات أخرى أم كانت مجردة. وهو يختلف عن المحاكاة في أن الأخيرة تظل سطحية وواعية، أما التماهي فهو عملية نفسية لا واعية تؤدي إلى انبناء الشخصية تبعاً لنموذج معين. فتأثير التماهي (أي أن يكون الشخص هو الآخر، أو أن يكتسب هويته) حاسم في تكوين الشخصية.

علماً أن بناء الشخصية يتم عبر سلسلة من التماهيات الجزئية بأشخاص يعتبرون

مرجعيين كالوالدين والأساتذة والرؤساء والزعماء والأصدقاء إلخ... ومن ذلك تقمص الطفل شخصية أبيه ليشعر بالقوة التي يصبو إليها، والفتاة المحرومة شخصية الممثلة التي تعجب بها، وتعلق التلميذ الضعيف تعلقاً شديداً بمدرس المادة المتخلف فيها، وتقمص الآباء المحرومين في طفولتهم شخصيات أبنائهم فينعمون عليهم بما كانوا قد حرموا منه من ملذات الحياة، ويشعرون بشدة بما يشعرون به من حزن وسرور وحب وكره. ومن ذلك حالة رجل لا يريد أن ينجب أكثر من طفل واحد، ويصر على ذلك إصراراً يبرره بأن تحديد النسل خير طريقة لتربية الأطفال. غير أن التحليل النفسي دل على أن لديه رغبة قديمة دفينة في أن يكون وحيد أمه. وقد اتخذ من طفله وسيلة لتحقيق هذه الرغبة فتقمص شخصية طفله أو أمه وأخذ يدلل ابنه على غرار ما كان يرجو أن تدلله أمه هو! أي كان الغرض من تحديد النسل لم يكن في الحقيقة مصلحة الابن، بل حاجة الأب إلى تحقيق رغبته الطفلية اللاشعورية. فالشعور بالحرمان والنقص والعجز من الدوافع القوية للتماهي أو التقمص. ومن محفزاته الإعجاب. ويكون طبيعياً وعادياً حين يكون جزئياً يكتسب الإنسان من خلاله صفات مرغوباً فيها يتمتع بها الآخر. لكنه يكون مرضياً حين يكون كلياً بحيث يفقد الشخص استقلاليته وذاتيته في حالة من الذوبان في الآخر.

والتماهي يكون خطراً على المجتمع حين يكون تماهياً إسقاطياً وحين يكون تماهياً بالمعتدي:

التماهي الإسقاطي
Projective identification

وهو عملية نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر مكروه بالنسبة إليه كي يسيء إليه ويمتلكه ويسيطر عليه، من خلال استخدامه كمجسد لإحدى نزعاته التي يخشاها كالغدر والعدوانية، أو صفاته التي ينفر منها كالحقد، وذلك بالتنكر لها في النفس وإسقاطها على الشخص الآخر الذي يتعامل معه تبعاً لموقفه من تلك الخاصية (النزعة أو الصفة) وبصورة أسطورية؛ إذ يعتبره رمزاً مضخماً لما هو ممنوع ومكروه في داخله. وقد يعمل التماهي الإسقاطي باتجاه الحب بالطريقة نفسها بصورة معكوسة إذ يصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية

والطهر والخير الذي يرغب أن يتمثله في ذاته. فمبالغات الكره والعدوان، وكذلك مبالغات الحب والإحسان تقوم على هذه العملية النفسية.

ومثاله عقيدة الشيعي بالإمام أو المرجع. وما يرتكبه الشعوبيون اليوم والغزاة من جرائم بحق أهل العراق.

التماهي الدفاعي (= التماهي بالمعتدي)
Identification with the aggressor

وهي عملية نفسية دفاعية لمجابهة القلق. ومعناها تمثل وتقمص عدوانية المعتدي التي يخشاها الشخص أيما خشية عندما يحس بالعجز عن التصدي لها بقوته الذاتية، مع البحث عن ضحية أضعف منه يصب عليها عدوانه بدلاً من المعتدي القوي كتعويض عن عدم قدرته على تصريف غضبه باتجاه الهدف الصحيح لخشيته المفرطة منه. وبهذا يثبت لنفسه وغيره أنه ليس ضعيفاً ولا يخاف، بل هو قوي ومخيف يستطيع أن يوقع الأذى بالغير ويخيفه. وبذلك يسيطر الإنسان على قلقه. وقد لوحظ ذلك في المعتقلات النازية إذ كان بعض الأسرى نتيجة الخوف الشديد من حراسهم قد صاروا يحاكونهم في حركاتهم ولباسهم وأفكارهم ومشاعرهم ويستسلمون لهم استسلاماً، بل ويعاملون من يفد إلى المعسكرات من أسرى جدد معاملة جافية عاتية تماثل معاملة الحراس لهم. وقد لوحظت هذه الظاهرة أيضاً في زنازين الأسرى العراقيين في إيران نتيجة الخوف الشديد بسبب التعذيب الوحشي الذي كان يوقعه الحراس الإيرانيون بالأسرى العراقيين.

وهذه العملية لا تتم إلا مع عملية التماهي الإسقاطي التي من خلالها يتم إسقاط كل الصفات والنزعات غير المرغوبة على الضحية كي يبرر ممارسة العدوان عليها، وكأنه من خلالها يقوم – لا شعورياً – بمعاقبة نفسه على ضعفها وتخاذلها تجاه المعتدي الحقيقي.

تشيع هذه الظاهرة عند الأطفال في مجابهة قلقهم: فالطفل الذي يخشى اللص يلعب دور اللص محاولاً بث الذعر في نفس طفل أصغر منه. وبذلك يسيطر على خوفه. والطفل الذي يخشى عقاب الأم يلعب دور الأم المعاقبة فيعنف أخاه الأصغر على غلطته.

وتشيع هذه الظاهرة بين الشعوب المستعمرة، التي يتماهى بعض أفرادها بعدوان

المستعمر فيقلدونه في سلوكه وصفاته وأدواته وممارسة الاعتداء على الضحية من أبناء بلدهم. وما يفعله ما يسمى بـ(الحرس الوطني) اليوم في العراق – وهم في الغالب شيعة شعوبيون حاقدون – تجاه أهل السنة على الخصوص أوضح مثال. والمعادلة النفسية كالآتي: محتل يجب على المواطن أن يقاومه ويقاتله، لكنه يخاف منه أيما خوف. وهذا ما يؤدي به إلى القلق والخشية من مواجهة الذات بضعفها وجبنها. وحتى يتغلب على هذا القلق – وبدلاً من أن يواجه المحتل الذي يخشاه – يقوم بتقمص صفات المحتل وعدوانيته مع إسقاطها على ضحية مناسبة، ينتقم فيها لا شعورياً – وبكل قسوة – من نوازعه وصفاته التي يكرهها ويخشاها، ويعاقب من خلالها نفسه التي لاتستحق – في لا شعوره – إلا الاحتقار والعقاب. وهنا يأتي دور اختيار الضحية اعتماداً على الخلفية الطائفية؛ فيكون أهل السنة هم الضحية التي يثبت من خلال الاعتداء عليها ذاته في أنه قوي وأنه لا يخاف. وبهذه الحيلة النفسية يتجنب أمرين لا يريد أن يواجههما في وعيه ولا واقعه: فهو لا يريد أن يعي حالته في كونه خائفاً متهرباً من واجبه في مقاومة المحتل، ولا كونه طائفياً حاقداً عدوانياً. ولا يريد أن يقاوم المحتل الذي يخافه ويرتجف منه، وإلا أدت به الحالة الأولى إلى الانهيار النفسي، والثانية إلى ركوب الخطر. وكلتا الحالتين أحلاهما مر.

العدوان
Aggression

هو إيذاء الغير أو الذات وما يرمز إليهما. ويقترن دائماً بانفعال الغضب، ويتخذ صوراً شتى منها العنف الجسمي، أو العدوان باللفظ والتشهير والكيد. أو يكون غير مباشر كعصيان الطفل أوامر والديه، أو الغمز والتندر بالنكتة اللاذعة.

قد يكون العدوان وسيلة للتمويه على شعور بالنقص، أو لتوكيد الذات وإعلان الشخص الخامل الذكر عن وجوده، أو لأنه يتوقع أن خصمه سيباغته على حين فجأة.

وقد يحبط الفرد فلا يستطيع توجيه عدوانه إلى من اعتدى عليه أو هدد أمنه أو أساء إليه، فيلجأ إلى تصريف عدوانه عن طريق إزاحة هدف العدوان، فإذا بالشخص يوجه عدوانه إلى الناس والأشياء أو إلى نفسه.

العدوان المزاح : إن حالت عقبات دون العدوان المباشر على مصدر الإحباط كأن يكون شخصاً مرهوب الجانب كالأب، أو محبوباً كالأم، أو محترماً كصديق تحول

العدوان لينصب على أول ((كبش فداء)) يلقاه في طريقه: إنساناً كان أم حيواناً أم جماداً. كالأب الغاضب من رئيسه في الدائرة قد يصب جام غضبه على أولاده. والطفل الغاضب من والديه قد يكسر لعبته. والجماعة التي يحكمها رئيس مستبد قد تختار واحداً منها يكون ضعيفاً فتعزو إليه سوء سير الأمور. وقد دل إحصاء أمريكي على أن حوادث الاعتداء على الزنوج تزداد كلما هبطت أسعار القطن! كأن الزنوج هم المسؤولون عما يحل بالمحصول من بوار. وفي هذا ما يشهد بأن الإنسان ليس مخلوقاً منطقياً بل مخلوق سيكولوجي أو نفساني. فهنا نراه ينزع بطبعه إلى استعادة توازنه النفسي دون نظر إلى من يصب عليه عدوانه: ظالماً كان أم مظلوماً.

العدوان المرتد : هو ارتداد العدوان إلى الذات. حين يحال بين الفرد وتصريف عدوانه بأي طريقة. كالطفل المغتاظ حين يضرب رأسه بالحائط، أو يشد شعره، أو يلقي بنفسه على الأرض. ويتخذ العدوان المرتد صوراً شتى منها: إسراف الفرد في لوم نفسه، أو إصابته بالهبوط والاكتئاب، أو بمرض عضوي كارتفاع ضغط الدم، أو الانتحار حين يكون بديلاً عن قتل الغير. ومن أوضح الأمثلة على العدوان المرتد طقوس اللطم والتطبير عند الشيعة.

اهتياج (= هياج، هوَس)
Agitative mania

حالة مرضية تتسارع فيها كل العمليات العقلية والنفسية، ويستثار الجهاز الحسي الحركي. فينطلق المريض في نشاط عارم ومشتت: يرقص، يغني، يركض، يتحرك، يتحدث بدون انقطاع، منتقلاً من فكرة إلى أخرى بدون أي ترابط سوى تداعي الأفكار والألفاظ . كل ذلك في نوع من النشوة العارمة، والشعور بالسعادة والوفاق مع الوجود، والرضى عن الذات، وتضخمها يعطي الإحساس بنسف كل الحدود والقيود.

وإذا لم يتخذ الأمر طابع المرض العقلي الصريح والكامل فقد يكون الاهتياج عبارة عن رد فعل نفسي وجداني من الإحساس بالقوة والجبروت والسطوة على العالم الخارج، يرافقه مشاعر غبطة ورضى عن الذات، لا تستند جميعاً إلى أي أساس من الواقع. والاهتياج بهذا المعنى عبارة عن رد فعل على مشاعر العجز والتقصير والمهانة وما تولده من قلق شديد، وهو نوع من القلب السحري للمعادلة الوجودية لمصلحة الإنسان المسحوق والعاجز، أو الذي يعاني من عقدة الاضطهاد، حين يسنح

الظرف وتتحاز القوة إلى جانبه في يوم من الأيام.

الرُّهاب (= خُواف، ذُعار)
Phobia

خوف مرضي من أشياء أو كائنات أو أماكن أو وضعيات لا يفترض أن تثير الخوف عند الإنسان الراشد العادي، فيصاب المريض بذعر شديد عندما يلتقي بما يخيفه من هذه الموضوعات كالحشرات والحيوانات والأماكن المغلقة، والأماكن المرتفعة. وقد نجد هذه الظاهرة حتى عند أبطال الحرب والمغامرة كالخوف من حشرة أو من الحقنة إلخ... . ومن ذلك خوف العرب من مواجهة الفرس وتفضيلهم قتال الروم دونهم.

الشرعنة
Legitimation

عملية نفسية تهدف إلى تبرير العدوان على الغير من خلال تأثيمه وتحميله مسؤولية ما يوجد من شر أو مأزق أو خراب، مع تبخيس إنسانيته والحط من قدره وتحويله إلى عقبة وجودية في طريق السعادة والوصول إلى تحقيق الذات أو الهدف. يترافق ذلك مع رد فعل يتلخص ببراءة الذات التي تصور كضحية لذلك الغير. وبهذا ينفتح السبيل أمام إطلاق العنان للعدوانية الذاتية في رد فعل تهجمي تدميري ضد الآخر المسؤول تحت شعار الدفاع المشروع عن النفس. وعماد شرعنة العدوان على الغير هو الإحساس بالغبن، وبروز الاتجاه الانتصافي أو الثأر للذات.

وأوضح مثال واقعي للشرعنة ما يفعله الغزاة الأمريكان والشيعة في العراق اليوم بعد أن أمسكوا بزمام القوى الأمنية في البلد، ومن خلال منظماتهم الدينية والسياسية إذ يسومون الشرفاء سوء العذاب متهمين إياهم بشتى التهم التي تبرر لهم ممارسة عدوانهم عليهم كالوهابية والإرهاب والتكفير وقتل المدنيين والأبرياء إلخ... .

العُظام
(= أوهام الاضطهاد أو العظمة)
Paranoia

مرض عقلي (ذُهان) يتميز بأوهام ومعتقدات ذات طبيعة اضطهادية تطغى على

المصاب به لها في نظره صفة اليقين القاطع، وهي غير قابلة للتغيير بالإقناع أو البراهين العلمية أو العملية، مع أنها لا تستند إلى أي دليل أو واقع موضوعي! يقتنع المصاب بهذا المرض أنه ضحية مؤامرة تحاك ضده وتريد النيل منه، وأنه مظلوم ومضطهد ومغبون الحقوق. ويستجيب لهذه الأوهام بمجموعة من الإجراءات الدفاعية والهجومية ضد من يعتقد أنهم يضطهدونه تستغرق كل وقته وتصرفه عن مصالحه الحياتية أشدها هذيان الدعاوى، وهذيان الاضطهاد، وهذيان التأويل. ويكون تصرفه عدوانياً يتخذ طابع الدفاع المشروع من خلال سلوك الاضطهاد المضاد. فيكون في الحقيقة هو الظالم المضطهِد (بكسر الهاء) بينما هو يتوهم أنه مظلوم مضطهَد (بفتح الهاء) مع ممارسته ظلم الآخر واضطهاده! ويرافق ذلك نوع من مشاعر العظمة حيث يضع المريض نفسه في مرتبة من الأهمية تبلغ حداً فوق التصور. يتمتع المريض بكل صفائه الذهني خارج إطار موضوع التوهم، وميل مرضي للملاحظة والتحليل المتربص بكل شيء. والعظام من أشد الأمراض العقلية المزمنة، وشفاؤه صعب التحقيق. ومثاله اتهام الشيعة أهل السنة بعداوة أهل البيت، وأنهم مضطهدون من قبلهم.

الغبن المفروض (الموهوم)
Injustice subie

يصاحب مرض العُظام مرض آخر هو الغبن الموهوم، وهو شعور يطغى على الجاني يحس به أنه ضحية اعتداء وقع عليه من قبل ضحيته، أو أنه ضحية ظروف ظالمة؛ ما يؤدي إلى تراكم العدوانية ضد الضحية، وتفجير الحقد، واصطباغ العلاقة معها أو مع المحيط بصبغة اضطهادية يتحول العالم بسببها إلى وجود لا مكان للحب فيه. ويفجر هذا الإحساس «رد فعل البراءة» أي نفي المسؤولية فيما آلت إليه الأمور عن الذات، ونفي تهمة العدوانية. وهنا يتحول العدوان على الضحية أو المحيط إلى فعل مبرر ومشروع متخذاً صفة الدفاع عن النفس. كما يؤدي الشعور بالغبن المفروض إلى بروز الاتجاه الإنصافي، وكلاهما يؤدي إلى شرعنة العدوان على الغير وتبريره.

عقدة الخُصاء
Castration complex

الإحساس بالنقص والعجز عن توكيد الذات أمام الآخرين، يؤدي بصاحبه إلى

الفشل لأنه يحس بانعدام الجدارة، أو انعدام الحق في النجاح الحيـاتي. وأرى – من خلال استشفاف ما كتبه علماء النفس، ومن خلال الملاحظة الذاتية – أن هـذه العقـدة تتولد بسبب التربية الخاطئة التي يمارس الأب أو من يقوم مقامه علاقة تسلطية شـديدة تجاه الطفل، تفرض عليه احتراماً مفرطاً، وإحساساً بالعجز تجاه الأب. تـنعكس هـذه المشاعر اجتماعياً بالصورة نفسها تجاه أي سلطة أو رمز يقـوم مقـام الأب. إن كـل نجاح أو تصرف لتوكيد الذات أمامه هو مضاهاة للأب، بينما هـو ممنـوع عليـه أن يضاهيه أو يعبر عن نفسه معه؛ ولذلك يظل في وضعية العجز والقصور.

وقد تكون الاستجابة ليس بالرضوخ وإنما بالإفراط في السلوك التعويضـي علـى شكل مبالغة وتضخيم لمظاهر الذكورة والقوة والرجولة والإقدام إلخ... .

النُفاج
Megalomania

حالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغـة الخرافيـة لقـدراتها وممتلكاتهـا ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات. إنه مبالغة في الادعاء لا تستند إلى أي إحساس من الواقع الذاتي أو الموضوعي. والنفاجي كائن مهـووس بالعظمـة وارتفاع الشأن، أو هو يقدم نفسه هكذا مباشرة بدون جهد فعلي للوصول إلى العظمـة، فهو يبالغ في كل ما يمت إليه بصلة خصوصاً في تصوير قدراته. وقد يصل النفاج إلى حد هذيان العظمة، وادعاء ألقاب مفرطة في تفخيمها.

والنفاج نوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر نقص ذاتية شديدة. إنه رد فعـل تمرد خرافي على العجز، بحيث يكون التضخيم الخارجي متوازٍ عموماً مـع الـنقص الداخلي. تجد المثال واضحاً للنفاج عند الشخصية الفارسية النموذجية لدى (رجل الدين الشيعي) من خلال عمامته الكبيرة وألقابه الرنانة (آية الله العظمى، المرجـع الأعلـى للمسلمين، زعيم الحوزة، الإمام الأكبر... إلخ.

النكوص
Regression

نكص تعني: رجع من حيث أتى. والنكوص نفسياً يعني العودة إلى أسـاليب فـي التعبير والسلوك يفترض أن يكون المرء قد تجاوزها خلال نموه وتقدمه نحو النضـج الراشد. وأوضح ما يكون عند الأطفال حين تعترضهم أزمات جدية، فقد يعود الطفـل

إلى الحبو بعد أن صار يمشي تشبهاً بأخيه الأصغر الذي صار محور اهتمـــام والديـــه. ويعود إلى التشبث بأمه بعد أن بدأ يستقل عنها. أو يقوم بمص أصابعه عسى أن يصيبه شيء من الحنان المفقود. أما عند الكبار فالنكوص يحدث كرد فعل على مآزق لا يجـــد له منها مخرجاً؛ فينكص إلى أساليب طفلية وأكثر بدائية في مجابهة الواقع كأنه يريد أن يرجع إلى مرحلة الصغر التي كان يجد فيها من يحل له مشاكله ويؤمن حاجاتـــه دون تدخل منه، أو يقول: أنا أصغر مـــن أن يجـــب علـــيّ أن أتحمـــل هـــذه المـــآزق أو المسؤوليات. ومن أمثلة النكوص لدى الكبار لجوء المناقش الهادئ الـــرزين – حـــين يفحم – إلى الصياح واللجاج والمكابرة. وارتداد العالم الرصين إلى التفكيـــر الخرافـــي والحجة الأسطورية. ومن مظاهره السب والصراخ والتمارض والغيرة والعناد والبكاء عند الارتطام بالمشاكل، ومنه التحكم في الأهل والاصدقاء، والإعراض عـــن الـــزواج خوفاً من تحمل التبعات، والإسراف في الحنين إلى الماضي. كذلك فإن شـــدة القابليـــة للإيحاء أي سرعة التصديق وتقبله للآراء والأفكار دون مناقشة لها أو تمحـــيص كمـــا يفعل الأطفال قد تكون فعلاً نكوصياً، وكما يتقبل العامي الشـــيعي آراء المرجـــع دون نقاش.

التشيـــيء

Chosification

هو اختزال وجود كائن إنساني إلى مرتبة الشيء. يتعلق هذا المصـــطلح بعمليـــات التبخيس التي تصيب قيمة الإنسان كآخر شبيه بنا ومعادل لنا في علاقة تكـــافؤ، فيحـــل محل الاعتراف بإنسانيته انهيار لقيمته في نظرنا. حتى تفقد هذه الإنسانية قدسيتها ومـــا تستوجبه من احترام، وما تتطلبه من التزام تجاهها. يتحول الآخر في هذه الحالة إلـــى مجرد شيء، أو أداة، أو رمز، أو أسطورة، ويفقد خصوصيته كإنسان واستقلاليته كليـــاً ويدمج في مخططات مضطهده. ويتحول إلى شيء، إلى رمز مجرد للشر يجب إبادته. ومن أبرز الأمثلة عليه اليوم ما تفعله المليشيات الشيعية المقنعة بالقانون بأبنـــاء الســـنة في العراق.

التفريج

(= التنفيس أو التصريف)

Catharsis

هو تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطبيعة المؤلمة، من خلال وضعية يثار فيها الوجدان،

وتنبعث الأحزان إلى درجة تزول معها الضوابط الواعية، في حالة من المشاركة بين الشخص الذي يعاني وآخرين يتعاطفون معه. يعقبه عادة ارتياح عام وعودة السكينة إلى النفس التي تنقاد للتعبير عن المعاناة أو المأساة بحرية تسمح بتصريف كل التوتر المتراكم. كالمشاركة الوجدانية في حالات الموت. وأبرز مظاهرها ما يسمى بمواكب العزاء الحسيني وما يتخلله من جلد ولطم وتطبير يفوق الوصف.

المصادر

١. الأصول من الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، مكتبة الصدوق ، طهران ، ١٣٨١هـ

٢. مصباح الفقاهة ، أبو القاسم الخوئي ، مطبعة الغدير ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧١

٣. لا بد من لعن الظلام ، الدكتور طه حامد الدليمي ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ٢٠٠٥

٤. التخلف الاجتماعي سيكولوجية الإنسان المقهور ، الدكتور مصطفى حجازي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة السادسة

٥. أصول علم النفس ، الدكتور أحمد عزت راجح ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية

٦. الثورة الإيرانية والتمدن الحديث ، جاك ميلوك

٧. إيران مستودع البارود ، أدور سابيليه

٨. الصراع العراقي الفارسي ، نخبة من المؤرخين العراقيين ، بغداد ، ١٩٨٣

٩. الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠ ، حسن العلوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، إيران – قم.

١٠. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧م ، دار الأنصار ، مصر

١١. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الدكتور علي الوردي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٩

١٢. الموجز في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠

١٣. منهاج الصالحين ، أبو القاسم الخوئي ، مطبعة الديواني ، بغداد

١٤. الشهاب الثاقب في بيان معرفة الناصب ، يوسف البحراني ، قم ، ١٤١٩

١٥. علم النفس الاجتماعي، د. حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤

١٦. دماء على نهر الكرخا ، حسن السوداني ، مطبعة الحضارة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠

١٧. المتعة ، الدكتورة شهلا حائري ، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر ، بيروت – لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٦

١٨. التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، الدكتور علي شريعتي

١٩. الإسلام بين الشرق والغرب ، علي عزت بيجوفيتش ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات ، الطبعة الأولى ، رجب ١٤١٤هـ

٢٠. سيكولوجية الجماهير ، غوستاف لوبون

٢١. (الأنوار النعمانية) ،نعمة الله الجزائري ، مطبعة شركة بنجاب ، تبريز ، إيران

٢٢. أساليب الإقناع وغسيل الدماغ ، جي. إي. براون. ترجمة الدكتور عبد اللطيف الخياط ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

٢٣. الأستاذ الخميني في الميزان ، الدكتور موسى الموسوي

٢٤. الطاغية ، د. إمام عبد الفتاح إمام . الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧ ، القاهرة

٢٥. الحقد الفارسي لماذا ؟ المقدم عبد الجبار محمود السامرائي

٢٦. الشيخ خزعل أمير المحمرة ، مجموعة من المؤلفين ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان

٢٧. الحياة الروحية ، محمد طه الكرمي ، مطبعة قم ، سنة ١٣٨٦

٢٨. المرتضى ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م

٢٩. الجيتو اليهودي ، الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين ، دار القلم ، دمشق ،

الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م
٣٠. الشخصية الإسرائيلية ، دكتور حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م

محتوى الكتاب

الدوافع اللاشعورية

التنويم المغناطيسي **Hypnosis**

دوافع خفية (لا شعورية) تحكم الفرد

عملية الكبت ودورها في إخفاء الدوافع

من خصائص الدوافع المكبوتة

الفصل الثاني

الأمراض النفسية الجماعية

التشخيص أساس العلاج

الفصل الثالث

دراسات في الشخصية الفارسية

أهم الخصائص النفسية التي تميز الشخصية الفارسية

نظرة تحليلية في جذور الأمراض النفسية الفارسية

الفصل الرابع

الأمراض والعقد النفسية في الشخصية الفارسية

العلاقة بين النفسية (الفارسية) والشيعية

(الفارسية) ظاهرة وليست عرقاً

عقدة النقص وعقدة الاضطهاد وأثرهما في تكوين النفسية الفارسية أو الشيعية

حيلة (الإسقاط) وأثرها في التركيبة النفسية الشيعية

١. عقدة النقص

منشأ عقدة النقص عند الفرس

عقدة الدخالة

العجمي والمستعجم

عقدة النقص أو الدونية أصل كل العقد النفسية الشيعية

٢. عقدة الحقد

حقد مختص بالعرب

إسقاط حقدهم على خصومهم

يرضعون الحقد لأطفالهم

يغذون الحقد لشعوبهم

حقد شعوبي

تعذيب أسرانا

٣. عقدة الثأر والانتقام

تغريدة الشيعة

الغليان والتعبئة النفسية الدائمة

عقيدة المهدي المنتظر

بعد الاحتلال (الصليبي – المجوسي) للعراق

٤. عقدة الاعتداء (العدوانية)

العامل الجيو – سياسي

اعتداء منهجي مقصود

العلاقة مع بقية العقد

الإحباط أمام الاجتياح الحضاري العربي الإسلامي

الإحباط الناتج عن عقدة النقص وعقدة الاضطهاد

الطبيعة السادو– مازوشية

البحث عن الذات: أنت تتألم؛ إذن أنا موجود

التوحد بالمعتدي

من مظاهر التوحد بالمعتدي أو المتسلط

شرعنة الاعتداء

تشييء الآخر

دور حيلة (الإسقاط) النفسية

يتمسكن حتى يتمكن

عدم التعايش مع الآخر

الدوني إذا تمكن

تساوي المثقف والعامي في التخلف النفسي

لا علاج للنفسية المقهورة إذا تمكنت إلا القوة

٥. عقدة الاضطهاد

هذاء الاضطهاد

يجلبون المآسي على أنفسهم

الطقوس والشعائر الشيعية

أسطورة اضطهاد (الأئمة)

مقارنة مع الأئمة الأربعة

الشيعي كاليهودي مخرب أينما حل

ملحق في المشاركة الشيعية في الأجهزة الرسمية لدولة البعث

٦. عقدة التخريب

التخريب دين

عدوانية موجهة إلى الخارج

٧. عقدة التعصب

سمات المتعصب

الدوافع النفسية للتعصب

من فمك أدينك

الشعور بالتهديد الخارجي

تضخم قيمة الجماعة

٨. عقدة (السيد)

عقدة النقص أو الدون هي الدافع

عقدة الاضطهاد وعلاقتها بعقدة السيد

احتقار الأمم لا سيما العرب

شاهد أو مشهد مثير

وشهد شاهد منهم على مثله

المتسيد لا يحترم إلا من يذله

ما ضعف العراق في التاريخ مرة إلا وغزاه الفرس

٩. عقدة الاستخذاء

عقدة النقص هي الأساس

المضطهد يقدس القوة

اجتياف عملية التبخيس

١٠. عقدة الشك

قصة الملا ناصر الدين والحمال

التوجس من كل شيء

تفسير التاريخ

١١. عقدة الغدر

شواهد التاريخ

وتتكرر الشواهد

١٢. عقدة الخداع والتضليل

يخدع بعضهم بعضاً

الرغبة الخفية بالانتقام

١٣. عقدة الكذب

شاهدان من إيران

شاهدان من العراق

قوم يشتكي الكذاب من كذبهم

الجذور

الكذب تسعة أعشار دين الفرس

١٤. عقدة اللؤم ونكران الجميل

جذور اللؤم

إنكار الإحسان وانقلاب آثاره

التاريخ القديم

الخميني الدجال

إسقاط صفات الملك الفارسي على المرجع الشيعي

تشييع الخميني..!

٢٠. العقلية الخرافية

القهر والتعلق بأوهام الخلاص السحري

التفكير الارتغابي **Wishful thinking**

تركيبة متشابكة من العقد النفسية المركبة

الفارسية وباء

حديث (لو كان الإيمان عند الثريا...)

الفصل الخامس

التحليل النفسي لأهم عقائد وطقوس التشيع الفارسي

الجذور الفارسية بشهادة الفرس أنفسهم

١. الإمامة
٢. العصمة
٣. المرجعية الدينية
٤. تحريف القرآن
٥. المِهدي المنتظر
٦. الرجعة
٧. شفاعة أهل البيت
٨. الغلو في أهل البيت
٩. سب الصحابة
١٠. اتهام أهل السنة بكره (أهل البيت)
١١. مخالفة أهل السنة
١٢. التقية
١٣. السجود على التربة والإسبال في الصلاة
١٤. زيارة المراقد وانتشار ظاهرة الأضرحة
١٥. المتعة والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم

الفصل السابع

المنهج الأمثل في مواجهة خطر التشيع

١٣. تكوين جماعة تتقدم الصفوف

١٤. صنع النموذج القدوة

وقفة مع غوستاف لوبون مؤسس علم نفس الجماهير

الروح الجماعية للجمهور

الحياة اللاواعية للروح الجماعية للجمهور

ضعف جدوى المحاججات العقلانية مع الجمهور

ضرورة تكرار الفكرة وتأكيدها

الزمن

القسم الثاني: الأساليب والمبادئ الخاصة

أ. تمهيد

الشيعة أكثر إدراكاً واستخداماً للأساليب الجماعية من أهل السنة

نفسية معقدة وقيادة مقنَّعة فهل من سبيل ؟

هل من أمل بالشفاء ؟

آثار العقد الفارسية على الأساليب الدعوية

لا فائدة من الأساليب الترضوية

الأسلوب الشمولي في الخطاب القرآني

الهزيمة النفسية لدى أهل السنة تجاه الشيعة

لا تناقض بين الشجاعة الفردية والهزيمة النفسية الجمعية

المهزوم لا يأتي بحل

دواء واحد فقط للعلاج

ب. الأساليب والمبادئ

١. الخطاب القوي هو الدواء

٢. فصل جمهور الشيعة عن مراجعهم

٣. فضح تعلق الشيعة المزيف بـــ(أهل البيت)

٤. بيان بطلان (خمس المكاسب)